١ — كتب الىّ صاحب الفضيلة أستاذى الاكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ حسونه النواوى ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على أفصح العرب ، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الأدب « أما بعد » فقد اطلعت على الكتاب المسمّى « بجواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب » لمؤلفه الألمعى ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى ، فألقيتهُ مشتملاً على فن الانشاء والامثال وافياً بالمقصود واسع المجال ، صحيح العبارة ، واضح الاشارة ، نافعاً فى بابه . مفيداً لمطالعيه وطلابه . نفع الله به و بمؤلفه ومحبيه . بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه

كتبه حسونه النواوى

٢ — وكتب الىّ أستاذى الامام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه فوالاه (و بعد) فقد اطّلعت على مجموع كتاب (جواهر الأدب) المنتخب من حدائق العرب ، فاذا هو مجموعة لا بأس بها ، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة و وسائلها

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعجم الطّير فيها تغرّد

فقد جمع لهم من عيون الكلام و رائع اللفظ ما يحتذون حذوه ، و ينسجون على منواله ، حتى لا تستعصى عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها . و بعيد أن يصل من يحاول (صناعة الانشاء) الى ما يرضى منه بدون أن يردد الطرف فى كثير من كلام الفصحاء ، و يرد من مناهله كل عذب صاف ، و يحيط بشىء عظيم من أساليب الكتاب حتى يتشبّع من كلامهم ، وتنطبع فيه صورة من مجموع صورهم ، ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب ما يفى لهم بهذا الغرض ، حتى وفق حضرة ولدنا الاستاذ (الهاشمى)

اسدّ هذه الثلمة بما كابده من التعب زمناً كبيراً — ولا بدع [illegible] الاطباء من عرف حقيقة الداء فيصف له أنجع الدواء . ولقد عرف هذا الأستاذ الأخصائى حاجة العصر وناشئته الى كتاب موضوع على أسلوب عصرى يلائم أذواق [illegible] العصر من معلّمين ومتعلّمين . فاذا حاول أهل العلم والتعليم أن يشكروا له صنيعه فهم حاولوا عظيماً وطلبوا خطيراً ، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله . فالعمل أعرف شيء بجميل عامله ، وفقنا الله وإياه ، لما يحبّه ويرضاه ، وأسأله أن ينفع به الطلاب ، ويجزل فيه الثواب؟ محمد عبده

٣ — وكتب شيخ الاسلام صاحب الفضيلة أستاذى الاكبر المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الازهر ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنشأ العالم على أبدع مثال ، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حدّ الكمال ، ونثر عجائب المعارف فى أرجائه ، وغرائب العوارف فى أنحائه والصلاة والسلام على ينبوع العلم و«جواهر الادب» سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق فى العجم والعرب . وعلى آله وصحبه ذوى المناصب والرّتب «أمّا بعد» فقد تناولت كتاب «جواهر الادب فى بلاغة لغة العرب» كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم ، واطّلعت عليه فوجدته حوى من المبانى أدقها ، ومن المعانى أرقها ، ومن النثر أعلاه ، ومن النظم أحلاه ، ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه ، اذ قد جمع فيه من الأجناس ومما لا يستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس ، فلو شامه (البهائى) قبل تأليف (مخلاته وكشكوله؛ الاعتراف لهذا المؤلف وارعوى من فضوله وهو حضرة العالم الهمام ، اللوذعى الامام ولدنا السيد أحمد الهاشمى — أكثر الله من أمثاله بجاه النبى وآله؟

كتبه   سليم البشرى

وكتب إلىّ فضيلة أستاذى المرحوم الشيخ حمزه فتح الله المفتش الاول بوزارة المعارف العمومية ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] بنى [illegible] التحرير والفذّ العبقرى (السيد أحمد الهاشمى) قد تصفّحت مجموعتك المختارة [illegible] (جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب) فاذا هى دائرة معارف كا[illegible] لا يستغنى عنها أديب ؛ كلها صحاح وعلم صراح

وما عسى أن يقال فى   وصف صحاح الجوهرى

إى وربّى انه لكتاب صرح على المخض زبده وأسفر عن الادب ، فلم تتلفّع بفضل مئزرها دعْدٌ . وانفردت سطوره عن فضل اختيار تغرى ليل عن بياض نهار جلاه الفرناس ، على صفحات القرطاس

اختار فى كتابهِ هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفى الغلة ، ويروى الصّدى ولقد أتى فيما انتقاه لكتابهِ الثمين بيوت الكلام من أبوابها ، وميز أبكارها من أترابها وأهدى إلى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة ويسيل كالماء عذوبة يمتزج بالنفوس لنفاستهِ ، ويشرب بالقلوب لسلامتهِ

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها   عن الوشى أو شمّت لأغنت عن المسك

(وبعد) فان سنن مؤلفك العظيم لقويم ، ما منى بشين، فخشيت عليهِ العين وما أطيب الخزامى فى قول بعض القدامى

ما كان أحوج ذا الكمال إلى   عيب يوقيهِ من العين

كيف لا وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفلّ الحز، ويطبق المفصل له حلى من البلاغة يتقلّدها . فيكاد السحر يحسدها . يدلّ عليهِ بيانهُ ، كما يدلّ على الجواد عنانه ، فمن عرفهُ فقد اكتفى — ومن قصر فلينشد

قد عرفناك باختيارك اذ كا   ن دليلا على اللّبيب اختياره

فما أجدر كتابهُ أن يختص بسرعة المجال فى المجالس ، وخفّة المدار فى المدارس بل إن (هذا الكتاب يهدى للتى هى أقوم) جزى الله مؤلفهُ خير الجزاء وأثابه أحسن

المثوبة ، وأكثر فى الامة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال ؟

كتبه الفقير اليه جل شأنه فى ليلة ١٢ ربيع أول سنة ١٣١٨ هـ حمزة فتح الله

٥ وكتب إلىّ صديقى المرحوم حسن أفندى توفيق العدل [illegible]س بكلية (كمبردج)

عزيزى حضرة الاستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى

تشرفت بكتابك المسمى (جواهر الادب فى أدبيات وانشاء لغة العرب) فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم فما أنفس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفسح مقاله ، وأفسح مجاله. صدر هذا الكتاب عن علم سائق ، وفكر ثاقب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ، فأكرم به من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب ، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب ، إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين ، عن نغمات القوانين ، وإذا تأمله الأريب نزه طرفه فى رياض البساتين ، قد سوّر على كل فن من البديع باب ، لا يدخله إلا من خصّ من البلاغة بالألباب ، والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب. حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

﴿ وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول « مخاطباً مؤلف هذا الكتاب » ﴾

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة »

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

وانه لدائرة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب ألف فى اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صادر عن تجربة وحكمة

« ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » ؟ كتبه سعد زغلول

(فهرس الجزء الأول من جواهر الأدب)

صحيفة

صحيفة



في

ادبيات وانشاء لغة العرب

(تأليف)

السيد احمد الهاشمي بك

« مدير مدارس فؤاد الاول حالا ـ ومراقب مدارس فكتوريا الانجليزية سابقا »

قرظت على طبعه مشيخة الأزهر الشريف

« وقرظه أيضاً كثير من فضلاء وزارة المعارف العمومية »

« مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة »

سنة ١٣٥٦ هـ ـــ سنة ١٩٣٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلى ما سجعت به بلابلُ الأقلام، وأغلى ما انتظمت فيه عقودُ البلاغة والانسجام، وأشهى ما ينعت به (جواهر الأدب) حمدُ مولانا الذي شرَّف لغة العرب، وأرسل لنا نبيًّا عربيًّا منزَّهًا عن جميع الرِّيَب، سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله ومن صحب

(أمَّا بعدُ) فهذا كتابٌ سميَّتهُ «جواهرَ الادب، فى أدبيَّات لُغة العَرب» أودعتهُ ما وقع عليه اختياري، لا من نثري وأشعاري، فليس لى فى تأليفه من الافتخار، أكثرُ من الاختيار، واختيارُ المرء قطعةٌ من عقله، تدلّ على تخلُّقه وفضله، وفضيلةُ هذا التأليف هى فى جمع ما افترق، مما تناسبَ واتَّسق، واختيار عيون، وترتيب فنون، من أحاديثَ نبوية، ومكاتبات أدبيَّة، وحِكَم باهِرَة وأبيات نادرة، وأمثال شاردة، وأخبار واردة، ووصايا نافعة، ومواعظَ جامعة، ومُناظرات مُستظرفة، ومقامات مُستطرفة، وأوصاف عليَّة، وخُطب اجتماعية، لينتفعَ به مُقتنيه، ويستغني عن غيره الرَّاغبُ فيه، إذْ كان أحسنَ من الزهر والرياض، والحدائق والغياض، والزبرجد والمرجان، والدُّر والعقيان والأكاليلِ والتيجان، والنُّزه والبُستان، إن دُعي أسرع، وإن تحدَّث أمتع وإن سُئل أجاب، وإن حكم أصاب، جليس لصاحبه فى الحضر، وأنيس له فى السفر نديم ظريف، وسمير حصيف، بالغتُ فى تهذيبه، وبذلت مجهوداً فى حسن ترتيبه وأجزلت التُّحفة، وانتقيت الطُّرفة، وبالله نستعين، وهُوَ حسبنا ونعم الوكيل

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

والجفاف الايجاز والاختصار المخل كقول الحارث بن حلزة المتوفى سنة ٢٣٢ ه

وَالعيشُ خيرٌ في ظلال النوك[1] ممن عاش كدا[2]

وَوحدةُ السياق التزام أسلوب واحد من التعبير وطريقه واحدة من التركيب بحيث تكون للأذهان كلالا[3] وللقلوب ملالاً[4]

وللكلام عيوبٌ كثيرة منها اللحنُ ومخالفة القياس الصرفى وضعف التأليف والتعقيدُ اللفظي والمعنوى والتكرار وتتابعُ الإضافات إلى غير ذلك من الاشياء التى تكون ثقيلةً على اللسان مخالفةً للذوق والعُرف غريبة على السمع[5]

وأما طبقاته فثلاثٌ (الأولى الطبقة السفلى) ومرجعُها إلى الانشاء الساذج وهوَ ما عرى عن رقة المعانى وجزالة الألفاظ والتأنق فى التعبير فهو بالكلام العادى أشبهُ لسهولة مأخذه وقرب مورده، ويستعمل فى المحافل العمومية ليقربَ منالُ المعانى على جمهور السامعين وفى المقالات والتآليف العلمية لينصرف الذهن إلى أخذ المعنى وليس دونهُ حائلٌ من جهة العبارة وفى المكاتبات الأهليّة والرحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك (الثانية الطبقةُ العليا) ومرجعها الى الانشاء العالى وهو ما شُحن بغرر الألفاظ وتعلق بأهداب المجاز ولطائف التخيلات وبدائع التشابيه فيفتنُ ببراعته العقولَ ويسحرُ الألبابَ ويصلحُ في

---

(١) بفتح النون وضمها الحمق (٢) تعبا (٣) سيئة (٤) سآمة (٥) حكي عن الصفي الحلي ان بعض الفضلاء بلغه أنه أطلع على ديوانه وقال لاعيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فأجابه الصفي

انما الحيزبون والدرديس والطخا والنقاخ والعلطبيس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يسلك النافر الوحشي منها ويترك المأنوس
ان خير الالفاظ ما طرب السامع منه وطاب فيه الجليس
ولذيذ الالفاظ مغناطيس :

التّرسّل بين بُلغاء الكُتّاب وَفى المجالس الأدبيّة وَديباجة بعض التّصانيف الى غير ذلك من المواضع التى من شأنها الزّجر وتحريك العواطف والحماسة

(الثالثة الطبقة الوسطي) وَمرجعها إلى الإنشاء الأنيق [١] وهوَ ما توَسّط بين الإنشاء العالى وَالسّاذج فيأخذ من الاوّل رونقه ورشاقته وَمن الثانى جلاءه وسلامته — وَيصلحُ فى مراسلات ذوى المراتب وفى الرّوايات المنمقه والأوصاف المشبهة ،وَفى خُطب المحافل وَما أشبه ذلك [٢]

وأما محاسنُه فهي أساليب وطرائق معلومة وُضعت لتزيين الكلام وَتنميقه لغرَض أن يتمكّن البليغُ من ذهن السّامع بما يورده من أساليب الكلام المُستحسنة فيحرّك أهواء النفس ويُثير كامنَ حركاتها ، وَلغرض أن يكونَ قوله أشدّ اتصالا بالعقل وَأقربَ للإدراك بتصرّفه فى فنون البلاغة

(كيفيّة الشُّرُوع فى عَمل مَواضيع الانشاء)

إذا عَنّ [٣] لك أو اقترِحَ عليك إنشاء موضوع فأنت منُوط [٤] إذاً بأمرين: التّفكر أولاً — وَالكتابة ثانياً. فإذا أنعمْتَ الفكْرَ ملياً [٥] فى أجزاء الموضوع بعد استيلاءِ الاحساس بها على قلبك وَقلبتَها على جميع الأوجه المُمكنة فيها تولد فى

(١) المعجب (٢) الذى اشتهر بالانشاء الساذج السيوطي والماوردي والغزالى وأبوالفرج الاصبهانى وابن الاثير وابو الفداء . والذى اشتهر بالانشاء الانيق الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبرى والفخرى وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودى . والذى اشتهر بالانشاء العالي الحريرى والهمذانى والمعري والاخطل وحرير وابو تمام والبحترى والمتنبي وابن خاقان والعتبي والفارسي . واعلم ان طبقات الانشاء كثيرا ما تختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء في القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث لايميزها الا المنتقد البصير (٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة

إليكم معشر الكتاب

أمّا بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم فانّ الله عزّ وجلّ جعل الناسَ بعدَ الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرّمين أصنافًا وإن كانوا في الحقيقة سواءً وصرّفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم. فجعلكم معشرَ الكُتّاب فى أشرف الجهات أهلَ الأدب والمروءة والعلم والرّواية. بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها. وبنصائحكم يُصلح الله للخلق سلطانهم، وتعمرُ بلدانهم. لا يستغنى الملكُ عنكم. ولا يُوجد كافٍ إلاّ منكم. فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون (١) فأمتعكم (٢) الله بما خصّكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه (٣) من النّعمة عليكم. وليس أحدٌ من أهل الصّناعات كلّها أحوجَ إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم

أيُّها الكُتّاب إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم، فإن الكاتبَ يحتاجُ من نفسه ويحتاج منه صاحبهُ الذى يثقُ به فى مهمّات أموره أن يكون حليماً فى موضع الحلم، فهيماً فى موضع الحكم، مقداماً فى موضع

(١) يدافعون (٢) أبقاكم (٣) أفاضه

الاقدام ، محجاماً فى موضع الإحجام (١) مؤثراً (٢) للعفاف والعدل والإنصاف كتوماً للاسرار . وفياً عند الشدائد، عالماً بما يأتى من النوازل ، يضعُ الامور مواضعها ، والطوارق أماكنها . قد نظر فى كل فن من فنون العلم فأحكمه فإنْ لم يحكمهُ أخذ منهُ بمقدار ما يكتفى به . يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدرعنه قبل صدوره، فيعدّ لكل أمر عدّته (٣) وعتاده . (٤) ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يامعشر الكتاب، فى صنوف الآداب ، وتفقهوا فى الدين وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف (٥) ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وأرووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فانّ ذلك معين لكم على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيّعوا النظر فى الحساب فانه قِوامُ (٦) كتّاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها (٧) ودنيها وسفساف (٨) الأمور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ، ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربأوا (٩) بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهلُ الجهالات . وإياكم والكبر والصلف والعظمة فانها عداوة مجتلبة من غير إحنة (١٠) وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبل (١١) من سلفكم وان نبا (١٢) الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب (١٣) اليه أمرهُ . وإن أقعد أحداً منكم الكبرُ عن مكسبه ولقاء إخوانه

---

(١) التأخر (٢) مختاراً له (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) العدة (٥) تعديلها (٦) نظام (٧) رفيعها (٨) الرديء من كل شيء (٩) أعرضوا وفروا (١٠) اضمار حقد يسبق عداوة (١١) الذكاء والنجابة (١٢) قصر ونفر (١٣) يرجع

فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته ، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحفظ منه على ولده وأخيه ، فان عرضت فى الشغل محمدة فلا يصرفها إلا إلى صاحبه . وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه إلى الفراء [1] وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره ، واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويصدق ذلك فعله له عند الحاجة اليه والاضطرار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم فى حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء والضراء ، فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة . واذا ولى الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ، وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعياله . ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما وللفيء [2] موفرا وللبلاد عامرا ، وللرعية متألفا ، وعن أذاهم متخلفا ، وليكن فى مجلسه متواضعا حليما وفى سجلات خراجه واستقضاء حقوقه دقيقا ، واذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه ، فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافقه من الحسن ، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة . وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فان كانت رموحا لم

---

(١) الجلد لانه سريع العطب (٢) الغنيمة والخراج

يهيجها اذا ركبها وان كانت تشبو باتقاها من بين يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها وان كانت حرونا قمع هواها برفق في طريقها (١) فان استمرت عطفها يسيرا فيسلس (٢) له قيادها . وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التى لا تفقه جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها ، ألا فأمعنوا رحمكم الله فى النظر ، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا باذن الله ممن صحبتموه النبوة (٣) والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ، فانكم مع ما فضلكم به الله من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير ، وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير — واستعينوا على أفعالكم بالقصد فى كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف (٤) فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب ، وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف (٥) أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه

(١) في مرة من المرات (٢) وفي نسخة يسلس أي ينقاد ويسهل (٣) التجهم (٤) التنعم ه (مبدأ)

ورُؤيته ، فليقصدْ الرَّجلُ منكم في مجلسه قصدَ الكافي من منطقه ، وليُوجزْ في ابتدائهِ وجوابِه وليأخذْ بمجامع حُججِهِ فان ذلك مصلحةٌ لفعله ومدفعةٌ للشاغل من إكثاره.

وليضرعْ إلى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعهِ في الغلط المُضرّ ببدنهِ وعقله وأدبه فأنه إنْ ظنّ منكم ظانٌّ أو قال قائلٌ إن الذى برزَ من جميل صنعتهِ وقوّة حركته انما هو بِفضل حيلتهِ وحسن تدبيره فقد تعرَّض بظنّه أو مقالتهِ إلى أن يكلَه الله عزَّ وجلَّ الى نفسهِ فيصيرُ منها الى غير كاف وذلك على مَن تأمّلهُ غيرُ خافٍ .

ولا يقُلْ أحدٌ منكم إنه أبصرُ بالأُمور وأحملُ لعبءِ التدْبير من مُرافقهِ في صناعتهِ ومُصاحبه في خدْمته فانّ أعقل الرجلين عند ذوى الألباب مَنْ رَمي بالعُجب وَرَاءَ ظهرهِ ، ورأى أنْ صاحبَهُ أعقلُ منهُ وأجمل في طريقته

وعلى كلّ واحد من الفريقين أن يَعرف فضلَ نعم الله عَليه جلَّ ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره . وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتواضُعِ لعَظَمته والتذلُّلِ لعزته والتحدُّث بنعمته

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثلُ (مَنْ تلزَمهُ النَّصيحة يلزمهُ العَمل) وهو (جَواهر) هذا الكتاب وغُرّة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عزَّ وجلَّ . فلذلك جعلتهُ آخره وتممتهُ به : تولّانا الله وإياكم يامعشَر الكتَبة بما يَتولّى به مَنْ سبق علمه بأسعاده وارشاده فان ذلك اليهِ وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ

عبد الحميد الكاتب المتوفي سنة ١٣٢ هـ (١)

---

(١) هو عبد الحميد بن يحيي العامرى، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين ـ قتله السفاح سنة ١٣٢ هـ

(تمهيد فى مبادىء علم الادب)

الأدب عبارة عن معرفة ما يُحترز به من جميع أنواع الخطأ وهو قسمان: طبعيٌّ وكسبيٌّ — فالطبعيُّ ما فُطِرَ عليه الإنسانُ من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم — والكسبيُّ ما اكتسبهُ بالدرس والحفظ والنظر وهو المقصود لنا فى هذا الكتاب فحينئذٍ يعرف بأنهُ عِلمٌ صناعيٌّ تُعرفُ به أساليبُ الكلام البليغ فى كل حال من أحواله : وهو المدعو (بعلم الأدب)

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيثُ فصاحته وبلاغته

وغايته الإجادةُ فى فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، وتهذيبُ العقل وتذكية الجنان ، وفائدته أنهُ يعصم صاحبهُ من زلةِ الجهل ، وأنهُ يُروّض الأخلاق ويليّن الطبائع ، وأنهُ يُعين على المروءة ، وينهض بالهمم إلى طلب المعالى والامور الشريفة

(وأركانه أربعة) الأول — قُوى العقل الغريزيّة وهي خمسة الذكاء[١] والخيال[٢] والحافظة[٣] والحس[٤] والذوق[٥]

---

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح فى فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعانى فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسما محكما فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب ألا ترى أن الكلام العذب اذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الاخلاق والاداب

الثانى ـ معرفة الأُصول وهي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنون الخطابة

وتنقسم هذه الأُصول الى قسمين عامة وخاصة (فالعامة) كالتآليف الأَدبية من منظوم ومنثور فى أغراض شتى (والخاصة) كالتآليف المفردة بالرسائل أو بالأَمثال

الثالث ـ مطالعة تصانيف البلغاء بالتأنى والتبصر فيها، ليدخر الكاتب كل لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة

وشروطها ثلاثة (الاول) أن يستقل المطالع ببعض علماء اللغة وأئمة الأَدب فيقتصر على درسهم حتى ينسج على منوالهم (الثانى) أن يطيل النظر فى هذه المطالعة ويردد مراراً ما استحسنه من تصانيفهم كي يروض الذهن فى حلبة[1] سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تركيبهم (الثالث) أن ينتقي منها شيئاً مما استجاده[2] من اللفظ الحر والتراكيب الصحيحة والمعانى البليغة لتكون ذخراً لذاكرته ومهمازاً[3] لقريحته

الرابع ـ الارتياض وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأن تتوسع فى شرح بعض المعانى فتبينه بأوجه شتى وتنمقه بأشكال البديع وبأن تجتهد فى وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة، وأخرى تسرد مثلاً أو تسبك رواية إلى غير ذلك ـ وأن تحذو حذو المتقدمين فى أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تحل النظم فتأتى به نثراً أنيقاً[4] وتعقد النثر فتصوغه صوغاً رشيقاً[5]

---

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون فى مؤخر خف الرائض للمهر
(٤) معجباً (٥) حسنا

(مقدمة فى علم الانشاء)

ألانشاء لغةً الشروع والايجادُ والوضع ـ تقول أنشأ الغلامُ يمشى إذا شرع في المشى ـ وأنشأ الله العالَمَ أوجدهُم وأنشأ فلانٌ الحديثَ وضعه واصطلاحًا علم يُعرَف به كيفيةُ استنباط المَعانى وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمَقام وهوَ مُستمدّ مِن جَميع العُلوم. وذَلكَ لأنَّ الكاتبَ لا يستثنى صِنفًا مِن الكتابة فيخوضُ فى كل المباحث ويتعمّد الانشاءَ فى كل المعارف البشرية وينحصر المقصود منهُ فى ثلاثة أبواب وخاتمة وملحق

(الباب الاول في أصول الانشاء)

وَهي أربعةٌ : موادُّهُ وخواصُّهُ وطبقاتُهُ ومحاسنُهُ.

أما موادُّهُ فثلاثٌ: الأولى الالفاظُ الفصيحةُ(١) الصريحةُ(٢) الثانية المعانى(٣)

---

(١) الالفاظ البينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها
(٢) الالفاظ التي تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والابدال (٣) بحيث يكون المعني واضحاً أى سهل المأخذ خاليا من اللبس والاشكال كقول الاخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الاعمال

و يكون المعنى سديدا أى أن يكون القول مطابقا للواقع كقول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

و يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبى العتاهية :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

وقال أبو الفتح البستي :

تكلم وسدد ما استطعت فانما كلامك حي والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص أي مراعاة الاحوال المتكلم،

الثالثة إيرادُ المعنى الواحد بطُرُقٍ مختلفة، ومَرجعُها الى الفصاحة وعلمي المعانى والبيان

والمخاطب ومقام الكلام — والمعي اما أن يكون مبتكرا أى مخترعا كقول ابن النبيه :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر فى وصف الشتاء

والنار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

أو دقيقاً وهو مالطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازى وكانت قد دخلت الى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فستجارت بحجرته

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف

من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف

أو فطريا وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا اعمال روية ودل على بعض السذاجة فى قائله كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا فأنشد :

لا أركب البحر أخشى على منه المعاطب

طين أنا وهو ماء والطين فى الماء ذائب

وكقول الصياد

سبحان ربى يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه

أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله

ان السماء اذا لم تبك مقلتها لم تضحك الارض عن شيء من الزهر

أو نافذا وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنترة

وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعاً وهو ما أفاد باللفظ القليل المعني الكثير كقول أبى تمام في المعتصم

تراه اذا ما جئته متهللا كانك تعطيه الذي أنت سائله

تعود بسط الكف حتي لوانه أراد انقباضا لم تطعه أنامله

وكقول المتنبي: قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا

أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبى العتاهية

لدوا للموت وأبنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

والمعنى الموغل أو الايغال هو ما فتن بسموه القلب وسبي العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل علي لسان ربه

سألت عبدى وانت في كنفي وكل ما قلت قد سمعناه

وأما خواصه فهي محاسنه السبعة وهي: أولاً الوضوح(١) بأن يختار المفردات البينة الدالة على المقصود، وأن يعدل عن كثرة العوامل(٢) فى الجملة الواحدة، وأن يتحاشى الالتباس فى استعمال الضمائر وأن تسبك الجمل سبكاً جلياً بدون تعقيد والتباس، وأن يتحاشى كثرة الجمل الاعتراضية

وثانياً الصراحة بأن يكون الانشاء سالماً من ضعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الكلام حراً مهذباً تناسب ألفاظه للمعانى المقصودة كما قيل

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

ويكون الكلام صريحاً بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحرة الكريمة وكذا بإصابة المعانى وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأليفه . وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها

وثالثاً الضبط وهو حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الألفاظ كقول قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م

أرى الموت لا يرعي على ذى قرابة وان كان فى الدنيا عزيزاً بمقعد

لعمرك ما الأيام إلا معارة فما اسطعت من معروفها فتزود

سلى بلا خشية ولا رهب ولا تخف انى أنا الله

واعلم أنه ليس لهذه المعانى مصدر خاص وانما يحصل عليها الاديب من مطالعة كتب البلغاء واعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذى يقصد وصفه ليستخرج منه المعانى اللائقة به وانما يلتجيء الاديب الى هذه المعانى عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ومقام المخاطب ومواقع الكلام (١) كقوله

ليس الجمال بأثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والادب

ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم: أقسم لاأعود أقوم أخطب فيكم

ورابعاً الطبعية بأن يخلو الكلام من التكلف والتصنع كما قال فى رثاء ابنه أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ ﻫ

بكيتك يا بنىّ بدمع عينى فلم يغن البكاء عليك شيّا
وكانت فى حياتك لى عظاتٌ وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

وذلك لأنّ من تطبّع بغير طبعه نزعته العادة حتّى تردّه الى طبعه كما أنّ الماء اذا أسخنته وتركته عاد الى طبعه من البرودة . وحينئذٍ الطبع أملك

وخامساً السّهولة بأن يخلص الكلام من التعسف فى السبك وأن يختار ما لان منها كما قال فى الأشواق بهاء الدّين زهير المتوفّى سنة ٦٥٦ ﻫ

شوقى اليك شديدٌ كما علمت وأزيدْ
فكيف تنكر حبّاً به ضميرك يشهدْ

وأن تهذّب الجمل وأن يأتلف اللفظ مع اللفظ مع مراعاة النّظير كما قال الشاعر فى الوداع

فى كنف الله ظاعنٌ ظعنا أودع قلبى وداعه حزنا
لا أبصرت مقلتى محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

قال بعض البلغاء أحذّركم من التقعير والتعمّق فى القول وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعانى المستخفّة المستملحة فانّ المعنى المليح اذا كسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً كان فى قلب السّامع أحلى ولصدره أملأ ـ قال البستي

اذا انقاد الكلام فقده عفواً الى ما تشتهيه من المعانى
ولا تكرهْ بيانك ان تأبّى فلا اكراه فى دين البيان

وسادساً الاتساق بأن تتناسب المعانى كقول المتنبى المتوفى سنة ٣٤٦ ﻫ :

وما زلتُ حتى قادنى الشوقُ نحوه ... يسايرنى فى كل ركب له ذكر[١]

وأستكبرُ الأخبارَ قبلَ لقائه ... فلما التقينا صغرَ الخبرَ الخُبْرُ

وسابعاً الجزالةُ وهي إبرازُ المعانى الشريفة فى معارضَ من الألفاظ الأنيقة[٢] اللطيفة كقول الصابئ المتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ

لك فى المحافل منطقٌ يشفي الجوَى[٣] ... ويسوغُ فى أُذُن الأديب سُلافه[٤]

فكأنَّ لفظكَ لؤلؤٌ متنخلٌ[٥] ... وكأنما آذاننا أصدافه

وأما عيوبه فسبعة: الهُجنة بأنْ يكون اللفظُ سخيفاً والمعنى مُستقبحاً كقوله

وإذا أدنيتَ منه بصلاً ... غلبَ المسكُ على ريح البصل

والوحشية كونُ الكلام غليظاً تمجه الأسماعُ وتنفرُ منه الطِّباع كقوله

وما أرضى لمقلته بحُلم ... إذا انتبهت توهَّمَهُ ابتشاكا[٦]

والركاكة ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٦ ﻫ

إنْ كان مِثلك كان أو هو كائنٌ ... فبرئتُ حينئذ من الإسلام

والسَّهوُ عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبي يُشبِّه ممدوحه بالله تعالى (وهو كفرٌ)

تتقاصر الأفهام عن إدراكه ... مِثلَ الذى الأفلاكُ منه والدُّنى[٧]

والاسهاب الإطالة الزائدة المُمِلَّة فى شرح المادَّة والعُدول الى الحشو كقوله

أعنى فتى لم تذرُّ الشمس طالعةً ... يوماً مِن الدَّهر الاَّ ضرَّ أو نفعا

---

(١) خبر زلت يسايرنى والركب جماعة الراكبين أى مازلت اسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادنى الشوق الى زيارته والمتنبي يمدح عليا الانطاكي ومعنى البيت الثانى انى ما زلت استعظم ما يذكر لى من أخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الاخبار بالنسبة اليه لانى وجدته اعظم مما وصفوا (٢) المعجبة (٣) الحرقة (٤) الخمرة (٥) مصطفى ومختار (٦) يقول — وان حدثه حلم فى نومه عن شكرى له فلا أرضى به لعله يتوهمه كذبا . (٧) الدنيا

خيالك لكلّ جزء عدّة صُوَر (١) تتفاوتُ فى تأديته كتفاوُت صُوَر المَنظوم فى الُحسن والقبح، فبعضها يستميلُ النّفوسَ بتأثيره فى الحواسّ، وَبعضها يُوجب نُفورَها، وَبعضها بيْنَ بين، وَاذَا تشّخصت الصُّوَرُ فِى الخيال يتخيّر العقل منها ماله المكانةُ الرفيعةُ فى حُسن تأدية الغَرض المُناسب للمقام، فان كان المقامُ للتّحريض على القتال مثلاً انتخبْ الصُّورة المُهيّجة للإحساس، المُشجّعة للنفس على اقتحام الأخطار وَإن كان المقامُ مقامَ فرح وسُرُور انتخب مايشرحُ الصُّدُورَ، وتقرُّ به العُيونُ، وتروقُ به الأَرْوَاحُ، وَيُذهبُ عنها الحزنَ والأتراحَ (٢).

وبعد تشخّص الصُّور وتخيُّر المُناسب منها تعتنِ ـ أيُّها المُنشئ ـ بحُسن تأليف وتَرتيب ماتخيّرته: بأن تجمع الصُّور المُناسبة التى يرتبطُ بعضُها ببعض بدون تكلُّفٍ، بحيث يكونُ المجموع منسجماً يمضِي وَحدهُ مع النّفس دُون عِلاج وَتعبٍ فى فَهم الغرَض منهُ، وحينئذ يُمكنك إظهارُ هذه الصورة المعقُولة فى صُورة محسوسةٍ بواسطةِ القلم.

---

(١) اما اذا تساوت فى حسن تأدية الغرض اخذ احداها فقط ولا يحسن جمعها (٢) الاحزان
« تنبيه » يراعي حال المخاطب ومنزلته فان ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي، وما يناسب ذا الجد لا يناسب الهزلى، وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرءوس، فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت، فكلما احلو لي الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولو جاء في الاسماع واشتد اتصالا بالقلوب وخف على الافواه، ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤنق شريف ومعايراً بكلام عذب بدون تكليف ولا تعقيد، فالمعنى الخفي أشبه بالروح الخفي واللفظ الظاهر أشبه بالجثمان الظاهر، والا تضاءل المعني الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء فى الاطمار الرثة

(أركان الكتابة)

إعلم أنَّ للكتابةِ أرْكانًا لا بُدَّ من إيداعها فى كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذى شأنٍ ، أولها أنْ يكون مَطلعُ الكتابِ عليه جِدَّةٌ(١) وَرَشاقةٌ فإنَّ الكاتب مَن أجاد المطلعَ والمقطَع . أو يكون مبنيًّا على مقصدِ الكتابِ . الثانى أن يكون خرُوجُ الكاتبِ من معنًى الى معنًى برابطَة لتكونَ رِقابُ المعانى آخذةً بعضها ببعضٍ ولا تكون مُقتضبةً . الثالث أن تكون ألفاظُ الكتابِ غيرَ مُخلوقة بكثرةِ الاستعمال. وَلا اريدُ بذلك أن تَكونَ ألفاظًا غريبةً فإنَّ ذلك عيبٌ فاحشٌ بل أُريد أن تكونَ الألفاظُ المُستعملةُ مسبوكةً سَبكًا غريبًا يَظُنُّ السامعُ أنها غيرُ ما فى أيدى الناس وهي مما فى أيدى الناس . وهناك مُعتركُ الفصاحةِ التى تظْهرُ فيه الخواطرُ براعتَها وَالْأَقْلامُ شجاعتَها . وَهذا المَوْضعُ بعيدُ المَنال كثيرُ الإشكال يحتاج إلى لطف ذَوْق وَشهامةِ خاطرٍ وليْس كلُّ خاطرٍ براقٍ إلى هذه الدَّرجةِ (ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُوا لفَضْلِ العَظِيمِ) وَمع هذا فلا تظنَّ - أيُّها الناظرُ فى كتابى - أنى أَردتُ بهذا القوْل إهمالَ جانبِ المعانى بحيث يُؤتى باللفْظِ الموصوف بصفات الُحسنِ وَالملاحة ، وَلا يكونُ تحتهُ من المعنى ما يماثِله وُيساويهِ ، فانهُ إذا كان كذلك كان كصورةٍ حسنةٍ بديعةٍ فى حسنها إلا أنَّ صاحبَها بليدٌ أَبلهُ . وَالمرادُ أن تكونَ هذه الألفاظُ المشار اليها جسْما لمعنى شريفٍ . على أنَّ تحصيلَ المعانى الشريفة على الوَجهِ الذى أشرتُ اليهِ أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المُشارِ اليها . وَلقد رأيتُ كثيراً من

---

(١) صار حديداً متكرا وهو نقيض الخلق الدائب

الجهّالِ الذينَ هُم من السُّوقةِ أربابِ الحِرَف والصَّنائعِ، وما منهم إلاَّ من يقع له المعنى الشريفُ ويظهرُ من خاطرهِ المعنى الدقيقُ، ولكنّه لا يُحسنُ أنْ يُزوّج بينَ لفظتين. فالعبارةُ عن المعاني هي التي بها تخلبُ العقولُ. وعلى هذا فالناسُ كلهم مشتركون في استخراج المعاني، فانهُ لا يمنعُ الجاهلُ الذي لا يعرفُ علماً من العلومِ أنْ يكون ذكيًّا بالفطرةِ.

واستخراجُ المعاني انما هو بالذَّكاءِ لا بتعلُّم العلمِ.

فاذا استكملتَ معرفةَ هذه الأركان وأتيتَ بها في كلِّ كتابٍ بلاغيٍّ ذي شأنٍ فقدِ استحققتَ حينئذ فضيلةَ التقدُّمِ، ووجب لك أنْ تسمّي نفْسك كاتباً.

(عن «المثل السائر» باختصار)

(كيفية نظم الكلام)

إذا أردتَ أن تصنع كلاماً فأخطِرْ معانيَه ببالكَ. وتنقَّ له كرائمَ اللّفظ واجعلْها على ذكرٍ منك ليقرُبَ عليكَ تناوُلُها ولاَ يُتعبك تطلّبُها. واعمله ما دُمتَ في شبابِ نشاطك، فإذا غشيك الفتورُ وتخوّنكَ الملالُ فأمسكْ: فان الكثيرَ مع الملالِ قليلٌ. والنفيسَ مع الضجرِ خسيسٌ. والخواطر كالينابيع يسقي منها شيءٌ بعد شيء، فتجدُ حاجتكَ من الرّيّ، وتنالُ أربكَ من المنفعة، فاذا أكثرتَ عليها نضبَ ماؤُها، وقلَّ عنكَ غَناؤُها. واعلمْ أنَّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيكَ يومكَ الأطولُ بالكدّ والمطالبةِ والمجاهدةِ والتكلُّف والمُعاودة. وإيّاكَ والتوعّرَ، فإنّ التوعُّرَ يسلمكَ إلى التعقيدِ، والتعقيدُ هو الذى

يَستهلكُ معانيكَ ويشينُ ألفاظكَ .

وَمن أرادَ معنىً كريمًا فليلتمسْ لهُ لفظًا كريمًا ،فانَّ مِنْ حقّ المعنى الشريفِ اللفظَ الشريفَ .

فاذا لم تجدِ اللفظةَ واقعةً موقعها صائرةً إلى مستقرّها حالّةً فى مركزِها متصلةً بسلكها، بل وجدتها قلقةً فى موضعها نافرة عَنْ مكانها فلا تُكرهْها على اغتصابِ الأماكن وَالنزُولِ فى غير أوطانها،فإنّكَ إنْ لم تتعاطَ قريضَ الشّعرِ المنظومِ ولَمْ تتكلفِ اختيارَ الكلام المنثورِ ،لم يَعبْك بذلكَ أحدٌ .

وَإن تكلّفتهُ وَلم تكنْ حاذقًا مطبوعًا وَلا مُحكمًا لشأنك بصيرًا، عابكَ من أنتَ أقلُّ عيبًا منهُ، وزرى(١) عليكَ منْ هو دونكَ .

فإنْ لم تسمحْ لكَ الطَّبيعةُ بنظم الكلام فى أوّلِ وَهلةٍ، وتعصَّى عليكَ بعد إجالةِ الفكرةِ ،فلا تعجلْ ،ودَعه سحابةَ يَوْمِك ولاَ تضجرْ ، وامهلْهُ سوادَ ليلَتِك وَعاودهُ عندَ نشاطكَ، فانكَ لاَ تعدمُ الإجابةَ والمؤاتاةَ . فانْ تمنّعَ عليك بعد ذلك ـ مع ترويحِ الخاطرِ وطولِ الامهالِ ـ فتحولْ منْ هذه الصّناعة الى أشهى الصّناعات اليكَ وأخفِّها عليكَ: فانكَ لم تشتهِها الا وَبينكُما نسبٌ .

وَالشيء لا يحنُّ الا الى ما شاكَلهُ .

وَينبغي أنْ تعرفَ أقدارَ المعانى، فتُوازنَ بينها وبينَ أوْزانِ المستمعين و بين أقدارِ الحالات ، فتجعلَ لِكلّ طبقةٍ كلامًا، ولكلّ حالٍ مقامًا، حتّي تقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات، وَأقدارَ المُستمعينَ على أقدارِ الحالاتِ .

(من «كتاب الصناعتين» باختصار)

---

(١) زري ـ عاب

(الطريقُ الى تعلُّم الكتابة)

إنّ الطريق الى تعلُّمِ الكتابةِ على ثلاثِ شعَبٍ:

الأُولى: أنْ يتصفّح الكاتبُ كتابةَ المتقدّمين، ويطّلعَ على أوْضاعهم فى استعمالِ الألفاظ والمعانى، ثمَّ يحذو حذْوَهم: وهذه أدنى الطبقاتِ عندى.

والثانيةُ: أنْ يمزجَ كتابة المتقدمينَ بما يَستجيدهُ لنفسه منْ زيادة حسنة: إمَّا فى تحسينِ ألفاظ، أو فى تحسين معانٍ: وهذهِ هيَ الطبقة الوُسطي،وهي أعلى من التى قبلها.

والثالثة: أنْ لا يتصفّحَ كتابةَ المتقدمينَ ولا يطّلعَ على شيء منها، بل يصرفَ همّهُ الى حفظ القرآنِ الكريمِ وعدَّةٍ من دواوينِ فُحُولِ الشعراءِ ممَّنْ غلبَ على شعرِهِ الإجادة فى المعانى والألفاظِ. ثم يأخذَ فى الاقتباس فيقومُ ويقعُ ويخطيء ويصيبُ ويضلُّ ويهتدى حتى يستقيمَ على طريقة يفتتحُها لنفسهِ. وأخْلِقْ بتلك الطريقِ أنْ تكونَ مبتدَعةً غريبة لاشركة لأحدٍ من المتقدّمين فيها. وهذه الطريقُ هي طريقُ الاجتهادِ وصاحبُها يُعدُّ إماماً فى فنّ الكتابةِ، الاّ أنها مُستوْعِرَةٌ جدًّا، ولا يستطيعُها إلاّ منْ رزَقَهُ اللهُ لساناً هجاماً وخاطراً رقَّاماً. ولا أُريدُ بهذه الطَّرِيقِ أنْ يكونَ الكاتبُ مُرتبطاً فى كتابتهِ بما يستخرجه منَ القُرآنِ الكريمِ والشِّعر، بحيثُ إنّهُ لا يُنشىء كتاباً إلاّ منْ ذَلك، بلْ أُريدُ أنهُ إذا حفِظَ القرْآنَ وأكثرَ من حفظِ الأشعارِ ثمَّ نقّبَ عنْ ذلكَ تنقيبَ مُطّلع على معانيهِ مفتّشٍ عنْ دفائنهِ وقلّبهُ ظهْراً لبطنٍ عرفَ حينئذٍ منْ أين تؤْكل الكتِفُ فيما يُنشئهُ منْ ذاتِ نفسه، واستعانَ بالمحفوظِ على الغريزة الطَّبيعية.

(عن «المثل السائر» باختصار)

(كيفيَّةَ تهذيب الكلام وأوقاتِ تأليفهِ)

تهذيبُ الكلامِ: عبارةٌ عنْ ترداد النظرِ فيهِ بعد عملهِ - نظماً كانَ أوْ نثراً - وتغيير ما يجبُ تغييرهُ، وحذفِ ما ينبغي حذفهُ، واصلاحِ ما يتعينُ اصلاحهُ، وتحريرِ ما يدقُّ مِنْ معانيه، واطراحِ ما يتجافى عن مضاجع الرِّقَّةِ من غليظ ألفاظه، لتشرِقَ شموسُ التهذيبِ في سماءِ بلاغته، وترشُفَ الأسماعُ على الطرب رَقيق سلافتهِ . فإن الكلام إذا كانَ موصُوفاً بالمهذَّبِ، منعوتاً بالمنقَّح، علتْ رُتبتهُ وان كانتْ معانيهِ غيرَ مبتكرةٍ . وكلُّ كلامٍ قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرُها، ولوْ تقدَّمَ هذا المتأخِّرُ وتأخَّرَ هذا المتقدِّمُ، أو لو تمَّ هذا النقص بكذا، أو لو تكمّل هذا الوصفُ بكذا، أو لو حُذِفتْ هذه اللفظة، أو لو اتضح هذا المقصدُ وسهُلَ هذا المطلبُ لكان الكلامُ أحسن والمعنى أبين - كان ذلك الكلامُ غير منتظمٍ في نوعِ التهذيبِ.

وكان زُهير بن أبي سُلمي معروفاً بالتنقيحِ والتهذيبِ، ولهُ قصائدُ تعرفُ بالحوليَّاتِ - قيل : إنه كان ينظِمُ القصيدة في أربعةِ أشهرٍ، ويهذّبها وينقّحها في أربعة اشهرٍ، ويعرضها على عُلماءِ قبيلتهِ أربعة أشهرٍ . ولهذا كان الإمامُ عمرُ بن الخطاب - مع جلالته في العلمِ، وتقدمهِ في النقد - يقدِّمهُ على سائرِ الفُحُولِ من طبقتِه.

وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيبِ بقوْلهِ

خذْها ابنةَ الفكْرِ المُهذَّبِ في الدُّجى والليْلُ أسْودُ رقْعةِ الجلبابِ

فإنهُ خصَّ تهذيب الفكرِ بالدُّجى لكونِ الليْلِ تهدأُ فيه الأصواتُ وتسكنُ الحركاتُ، فيكونُ الفكرُ فيهِ مجتمعاً ومرآةُ التهذيبِ فيهِ صقيلةً لخلوِّ الخاطرِ وصفاء القريحةِ لا سيما وسط الليْل

قالَ أبو عُبادَةَ البُحتُرِيُّ : كنتُ في حداثتي أروى الشِّعرَ، وَكُنت أرجع فيهِ إلى طبعٍ سَليمٍ، وَلم أكُنْ وَقفت لهُ على تسهيلِ مأخذٍ ووُجُوهِ اقتضاب، حتى قصدتُ أبا تمَّامٍ وَانقطعتُ اليهِ وَاتَّكلتُ في تعريفهِ عليهِ . فكان أوَّلَ ما قالَ لي: يا أبا عُبادَةَ: تخيَّرِ الأوْقاتَ وأنتَ قليلُ الهمُومِ، صفرٌ من الغمُومِ.

واعلم أن العادةَ في الأوْقاتِ اذا قصدَ الانسانُ تأليفَ شيءٍ أو حفظَه أن يختارَ وقتَ السحرِ – وَذلك أنَّ النفسَ تَكونُ قدْ أخذَت حظَّها من الرَّاحة وقسطَها من النّومِ وَخفَّ عليها ثقَل الغذاء . واحذَرِ المجهولَ من المعاني، وإيَّاك أن تشينَ شعرَكَ بالألفاظ الوحشيَّة، وناسبْ بينَ الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وكنْ كأنَّكَ خياطٌ تُقدِّرُ الثِّيابَ على مقاديرِ الأجسام . واذا عارَضَكَ الضَّجرُ فأرحْ نَفسكَ ولا تعملْ إلاَّ وأنتَ فارغُ القلبِ، ولا تَنظمْ إلاَّ بشهوةٍ فإن الشهوَةَ نعمَ المعينُ على حُسن النَّظمِ . وجُملةُ الحالِ : أن تعتبرَ شعرَكَ بما سلف من أشعارِ الماضينَ – فما استَحْسَنَ العلماءُ فاقصدهُ، وما استقبَحُوهُ فاجتنبهُ .

(عن «خزانة الادب – وزهر الآداب» باختصار)

(محاسن الانشاء ومعايبه)

إنَّ للنثرِ محاسنَ ومَعايبَ، يجبُ على المنشىء أنْ يفرقَ بينهما، مُحترزاً من استعمالِ الألفاظِ الغريبة وما يخلُّ بفَهم المرادِ ويوجبُ صعوبتهُ – ولا بدَّ من أنْ يجعلَ الألفاظ تابعةً للمعاني دونَ العكسِ . لانّ المعاني اذا تركبتْ على سَجيّتها طلبتْ لأنفسها ألفاظًا تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً . وأمـا جعلُ الألفاظِ متكلّفةً والمعاني تابعةً لها: فهو شأن من لهم شغفٌ بإيراد شيءٍ من المحسّنات اللفظية

فيصرفون العنايةَ اليها، ويَجعلون الكلامَ كأنهُ غير مسوقٍ لافادة المعني، فلا يُبالون بخفاءِ الدلالات وركاكة المعني.

ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطي الانشاء أن يكتب ما يُراد لا ما يُريد، كما قيل فى الصَّاحب والصّابئِ: ان الصّابئَ يكتب ما يراد، والصاحب يكتبُ ما يريدُ.

(عن «آداب المنشيء» ببعض تصرف)

(فصاحة الالفاظ ومطابقتها للمعانى)

فصاحةُ الألفاظ تكون بثلاثة أوجه:

الأوّل: مجانبةُ الغريب الوحشيّ حتى لا يمجّه سمعٌ، ولا ينفر منه طبعٌ.

والثانى: تنكبُ اللفظ المبتذلِ، والعدول عن الكلام المسترذل حتي لا يستسقطهُ خاصيّ، ولا ينبو عنهُ فهمُ عاميٍّ، كما قال الجاحظ فى كتابِ البيانِ: أمّا أنا فلم أرَ قوماً أمثلَ طريقةً فى البلاغةِ من الكتّابِ: وذلك أنهم قدِ التمسوا من الالفاظِ ما لم يكنْ متوعّراً وحشيًّا، ولا ساقطاً عاميًّا.

والثالثُ: أنْ يكونَ بينَ الألفاظِ ومعانيها مُناسبةٌ ومُطابقةٌ.

أمّا المطابقةُ: فهي أن تكونَ الألفاظُ كالقوالبِ لمعانيها فلا تَزيدُ عليها ولا تنقصُ عنها.

وأمّا المُناسبةُ: فهي أنْ يكونَ المعنى يليقُ ببعض الألفاظِ - إمّا لعُرفٍ مستعملٍ، أو لاتفاق مُستحسنٍ - حتى إذا ذكرْتَ تلك المعانى بغير تلك الألفاظِ كانتْ نافرةً عنها، وإن كانتْ أفصحَ وأوضحَ لاعتيادِ ما سواها.

(عن «أدب الدين والدنيا» باختصار)

(حقيقة الفصاحة)

إعلم أنّ هذا موضوع متعذّر على الوالج ، ومسلكٌ متوعّرٌ على النّاهج . ولم [يز]لِ العلماءُ من قديم الوقت وحديثه يكثرون القولَ فيه والبحثَ عنه : ولم [ن]جدْ من ذلك ما يعوَّل عليه إلاّ القليلَ . وغايةُ ما يقالُ في هذا الباب : إنَّ [الف]صاحةَ هي الظهورُ والبيانُ في أصلِ الوَضعِ اللغويّ ـ يقالُ : أفصح الصبحُ إذا [ظ]هرَ . ثم أنهم يقفونَ عند ذلك ولا يكشفونَ عن السّرّ فيه . وبهذا القوْل [لا] تتبينُ حقيقةُ الفصاحةِ ، لأنهُ يعترضُ عليهِ بوجوهٍ من الاعتراضاتِ .

أحدها: اذا لم يكن اللفظُ ظاهراً بيّناً لم يكن فصيحاً ثمّ إذا ظهرَ وتبيّن صارَ فصيحاً .

الوجهُ الثاني : أنهُ اذا كانَ اللفظُ الفصيحُ هو الظاهر البيّن فقد صار ذلك [با]لنّسبِ والاضافات إلى الأشخاص . فانّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ولا [ي]كونُ ظاهراً لعمرٍو . فهوَ إذاً فصيحٌ عند هذا ـ وغيرُ فصيحٍ عند ذاك . وليس كذلك، بلِ الفصيحُ هوَ فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحالٍ من الأحوال ، لأنه [إ]ذا تحققَ حدُّ الفصاحة وعُرف ما هي ، لم يبقَ في اللفظِ الذى يختصُّ به خلافٌ .

الوجهُ الثالثُ : أنه إذا جيءَ بلفظٍ قبيح ينْبو عنه السّمعُ وهو مع ذلك ظاهرٌ [بيّ]نٌ ينبغي أن يكونَ فصيحاً . وليس كذلك لأنّ الفصاحةَ وصف حسنٍ للّفظِ [لا] وصفُ قبح .

ولما وقفتُ على أقوالِ النّاسِ في هذا البابِ ملكتْني الحيرةُ فيها، ولم يثبتْ [عن]دى منها ما أعوّلُ عليه . ولكثرةِ ملابستي هذا الفنّ ومعاركتي اياهُ، [ان]كشفَ لىَ السّرُّ فيه ـ وسأوضحهُ في كتابي هذا وأحقّقُ القولَ فيه فأقولُ :

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيّن . وأعني بالظاهر البيّن : أنْ تكونَ ألفاظهُ مفهومةً لا يُحتاجُ فى فهمها الى استخراجٍ من كتابِ لغةٍ .

وانما كانتْ بهذه الصفةِ لأنها تكونُ مألوفةَ الاستعمالِ بينَ أربابِ النظم والنثر دائرةً فى كلامِهمْ . وانما كانتْ مألوفةَ الاستعمالِ دائرةً فى الكلامِ دُونَ غيرها من الألفاظِ لمكانِ حُسنِها . وذلك أنَّ أربابَ النظمِ والنثرِ غربلوا اللُّغةَ باعتبارِ ألفاظها، وسبرُوا وقسّموا فاختارُوا الحسنَ من الألفاظِ حتى استعملُوهُ وعلموا القبيحَ منها فلم يستعملوهُ ، فحسنُ الاستعمال سببُ استعمالِها دُونَ غيرها ،واستعمالُها دُونَ غيرها ـ سببُ ظهُورها وبيانِها . فالفصيحُ إذاً من الألفاظ هو الحسنُ .

فإنْ قيلَ :منْ أىّ وجه علم أربابُ النّظم والنّثرِ الحسنَ منَ الألفاظِ حتى استعملُوهُ ، وعلموا القبيحَ منها حتى نفَوهُ ،ولم يستعملوهُ؟ قلتُ فى الجواب :إنَّ هذا منَ الأُمور المحسُوسة التى شاهدُها من نفسِها . لأنّ الألفاظ داخلةٌ فى حيّزِ الأصوات . فالذى يستلذهُ السّمعُ منها ويميلُ اليه هو الحَسنُ . والذى يكرهُهُ وينفرُ عنهُ هُو القبيحُ . ألاَ ترَى أنَّ السّمعَ يستلذُّ صوتَ البُلبلِ منَ الطيْرِ وصوتَ الشحرُورِ ويميلُ اليهمَا ويكرَهُ صوتَ الغرَابِ وينفرُ عنهُ . وكذلك يكرَهُ نهيقَ الحمارِ ، ولا يجدُ ذلك فى صهيلِ الفرَس . والألفاظُ جاريةٌ هذا المجري ،فإنهُ لا خلاف فى أنَّ لفظَة المُزْنة والدّيمة حسنَةٌ يستلذها السمع، وأنَّ لفظةَ البُعاق قبيحةٌ يكرهُها السّمعُ . وهذهِ اللّفظاتُ الثلاثُ منْ صفة المطر ، وهي تدُلُّ على معنى واحد . ومع هذا فانكَ ترى لفظَتي المزْنةِ والدّيمة

وما جرَى مجراهُمـا مألوفي الاستعمال ـ وترى لفـظَ البعـاقِ وما جرَى مجراه متروكًا لايُستعملُ، وإن استعمل فانما يَستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة،أو من ذوقـه غيرُ ذوقٍ سليمٍ.

ولاجرَم أنه ذمَّ وقُدح فيه ولمُ يلتفَت اليه وان كان عربيًّا محضًا من الجاهلية الأقدمين . فانَّ حقيقــة الشيء اذا عُلمَتْ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرِّجُ على ما خرج عنها

(عن «ابن الاثير» باختصار)

(الانسجامُ)

الانسجامُ لغةً : جرَيانُ الماءِ ، وعند أهل البلاغةِ : هو أن يأتى الناظمُ أو الناثر بكلامٍ خالٍ من التّعقيدِ اللفظي والتّعقيد المعنوى بسيطًا مفهومًا دَقيقَ الألفاظِ جليلَ المعني،لاتـكلُّفَ فيهولا تعسّف،يتحدَّرُ كتحدّرِ الماءِ المُنسجمِ ، فيكادُ لسهولة تركيبه، وعذوبةِ ألفاظهِ، أن يسيل رِقّـةً .

ولا يكونُ ذلك الاَّ فِي منْ هو مطبوعٌ على سلامةِ الذوْق، وتوقدِ الفـكرةِ وبراعةِ الانشاءِ وحسْن الأساليبِ .

وإنَّ فحول هذا الميدانِ ما أثقلوا كاهلَ سُهولتهِ بنوْعٍ من أنواعِ البديعِ ، اللَّهمَّ الاّ أن يأتيَ عفواً منغير قصد .

وعلى هذا أجمعَ علماء البديعِ فى حدّ هذا النّوع، فانهم قرَّرُوا أن يكون بعيداً من التصنعِ،خاليًامنَ الأنواعِ البديعيَّـة إلا أن يأتىَ فى ضمْنِ السُّهولةمنْ غيرقصدٍ، فانْ كانَ الانسجامُ فىالنثر تكون أغلبُ فقَراتهِ موزونةً منْ غير قصدٍ،وإن كانَ فى النّظْمِ فتكادُ الأبياتُ أن تسيلَ رِقةً وعذوبة ورُبما دخلتْ فى المُطْربِالمرقص.

(عن « بديعة العميان وبديعة الحموى»)

(حل الشعر)

حلُّ الأبياتِ الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسامٍ :

الأوّلُ منها وهو أدناها مرتبةً أنْ يأخذَ الناثر بيتاً من الشعرِ فينثُره بلفظه من غير زيادةٍ، وهذا عيبٌ فاحشٌ. ومثالهُ كمنْ أخذَ عِقداً قد أُتقِنَ نظمهُ وأُحسِنَ تأليفهُ فأوهاهُ وبدّدهُ، وكانَ يقوم عذرهُ في ذلك أنْ لوْ نقلهُ عنْ كونهِ عقداً الى صورةٍ أُخرى مثله أو أحسنَ منهُ. وأيضاً فانهُ اذا نُثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السّرِقة، فيقال هذا شعرُ فلانٍ بعينهِ: لكون ألفاظه باقيةً لم يتغيرْ منها شيء. وقد سلكَ هذا المسلكَ بعض العراقيين فجاء مُستهجناً، كقوله في بعض أبيات الحماسة:

وألدَّ ذي حنَقٍ عليَّ كأنّما تَغلي عداوةُ صدرهِ في مِرْجَلِ
أزجيْتُه عنّي فأبصر قصدَهُ وكويتُه فوْقَ النواظر منْ علِ

فقال في نثر هذين البيتين: فكم لقي ألدّ ذا حنَقٍ كأنه ينظر الى الكواكب من علٍ، وتغلي عداوةُ صدره في مرْجل، فكواهُ فوق ناظريْه وأكبه لفمه ويديه. فلم يزدْ هذا الناثِرُ على أن أزال روْنق الوزنِ وطلاوة النّظمِ لا غيرُ.

ومن هذا القسمِ ضربٌ محمودٌ لا عيبَ فيه: وهو أن يكون البيتُ من الشعر قد تضمّن شيئاً لا يمكنُ تغييرُ لفظه فحينئذٍ يُعذرُ ناثرُهُ اذا أتى بذلك اللفظ، وكذلك الأمثالُ السائرةُ فانه لا بدَّ من ذكرِها على ما جاءت في الشعر.

وأما القسمُ الثاني - وهو وسطٌ بيْنَ الأوّلِ والثالث في المرتبة - فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه، ويعبّر عن البعضِ بألفاظٍ أخر - وهناك تظهر

الصنعة فى المماثلة والمشابهة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة. فإنه إذا أخذ لفظاً لشاعر مجيد، قد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه، كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة . ولا خفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن . والطريق المسلوك إلى هذا القسم : أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله :

وسأورد ههنا مثالاً واحداً ليكون قدوة للمتعلم ـ فأقول : قد ورد هذا البيت من شعر أبي تمام فى وصف قصيدة له :

حذاء تملأ كل أذن حكمة ، وبلاغة وتدر كل وريد

فقوله (تملأ كل أذن حكمة) من الكلام الحسن ،وهو أحسن ما فى بيت . فاذا أردت ان تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه ، لأنه الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة . فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله .

وهذا عسر جدا ، وهو عندي أصعب مثالاً من نثر الشعر بغير لفظه ، لأنه مسلك ضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو فى غاية الحسن والجودة . وأما نثر شعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته ، وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها أتيت بها فى جملة كتاب فقلت : وكلامي قد عرف بين الناس واشتهر فاق مسير الشمس والقمر . وإذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة أمن من سرقته ، إذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ـ ومن خصائص صفاته أن يملأ كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان عجمة . وإذا جرت نفثاته فى الافهام ، قالت : أهذه بنت فكرة ، أم بنت كرمة ؟

فانظرْ كيفَ فعلتُ فى هذا الموْضعِ، فانّي لما أخذتُ تلكَ الكلماتِ من البَيت الشّعرىّ التزَمتُ بأن أُؤَاخيها بما هُو مثلِها أو أحسَن منها، فجئتُ بهذا الفصل كما ترَاهُ . وكذلك ينبغي أنْ يفعلَ فى ما هذا سبيله.

وأمـّا القسم الثالثُ - وهو أعلى من القسْمين الأوَّلين - فهو أن يأخذَ المعني فيصاغَ بألفاظٍ غيرَ ألفاظهِ . وثَمَّ يتَبين حذقُ الصَّائغِ فى صياغَتهِ ويعلمُ مقدارُ تصرُّفهِ فى صناعتهِ، فإن استطَاع الزِّيادةَ على المعني فتلك الدّرجةُ العالية والا أحسَنَ التصرُّفَ وأتقنَ التأليفَ ليكونَ أوْلى بذلك المعني من صاحبِه الأوَّل.

واعلم أنَّ من أبيَاتِ الشعْرِ ما يتَّسعُ المجال لناثره فيُورِدهُ بضروبٍ من العبَارات، وذلك عندى شبيهٌ بالمسائلِ السيَّالةِ فى الحسابِ الّتي يُجاوب عن بعدَّةٍ منَ الاجوبةِ . ومن الأَبيات ما يضيقُ فيه المجالُ حتّي يكادَ الماهرُ في هذه الصناعة أن لا يخرُج من ذلكَ اللفظِ، وانما يكونُ هذا لعدم النظير. فأمَّا ما يتَّسعُ المجالُ فى نثرهِ فكقولِ أبى الطيب المتنبي :

لا تعذل المشتاق فى أشواقه حتّي يكون حشاكَ فى أحشائه

وقدْ نثرتُ هذا المعني، فمنْ ذلكَ قوْلى : لاَ تعذُل المحبَّ فى ما يهواهُ حت[illegible] تطوِىَ القلبَ على ما طواه : ومنْ ذلك وجهٌ آخرُ، وهو : إذا اختلفت العينا[illegible] فى النظرِ فالعذْلُ ضرْبٌ من الهذر . وأما ما يضيقُ فيه المجالُ فيعسُرُ [illegible] الناثر تبديلُ ألفاظه - كقول أبى تمامٍ :

تردَّى ثياب الموْت حُمراً فما أتى لها الليلُ إلاّ وهي من سندسٍ خُضر

قصد أبو تمّام : المؤاخاة فى ذكر لوْنى الثّياب من الأحمر والأخضر وجاء ذلك واقعاً على المعني الذى آراده من لوْن ثياب القتلى وثياب الج[illegible]

هذا البيتُ لا يمكنُ تبديل ألفاظه ـ وهو وأمثالهُ مما يجبُ على النَّاثرِ أنْ يحسن لصنعة فى فكّ نظامه لأنهُ يتصدّي لنثره بألفاظه . فان كان عنده قوَّة صرفٍ ، وبسْطة عبارةٍ ، فانهُ يأتى به حسنًا رائقًا.

وقد قلْت فى نثرِه :لم تكْسهُ المنايا نَسْجَ شفَارِها حتَّي كستهُ الجنَّة نسج عارها ، فبُدّل أحمرُ ثوْبه بأخضره ، وكأس حِمامه بكأسِ كوثرِه.

وإذا انتهي بنا الكلامُ إلى ههنا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفيَّة نثره ذكر مايسهلُ منهُ وما يَعسُرُ، فلنتْبع ذلك بقولٍ كلّيٍ فى هذا الباب فنقول :

من أحبّ أن يكون كاتبًا أو كان عندهُ طبع مجيبٌ ، فعليه بحفظ الدواوين وات العدد ، ولا يقنعُ بالقليل من ذلك . ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته .

وطريقه أن يبتديء فيأخذ قصيداً من القصائد فينثرهُ بيتًا بيتًا على التوالى.

ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشّعر بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع لا ذلك .

وإذا مرنتْ نفسه وتدرّب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى يكسوه عبارة من عنده، ثم يرتفعُ عن ذلك فيكسوه ضروبًا من العبارات المختلفة .

حينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعانى لِقاحٌ فيستنتجُ منها معانى غير تلك المعانى

وسبيله: أن يكثر الادمان ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدَّة طويلة حتي يصير ملكةً ، فاذا كتب كتابًا أو خطب خطبة تدفّقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت فاظه معسولةً وكان عليها جدَّة حتي تكاد ترقصُ رقصًا — وهذا شيء خبرتهُ لتَّجربة ، ولا ينبئُك مثل خبير .

(عن «المثل السائر» باختصار)

(التخلص والاقتضاب في مواضيع الانشاء)

التخلص: هو أن يأخذَ مؤلف الكلام فى معنيً من المعانى، فبينما هو فيه إذ أخذ فى معني آخر غيره، وجعل الاول سبباً إليه، فيكونُ بعضهُ آخذاً برقاب بعضٍ من غيرْ أن يقطعَ كلامهُ ويستأنف كلاماً آخرَ، بل يكون جميع كلامه كأنَّما أُفرغ إفراغاً وذلك مما يدلُّ على حذق الشاعر وقوَّة تصرُّفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متَّبعاً للوزْن والقافية فلا تؤاتيه الالفاظ على حسب إرادته. وأما الناثر فانهُ مطلق العنان يمضي حيث شاء - فلذلك يشقَّ التخلُّص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر. ومما جاء من التخلصات الحسنة قوْل المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ:

خليلَيَّ إنّي لا أري غير شاعرٍ فلِمْ منهمُ الدَّعوي ومنّي القْصائدُ
فلا تعجبا إنَّ السيوف كثيرة ولكنَّ سيفَ الدَّوْلة اليوم واحدُ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض، ألا ترى إلى الخروج إلى مدح الممدوح فى هذه الابيات كأنَّه أُفرغ فى قالب واحدٍ.

والاقتضاب: أن يقطع الشاعر كلامهُ الذي هو فيه، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاءٍ أو غير ذلك ولا يكون للثانى علاقة بالاول: كقول أبي نواس المتوفى سنة ١٩٨ هـ - فى قصيدته النُّونية التي لم يكمل حسنها بالتخلص من الغزَل إلى المديح، بل اقتضبه اقتضاباً، فبينما هو يصف الخمرَ ويقول:

فاسقني كأساً على عذلٍ كرِهتْ مسموعه أُذني
منْ كُميْت اللون صافيةٍ خير ما سَلسلتَ فى بدني
ما استقرَّت فى فؤاد فتيً فدري مالوعة الحزن

(حتى قال)

تَضحكُ الدّنيا الى مَلكٍ قامَ بالآثار والسنَنِ
سَنَّ للنّاس النّدَى فندَوْا فكأنَّ البُخلَ لم يكُنِ

وإذا لم يحسُن التّخلصُ: بأن كان قبيحًا ممسوحًا فالاقتضابُ أولى منهُ
فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظرَ إلى ما يَصُوغهُ .
ن أتاهُ التخلُّصُ حسنًا كما ينبغي ،والا فليدعهُ ولا يستكرهه، حتى يكونَ مثلَ هذا
واعلم أنَّ التخلُّص غيرُ ممكن فى كل الأحوال، وهو من مُستصعبات علم البيان
تدبر الشاعر

(عن « المثل السائر » بتصرف)

(كيفيةُ افتتاح مواضيع الانشاء وختامها)

الافتتاحُ أن تجعلَ مَطلع الكلام من الشعر أو الرّسائل دالا على المعنَى المقصود
ذلكَ الكلام : ان كانَ فتحًا ففتحًا ، وان كان هناء فهناء ،أو كان عزاء فعزاء
كذا . وفائدته أن يعْرَفَ من مبدإ الكلام ما المرَادُ منهُ،فإذا نَظَمَ الشاعرُ
يدة ـ فان كانتْ مَديحًا صِرفًا لا يَختصُّ بحادثةٍ من الحوادث،فهو مخيَّرٌ بين أن
تحها بغزَلٍ ، وبينَ أن يرتجِلَ المديح ارتجالاً من أوّلها ـ كقول القائل :

ن حارَتِ الالبابُ كيْفَ تقولُ فِي ذَا المقَامِ فعذْرُها مقْبولُ
نامِحْ بِفَضلكَ مَادِحِيكَ فَما لهُمْ أبَداً إلَى ما تسْتحق سبِيلُ
ن كَانَ لاَ يُرْضِيكَ إلاَّ مُحسِنٌ فَالمحْسِنونَ إذَنْ لدَيْك قلِيلُ

وأمّا إذا كان القصيدُ فى حادثةٍ من الحوَادثِ كفتح مُقفلٍ،أوْ هزِيمة جيشٍ

أو غيرذلك: فانهُ لا ينبغي أن يُبدَأ فيه بغزَل ، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكُرَ الشّاعرُ فى افتتاح قصيدة المديح ما يُتَطَيَّرُ منهُ، أو يُستقبحُ ، لا سيّما إذا كانَ فى التهانى، فانهُ يكون أشدَّ قُبحاً . وانما يُستعملُ فى الخطوب النّازلة والنوائب الحادثة، ومتى كانَ الكلامُ فى المديح مفتتحاً بشيءٍ مِنْ ذلك، تَطَيَّر منهُ سامعهُ وانّما خُصّت الابتداءاتُ بالاختيار لأنها أوّلُ ما يطرُقُ السّمعَ من الكلام. فاذا كان الابتداءُ لائقًا بالمعنى الوارد بعدَه، توفّرت الدّواعي على استعماله. والختامُ: أن يكون الكلامُ مُوذناً بتمامه، بحيث يكونُ واقعاً على آخر المعنى، فلا ينتظرُ السامعُ شيئًا بعدَه. فعلى الشّاعر وَالنّاثر أن يتأنقا فيه غاية التأنق، وَيجوّدا فيه ما استطاعا لانه آخر ما ينتهي الى السّمع، ويتردَّدُ صداهُ فى الأذنِ، وَيعلقُ بحواشي الذّكْر. فهوَ كمَقْطع الشّراب ، يكونُ آخرَ ما يمرُّ بالفَمِ ، وَيعْرَضُ على الذّوقِ، فَيَشْعُرُ منهُ بما لا يَشعُرُ من سِواهُ . وَلذلك : ينبغي أن يكونَ الخِتامُ مُميّزاً عن سائر الكلام قبلهُ بنُكْتةٍ لطيفةٍ، أو أسلوبٍ رَشيقٍ، أو معنًى بليغ. وَيُختار لهُ من اللفظ: الرّقيقُ الحاشيةِ ، الخفيفُ المحمل على السّمع ، السّهلُ الوُرُودِ على الطّبع ، وَيتجافى بهِ عن الإسهاب، وَالتعقيد، والثّقَل، وَغير ذلك. وحُكم الخِتام كما سبق، أن يكون مُوذناً بتمام الكلام، بحيث يكون وَاقعاً على آخر المعنى؛ فلا ينتظر السّامع شيئاً بعدهُ. واذا لم يكن المعنَى دالاً بنفسهِ على الختام، حَسُنَ أن يُدلَّ عليه بكلام آخرَ، يُذكر على عقب الفراغ من سِياقةِ الأغراض السّابقة. وحكمهُ أن يكون مُنتزعاً مما سبقه، فيُؤتى به تقريراً لشيءٍ من الأغراض، أو إجمالاً لِمفصّلها، مُورداً على وجه من وُجوه البلاغة، أو الكلام الجامع، أو مُخرجاً مُخرَج المَثَل، أو الحِكمةِ، أو ما شاكل ذلك، مما تعلّقهُ الخواطر، وتُقيدهُ الأذهان : كقول المتنبّى المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ

وَما أَخُصُّكَ فى بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ ... إذا سَلِمتَ فكلُّ النّاس قَدْ سَلِمُوا

وكقول الزّمخشرى المتوفّى سنة ٥٢٨ ﻫ فى ختام إحدى مقالاته: «انّ الطَّيش فى الكلام يُترجِمُ عن خِفّةِ الأحلام. وَما دخلَ الرِّفقُ شيْئًا إلاّ زانهُ، وَما زانَ المتكلِّمُ إلاّ الرّزانةُ».

وأمّا فى غيرِ ذلك، فالأكثرُ فيه: أن يُضمَّنَ غرضًا آخرَ من الدُّعاءِ، أو عَرْض النّفس على خِدمة المكتوبِ اليهِ، أوْ توقُّعِ الجوابِ منهُ، أو غير ذلكَ ممَّا تحتمِلهُ مقاماتُ الكلام، وتَقتضيه دواعى الحال.

وَأكثر ما يختمونها فى النثر بعد الأغراض المذكورة بقولهم: «إن شاءالله» أوْ «بمنّ اللّه وَفضله» وَما أشبهذلك.

وكثيراً ما يَختِمُ النّاثرُ بقوله: «والسلام» أو «بلاَ حولَ وَلا قُوّة إلا بالله» أوْ بقوله: «وَاللهُ المُستعانُ» أوْ بقوله: «وَالحمْدُ لِلهِ أوّلاً وَآخِراً، باطنًا وَظاهراً». أو بقوله: «واللهُ أعلمُ». أو غير ذلك

وَرُبّما خُتم بِمثَلٍ، كَختام الخُوارَزْميّ المتوفّى سنة٣٨٣ﻫ رسالته بقوله: «ولقد سلكَ الأَميرُ مِنَ الكرَمِ طرِيقًا، يَستوحشُ فيها لِقلّة سالكها، ويتيهُ فى قفارها لدرُوس آثارها، وانهدام منازِلها، أعانه الله على صعوبة الطّريق، وقلّة الرّفيق، وَألهمَهُ صبراً يُهوّنُ عليه احتمالَ المغارِم، ويقرّبُ عليه مسافة المكارم.

فبالصّبر تنالُ العُلاَ، وعند الصَّباح يَحْمَدُ القومُ السُّرى»

ومن أمثلته فى الشّعر قولُ ابن الوَرْدِى المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ

سلاَمٌ عليكُمْ مَاأحبّ وِصالكُم ... وَغايَةُ مجْهُودِ المُقلّ سَلاَمُ

(تقسيم الانشاء الى فنّي النّظم والنّثر)

إعلم أنّ لسانَ العرب وكلامهم يدُور على فنين : فنّ الشعر المنظوم، وهو الكلام المُقفّى الموزون بأوزانٍ مخصُوصةٍ . وفنّ النّثر ، وهو الكلام الغير الموزون فأمّا الشعرُ، فمنهُ : المدحُ، والهجاء، والرّثاء. وأمّا النّثر، فمنهُ ما يُؤتى به قطعاً، ويُلتزم في كل كلمتين منهُ قافيةٌ واحدة، ويسمى سجعاً . وهو ثلاثة أقسام: القسمُ الأوّلُ: أنْ يكونَ الفصلانِ مُتساويين، لا يزيد أحدُهما على الآخر: كقوله تعالى: « فأمّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ. وَأَمّا السّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ» وهو أشرف السّجعِ منزلةً للاعتدال الذى فيه والقسمُ الثانى أن يكون الفصل الثانى أطولَ من الأوّلِ ، لا طولاً يَخرُج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فانّه يَقبُح عند ذلك، ويُستكره، ويعدُّ عيباً. فمما جاءَ من ذلك قوله تعالى : « بَل كَذَّبُوا بالسّاعَةِ وَأعتَدْنَا لِمنْ كَذّبَ بالسّاعَةِ سَعِيراً إذَا رَأَتْهُمْ مِن مَكانٍ بعيدٍ سَمعُوا لَهَا تَغيُّظاً وَزَفِيراً. وإذَا أُلقوا مِنْهَا مَكاناً ضَيّقاً مقرّنينَ دَعَوْا هُنالكَ ثُبُوراً(١) » فالفصلُ الاولُ ثمان لفظات . والثانى والثالث تسعٌ تسع . ويُستثنى من هذا القسم : ما كان من السجع على ثلاث فقرٍ . فان الفقرتَينِ الأوليينِ تُحسبان في عدّةٍ واحدة. ثم تأتى الثالثةُ ، فينبغى أن تكون طويلةً طولاً يزيدُ عليهما. وقد تكونُ الثلاثُ متساويات. كقوله تعالى: «فى سِدْرٍ(٢) مخضُودٍ (٣) وَطَلْحٍ (٤) منْضُودٍ (٥) وَظِلٍّ ممْدُودٍ ». والقسمُ الثالثُ أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أقصرَ منَ الأولِ وهو عيبٌ فاحشٌ(٦) وأما النّثر المرسلُ - فهو

---

(١) ويلا (٢) شجر معروف (٣) مقطوع شوكه (٤) الموز (٥) متراكم بعضه فوق بعض (٦) للسجع أربعة شروط : اختيار المفردات الفصيحة واختيار التأليف الفصيح وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه - وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام تطويلا معيبا

ما يؤتى به قطعاً من غير تقيّد بقافية ولا غيرها . وهو الذى يُطلَقُ فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقطّعُ أجزاءً ، بل يرسَلُ إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها .

(انتهى من «المثل السائر» باختصار)

(كيفية عمل الشعر)

إعلم أنَّ لعمل الشعرِ وإحكامِ صناعتهِ شروطاً

أوَّلها : الحِفظُ [1] من جنسهِ – أي من جنس شعر العَرب – حتى تنشأ فى النَّفس مَلَكةٌ يُنسجَ على منوالها، ويَتخيّرُ المحفوظُ من الحُرّ النقىّ الكثيرِ الأساليب وهذا المحفوظُ المختارُ، أقلُّ ما يكفى فيه شعرُ شاعرٍ من فحول الاسلام، مثل : ابن أبى ربيعةَ، وكُثَيِّر ،وذي الرُّمة ، وجرير ، وأبى نُوَاس ، وأبى تمَّام ،والبُحتري ، والشّريف الرَّضِي، وأبى فِرَاس ، وأكثرهُ شعرُ « كتاب الأغانى » لأنه جمعَ شعرَ أهلِ الطبقة الاسلاميَّة كلّه ، والمختار من شعر الجاهليّة .

ثمَّ لا بدَّ لهُ من الخلوَة ،واستجادَة المكان المنظوم فيه ، باشتماله على مثل: المياه والازهار ،وكذا استجادةُ المسموع،لاستِنارَةالقريحة باستجماعِها ، وتنشيطها بملاذّ السُّرور. ثم مع هذا كلّه فشرطُهُ أن يكون على جَمامٍ ، [2] ونشاط ، فذلك أجمعُ له وأنشطُ للقريحة أنْ تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظه ، قالوا وخيرُ الأوقات

---

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء – ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج علي المنوال ، يقبل علي النظم . وبالاكثار منه تستحكم الملكة وترسخ . وربما يقال : ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها . فاذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها ، انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة (٢) الراحة

لذلك أوقاتُ البُكَرِ(١) عند الهبوب من النوم، وفراغ المعدة، ونشاطِ الفكر وربما يكونُ من بواعثه العشقُ والانتشاء. قالوا: فان استصعب عليه بعد هذا كلهِ، فليتركهُ الى وقتٍ آخر، ولا يُكرهْ نفسهُ عليهِ. وليكن بناءُ البيت على القافيةِ من أول صوغه ونسجه، يضعها ويبني الكلام عليها إلى آخره. لأنه ان غفلَ عن بناء البيتِ على القافية صعُبَ عليهِ وضعُها في محلّها. فربما تجيء نافرة قلقة. واذا سمَحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسب الذى عنده، فليتركْهُ الى موضعه الأليق به. فان كلَّ بيتٍ مستقلٌّ بنفسه، ولم تبقَ إلاّ المُناسبةُ، فليتخيَّرْ فيها كما يشاء، وليُراجعْ شعره بعد الخلاص منهُ، بالتنقيح(٢) والنقدِ، ولا يَضِنَّ(٣) بهِ على التركِ إذا لم يبلغ الإجادة، فانَّ الانسان مفتونٌ بشعرهِ، إذ هو بناتُ فكرهِ، واختراعُ قريحتهِ، ولا يستعملُ فيه من الكلام إلاّ الأفصحَ من التراكيب، والخالصَ من الضرورات اللسانيةِ، فليهجرْها فانها تنزِلُ بالكلام عن طبقةِ البلاغة، وقد حظرَ أئمةُ اللسان على المولّد(٤) ارتكابَ الضرورةِ، اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المُثلى من الملكة. ويجتنبُ أيضاً المُعقّد من التراكيب جُهدَهُ، بحيثُ تكون ألفاظهُ على طِبقِ معانيه، ومعانيه تسابق ألفاظهُ إلى الفهم. ويجتنب أيضاً الحوشيَّ من الألفاظ، والمقصّرَ. وكذلك السُّوقيّ المبتذلَ، فانهُ ينزلُ بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً، فيصيرُ مُبتذلاً، ويقرُبُ من عدم الإفادة. وفي هذا القدْرِ كفايةٌ لمُتعاطِي صناعة الإنشاءِ.

(عن «ابن خلدون» باختصار)

---

(١) جمع بكرة الصباح وزن غرفة وغرف (٢) بالتهذيب (٣) بفتح الضاد وكسرها لا يبخل (٤) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الاحنف ومن بعده

(فنون الانشاء)

فُنون الانشاءِ سبعةٌ : وهي : المُكاتبات ، والمُناظرات ، والأمثالُ والأوصافُ ، والمقاماتُ ، والرِّواياتُ ، والتاريخُ .

(الفن الاول فى المكاتبات والمراسلات)

المكاتبة : وتُعرفُ أيضاً بالمراسلة، هي مخاطبةُ الغائبِ بلسان القلم . وفائدتها أوسعُ من أنْ تُحصر من حيثُ أنها ترجمانُ الجنان ، ونائبُ الغائب فى قضاء أوطاره ،(١) ورِباطُ الوداد ، مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هي طريقةُ المخاطبة البليغة مع مُراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنّسبة بينهما (٢) . وخواصُّها خمسٌ : السّذاجة ، والجلاء ، والإيجازُ ، والمُلاءَمةُ ، والطّلاوةُ (٣) . فالسّذاجة : تجعلُ الكلامَ فِطريًّا سليماً مِن شوائبِ التكلُّفِ مُنزَّهاً عن زُخرف (٤) القول، بعيداً عن بهرجة (٥) الكلام. والجلاء : هو العدُولُ عن الكلام المُغلَق والتَّشابيه المُستبعدة والتراكيبِ الملتبسةِ إلى الكلام المُهذَّب الصَّريح . والإيجاز : تنقيحُ الرسالةِ من حشو الكلام، وتطويل الجُمل فيبرزُها وافيةَ الدلالة على المقصود ، مقتصرةً على

---

(١) الحاجات (٢) قال ابراهيم بن محمد الشيبانى : اذا احتجت الى مخاطبة أعيان الناس أو أوساطهم أو سوقتهم فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلو مكانته وانتباهه وفطنته . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك . فلا يكتب لمن أصيب فى ماله أو فى عياله كما يكتب لمن فرغ باله ووفر ماله . قال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة الي المتكلم ـ واعلم ان لكل مقام مقالا (٣) بتثليث الطاء (٤) مزورة (٥) العدول عن الجادة المقصودة .

المحسنات القريبة المنال [١] : والملاءمة: تنزلُ الألفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب اليه،فلا تُعطي خسيسَ الناسِ رفيعَ الكلام ، ولا رفيعَ الناس خسيس الكلام.على أنها تجعلُ الرسالةَ وتعابيرَها مستعذبةَ الأوضاعِ ، حسنةَ الارتباط، يأخذُ بعضُها بأزمة بعضٍ .والطلاوة: تكسو الكلامَ رونقاً وإشراقاً بجودة العبارة، وسلامة المعاني ، وسلاسةِ الألفاظ ،[٢] وتجعلهُ بذلك أحسنَ موقعاً عند سامعه

(أبوابُ الرسائل)

تنقسمُ الرسائلُ باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام :الأولُ الرسائلُ الأهلية والثانى الرسائلُ المتداولةُ ، والثالثُ الرسائلُ العلميةَ

(الكلام على الرسائل الاهلية)

الرسائلُ الأهليةَ ــ وتُعرَفُ برسائل الأشواق ــ هى ما دارت بين الأقارب والأصدقاءِ ،وأسفرت [٣] عن مكنون [٤] الوداد، وسرائر الفؤاد. ولا حرجَ على الكاتب إذا بسط فيها الكلامَ على أحوالِه ، وأحفى السؤالَ فى أحوال أصحابه . وتتفرَّدُ هذه الرسائلُ بأن يُطلقَ الكاتبُ فيها العِنان للأقلام ، ويتجافى عن الكلفة، ويعدلَ عن الانقباض. وقد قيل: «الأنسُ يُذهبُ المهابة،والانقباضُ يضيِّع المودَّة» . هذا: ولا بدَّ مِنْ مراعاة مقتضَى الحال ، والاعتصامِ بركن الفطنة ،أخذاً بقول أبى الأسود الدؤلى :

---

(١) ولا يعد مناقضاً للايجاز ما يستدعيه المقام من البسط فى الموضوع :اما تعزيزاً للمعنى واما حذراً من الابهام، أو دلالة على عواطف القلب ، أو رغبة فى تنكيه الخواطر . قال الاقدمون: « خير الكلام ما قل ودل ولم يمل » (٢) سهولتها (٣) كشفت (٤) مستور

لا تُرسلَنَّ رِسالةً مشهورَةً   لاَ تَستطيعُ إذا مضتْ إدراكها

وَإلى هذا الباب ترجعُ مكاتبات الأشواق، والتّعارُف قبل اللقاء، والهدايا، والاستعطاف، وَالاعتذار، وغيرُ ذلك. ولنذكرْ شذراتٍ من أقوال الكتّاب[1]

(الفصل الأوّل فى الشّوق)

« كتب أبو منصور الثّعالبى النّيسابورى المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ »

شوْقي اليكَ رهينُ قلبي، وقرِين صدري، والزعيمُ[2] بتعليق فكرى، وَتفريقُ صبرى، سميرُ ذكرى، ونديمُ فكرى، زادِى فى سفرى، وعتادِى[3] فى حضرى، لاَ يستقلُّ به صدرى، ولا يقوَى عليه صبرى، يكادُ يكون لِزامًا، ويعدُّ غرامًا، لا يرْحل مقيمُه، ولا يُصرف غريمُه، استخفَّ نفسي واستفزَّها، وحرّكَ جوانحي وَهزَّها، شوقٌ أخذ بسمع خاطري وبصره، وحال بين موْرد[4] قلبه ومصدَره،[5] شوقٌ قد استنفذ جلدِى،[6] وملكَ خلدِي،[7] شوق برَانى برْى الخلال،[8] ومحقني محق الهلال، شوقٌ تركني حرَضا،[9] وأوسعني مضضا،[10] أرانى الصبر حسْرة، والوجد يمنة ويُسرة، شوق يزيدُ على الإيام[11] توقدًا أوْ تأجُّجًا، وتضرُّمًا وتوهُّجًا، نار الشّوق حشوُ ضلوعي، وماء الصّبابة ملء جفوني، أنا من لواعج الشّوق بين عمائم، لا تمطر الا صواعقَ وسمائم،[12] قد قدحتْ فى كبدى مِن الحُرقة، بهذه الفُرقة، ما يفوت

---

(١) قد أفردنا للرسائل الاهلية كتاباً خاصاً أسميناه (انشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية اهـ فارجع اليه اذا شئت ولهذا نختصر فى هذا الكتاب أبواب الرسائل ونذكر ما تمس اليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضا (١٠) وجعا (١١) بضم الهمزة وكسرها الدخان (١٢) الرياح الحارة.

أيسرُه حدَّ الشكايةِ ، ويجوز أضعفه كُنْهَ الكِناية ، شوقُ الرَّوضِ الماحل ،[١] إلى الغيث الهاطل .

(وكتب فى تشبيه الشوق)

مَا الأعرابيةِ حنَّتْ الى نجد ، وأنَّتْ من وَجد ، بأشدَّ منّى كلَفًا[٢] وأتمَّ منّي شغفًا . أنا فى شِدَّة الشَّوق اليك كالعطشان كَشَفَ له عنْ ماء عَذْب ، ومُنِع منه بمانعٍ صَعْب ،شوق لو أُلقِيَ على الكواكب بعضُه لما سَارت،أو كُلِّفت الافلاك ثقله لمَا دارت ، شوق لو فُرِّق على القلوب الخالية لاشتغلتْ ،ولو قُسِّم على الاكباد الباردة لاشتعلتْ ، أنا أشتاقُك مع كلِّ صباحٍ طالع ، وضياء شارق ، ونجم طارِق[٣] .

(وكتب فى أثر الفراق)

وَجدٌ يتكرر على كرِّ الجديدين،[٤] ويستغرقُ ساعات الملوَين،[٥] قد تحمّلت مع يسير الفُرقةِ ، عظيمَ الحُرقة ،ومع قليل البُعد ، كثيرَ الوَجد ،قد انثنيتُ بجسم ناحِل ، وصرتُ من صبري على مراحل ، فارقتَنى ، فأرقتَني ،[٦] وفرّقتَ جميعَ صبْري ، واستصحبتَ فريقًا من قلبي ، فرقت به بين عيني والرُّقاد،[٧] وجنبي والمهاد،[٨] مَا أُعوِّلُ إلا على العَويل[٩] لو كان يُغنِي ، ولا أستنصِرُ غيرَ الوَجد لو كانَ يُجدي ،[١٠] يَدي لا تُساعدُني،وخَطّي لا يُشبهُ فى الدقَّة الا بدَنى،لولا حصانةُ[١١] الأَجلِ ،لخرجتْ رُوحي على عجل ، فارقتَنى فتفرَّقَ عنّي شملُ أُنس مُنتظم،وتمكّن منّي بَرحُ شوق مُضطرِم ،فارقتَنى ففرّقتَ بين الرُّوح والبدَن،وتركتَنى والنّزاع فى

(١) الجدب (٢) كلفاً مصدر كلف من باب فرح التغيير (٣) الآتى ليلا (٤) الليل والنهار (٥) الليل والنهار أيضاً (٦) أسهرتني (٧) النوم (٨) مكان النوم (٩) رفع الصوت بالبكاء (١٠) ينفع (١١) حفظ

قُرن ،(١) قد صِرتُ حليف وَحشة وان كنتُ تاوِيًا (٢) فى وَطن ، وقرينَ كُرْبة وان كنتُ بين جيرَةٍ وسكَن .

عَسى الدَّهرُ يُدنينا ويدنى دِيارَكُمُ وَيجمعُ ما بيْنى وبينكُمو الشَّملا
فأشكو تباريحَ الغرام اليكُمو وَحرَّ جوًى تُبلى عِظامي وما يُبلَى

« وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ ه »

قَلبِى بنار الهوَى مُعذَّبْ شوقًا الى حضرةِ المُهذَّبْ
شوقًا الى ماجدٍ كريمٍ يَخطُرُ لى ذكرُهُ فأطرَبْ

وبعدُ فالعبدُ ينهى من لوَاقح(٣) شوقهِ ، ولوَافح(٤) توْقه ،(٥) الى شُهود ذاتكم الجميلة ، ومُشاهدةِ صفاتكم الجليلة ، لينشقَ عَرْفكم(٦) الفائح ، وبَخورُ عُرُفكم(٧) الفاتح ، مدّ الله سبحانهُ وتعالى ظِلكم ، وأدرَّ وَبلكم (٨) وطلّكم .(٩)

أُحبُّ الوَعدَ منكَ وإن تمادى وأقنعُ بالخَيالِ إذا ألَمَّا
عسَى الأيامُ تَسْمَحُ لى بِوَصلٍ وتأخذُ لى منَ الهجرَان سِلْماَ

والجنابُ منذُ طوى عنا أبوابَ مُلاقاته ، وزَوى منا أطايبَ أوقاتِه ، قبض العبدُ عنانَ مَقاله ، وخفض لسانَ حاله .

شكوتُ وما الشّكوى بمثلِيَ عادةٌ ولكن تفيضُ العينُ عند امتلائها

فجلس الفِراقُ بعظيمِ حجابه ، وأليم عذابه ، على ذُرْوَةِ(١٠) عَرشه ، وافترَس بقوَّة بطشه ، وصار للسرّجارًا ، وأوْقد للحرْب نارًا جهارا .

طَوعًا لقاضٍ أتَى فى حكمهِ عجبا أفتى بسفكِ دَمي فى الحِلِّ والحرَم

---

(١) قرن مصدر قرن من باب فرح التقى (٢) مقيما (٣) الرياح (٤) الرياح الحارة (٥) الشوق (٦) الريح الطيبة (٧) نبت يقال له الثمام طيب الرائحة (٨) المطر الكثير (٩) الندى (١٠) بضم الدال وكسرها أعلاه

وهذه حالتُهُ ، المُفصِحُ عنها مقالتُهُ

إنَّ الأمورَ إذا التوتْ وتعقّدت جاءَ القضاءُ من الكريمِ فحلّها
فلعلَّ يُسراً بعدَ عُسرٍ علّها ولعلَّ مَن عقدَ العقودَ يحلّها

فلعلَّ غروسَ التمني قد أثمرتْ ، وليالي الحظِّ قد أقمرتْ .

سألتُ أحبّتي ما كان ذنبي أجابوني وأحشائي تذوبُ
إذا كان المحبُّ قليلَ حظٍّ فما حسناتُهُ إلاَّ ذنوبُ

فرعى اللهُ أياماً لاحت (١) فيها أقمارُ (٢) غُروزها ، وفاحتْ فيها أطراز طروزها ، من بهاءِ سمائها ، على منار ضيائها ، من ذات جلالها ، وصفات دلالها ، في جنّات عواطفها ، وحنـاتِ تعاطُفها .

فان كنتُ لا أطرُقُ (٣) رَحْبَ (٤) فنائكم ، (٥) فقد أطرُقُ بابَ ثنائكم

لئن غيّبتني عن ذراك حوادثُ فليس تنائي عن فِناك بغائبِ

« وكتب عبدُ الرَّحمن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٩٣١ هـ »

كتبت ـ أعزَّك الله ـ عن ضميرٍ اندمجَ (٦) على سرّ اعتقادك دُرُّه ، وتبلّجَ (٧) في أفقِ ودادك بدرُه ، وسالَ على صفحات ثنائك مسكُهُ ، وصار في راحتي سنائك (٨) ملكُهُ . ولمّا ظفرتُ بفلانٍ حمّلته من تحيّتي زهراً جنياً ، يُوافيك عرفُهُ ذكيّاً ، ويواليك أُنسهُ نجيّاً ، (٩) ويقضي من حقّك فرضاً مأتيّاً (١٠) . على أنَّ شخصَ جلالك لي ماثلٌ ، (١١) وبين ضلوعي نازلٌ ، لا يملّه خاطر ، ولا يمسّه عرض دائر ، (١٢) إن شاءَ الله عزَّ وجلّ .

---

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الاغصان من النوار (٣) آتي ليلا (٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) خفي واستتر (٧) أضاء (٨) رفعتك (٩) مناجيا (١٠) آتيا (١١) متمثل (١٢) هالك

(وكتب أبو الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ)

قد قَرُبَ (أيدكَ الله) مَحلُّكَ على تراخيه، وتصاقبَ مُستقرُّكَ على تنائيه، لأن الشَّوق يُمثِّلك، والذكرَ يُخيِّلك، فنحنُ في الظَّاهر على افتراق، وفي الباطن على تلاق، وفي النِّسبة مُتباينون، وفي المعنى متواصلون، ولئن تفارقتِ الأشباحُ لقد تعانقتِ الأرواحُ.

(وكتب بديع الزَّمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

يَعزُّ عليَّ ـ أطال الله بقاءَ مولاي ـ أن ينُوبَ في خدمته قَلمي عن قدَمي، ويَسعدَ برؤيته رسولي دون وصُولي، ويَرِدَ مَشرعةَ الأنسَ به كِتابي، قبل ركابي. ولكنْ: ما الحيلةُ والعوائق جمَّة؟!

وعليَّ أنْ أسعى وليس عليَّ إدراك النَّجاح

وقد حضرتُ دارَه، وقبَّلتُ جدارَه، وما بي حُبُّ الحيطان، ولكن شغفًا بالقُطَّان، ولا عِشقُ الجُدران، ولكن شوقًا إلى السُّكان.

أمرُّ على الدِّيار ديار سَلمى	أقبلُ ذَا الجِدَارَ وذَا الجدَارَا
وما حُبُّ الدِّيار شَغَفنَ قلبي	ولكن حُبُّ منْ سكنَ الديارا

وحينَ عدتْ العَوادي عنه، أمليتُ ضمير الشَّوق على لسانِ القلم، معتذرًا إلى مولاي على الحقيقة عن تقصيرٍ وقع، وفُتورٍ في الخدمة عرَضَ، ولكني أقولُ:

إن يكن تركي لقصدكَ ذنبًا فكفى أن لا أراكَ عقابًا

(وكتب أبو محمد عبد الله البَطلْيَوْسيُّ المتوفى سنة ٦٢٧ هـ)

ياسيدي الأعلى، وعِمادي الأسنى، وحسنةَ الدَّهر الحُسنى، الذي جلَّ قدرهُ، وسار مسيرَ الشَّمس ذكرُه، ومنْ أطالَ اللهُ بقاءَه، لفضلٍ يُعلي منارَه، وعلمٍ يُحيي.

آثاره – نحن (أعزك الله) نتدانى إخلاصاً، وإن تناءينا أشخاصاً، ويجمعنا الأدب وإن فرقنا النسب: فالأشكال أقارب، والآداب مناسب، وليس يضر تنائي الأشباح، إذا تقاربت الأرواح.

نسيبي في رأيي وعلمي ومذهبي ... وان باعدتنا في الأصول المناسب

(وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ)

أراني أذكر «مولاي» اذا طلعت الشمس، أو هبت الريح، أو نجم النجم، أو لمع البرق، أو عرض الغيث، أو ذكر الليث، أو ضحك الروض. وأنى (١) للشمس محياه (٢) وللريح رياه، (٣) وللنجم حلاه وعلاه، وللبرق سناؤه (٤) وسناه (٥)، وللغيث نداه (٦) ونداه (٧) وفي كل صالحة ذكراه، وفي كل حادثة أراه، فمتى أنساه؟ واشدة شوقاه! عسى الله أن يجمعني وإياه.

(وكتب الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٢٤ ﻫ)

مازلت أدافع النفس عما تتقاضاني من شكوى أشواقها، وفي الشكوى شفاء، واستنزال أثر من لدنك تتعلل به مسافة البين، (٨) إلى أن يمن الله باللقاء، ومن دون إجابتها مشاده (٩) قد شغلت الذرع، (١٠) وشواغل قد أفرغ من دونها الوسع، الى أن غلب جيش الوجد على معاقل الصبر، وزاحم مناكب العدواء حتي ضرب أطنابه (١١) بين الحجاب (١٢) والصدر، فاتخذت هذه الرقعة أزجيها (١٣) اليك، وفيها من وقر (١٤) الشوق ما ينوء (١٥) برسولها، ومن رقة الصبابة ما يكاد

---

(١) أى من أين (٢) وجهه (٣) رائحة طيبة (٤) الرفعة (٥) بالقصر الضوء (٦) بضم النون وكسرها اشهر الصوت (٧) العطاء (٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبل يشد به سرادق البيت (١٢) لحمة رقيقة بين الجنبين (١٣) ارفعها (١٤) بكسر الواو الحمل الثقيل (١٥) يثقل به

يطيرُ بها ، أو يخلفُها فيُصافحُ الأعتابَ قبل وصولها ، راجياً لها أن تُتلقّي بما عُهِدَ في سيدي من الطلاقة والبِشْرِ ، وأن لا يَضِنَّ(١) عليها بما عوّدني من تمهيد العذْر ، ويَصِلُني من بعدها بأنبائه(٢) الطيّبة ، عائدة عنه بما يكون للنّاظر قرّة ، وللخاطرِ مَسرّة ، ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه .

(وكتب أيضاً)

وافاني كتابُك العزيزُ — فأهلاً بأكرم رسول : جاءَ ببيّنات الإخلاص والوفاء ، مصدّقاً لما بين يديه من ذِمّة الوداد والإخاء ، يتلو عليَّ من حديث الشّوق ، ما شهد بصحته سقمي ، وهتفَ مؤذّنه في كل مِفْصَلٍ من جسمي ، ويذكّرني من عهدك ، ما طالما أذكرنيه البرقُ إذا لمعَ ، والبدرُ إذا طلعَ ، والقمريُّ(٣) اذا سجع . وانما عدَاني عنك : ما أنا فيه من مجاذبة الشّواغل ، ومساورة(٤) البلابل(٥)

وفي القلب ما في القلب من شجَن الهوى تبدّلت الحالاتُ وهو مُقيمُ

وأنا — (على ما بي من غلّ البنان ،(٦) وشُغل الجنَان) —(٧) ما زالت أنباؤك(٨) عندي . لا يُخْطِئُني بريدُها ، ولا يَنْقَطِعُ عنّي وُرودها ، أهنئ النَّفسَ منها بما تتمنّى لك من سلامة لا يَرِثّ(٩) لها شعارٌ ، وإقبالٍ لا يعترضهُ باذن الله إدبارٌ .

وقُصاري المأمول في كرمك : أن تعاملني بما سبق لك من جميل الصّلة ، الى أن يمُنّ الله بالاجتماع ، ويُغنى بالعيان عن السّماع : وما ذلكَ على الله بعزيز .

(وكتب أبو العباس الغسّاني — المتوفّى سنة ٤٩٨ ﻫ)

سرْ إلى مجلسٍ يكادُ يسيرُ شوقاً اليك . ويطيرُ بأجنحةٍ من جَواهُ ، حتى

(١) أي لا يبخل (٢) اخباره (٣) طير من جنس الحمام يقال للانثى قمرية، وللذكر ساق احمر (٤) المونة (٥) الاحزان (٦) الاصابع (٧) القلب (٨) أخبارك (٩) لا يبلى

يحل بين يديك. فلله درُّ(١) كله: ان طلعت بدراً بأعلاه، وجماله: إنْ ظهرت غرة محياه. فهو أفق قد حوى نجوماً تتشوق إلى طلوع بدورها، وقطرٌ قد اشتمل على أنهار تتشوق إلى بحرها؛ لتستمد منها - إنْ منَنت بالحضور، وإلا فيا خيبة السرور:

(وكتب الصاحب اسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ)

مجلسنا يا سيدي مفتقرٌ اليك، معولٌ في شوقه عليك: ولقد تورّدت خدود بنفسجه، وفتقت فأرة(٢) نارنجه، (٣) وانطلقت ألسن الأوتار، وقامت خطباء الأطيار، وهبّت رياح الأقداح، ونفقت(٤) سوق الأنس والافراح. وقد أبت راحته أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك، وأقسم غناؤه لا طيب حتى تعيه أذناك. ووجنات أترجه قد احمرت خجلاً لإبطائك، وعيون نرجسه قد حدقت(٥) تأميلاً للقائك، ونحن لغيبتك كعقد ذهبت واسطته، (٦) وشباب قد أخذت جدته (٧). واذا غابت شمس السماء عنا، فلا أن تدنو شمس الأرض منا. فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد، ونحصل بك في جنة الخلد، فكن الينا أسرع من السهم في ممره، والماء إلى مقره، لئلا يخبث من يومي ما طاب، ويعود من نومي ما طار

(وكتب أبو بكر الخوارزمي - المتوفى سنة ٣٨٣ هـ -)

كتابي: وأنا بما يبلغني من صالح أخبار (السيد) مغتبط مسرور، وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتضادي(٨) به مصون موفور، والله على الأولى محمود، وعلى الأخرى مشكور، التطفل وان كان محظوراً في غير مواطنه، فانه مباح في أماكنه،

---

(١) كلمة تعجب (٢) فأرة المسك (٣) ثمر معرب ناربك (٤) راجت (٥) تاقت (٦) الجوهرة التي في وسطه وهي أجوده (٧) الطريقة (٨) استعانتي

وهو وان كان فى بعض الأحوال يَجمعُ عاراً وَوِزْراً، فانه فى بعضها يجمع فخراً وذخراً ورُبَّ فعلٍ يُصابُ بهِ وَقتهُ فيكونُ سنَّةً، وهو فى غير وقته بدعةٌ، وقد تطفّلت على «السيد» بهذه الأحرُف، أخطبُ بها موَدَّته اليه، وأعرضُ فيها موَدَّتى عليه وأسألهُ أنْ يرسم لى فى لسانى وَقلبي رَسْماً، ويختمَ عليهما ختماً، فقد جعلتهما باسمه وَقصرتهما على حُكمهِ، وسأضعهُما تحت خَتْمه، وبرئت اليه منهما، وصِرْتُ وكيله فيهما، فهُما على غيرهِ حمًى[1] لا يُقرَب، وبَحيرةٌ[2] لا تُحلَبُ، ولا تُركب، ولما نظرتُ الى آثار السيد على الأحرار، ونُشرَتْ طِرازُ محاسنه من أيدي القاصدين وَالزوَّار، ورأيتُ نفسى غُفْلاً[3] من سِمَةِ[4] مودَّته، وعُطْلاً[5] من جمالِ عشرتهِ حمَيْتُها من أنْ يحْمى عليها ورْدٌ موْرود، ويُحسَرَ[6] عنها ظلٌّ على الجميع ممدود، وعجبتُ من : —

سحابٌ خطَانى جُوْدُهُ[7] وهو صيِّبٌ[8] وبحرٌ عَدانى سَيلهُ وهوَ مُفعَمُ[9]
وَبدرٌ أضاءَ الأرضَ شرْقاً ومغرباً ومَوْضعُ رجْلى منهُ أسوَدُ مُظلِمُ

«وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ»

مولايَ — أمَّا التّوْق إلى رؤيتك فشديدٌ، وسلْ فؤادك عن صديق حميمٍ،[10] وَودّ صميم،[11] وخُلّةٍ لا يزيدُها تعاقُبُ المَلوَين[12] وتألّق[13] النّيرين[14] إلاّ وُثوقاً فى العُرى، وإحكاماً فى البناءِ، ونماءً فى الغِراس، وتشييداً فى الدّعائم[15].
ولا يُظنّ سيدي أن عدمَ ازدياري[16] ساحتهُ الشريفةَ، واجتلائي طلعتهُ

(١) محظور (٢) الشاة التي اذا نتجت عشرة أبطن شقوا اذنها فكانت حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها (٣) من لا علامة عليه (٤) العلامة (٥) من لا حلى عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) دو المطر (٩) الممتلىء (١٠) القريب الذي يهتم لامره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) اللمعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الاركان (١٦) زيارتى

المُنيفةَ ، لتقاعُس (١) أو تقصير ، فانَّ لي في ذلك معذرةً اقتضت التأخيرَ . والسيد (أطال الله بقاءَه) أجدرُ (٢) مَن قَبِلَ معذرةَ صديقه وأغضى عن رَيثٍ (٣) استدعته الضرُورةُ .

(وبعدُ) فرجائي من مقامكم السَّامي ، أن لا تكونَ معذرَتي هذه عائقًا لكم عن زيارتي ، فَلَكُم مِنَّا طَوَّقتمُونيها ، ولَكُم فيها فضلُ البُدَاءَة ! وعلىَّ دوَامُ الشُكران . والسَّلام .

« وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ »

كتابي اليك : وقد طَالَ بيَ الانتظَار ، وَشوقي يجلُّ عن الكَيف والانحصار فشخصكَ دائمُ المثول (٤) أمام إنساني ، (٥) وعن سِوَاكَ من الأخِلاَّءِ ألهاني وأنسَاني . فلله أيَامٌ قَضيناها ، وليالٍ من الدّهرِ اختلسنَاها ، (٦) كان السرُور فيها ضاربًا خيامَه ، والأُنسُ ناشراً أعلامَه ـ طويَ بِساطُها ، وكأنّ الامر ما كانَ غيرَ أنها زَرَعَتْ بفؤادي شجرةَ الاشجان (٧) ، لكن عودَها حليفُ أوْبَتك ، (٨) وتجدُّدها رَهينُ إشارتك . فمتي يقرُبُ المزارُ ، وتنجلي سُحبُ الأكدار ؟ فاضربْ لعوْدكَ أجلاً ، فالعوْدُ لا شك أحمدُ ، واكتُبْ بقرْبك وصلاً فالوَصلُ أضمنُ للعهد ، وعهدي من خُلقك الوَفاء ، وحُسنُ الوَلاءِ ، فلا تجعل صَفْقَةَ (٩) شوقي إليك خُسراً ، بل هَبني بعد العسر يسراً .

« وكتب وفا افندي محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ »

أمَّا بعدَ سلامي عليك ، فهذا كتابي اليكَ ، يُنبئُك (١٠) عنّي وعن شوْقي وعن وُدّي (١١) ولا أزيدكَ عِلمًا أنّي ما كتبتهُ من دَواة ، ولا أجرَيتُ عليه

(١) التأخير (٢) احق (٣) البطء (٤) القيام منتصبا (٥) انسان عيني وهو ما يرى في السواد (٦) انتهزنا فرصتها (٧) الاحزان (٨) رجوعك (٩) أصلها لعقد البيع (١٠) يخبرك (١١) بتثليث فائه

قلماً، ولكنها دموعٌ وشوقٌ سالتْ على القرطاس، وجرتْ على حركات الخواطر والأنفاس، وهبّتْ عليه حرارةُ كبدي بالأشواق. ووجدي بالفراق. فبينما هي عقيقةٌ حمراء، إذْ صارتْ فحمةً سوداء! ألا وإنّ كتابي هو قلبي ولساني أما تراه على رقته، ولطف عبارته، وصدق طويّته، بين يديك مقبلاً عليك؟ ينشرهُ الشوقُ ويطويه، لا يخفي أمراً، ولا يكتمُ عنك سراً، وتلك صفاتُ لساني وقلبي معك. فما الذي ابتغيه بعدُ؟! وقد بعثتُ اليك بالأصغرين! [1] وما أنا إلاّ بهذين! نعم أرجو بقاك، ممتّعاً بنعماك، لأكونَ على الدّوام محلَّ نظرك والسلام

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

كتابي لديك، يصفُ شوقي إليك، ولا يخفى عليك، فمنذُ فارقتني فرّقت بين أنسي ونفسي، بلْ بينَ روحي وجسمي، ولا تعجب إذا كنتُ أغدو وأروح فالطيرُ يمشي منَ الألم وهوَ مذبوح. وإنّي أشكو إليكَ منْ ألم الوحشة غراماً لا يشعرُ به إلا من ذاق حلوَ آنسك، وعرفَ مقدارَ نفسك، وشاهدَ جمال لطفك ورأى كمالَ أدبك وظرْفك، ولقد أودع الله فى شخصك نوراً لعيني، وفى حديثك سُروراً لفؤادي، وفى صفاتك ترْويحاً لروحي، وفى كرم خُلقك تفريحاً لنفسي.

إذا وصفَ النّاسُ أشواقَهمْ فشوْقي لوجهكَ لاَ يُوصفُ

فعندي لك منَ المحبةِ والشّوْق، والتّلهفِ والتّوق، مالاَ يصفهُ الواصفون ولا يعبّر عن حقيقته العارفون

ألشوْق فوْقَ الذي أشكو إليْكَ وهلْ تخفي عليْكَ صباباتِي وأشْواقي؟!

---

(١) القلب واللسان

فياشوقي إلى لُقياك ! وَوالهي عَلى جَمال مُحيَّاكَ ! قيَّدْتَ أملي عَن سِوَاكَ وبهرْتَ ناظري بنظرَة سناك ، وكسرتَ جيش قرَاري ، وتركتني لا أُفرِّقُ بين ليلي وَنهاري !

فؤادي والهوَي سِلْمٌ وحربُ ... وسُلْوَاني أقامَ على الحيادَه
وَشوقي كاملٌ ما فيه نقصٌ ... فَلسْتُ عليْهِ أطمعُ في الزّيادَه

فليت شعري ! ماذا أصنعُ في شوْقٍ أنا مدفوعٌ اليهِ من صادق حُبّي ، بعوامل صادفَتْ منّي قلباً خالياً ، فتمكنت بالتّعارف ، ولم تدَع للسلْوَانِ سبيلا ؟ !

عرفتُ هواه قَبل أنْ أعرِفَ الهوي ... فصادَفَ قلباً خالياً فتمكّنا

إي وربّي : إن شوقي إليك شوقُ الظمآن إلى برْد الشرَاب ، وحنيني لك حنينُ الشيخ الى زَمن الشباب ، فما الابلُ وقد حنّتْ إلى أعطانها ، والغرباء وقد أنّتْ إلى أوْطانها ، بأعظمَ منّي حنيناً ، ولاَ أكثرَ أنيناً ،

ولكنَّ التفرّقَ طال حتّي ... توقّدَ في الضلوعِ لهُ حريق

فكلّما تخطرُ ببالي ، في أي وَقتٍ من الأوقات ، يمثّلُ لي التذكّرُ منك محاسنَ ولطائفَ ، تجذبني مَيلاً اليك ، وتُطربني شغفاً بك واغتباطاً بإخائك ، فلا عجبَ أن كان شوقي لرُؤيتكَ عظيماً ، لانه كما قيل «من كرَم الرّجل حنينهُ إلى أوطانه ، وشوقهُ إلى إخوانه»

ياخلاَصَ الأسير يَاصحةَ المُد ... نِف يازَوْرَةً على غيرِ وعدِ
يا نجاةَ الغريق يا فرْحةَ الأو ... بةِ يَا قفْلةً أتتْ بعد بُعدِ
إرْضَ عنّي فَدَتْك نفسيَ إني ... لك عبد أذلُّ من كلّ عبدِ

ناشدتُكَ اللهَ أن ترفُقَ بحالي ، وتعيدَ وصالي ، وارْعَ الودّ القديمَ ، وأبدلْ شقاء محبّك بالنعيم . وأغمد سيف ظُلمك المسلولَ ، وأوفِ بالعهْدِ إنَّ العهد كان مسئُولا .

(الفصل الثانى في التعارف قبل اللقاء)

« كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

نحنُ فى الظاهرِ على افتراق ، وفى الباطن على تلاق ، نحن نتناجي بالضمائر ونتخاطبُ بالسرائر . إذا حصلَ القرْبُ بالإخلاص ، لم يضُرِ البُعد بالاشخاص أنا أُناجيكَ بخواطر قلبي ، وان كان قد غاب شخصُك عنّي ، إنْ أخطأتْكَ يدي بالمكاتبة ، ناجاك سرّي بالمُواصلة ، رُبّ غائبٍ بشخصه ، حاضرٌ بخلوصِ نفسه إن تراخى اللّقاء ، فاننا نتلاقى على البعاد ، ونتلافى(١) نظر العين بالفؤاد .

(وكتب أيضاً)

أنا أشتاقك كما تشتاق الجنان ، وإن لم تتقدّم لها العينان . أنا وإن كنت ممّن لا يَسعدُ بلقائك ، فقد اشتَمل عليّ الانسُ ببقائك ، والشّوق الى محاسنك التي سارت أخبارها ، ولاحت آثارُها ، لا زالت الأيّامُ تكشف لى من فضلك ، والاخبار تعرض عليّ من عقلك ، ما يُشوّقني إليك ، وإن لم أرَك ، ويزيدنى رغبةً فى ودّك وقد سمعتُ خبرَك .

(وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

كما أن شغَفَ(٢) الجنانِ(٣) بالُحسن والاحسان ، تكونُ داعيتهُ المُشاهدة وتسريحَ الأنظار ، فى مُحيّا الكمال ، ومُجتلى الجمال ، فتري العينُ من تلك الغرّة ، بما يملؤها قرّةً ، فكذلك السماع يَستدعي هذا الشغفَ ، فيتأثرُ الفؤادُ بما يُشنّفُ(٤) الأذُنَ ، مما تهديه إليه طرائفُ(٥) الأخبار ، حتي كأنّ حاستي السّمع والبصر

---

(١) تتدارك (٢) دخول الحب في غلاف القلب (٣) القلب (٤) يزين (٥) المستملحة

في ذلك صِنْوان،(١) بل أخَوانِ في هيكل هذا الجُثْمانِ.(٢)

وقد يعلمُ السيدُ (أطال اللهُ بقاءه وأدام ارتقاءه) أنَّ ذلكَ الأمرَ (أي الشَّغَفَ بالسَّماع) ليس بالحديث العهد، ولا القريبِ الجِدة(٣). بل هو أمرٌ عُرِفَ قديمًا أن يهدي السَّماعُ الى سويداءِ القلبِ لاعجَ(٤) الحبِّ، سَعَّرَه(٥) من الأنباءِ(٦) عَرْفٌ(٧) شميم(٨) فتهيمُ(٩) بمجرَّد استنشاق ذلك الشَّميم(١٠) حتي يقولَ الشاعرُ العربي

«والأُذْنُ تعشقُ قَبلَ العَينِ أحيانًا»

أجلْ!(١١) والقُدْوَة في هذا المعنى، والأُسُّ(١٢) لذلك المَبْنَى، قولُهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إنِّي لأشُمُّ نفسَ(١٣) الرَّحمن مِن قِبَلِ اليمَن» لمَّا أملَته العناية الرَّبانيَّة، والمَلَكُ الرُّوحاني، على قلبهِ الشَّريف من نبأ(١٤) القرني(١٥) أُوَيس(١٦) ولم يكن رآهُ بعدُ.

ألا: وان محاسن السيِّد الأجل، لمَّا سارت بها الرُّكبان، وأثنى عليها كلُّ لسان ما بين أخلاق أبهى من الرَّوض النَّضير،(١٧) وأعراق أشهى من عَذْب النمير(١٨) قد احتلَّتْ من فؤادي (لا أقول منزلاً رَحيبًا ولا واديًا خصيبًا) بل منزلة شمَّاء،(١٩) ودارةً(٢٠) علياء، وأوجًا(٢١) بطوالعها السَّعيدة يُسعِد، ويلوح بها من ذِكْراه كلَّ حين فَرْقَد(٢٢) فلم أنتَبْ(٢٣) أنْ قدَّمت كتابي هذا لمولاي بين يدي اللقاء علَّه أن يسمحَ بهِ الزَّمانُ، وتُسفِر(٢٤) عنهُ اللَّيالي والأيَّام، ليُتاح(٢٥) لي رِيَ

(١) هما فرعا النخلة (٢) بالثاء وبالسين الجسم (٣) الحظوة (٤) المتردد (٥) أوقده (٦) الاخبار (٧) الريح الطيبة (٨) مشموم (٩) تذهب (١٠) المرتفع (١١) حرف جواب مثل نعم (١٢) الاصل (١٣) كناية عن الوحي (١٤) الخبر (١٥) نسبة الى قرن قبيلة (١٦) هو سيد التابعين أويس بن عامر قتل في واقعة صفين مع علي كرم الله وجهه وخبره قوله صلي الله عليه وسلم يأتيكم أويس بن عامر مع امداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه الا موضع درهم وله والدة هو بها بار ولو أقسم على الله لابره (١٧) الحسن (١٨) الماء الزاكي (١٩) مرتفعة (٢٠) دارا (٢١) علوا (٢٢) النجم (٢٣) لم ازل (٢٤) تكشف (٢٥) يعطي

الفؤاد، بما أرويه من حديث زيد الخيل ، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير، وقال له « ماوصف لي أحد فرأيته إلا وجدته دون ما وصف لي سواك وان فيك خصلتين يحبهما الله : « الحلم والاناءة » مقتديا بالإمام (محمود جار الله) في تقديم هذا الحديث الشريف، علي ما أنشده إياه (الشريف بن الشجري) أول ما لقيه ، وكانا قد تحابا بالسماع

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جابر بن رباح أطيب الخبر
حتى اجتمعنا فلا والله ماسمعت أذني بأحسن مما قد رأي بصري

(وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٩١٩ – م)

يعلم الله ما عندي من الشوق إلى لقاء السيد: وإن لم يره البصر، والشوق الى شهوده: وإن لم يكتحل بإثمد (١) محاسنه النظر ، والشغف بسماع الحديث منه، كما سمعته عنه ، فقد سبقت ذكري محاسنه إلى السمع ، ووصل خبر لطائفه إلى النفس (وما المرء إلا ذكره وما أثره) وحسدت العين عليه الأذن وودت لو أنها السابقة إلى اجتلاء رقائقه ، وشهود حقائقه .(فللعين عشق مثل ما يعشق السمع)

لا جرم أن ما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها كما قيل اختلف . ونحن وإن بعدت بيننا الشقة (٢) ولم يسبق لنا باللقاء عهد، فلحمة (٣) الأدب تجمعنا ، ووحدة الوجهة تضمنا . ولحمة الأدب أقوي ، من لحمة النسب ، وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجود ، وقد رأيت أن أزدلف (٤) إليك بالمكاتبة ، وأتوسل إلى شرف التعرف بالمراسلة، حتى إذ لم يبق في الصبر علي الافتراق مسكة ، (٥) وأبي الجسم دعوة الروح ، فاندفع إلى طلب

(١) كحل بالحجاز (٢) بالضم والكسر الناحية (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة ولا عقل

الاجتماع ، أكونُ قد مهدتُ له سبيلا ، ووطأت (١) له طريقاً ، فلا تبهرُني (٢) فرحة اللقيا ، ولا يغرُني (٣) طرب الظفر « فمن فرح النفس ما يقتل ، ومن نشوةِ (٤) الراح (٥) ما يُزهِقُ الأرواح ».

فإن رأى السيدُ أن يكاتب عبده ، ويعتقهُ من رق الفرقة ، عجل بجواب هذا الكتاب ، ليعلم العبدُ أن نميقتهُ صادفت (٦) قبولا ، وأن وسيلتهُ اتخذت إلى سيده سبيلا ، قرّب اللهُ زمن اللقا ، وقصّر أمد النوى ، (٧) حتى أنشد في الختام :

تطابقَ الخُبْرُ في علياكَ والخَبَرُ   وصدَّقَ السمعَ في أوصافك البَصَرُ

(وكتب احمد افندي سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

يعلم سيدي أنّ المودّةَ لا تُباع ولا تشرَى ، وإنما هي نتيجة الاجتماع والتعارف ، وقد خُلقَ الانسان مضطراً اليهما ، لان انتظام العُمران عليهما موقوفٌ ، ولهذا : تشهد العيان بأنّ المفردَ بأعماله ، المستبدّ بآرائه ، عُرضةٌ للخطأ ، مظنةٌ لعدم الثقة ، بخلاف ما إذا كان الاشتراكُ في الفكر قاعدةً للعمل فلا بدّ أنّ الصواب يتمحّضُ منه ، لضعف التفرُّد وقوّة الاجتماع ، إذْ لا جَرَمَ أن المرءَ كما قيل : « قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه »

وقد سمعتُ عن السيد : وقرأت من آثاره المأثورة ما حببهُ إليّ ، وشاقني للتعرُّف به ، لنشتركَ في منفعةِ تبادُل الافكار ، فاني لا أكتفي بمجرّد السماع ولا أقولُ : « إنّ الأُذُنَ تعشقُ قبل العين » فانما هي جارحةٌ صغيرةٌ ـ ولكن كلّي ميالٌ إليه ، محبٌّ لاستجلاء مرآه ، عالمٌ أني إذا دخلتُ إلى مودّتهِ من باب التلاقي ، لا أجد دهرى

---

(١) بالتخفيف والتشديد هيأت (٢) لا تغلبني (٣) لا يعلوني (٤) بفتح النون وكسرها السكر (٥) الخمر (٦) وجدت (٧) البعد

يُقرّب منّي كلّ شخصٍ كرهته ... ويُبعِدُ عنّي مَنْ إليه أميلُ

فإن لم يتيسّر أن يرَاني أو أراهُ ، فليسعدْني ببِضعة أسطرٍ تضْمنُ لي رضاه، عن هذه المعرفة الترسّلية . لنترَاءَى بأعين الطروس،(١) قبل أعيُن الرؤوس ونتجاذَبَ أحاديثَ المرَاسلة ، إن عزّت المقابَلة ، وقد وَقفت عليه خالص وُدّى واختَرتُهُ من بين رجال العصر ، سعياً لكسب المعالى بمعرفته . فكلّ آمرىءٍ بما كَسبَ رَهين ،(٢) وأنْ لَيْسَ للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى .

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قَرِينه ... فكلُّ قرينٍ بالمُقارن يقتدي

(وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

لم أكن فيما أكتبهُ لك إلاّ ساريًا في ليل التّعارف على ضياء خِلالك،(٣) التّى أملاها عليّ لسانُ المدح ، الذى شرّق وغرّب ، وطبّقَ الأَرضَ صيتُه .وإنّي وإن لم أكُنْ أسعِدْتُ من قبلُ باجتلاء طلعتك الزّاهرةِ ، واجتناء مفاكهتِك الغضّةِ ،(٤) فقد دلّنى على اللّيث زئيرهُ ،(٥) وعلي البحر خَريرهُ ،(٦) وعلى العمل أثرُهُ ، وعلى السّيف أثرُهُ .(٧) ولئن لم تجْمعْنا لحمةُ(٨) النّسب، فقد جمعتنا حرْفَةُ الأَدب،أوْ لم يضمنّا قبلُ مصيفٌ وَمرْتبعٌ ،فالطّيورُ علي أشكالها تقعُ وَشبهُ الشيءِ مُنجذِبٌ إليه ، وأخو الفضائلِ هو المعوّلُ عليه .

وهذه الرُّقعة وإن وَصفَت لك بعضَ ما أنا مَطوِىٌّ عليه من التهافُت على رُؤْيتك ، وَالمَيل إلى صداقتك، فقَلما تنُوب عن المشافهة ، أوْ تقضى حاجاتٍ في النفسِ طالما ترَدّد صداها . وفي ظنّي أن(سيّدي) يودُّ ما أوَدُّهُ . وعمّا قليل يُسفر صبحُ اللّقاءِ ، ونتجاذَبُ أهداب المعرفةِ ، وأري من(سيّدي)فوقَ ما توَسّمته

(١) الصحائف (٢) رهون (٣) مصادقتك واخائك (٤) اللينة (٥) صوته (٦) صوته
(٧) جوهره (٨) القرابة

وسمعته ، ويرى مني ما يُرضيه والسلام

(وكتب الشيخ طه محمود المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ)

أيها (السيد) العزيز الجناب : العزيز الآداب

قد علمت (ولا أزيدك علماً ، زادك الله ولا نقصك) أن الانسان كما اشتقَّ اسمهُ من الأنس ، كذلك جُبل عليه مسمّاهُ . وأنّ المجتمعَ الإنساني عقدٌ يتحلّى به صدر الزّمان ، نظامهُ التآلُف ، وواسطته[1] التعارُف . فهذان الأمران هما قطبُ المدار فى هذه الدّار ، لهذا العالَم ، من لدُن آدم . وليس إلاّ بهما يحسنُ الحال وينعم البال . وتدُرّ ضرُوع المنافع ، وتتفجّرُ عيُون الفوائد . ومن ثمّ كان أوفر الناس حظّا من مغنم الإنسانية ، من يألف ويُؤلف ، ولا خير فيمن لا ولا . وناهيك بخلق امتنَّ اللهُ به على عباده ! إذ قال عزَّ من قائل : « وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا »

ذلك ـ (أيها السيدُ) هو الذي بعثني أن أكتبَ اليكَ ، أستفتحُ باب مودّتك بمفتاح الترسل ، وأستصبحُ فى سبيل صُحبتك بمصباح التوسُّل ، لا أبالى بما يُنسبُ الىّ ، ويُنقمُ علىّ ، ممّن عسى أن يقول : مالك ولهذا الفضول ! وكيف تتطفل على مأدبة أدبية لم تُدعَ اليها !! وهل هذا منكَ الا أشبه بالتبرُّج[2] لغير خاطب ؟

أيها المنتقدُ . هوّن عليك ما تجد . فلو علمتَ أن ظلّ الآداب شامل ، ودعوة المودّة الجفلى[3] لا يذادُ[4] عنها واغلٌ ،[5] لأسرعت معى الى الوغول ،[6] ولم ترَ فى التودُّد الى أهل الفضل من فُضول . وأيّ عيبٍ على النكرة فى التحلّي بحلية المعرفة ؟ ومُصاحبة الأعلام ؟ ! أما سمعتَ قول القائل

---

(١) الجوهرة التي فى وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهار المرأة زينتها للرجال (٣) العامة للجماعة (٤) لا يطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل

بصُحبتِكَ الكرامَ تُعَدُّ منهم وتأمنُ من مُلمّاتِ الزّمانِ!

وكيف أضعُ نفسي بحيث يقول الأوّل:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِها(١) واقعد فإنّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسِي!

وشتّان ما بينَ الرّجلَيْنِ: رجلٌ يهوي المكارمَ وبنيها، ويبتغي المناقِبَ وذَويها، ويقِفُ نفسهُ على مسألة يعلمها، وفضيلةٍ يتحلّى بها. وآخرَ يبذلُ وجهه المصون، فى ملء الحقائبِ(٢) والبُطونِ!

هذا: وقد رجوتُ أن أكُونَ الرّجلَ الأولَ بصُحبتك «أيُّها السيد» فكم روي لنا من أحاديثِ فضائلك الصّحاح، وتلى علينا من آيات فضائلك الحِسان، ما(٣) أشخصَ إليك القلوبَ قبل قوالبها، وأوفدَ عليك الأرواحَ قبلَ أشباحها، وأعجلنى أن أكتبَ إليك بهذا الرّقيم، ألتمسُ بالتعرّفِ إلى جنابكَ الكريم، ماالتمس الكليمُ من صحبة ذي الوجه النّضر، (٤) أبى العبّاس الخضر. وإنّى وإن كنتُ والحمدُ لله ممّن آمنوا بالغيب، وليس عندي فى صدق هذه الآياتِ مِرْيَة(٥) ولا ريب، بيدَ(٦) أن للصُّحبة فضلاً لا يُنكر، وللمؤاخاة مزيةً لا يتماري(٧) فيها اثنان.

فإذا ورد على السيد كتابى هذا: وانشرَح صدره (شرَح اللهُ صدرَه) إلى إجابة سؤلى، وارتاحتْ نفسُه إلى اصطناعى، كتب إلى عبده بما تكون آيةً جليّةً على ارتياحه، لتحقيق هذه الأمنيّة.

حتّي أقولَ لوجه آمالى ابتهج لا وَليّنّك قِبلة ترْضاها

---

(١) بكسر الباء الطلب وبضمها الحاجة (٢) الركايب (٣) ما فاعل روي (٤) الحسن
(٥) شك (٦) غير (٧) لا يختلف

(وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر المتوفى سنة ١٩٣٠ م)

إنسانَ العين، وعينَ الانسان

ألمودّةُ (وصلَ اللهُ بأجفان الأشواق أهدابَها ، وفتحَ لنا أبوابها) أمرٌ عزيزُ المُرتقي ، على منْ يَصطفى صديقَه ، ويَرعى حقوقَهُ . وإنّي اصطفيتُك على الناس برسالتي هذه ، وعهدى بكَرم سجاياكَ أن تُصافحها براحة القبول ، وتتخذَها فاتحةَ وُدٍّ طارَت به اليك رياحُ فضلك ، بعد ما تمثّلَتْ آياتهُ لك فى القلوب معنًى ظهرَتْ فى مرآة الأعيُن صورتُه .

فانْ أبيْتَ وِدادى غيرُ مكترِثٍ فعنكَ مادُمتُ حيًّا لا أري بدلا

وحاشاكَ عن مثل ذلك الإِباء، ونحن وان لم تحظَ أشباحنا باللّقاء، فأرْواحنا من قبلُ جنُود، وأعيننا شُهود، فإِن أنْتَ منحتني ولاءً خالصاً ، وإِخاءً صادقاً ، (وإلا فهبني امرأً هالكا) ، ولا إخالُكَ ترْضاه ، وإن كنتُ المتطفّلَ على مائدة مودّتك، فلى نفسُ أديبٍ لاتري العزّ إلاّ فى التّرامي على ذُرا الكمال. لازلتَ علىَ مرْقى الجلال. والسلام

(وكتب الفاضل السيد محمد الببلاوي)

سيّدي : إنّ مكارمَ الأخلاقِ ومعالىَ الهِمَمِ ممّا تسترقُّ القلوبَ ،وتسرِقُ العقول . وتمتلكُ الأرْواحَ ، وان لَمْ تتلاقَ الأشباحُ ،فإنّي مذْ سرَى إليّ النَّسيم بأخلاقكم الغرّاء ، وابتسم لى ثغرُ هذا العَصرِ عن آثاركُم الزّهراء ، وتواترت الأخبارُ بحبكم للفضل وأهلهِ ، وارتياحِكُم للعلمِ وذويه ، وأنا مشغوفُ الفؤاد بالتعرُّف بسيادتكم ، مشغولُ البال بالتّوسُّلِ الى رِياض مودّتكم. ولعلمى أن للصّداقة حقوقًا ، وللمُصاحبة شُرُوطًا، ربماصعبُت على من حاولها ، وعزّت على منْ

زاد الوفاء بها ، كنتُ أري الوحدة أولى .والانفرادَ بي أسلمَ ، ولكن مازالت نمي(١) إليّ أحاسنُ شمائلكم المشرفةِ ، وتتواردُ على مسامعي محاسنُ سيركم لطهّرة ، فينمو الوجد ويزداد الشوق . « والاذن تعشقُ قبل العين أحيانا » ما كنتُ أجدُ سبيلاً للتعرّف ولا سبباً للتوّدد ، ولا تجسرُ نفسي على المراسلة بتداء ، الى أنْ رأيتُ سيّدي قد اهتم للأدب فأعلى منارَه ، ونظرَ للإنشاء فرفعَ مدارَه ، ونصرَ دولتَهُ وأحيا صولته ، وأعادَ شبابهُ ، وفتحَ لأدباء هذا العصر بابه علمتُ أنَّ الدهرَ قد ساعدني ، والفرصةَ قد أمكنتني من مصافحةِ ما أمّلتُ مصافاةِ ما أردتُ ، من اجتناء ثمار مودّة سيّدي ، والتعرّف به والتمسّك بأهداب ضائله ، والتزوّد من آدابه . فانَّ الأدبَ أحسنُ ما يستصبحُ بأنوارِه ، (٢) أشرَف ما يتسابقُ لاقتطاف أثمارِه (٣) ويُحمدُ التطفّلُ على موائده ، ويمدحَ تنافس في التقاطِ فوائده . فجعلت طلبَ الانتظامِ في سلك أرباب الاقلام سيلةً لورودِ عذب ودادِه ، ونمير (٤) التعرّف به ، فان رأي سيّدي أن مدّ نفسَ حرٌ في عدادِ معارفه ، ويقابلَ رسالتَهُ بما اشتهرَ من لطائفهِ ، حتى تمتّع بالرؤية الابصارُ ، كما تمتّعت المسامع بطيبِ الأخبار ، كنتُ مديمَ شكر لافضاله ، مستمر الثناء على كماله .

(وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

أما بعدُ ــ فهذه أولُ رسالةٍ أكتبُها إلي مَنْ لم تكُنْ لي به جامعة جسميّة ، لم تضمني وإياهُ حفلةُ تعارف شخصيّة . وهيَ وإن كانَت في عُرف غيري تعدّ جوماً ، أوْ تحسَبُ فضولا ، الا انّي أعتقدُ أنها أوفدَتْ على كريمٍ يُكرم

(١) تزيد (٢) اضوائه (٣) ازهاره (٤) الراكي

وفادتها ، ويتقبَّلُ به ما يهديه اليه من رعيم تحية وجليل اجلال. ويجتلى من خلالها إرادة وُدّ ، ورجاء ولاء ، وبُغية فضل ورغبة فى إخاء . فيحلها منه محل القبول ويدرأ(١) عنها وصمة (٢) الفضول . إنّ لسيدى آثاراً شاهدناها ، فاستفدناها وما ثر سمعناها ، فرويناها أو تناقلناها ، ولا مِرْية (٣) فى أن ماغاب عنا منها أكثر مما وعيناه، وأوفى مما سمعنا. ونحن (والله يعلم) طلاب كمال ، ومنتجعو(٤) إفضال ، ورُوّاد(٥) ماخصب من فيحاء العلوم . وقد توسمنا(٦) فى السيد (أطال الله بقاه) طلبتنا . ووجدنا لديه ضالتنا . فحثثنا إلى رحابه مطية المكاتبة ولنا أمل كبير فى نوال المأمول. لعله يجنح (٧) الى مقابلة المثل بالمثل . فيكتب لأخيه بعض كُلَيمات ، يعرف منها أنه قبل الإخاء . ومال إلى مقتضى طبعه من الوفاء . ولا أظن ذلك إلا وقد كان فى أقرب مايكون من الزمان . فانّ الأرواح ماتعارف منها ائتلف . كما برهن الأصحاب فى معاشراتهم خلفاً عن سلف

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

لقد سمعنا بأوصاف لكم كملت فسرّنا ماسمعناه وأحيانا
من قبل رؤيتكم نلنا محبتكم والأذن تعشق قبل العين أحيانا

سيدى ومولاي

لقد بلغني عنك فى وفائك وفضلك . مايدعونى لخطب ودك ، ويرغبنى فى إخائك . ويحببنى فى التوسل إلى معرفة جنابك . وإن لم تجمعنا جامعة شخصية ، ولم تضمنا حفلة تعارف ذاتية . الا أن أحاديث فضائلك الصحاح ، أوفدت عليك الأرواح قبل الأشباح . والولاء والإخلاص ، قبل الأجسام والأشخاص. ولا

(١) يدفع (٢) العار (٣) بضم الميم وكسرها الشك (٤) طالبو معروف (٥) طالبون له (٦) تفرسنا (٧) بتثليث النون يميل

غرابةَ فى ذلك. فانَّ من سُنةِ اللهِ فى خلقهِ: أن يُؤلّف بينَ الأرواح وأمثالها. وانَّ لله ملائكة، يسوقونَ الاشكالَ إلى أشكالها، وشبهُ الشيء مُنجذبٌ اليهِ. وأخو الفضائل هو المعوَّل عليه.

إنَّ القلوب لأجنادٌ مُجنَّدةٌ ... للهِ فى الأرض بالأهواء تعترفُ
فما تعارَفَ منها فهوَ مؤتلفٌ ... وما تناكر منها فهوَ مُختلفُ

فلذا اصطفيتك لنفسى. واخترتك لمودّتى وأُنسى. نتناجى بالضمائر، ونتخاطب بالسّرائر، وإنْ بعُدْنا فى الظاهر، فرُبَّ غائب بنفسه، حاضرٌ بخلوص نفسه

فانْ أبيْتَ ودادي غيرُ مكترثٍ ... فعنكَ ما دُمت حيًّا لا أرى بدَلا

وحاشاك عن مثل هذا الإباء، والهجرِ والجفاءِ

لكلّ امرئٍ شكلٌ من الناسِ مثله ... وكلُّ امرىءٍ يهوَي الي مَن يشاكله

ناشدتك الله أن تقبلَ منّي الإخاءَ، وتضمن لى الوفاءَ. وأنا أرضى بك من الدُّنيا نصيبًا، وأختارك من العالمين حبيبًا

(الفصل الثالث فى رسائل الهدايا)

«كتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥ هـ يوم النيروز الى بعض أهل السلطان»

أيُّها السيد الشريف

عشت أطولَ الأعمار بزيادة منَ العمر، موْصُولة بفرائضها منَ الشكر. لا ينقضى حقُّ نعمة حتَّي يجدّدَ لك أُخرى. ولا يمرُ بك يوم الا كان مُقصّراً عمّا بعدهُ، موُفيًا عمَّا قبله

انى تصفحتُ أحوال الأتباعِ الذين يجبُ عليهم الهدايا الي السادة. والتمست التَّاسّي بهم فى الاهداء (وان قصَّرتْ بى الحالُ عن الواجب) فوجدتُ أنى :

ان أهديت نفسي فهي مالك لك، لا حظ فيها لغيرك. وزميت بطرفى إلى كرائم ما لي، فوجدتها منك. فان كنت أهديت منها شيئاً، فإني لمهد مالك اليك. ونزعت الى مودتى فوجدتها خالصة لك، قديمة غير مستحدثة. فرأيت: إن جعلتها هديتي، أنى لم أجدد لهذا اليوم الجديد براً ولا لطفاً. ولم أميز منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك، إلا كان الشكر مقصراً عن الحق، والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة. فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك، هدية اليك، والاقرار بالتقصير عما يجب لك، براً أتوسل به اليك. وقلت فى ذلك:

إن أهد مالاً فهو واهبه ... وهو الحقيق عليه بالشكر

أو أهد شكري فهو مرتهن ... بجميل فعلك آخر الدهر

والشمس تستغنى اذا طلعت ... أن تستضيء بسنة (١) الدهر

(وكتب حفني بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ ــ ١٩١٩ م)

الهدية فى نظر الأصفياء جليلة، وإن كانت فى نفسها قليلة. ومكانتها خطيرة، وان كانت يسيرة. وسنة حسنة، اجتمعت على فضلها الألسنة

مضت الدهور وأمرها مستحسن ... وتعاقبت بمديحها الأيام

اللهم الا إن لبست جلباب (٢) الرياء. وولجت (٣) أبواب الارتشاء ولا مراء (٤) ان الأوداء من ذلك براء

لا يبتغون سوى الوفاء وما لهم ... غير البقاء على الصفاء مرام

ومازالت الهدية شعار الأصدقاء، وعنوان تذكار الولاء، وكم جددت بين الاصحاب عهود التحاب

---

(١) الوجه (٢) القميص (٣) دخلت (٤) جدال

وتعهّدت وُدّاً فعادَ شتيتهُ ولشَمْلِهِ بعد البَداد(١) نِظامُ

قد وصلتني يدُ العصا فحبّذا الإهداء، وأهلاً بتلكَ اليدِ البيضاءِ، وليست هذه أوّلُ أياديك عليّ، ولا أكبرُ عارِفةٍ جاءَت من ناديك إليّ، أمِنت بها النُّوب(٢) واعتضدْت(٣) بها على تفريق شمل الكُرَب.

فاذا طغا(٤) بحرُ الهموم ضربتُهُ بعصايَ فاجتازت(٥) به الأقدامُ

تنفلقُ بها من الأيام صخورٌ، فتنبجسُ(٦) منها عيونُ السُّرورِ. وتَلقفُ ما يصنعُ الأعداء، فتذهبُ بسحر البغْضاءِ. وإذا اشتدَّ هَجيرُ(٧) الوحشةِ، نشرَتْ ظلال انسها، أوْ عصى فرْعَوْنُ الدَّهرَ، راعتْهُ(٨) ببأْسها(٩).

فكأنما أوْصى الكليمُ(١٠) لنا بها حتى يرى آياتِهِ الأقوامُ

وقد فكّرْتُ ماذا أقابلُ به طرْفتك،(١١) وأتلقّي به تُحفتكَ، إلى أن هدانى الله، أنّ يدَ المُنعم انما تقابَلُ بالأفواه، ليُعزِّزَ القَبولُ بالقبَل، ويؤدي الرّسم بالشّم. فأرسلت اليك فم سِجارة، وجعلته لهذا المعنى اشارة. وقلت:

مَولايَ كمْ فاضتْ يمينُكَ بالنَّدى(١٢) حتى غَدَوْتُ غريقَ بحر الأنعمِ
وَالشكرُ أوْجبَ أن أقبّلَ راحتَها فكَنَيتُ عن هذا باهداء الفمِ

وقد علمت أن المنظرَ البهيج، يتمُّ بالتّدْبيج،(١٣) فاخترْتُ أن يكون مبدؤُهُ كالليل إذا عَسْعَسَ،(١٤) ومنتهاه كالصبح إذا تنفّسَ،(١٥) إيذاناً(١٦) بزوال الشرور بالسُّرور، ورَمزاً إلى الخرُوج من الظُّلماتِ إلى النُّور.

---

(١) التفريق (٢) جمع نائبة مصيبة (٣) استعنت (٤) علا (٥) سلكت (٦) تنفجر (٧) حرها (٨) أزعجته (٩) بشدتها (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) احسانك (١٢) العطاء (١٣) التزين (١٤) أقبل بظلامه (١٥) أضاء (١٦) اعلاما

(وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر)

يأيها المولى الذى عمّت أياديه الجميله
إقبلْ هديّة من يرى فى حقّك الدنيا قليله

غرّة وجه السعود ، وقرّة عين الوجود - الأمير الجليل

ياجليلَ الفضائل - إليك توجه الآمال . ويا جميلَ الشمائل بساحتك تحطّ الرّحال . تلك هى السّاحة الفيحاء ،[1] والشيمة[2] الحسناء ، والهمة العلياء، واليد البيضاء ، والأعمال التي تضربُ بها الأمثال . كم من نِعَم أسديتها ،[3] ومكارمَ أوليتها ، وعلوم أحييتها ، فأنتَ المصدرُ والمورِدُ ، والمقصِدُ والموعدُ . إليك أقدّم تلك الهديّةَ المرضيّة ، وأرفعُ ذلك الكتابَ المُستطابَ ، مشفّعاً فى قبوله كرَم سجاياك ، وعِظَمَ مزاياك . وإني وإن كنتُ أعلمُ أنّ مقامكَ العلىَّ يجلُّ عنْ أن يرفعَ اليه مثله ، فقد عرفناك ، متواضعاً فى علاكَ ، قريباً مع اعتلائك .

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً فشأناك انخفاضٌ وارتفاعُ
كذاك الشمس يبْعُدُ أن تسامى[4] ويدنو الضوءُ منها والشعاعُ

وحاشاك أن أُهدىَ للقمرِ نوراً ، أو للشمس ضياء . أو أبعثَ بِبُنيّة القَطْر[5] الى ذلك البَحر . ولكني أحببْتُ أن يحظَي بلثْم بنانك ،[6] وينالَ من كرمِكَ وإحسانك . وقد عهدْناكَ تهتزّ للمكارم اهتزاز الصّارم[7] وترتاح لاسداء الجميل كما يرتاح للكرم النزيلُ ، وللشفاء العليلُ - وما هو إلا من نُور فكرك مقتبس،[8] فعساه يحظى بالقبول ، فأبلغ غاية المأمول والسلام .

---

(١) الواسعة (٢) الخلق (٣) اعطيتها (٤) تتساخر (٥) المطر (٦) الاصابع
(٧) السيف القاطع (٨) مأخوذ

(وكتب الاستاذ عبد الله بك الانصارى المتوفى سنة ١٩٣٢ م)

المولى (أدَام اللهُ وُجُودَهُ ممتعًا بهدَايا الأَيّام ، وتُحَف الأَعْوام) طالما أَوْفدَ [1] من الرِّفد [2] الىَّ ، ووجّه من الخيرَات ما أفعَم [3] يدىَّ ، حتّي أصبحتُ (ولهُ الفضل والمنَّة) أجرُّ ذُيولَ النّعماء ، [4] على غبرَاء [5] البأساءِ [6] وأجتَلى [7] معارفَ السَّراء ، بعَوارفه البيضَاء ، التى لا يُوازيها ثناءٌ وحمدٌ ، ولا يُوازنها عطاءٌ وَرفد ، ولا يُطاولها سَماءٌ وبحر ، ولا يغالبها بُؤسٌ وفقر . وإن لى من آلاء [8] السيّد (حفظهُ الله ، وآدام علاَه) ، ما أينَعَ ، وأزْهرَ وأوْرَقَ وأثْمرَ حدائقَ قامَتْ لشكره عيدانُها ، وسجدَت لفضله أغصانُهـا ، وترنمَتْ طرَبًا وتمايلتْ عجبًا ، بنفَحاتٍ هى عَرْفهُ ، [9] وبركات هى عُرْفهُ . ولى أملٌ فى جنابه (وأنا سليل [10] نعمتهِ ، وعهدي بأخلاقه وأنا آبنُ مودَّته) أن يَمنَّ بقبول ما أهديتهُ ، وهو من مال نفسه ، وثمرة غرْسه ، (باكورة تُفاحٍ) يرفعُها إجلالٌ وإعظام ، وتصحبُها تحيةٌ وسلاَم .

(وكتب الشيخ احمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ ﻫ)

الهدية (غمركَ الله بالمعروف) تَبسطُ يد المودَّة ، وتدرُّ بها أخلاف [11] القرب ، وتغرسُ بين المُتحابّين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهُما من شجر الخلاف . وما أنا فيما أهديه اليك إلا : كمستَبْضع [12] تمراً الى أرْض خَيبرَ [13] أو كالواهب الماء للبحر ، والضَّوْء للبَدْر ، والمُلْكِ لسُلَيْمان [14] ، والمَال لقارُون [15]

---

(١) ارسل (٢) العطاء والصلة (٣) ملأهما (٤) بالفتح النعمة (٥) الارض (٦) الداهية (٧) نظر اليها بجلوة (٨) نعمة (٩) بالفتح الريح الطيبة (١٠) الولد (١١) جمع خلف بالكسر الضرع (١٢) جاعله بضاعة (١٣) موضع بالحجاز (١٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام (١٥) من قوم موسى عليه السلام أعطاه الله من الكنوز مالم يعطه لغيره .

والحلم لأحنف، (١) والذكاء لإياس، (٢) والتفسير لابن عباس. (٣) وماذاك إلا كتاب كما تراه ضرب فى الأحكام بسهم، ووعى من الأحكام، ماخلت منه مفعمات (٤) الأسفار (٥) وموجزات الرسائل. فهو كما قيل: «كل الصيد فى جوف الفرا» (٦)

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

على أنى وان تطفلت عليك، وسقت لك هذا الكتاب مزدلفا (٧) الى جنابك الرحب، ومقامك الأسنى ـ فقد أصبت كبد الصواب، ووضعته حيث يعرفه أهلوه، ويتقبله من باذله عالموه. علما بأنك عماد العلوم وأساس الفضائل لا تغادر (٨) شاردة إلا وعيتها، ولا نادرة الا رويتها. والا

لو كان يهدي على قدري وقدركم لكنت أهدى لك الدنيا وما فيها

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى أستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده).

سيدي ومولاي، أطال الله بقاك، ورفع فى الدارين علاك ـ الهدية مفتاح باب المودة. وعنوان تذكار المحبة. يتسابق اليها كرام السجايا، (٩) ويتسارع إلى إحياء شعائرها عشاق المزايا، حرصا على حفظ عهود الوداد والتآلف وإذهابا لوحشة التقاطع والتخالف

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد فى قلوبهم الوصالا

---

(١) هو ابو بحر صخر بن قيس تابعى كبير يضرب به المثل في الحلم توفى سنة ٦٧ ﻫ
(٢) هو ابو واثلة بن معاوية بن مرة المزنى يضرب به المثل فى الذكاء توفى سنة ١٢٢ ﻫ (٣) هو ابو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابى يلقب ترجمان القرآن توفى سنة ٩٨ ﻫ (٤) مملوآت (٥) الكتب (٦) حمار الوحش ومعناه ـ كل ماعداه دونه. قاله النبي عليه الصلاة والسلام تطمينا لرجل خرج يصطاد مع اصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشى (٧) متقربا (٨) لاتترك (٩) لاخلاق

وتَزْرع فى القلوبِ هوًى ووُدًّا ... وتكسوكَ المهابةَ والجلالا

ولقدْ وجدْتك إماماً حكيماً، وفيلسوفاً عليماً، تقدرُ الأعمالَ حقَّ قدْرِها، وتضعُ الأشياء فى مواضعها، متسابقاً إلى نشر العلوم والمعارف، فى المشارق والمغارب

يبقى الثّناء وتنفد الأموالُ ... ولكلِّ دهرٍ دوْلةٌ ورجالُ

ما نالَ محمدَةَ الرّجال وشكرَهُمْ ... إلا الصَّبورُ عليهم المفضالُ

فلذا أهديك كتابى (جواهر الادب — فى أدبيات لغة العرب) جمع فأوْعى منَ الآداب والحِكم، ماخلَتْ مِنهُ مفعمات الأسفار [1]. فهو بلاشك ولا مِرَا كلُّ الصَّيدِ فى جوف الفرا .

تزينُ مَعانيهِ ألفاظُه ... وألفاظه زَائناتُ المعانى

على أنّي — وإنْ تطفّلتُ عليك، ووضعتُ كتابى هذا بين يديك — فقد ولجتُ الأمورَ من الأبواب، وأصبتُ كبدَ الصّواب، حيثُ يعْرف الفضل منَ الناس ذوُوه . ويتقبّله بقَبول حسنٍ عالموه .

شكراً وحمداً إنْ قبلتَ هديّتي ... وجعلت لى فضلاً على أقرانى

فتنازلك بقبوله يكونُ الإقبالُ عليه جليلاً، ويعجز لسانى عن أن أشكرك شكراً جزيلاً — والسلام

(١) الكتب الكبيرة

(الفصل الثالث فى رسائل الهدايا)

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى المرحوم (سعد باشا) زغلول يهديه كتابه)
« جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب »

مولاى : أطالَ اللهُ بقاءَكَ فى أهنأ عيشةٍ وأرغدِها . وأتمّ نعمةٍ وأسعدِها وأعمّ عافيةٍ وأزيدِها . وأولاك من الآلاءِ بأمدّها مزيداً ، ومن السلامةِ بأسبلِها سِتراً ، ومن السُّرُور بأوفره حظا ، ومنَ العزّ بأشدّهِ رُكناً ، ومن العُمْرِ بأبعدِهِ مداً ، تولاك المولى بحفظهِ وحياطته ، وحرسك تحت جناح السلامةِ بكلاءته ورعايتهِ .

إنَّ اللهَ تعالى قدْ خصّكَ : بالعِزّ المنيع ، والشّرفِ الرفيع ، والخُلُقِ السَّنيّ والفخرِ البهيّ ، والرَّأيِ والحزم ، والبلاغةِ والفهم ، والبراعةِ والكمال ، والبذلِ والنوال ، والجود والإفضال ، والحمد والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهبِ الجميل والقدْرِ الجليل . فأنت (أدامَ الله كرامتك ، وأكرمَ حياطتك) معدِنُ الفضائل . وزَينُ المحافل . غياثُ اللاجيء إليك . وسندُ المعوّل عليك . لا يُجحدُ فضلكَ . ولا يُنسي ذِكْرُكَ . عَرفُك شائع . وجُودُكَ واسع . ومعروفكَ ذائع . وفضلك شامل ولُبُّك كامل . سِلْمٌ لأوليائك ، وحربٌ لأعدائك . سحائبُ كفيْك تُمطر دِيمَ الإنعام . وشآبيبُ يديك تفوق أفعال الكرام . زادكَ اللهُ أيها الرئيسُ عقلاً إلى عقلك . وفخراً إلى فخرِك . وفضلاً إلى فضلك . وطولاً إلى طوْلك . وسُؤْدداً إلى سُؤْددك . إنّه لطيف كريم

لمَّا رأيتك (أدام الله علوّكَ وتأييدكَ . وأجزلَ من كلّ خيرٍ حظَّك وقسمك) تغني عن التوسل اليك بكريمِ أخلاقك . وشريف أعراقك . جعلتُ كرمك ذريعتي اليك. لما دلّني من فضلك عليك. وكفى بهِ عن اللبيبِ شاهداً . وإلى الكريم قائداً . فأطمعني فيك ما رأيتُ من جودِك وسماحتكَ . وحُسنِ بشرِك وطلاقتك . ولئن أملتك عندَ الشدائد ، ودفعتُ بك صولةَ النوائب ورجوتك لكشف الملمات، والحوادث الطارقات ، واستغثتُ بسيبك وجدواك على غير شافع، أطمعُ في شفاعته اليك. أو متوسّل في مالديك. فإني أقول كما قال الشاعر

من غير ما سببٍ يُدني كفي سبباً   للحرّ أنْ يجتدي حرًّا بلا سببِ

ولما كانت الوسيلة إلى السادات . وأهل الأخطار والمروءات . إنما هي وكيد حُرمة ، أو قديم خدمة . وكنتُ صفراً من ذلك كُلّه ، غيرَ داخل في جُملة أهله توسّلتُ بكتابي «جواهر الأدب ـ في أدبيّات لُغة العرب» إذ كان المتوسّل بها على ثقة ممّنْ عرَف قدرها . لأن الآداب عند ذوي الكرم ، أعطفُ من صلة الرَّحم . وهو سببٌ بين الكِرام موصُول ، ينزعون اليه ، وحقٌّ يتعاطفونَ عليه وفيه قال الشاعر

أدَبٌ بيننا تولّد منه   نسبٌ والأديبُ صنوُ الأديب

وقال الآخر

حقّ الاديب وإنْ لَمْ يُدنه نَسبٌ   فَرْضٌ على كلّ مَنْ أمسي لهُ أدبُ

وقد ضمنتُ كتابي هذا من الآداب أظرفها ، ومنَ الأشعار أفضلها وأجملها وجعلتُه سَبباً أمتُّ به اليك، وهديّة أضعُها بين يديك. فتنازَل دولتكم بشرف القبُول ، يكون غايةَ مطلوبي : ونهايةَ المأمول .

(الفصل الرابع فى رسائل الاستعطاف والاعتذار)

(كتب أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

الكريم اذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، واذا أسر أعتق. قد هربت منك إليك ، واستعنت بعفوك عليك. فأذقني حلاوة رضاك عني ، كما أذقتني مرارة انتقامك مني . الحر كريم الظفر . اذا نال أقال [١] . واللئيم اذا نال استطال [٢] . قد هابك من استتر . ولم يذنب من اعتذر . تكلف الاعتذار بلا زلة [٣] . كتكلف الدواء بلا علة . مولاى يوجب الصفح عند الزلة [٤] كما يلتزم البذل عند الخلة [٥] مولاى يوليني صفيحة [٦] صفحه ، و يؤتيني العفو من عفوه . زللت وقد يزل العالم الذى لا أساويه . وعثرت وقد يعثر الجواد الذى لا اجاريه . لا تضيقن عني سعة خلقك . ولا تكدرن على صفو ودك . مالي ذنب يضيق عنه عفوك ولا جرم يتجافى تجاوزك وصفحك : والسلام

« و كتب عبدالله بن معاوية المتوفى سنة ١٣٢ هـ الى أبى مسلم »

من الأسير فى يديه ، بلا ذنب إليه ، ولا خلاف عليه . (أما بعد) فقد أتاك الله حفظ الوصية . و منحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية . فانك مستودع الودائع ، ومولي الصنائع . فاحفظ ودائعك ، بحسن صنائعك . فالودائع عارية ، والصنائع مرعية ، وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ، ولا بمبلوغ مداها ، فنبه للتفكير قلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هو تحتك ، ما تحب أن يعطيك من هو فوقك ـ من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة . فقد أنعم الله عليك ، بأن فوض

---

(١) ترك (٢) تملك وتمسك (٣) بالفتح السقطة (٤) بالفتح الغلطة (٥) بفتح الخاء الحاجة والفقر (٦) صفيحه ـ عريض . أى عظيم صفحه

أمرنا اليك. فاعرِف لنا لِين شكرِ المودّة، واغتفار مسّ الشدّة، والرّضا بما رضيت والقناعة بما هويت. فإنّ علينا من سمْكِ الحديد وثقله أذًى شديداً، مع معالجة الاغلال، وقلّة رحمة العمّال، الذين تسهيلهم الغلظة، وتيسيرهم ألفظاظة، وايرادهم علينا الغموم، وتوجيههم الينا الهموم. زيارتهم الحراسة، وبشارتهم الإياسة! فإليك (بعد الله) نرفعُ كرْبةَ الشكوى، ونشكو شدّة البلوى. فمتى تملْ الينا طرفاً، وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً، وودّاً صحيحاً، لا يضيّع مثلك مثله، ولا ينفي مثلك أهله فارع حرمةَ من أدركتَ بحرمته، واعرف حُجةَ من فلجت بحجّته[1] فانّ النّاس من حوضك رواء. ونحنُ منهُ ظماءٌ. يمشون فى الأبراد، ونحنُ نحجلُ فى الأقياد بعد الخير والسَّعة، والخفْض والدعة، والله المُستعان. وعليهِ التكلان.

« وكتب بدر الدين محمد بن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٩٩ ه »

رفقًا بمَنْ ملك الوجدُ قياده، وعطفًا على منْ أذابَ الشّوقُ فؤاده، متيّم[2] أقلقهَ فرط صدُودكَ، ومُغرمٌ أغراه بحبّك قولُ حسُودكَ، وسقيم لاشفاءَ لهُ دُونَ مَزاركَ، ومُقيمٌ على عهدكَ ولوْ طالتْ مُدّةَ نفاركَ. إلى مَ هذا التّنائي[3] والنّفور؟! وعلامَ ياذا القدّ العادل تجور؟! لقدْ تضاعَفَ الأسفُ والاسى وتطاولَ التعلّل بعلَّ — وعسى.

هبنى تخطيتُ إلى زلَّةٌ ... ولم أكُنْ أذْنبتُ فيما مضي

أليسَ لي من بعدها حرمةٌ؟ ... توجب لي منكَ جميلَ الرّضا!

ولست ألوذ إلاّ بباب نعَمك، ولا أعتمد فى محوِ الاساءَة الا على حلمك وكرمك. وما جلّ[4] ذنبٌ يضافُ إلى صفْحك، ولا عظُمجرمٌ[5] يسند الي عفوك. ومثلك من يقيلُ العثَراتِ، ويتجاوزُ عن الهفوات.

(١) فلج بحجته — أثبتها (٢) مستعبد ذليل (٣) التباعد (٤) ماعظم (٥) ذنب

وكُنت أظنُّ أنَّ جبال رضوَى (١) تزولُ وأنَّ وُدَّكَ لا يزول
ولكنَّ القلوبَ لها انقلابٌ وحالاتُ ابن آدم تَستحيل

طالما آنستَني بقربك، ودَنوتَ مِنّى مغارِ قاظباءَ سِربك، وأنجزتَ وعودى وأطلعتَ نجومُ سعودي.

وكنتُ إذا ما جئت أدنيت مجلسى ووجهكَ من ماءِ البشاشةِ يقطرُ
فمَن لىَ بالعين التى كُنْتَ مرّةً الىَّ بها فى سالف الدّهر تنظر

قيّدت أملى عن سواك، وبهرتَ ناظرى بنظرة سَناك (٢). وكسرت جيش قرارى، وتركتني لا أُفرّقُ بين ليلى ونهارى، أحُومُ حولَ الدّيار، وأعُومُ فى بحر الأفكار، وأتمسك بعطفِ عطفك، وأتعلّق بأذيال مكارمك ولُطفك، أماَ علمتَ أنَّ الكريمَ إذا قدر غفر؟ وإذا صدرتْ من عبده زَلّة أسبلَ عليها رِداء العفو وستر؟ وأنَّ شفيعَ المُذْنب اقرارُه؟ ورفض خطيئته عند مولاه استغفارُه؟

ومن كانَ ذا عُذرٍ لديكَ وحُجّةٍ فعذرىَ إقرارى بأنْ ليس لى عذرُ

لهفي على عيش بسُلاَف (٣) حديثك سَلفا وأوقاتٍ حَلتْ، ثم خلَت وأورثت التّلف اوآهًا لايامٍ بطيب أُنسك مضت اوبرُوقِ ليالٍ لولا قُربك ما أومضت (٤)

قد كنتُ أعرِفُ فى الهوى مقدارها رحلَتْ وبالأسف المبرّح عوّضت
كيف السبيلُ إلى إعادة مثلها وهِيَ التى بالبُعدِ قلبي أمرضت

فَجُدْ بالتّدانى، واسمح بنيل الأمانى، وألِنْ قلبك القاسي، وعُدْ عن التّنائي والتّناسي، وارْعَ الوُدّ القديم، وأبدلْ شقاءَ مُحبّك بالنّعيم، ولاَ تَعْدِلْ عن منهاج

(١) جبل بالمدينة (٢) ضوئك (٣) الخمر (٤) مالمعت

المَعدَلة ، وسلّم فقد أخذَتْ حقها المسئلة ، وأغمدْ سيفَ حَيف (١) صيّرتَه مسلولاً وَأوْفِ بالْعَهْدَ ان ّالعهدَ كانَ مسئولاً .

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

ليسَ عندى (أعزّكَ الله)سببٌ،ولا أقدرُ على شفيعٍ ، الاّ ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة ، والتأميل الذى لا يكُونُ الاّ من نَتاجِ حُسنِ الظّن ، وإثبات الفَضل بحال المأمُول،وأرجو أن أكونَ من الشاكرين، فتكون خيرَ مُعتب (٢) وأكونَ أفضل شاكر . ولَعلّ الله يجعلُ هذا الأمرَ سبباً لهذا الانعام ، وهذا الانعام سبباً للانقطاع اليكم ، والسكون تحت أجنحتكم ، (٣) فيكونَ لاأعظم بركةً ولَا أنمى بقيَّةً من ذَنبٍ أصبحتُ فيه ،وبمثلكَ (جُعلتُ فِدَاكَ) عَادالذّنبُ وسيلةً والسّيئة حسنةً . ومثلك من انقلبَ به الشرُّ خيراً ، والغُرم (٤) غُنما (٥) .

من عاقب فقد أخذحظّه،وانما الأجرُ فى الآخرة،وطيبُ الذّكرفى الدُّنيا،على قدر الاحتمال،وتجرُّع المرَائر . وأرجو أن لا أضيعَ (وَأهلكَ) فيما بَيْنَ كرَمك وعقلك وَما أكثر من يعفوعمّن صغُرَ ذَنبهُ، وعظُمَ حقّهُ . وإنّما الفضلُ والثناءُ العفوُ عن عظيم الجرم،ضعيف الحُرْمة ، وَان كانَ العَفوُ العظيم مُستطرفاً(٦) من غيركم فهو تِلَادٌ(٧) فيكم ،حتى رُبّما دَعا ذلك كثيراً من النّاس الى مُخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تَنكلون ، (٨) وَلا على سالف إحسانكم تَندَمُون ، ولا مَثلكم الاّ كمثل عيسى ابن مريم ،حين كان لا يمرُّ بملأ من بنى اسرائيل الاّ أسمعُوه شراً ، وأسمعُهم خيراً ،فقال لهُ (شمعُون الصّفا): ما رأيتُ كاليوم ! كلّما أسمعوك شرا ، أسمعتهم

---

(١) الجور (٢) مسر بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم اداؤه (٥) الغنيمة (٦) مستحدثا (٧) المال القديم (٨) تجنبون

خيراً ! فقال : « كلُّ امريءٍ يُنفقُ مما عندهُ » وليس عندكم إلاَّ الخيرُ ، ولا فى أوْعيتكم الاَّ الرَّحمة . وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيه ينضحُ .

(وكتب ابن مكرّم الى بعض الرُّؤساء)

نَبَتْ (١) بى غرَّةُ الحداثة ، فردَّتني إليك التجربة ، وقادتني الضرُورَة ، ثقةً بإسراعك إليّ ، وإنْ أبطأتُ عنك ، وقبولك لعذرِى وإنْ قصّرتُ عن واجبك . وان كانت ذُنوبى سدّت على مسالك الصّفحِ عنّى ، فراجعْ فى مجدك وسؤْدَدك . (٢) وإنّي لا أعرفُ موقفاً أذلّ من موقفي ، لوْلاَ ان المخاطبةَ فيه لك . ولا خطَّةَ أدنأ من خطّتي ، لوْلا أنها فى طلب رضاك ـ والسلام .

« وكتب أبو بكر الخُوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠ ﻫ »

لو بغير الماءِ حلقِي شرقٌ   كنتُ كالغصّان بالماءِ اعتصارى

كيف يقدرُ (أبقي الله السيّدَ) على الدّوام ؟ من لاَ يهتدى الي أوْجُهِ الدّاءِ وكيفَ يُداري اعداءَه ؟ من لاَ يعرِف الأصدقاءَ من الأعداء ! وكيف يعالج علّة القرْحة العمياء ؟ أم كيف يسري بلا دليل فى الظّلماء ؟ ! أم كيف يخرُجُ الهارب من بين الأرْضِ والسماءِ ؟ ! الكريم اذا قدَرَ غفر . واذا أوثقَ أطلقَ . واذا أسرَ أعتقَ ولقدْ هربتُ من السيد اليه . وتسلّحت (٣) بعفوه عليه . وألقيتُ رِبقَةَ (٤) حياتى ومماتى بيديه . فليْذقْني حلاوَةَ رضاهُ عنّي . كما أذاقنى مرارَةَ انتقامه منّي . ولتلحْ (٥) على حالي غرّةُ عفوه . كما لاحتْ عليها مواسمُ (٦) غضبهِ وسطْوه ، وليْعلم أنّ الحر كريمُ الظفَرِ . اذا نالَ أقال . وأن اللّئيمَ لئيمُ الظفر . اذا نال استطال . وليْغنم التّجاوُزَ عن عثرَاتِ الاحرَارِ . وليَنتهزْ (٧) فُرَص الاقتدار . وليحمْدِ الله

---

(١) ابعدتنى (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التي يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات (٧) يغتنم

الذي أقامهُ مقامَ من يُرتجى ويخشى، وركَّبَ نصابه في رتبةٍ شاب الزمانُ ومجدُها فتيّ، وأخلقَ العالمُ وذِكرُها طريّ. وليعتقدْ انه قد هابهُ من استتر، ولم يذنب اليه من اعتذرْ. وأن من رُدَّ عليه عذرُه، فقد أُخرجَ الى الشجاعة بعد الجبن وأخرجَ ذنبهُ إلى صحن اليقين من سُترة الظنّ. وفقَ اللهُ السيّدَ لما يحفظ عليه قلوبَ أوليائه، وعصمه ممَّا يزيدُ بهِ في عددَ جماجم أعدائه.

« وكتب بعضهم الى رئيسه »

وجدتُ استصغارَك لعظيم ذنبي أعظمَ بقدر تجاوُزك عني. ولعمري ماجلّ ذنبٌ يُقاسُ إلي فضلك، ولا عظمَ جُرمٌ يُضافُ إلى صفحك، ويُعولُ فيه على كرَم عفوك. وان كان قد وسعه حلمك، فأصبح جليلهُ عندك محتقراً، وعظيمه لديك مستصغراً، أنه عندي لفي أقبح صُور الذنوب، وأعلى رُتب العُيوب. غير أنهُ لولا بوادر (١) السُّفهاء، لم تُعرَفْ فضائل الحلماء، ولولا ظُهور نقص بعض الأتباع، لم يَبن جمال الرُّؤساء. ولولا المام الملمّين بالذّنب، لبطل تطوُّل المتطوّلين بالصفح. واني لأرجو أن يمنحكَ الله السلامةَ بطلبك لها، ويُقيلك العثرات باقالتك أهلها. وما علمت اني وَقفتُ منك على نِعمة أتدَبرُها، الاّ وجدتّها تشتمل على فائدة فضل، تتبعها عائدةُ عَقل.

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

بمَ يعتذِرُ اليك منْ لا يَرى لنفسهِ عذراً ؟! وكيفَ يستتر مِنْ عَتبك مَن لا يستطيعُ لذَنبه سَتراً ؟ ! بل كفاني من العتب : تعنيف نفسي على ما ألقيت عليها من تَبِعَةِ تقصيري. وما حُلتُ بهِ من التفريط بينها وبين معاذيري، واللهُ يعلم ما كان

(١) جمع بادرة الحدة عند الغضب

تقصيري شيئًا أردته. ولا كان تفريطي أمراً قصدته. ولكنها الأيام! إن صاحبتها لم تصحب. وإن عاتبتها لم تعتب. فلقد عبرت بى هذه البرهة كلها، وأنا بين شواغل لا يشغلها عني شاغل، وبلابل (١) قد اختلط حابلها بالنابل، فتنازعتها هذه النهزة (٢) اليسيرة، أجدد فيها التذكرة، إلي أن يمن الله بصلة الحبل واجتماع الشمل. وأستنزل أحرفًا من خطك يكتحل بها الناظر، ويأنس إليها الخاطر، متوقعًا بعد ذلك أن أبقي بين يدى مودتك مذكوراً. وإلا يكون عجزى لديك شيئًا منظوراً. وان يجري بى على عادة حلمك، الى أن يجمع الله الشتيتين، ويغني العين (٣) عن الأثر بالعين (٤). ان شاء الله تعالى — والسلام.

(وكتب أيضاً)

وافاني كتابك العزيز « والنفس نازعة (٥) الي ما يزيل نفارها، والقريحة (٦) تائقة (٧) الى مايشحذ (٨) غرارها (٩). فكان روضة باسمة (١٠) الكمائم (١١) فاتحة النسائم. قد ردت على النفس انبساطها، وأحيت البادرة فاستأنفت نشاطها فأنا منه ما بين وشي (١٢) يخجل طراز العبقرية، (١٣) وزخرف (١٤) دونه نضرة (١٥) السابرية (١٦) تناجيني منه رشاقة (١٧) ألفاظ تفضح قدود (١٨) الحسان، وعضاضة (١٩) أنفاس يغار منها ورد الجنان، ورقة خطاب يشف (٢٠)

---

(١) هموم والحابل قيل ناصب الحبالة للصيد وقيل سدي الثوب — والنابل قيل صاحب النبال وقيل لحمة الثوب وأصل المثل « اختلط الحابل بالنابل » وهو مثل يضرب فى ارتباك الامر (٢) بضم النون للفرصة (٣) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقة (٦) الملكة التى يقتدر بها على استنباط العلم بحدة الطبع (٧) مشتاقة (٨) يحده وأصله لحد السكين (٩) بكسر الغين والمراد ان الملكة مشتاقة الى مايجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) ثياب تبلغ الغاية فى الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رقيقة جيدة وأصلها للدروع السابرية نسبة الى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخا (١٧) لطافة (١٨) جمع قد القامة (١٩) الحسن (٢٠) يحكى

عن ودٍّ صفيٍّ ، ولطف خفيٍّ ، (١) وكرمٍ وفيٍّ ، وعتبٍ أعذبَ من الماءِ القَراحِ (٢) وأرقّ من نسماتِ الصبا فى الصباح . حتى لقد حببَ الىَّ تقصيري ، وشفعَ عند نفسى فى قبول معاذيري . على أنَّ ماعندي من الولاءِ لا يعتريه (معاذ الله) وَهن، (٣) ولا يُخلقه (٤) تمادي زمن ، أو ترامي وطن . ولكن صُروفَ الأحداث (٥) قد قصَّرت الجُهد، (٦) وصرفت جواد العزيمة عن القصد . والله يعلم أنّي لوْ نزلت على حكم نوازل الدّهر ، ولم أدافع طلائعها بما بقي من ساقة (٧) الصّبر ،لما كان فى همتّي إلا كسرُ اليراع ، (٨) وهجرُ المحابرِ والرّقاع (٩) وحسبي من العذر ما أعرفه من حلمك المألوف ، وما ألفتهُ من كرمكَ المعروف .

والله أسأل أن يُبقيك لى من الدّهر نصيباً ، ويمتّعني بلقائك قريباً بمنّه وكرمه

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

أما بعدُ. فنعمَ البَديلُ من الزلَّة الاعتذار. وبئسَ العِوَضُ من التوبة الإصرارُ فانهُ لا عوَضَ من إخائك ، ولا خلفَ من حُسن رأيك . وقد انتقمتَ مني فى زلّتي بجفائك، فأطلِق أسيرَ تشوُّقي إلى لقائك . فأنّني بمعرفتي بمبلغ حلمك، وغاية عفوك ، ضَمنتُ لنفسي العفوَ من زلّتها عندكَ ، وقد مسّني من الألم ما لم يشفِه غير مواصلتك .

(وكتبت زبيدة أزوجة الرّشيد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ الى المأمون)

كلُّ ذنبٍ (يا أمير المؤمنين) وان عظمَ صغير فى جنب عفوك، وكل إساءة وإن

---

(١) ظاهر ؛ هو من الاضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لا يبليه (٥) كلاهما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاع بكسر الراء مفرده رقعة وبضمها القطعة من الورق التي تكتب

جلّت يسيرةً لدى حلمك. وذلك الذي عوّدكَه الله أطال مدّتك ، وتمّم نعمتك وأدام بك الخير ، ودفعَ عنك الشّر والضير .

وبعد : فهذه رُقعة الوَلْهي (التي ترجُوكَ في الحياةِ لنوائبِ الدهر ، وفي الممات لجميل الذكر) فان رَأيتَ أن ترْحمَ ضعفِي واستكانَتي ، وقلّةَ حِيلتِي ، وأن تصل رَحِمي ، وتحتسبَ فيما جعلك الله له طالباً ، وفيهِ راغباً — فافعل — وتذكر مَنْ لو كان حيّاً لكان شفيعي اليك .

(وكتب اليها المأمون جواب المُواساة الآتى)

وَصلَت رُقعتكِ يا أماه (أحاطك الله وتولّاك بالرعاية) (١) ووقفتُ عليها وَساءني (يشهد الله (٢)) جميع ما أوْضحْت فيها . لكنّ الأَقدار نافذة (٣) والاحكام جارِية . والأُمور متصرِّفة . والمخلوقونَ في قبضتها ، لا يقدرون على دفاعها (٤) . والدُّنيا كلها الى شتات (٥) وكل حيّ الى ممات . والغدر والبغي حتف الانسان (٦) والمكر راجع الى صاحبه .

وَقد أمرتُ بردّ جميع ما أخذ لك . ولم تفقدي ممّن مضى الى رحمة الله الا وَجهه . وأنا بعد ذلك لك على أكثرَ مما تختارين (٧) والسلام .

(وكتب بعضهم)

إنّي وإن جَنيْتُ على نفسي ، وخرجتُ عنْ حدّ الأدب ، فيما يجب على العبد لسيِّده — فاني عبدُ نعمتك وصَنيع إحسانك . وذَنبي وان عظُم ، وضاقَ باب التّوبة عن قبول المعذرة ، فالعفوُ عنهُ بعضُ حسناتِك ، التي فُطِرت عليها . والاغضاء عنّي

---

(١) يعني حفظك الله وصانك برعايته (٢) جملة معترضة يقصد بها تأكيد ما يقول (٣) يعني ما قدره الله لا بد أن يكون (٤) يعني أن المخلوقات مستسلمة لاحكام الله وأقداره (٥) مآلها التفرق (٦) يعني أن البغي فيه هلاك الباغي (٧) يعني أقوم لك بجميع ما تحبين وزيادة

سرٌّ من أسرارك التي تميل اليها ،فاجعل العفوَ عنّى قُربةً ألى مولى الموالى ، واترك العبدَ عتيق مكارم الأخلاق . والاّ فضع سيفَ نقمتك، فى نحر عبد نعمتك وأنتَ حِلٌّ من دمٍ أراقه أهله ، أو آلَ أمرُه الى وارثٍ لا يسعهُ الا النُّزولُ عن المُطالبةِ به . ألا وهو مقامُ جلالتكم السّامى

وحاشاك أنْ تُعدمَ الصّادقَ فى خدمتِك بهفوةٍ لم يقصِدها ، وذنبٍ أقلعَ عنهُ وعلى كلٍّ فالعبدُ بين يديك ، وأمرُه منكَ واليك. فقد ألقى اليك مقاليد الأجل . فافعل ما تشاء ، واتقِ الله عزَّ وجلّ

استعطاف أم جعفر [1] بن يحيي الرشيدَ لاجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أرضعت الرشيد مع جعفر [2] وربّته فى حِجرها وغذّته برِسْلها [3] وكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها ، والتبرك برأيها. وكان آلى وهو فى كَفَالتها أن لا يحجُبَها، ولا استشفعته لأحد إلا شفَّعها .وآلت أم جعفر أنْ لا دخلت عليه إلا مأذونًا لها. ولا شَفَعت لأحد مقترف ذنباً. فكم أسيرٍ فكّتْ، ومُبهم عنده فتحت ومُستغلَق [4] منه فرّجت. ولما قتل ابنها جعفراً وحبس يحيي زوجها وسائرَ أهل بيته طلبت الإذن عليه، ومتّت [5] بوسائلها اليه، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها

---

(١) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة ، وذكر الطبري أن اسمها زينب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن اسمها عتابة وكذا صاحب نجباء الأبناء ، وذكر بعضهم أن اسمها عبادة والله أعلم . (٢) كذا ذكر صاحب العقد ، وذكر الطبري أنها أرضعته مع الفضل ويؤيده قول سليمان الأعمي يرثى جعفراً ويستعطف الرشيد للفضل :

أمين الله في الفضل بن يحيي رضيعك والرضيع له ذمام

(٣) الرسل : اللبن . (٤) المستغلق : المغلق . (٥) مت اليه : توسل بقرابة أو نحوها

فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، محتفية فى مشيتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال: ظئر[1] أمير المؤمنين بالباب، فى حالة تقلب شماتة الحاسد، إلى شفقة أم الواحد. فقال الرشيد: ويحك يا عبد الملك. أوَ ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، حافية. قال: أدخلها يا عبد الملك فرب كبد غذتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها. فدخلت فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم أجلسها معه. فقالت: يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان؟ ويجفونا خوفاً لك الأعوان؟ ويحردك[2] علينا البهتان، وقد ربيتك فى حجرى، وأخذت برضاعك الأمان من عدوّي ودهرى؟! فقال لها: وما ذلك يا أمّ الرشيد؟ قالت: ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرّضه للحتف فى شأن موسى أخيه[3]. فقال لها: يا أم الرشيد أمر سبق، وقضاء حم[4] وغضب من الله نفذ. قالت: يا أمير المؤمنين «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[5]». قال: صدقت، فهذا مما لم يمحه الله. فقالت: الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق الرشيد مليًّا ثم قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع[6]

فقالت بغير روية: ما أنا ليحيي بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

---

(١) الظئر: المرضعة. (٢) أحرده: أغضبه وحرد هو. (٣) تشير الى ما كان أراد الهادى وهو موسى بن المهدى من حرمان أخيه الرشيد الخلافة من بعده ونقلها الى ولده واحتيال يحيي بن خالد فى رد الهادي عن عزمه باذلا فى ذلك جهده. (٤) حم الأمر: قضى ونفذ. (٥) أم الكتاب أصله أو اللوح المحفوظ. (٦) التميمة: ما يعلق للأولاد من كتابة أو غيرها دفعاً للعين أو للمرض.

حذا بعد قول الله عزوجل « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» فأطرق ملياً ثم قال : يا أمّ الرشيد أقول

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت : يا أمير المؤمنين وأقول

ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى يمينك فانظر أى كف تبدّل [1]

قال هارون : رضيتُ . قالت : فهبه لى يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ترك شيئا لله لم يوجده [2] الله لفقده » فأكبّ هارون ملياً ثم رفع رأسه يقول« لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ » قالت : يا أمير المؤمنين «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم» واذكر يا أمير المؤمنين أليّتك [3] : ما استشفعتُ إلا شفّعتني . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنبا . فلما رأته صرّح بمنعها ،ولاذ [4] عن مطلبها ،أخرجت حقّا من زمرّذة [5] خضراء فوضعته بين يديه . فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلا من ذهب ،فأخرجت منه خفضه وذوائبه وثناياه قد غمست جميع ذلك فى المسك فقالت : يا أمير المؤمنين أستشفع اليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيّب جوارحك ليحيي عبدك . فأخذ هارون ذلك فلثمه ثم استعبر [6] وبكي بكاء شديدا وبكي أهل المجلس . فلما أفاق رمي جميع ذلك فى الحُقّ وقال لها : لحسنٌ ما [7] حفظت الوديعة .فقالت : وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين. فسكت وأقفل الحُق ودفعه اليها . وقال :« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» قالت : والله يقول : « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

---

(١) البيتان من قصيدة معن بن أوس الآتية فى باب العتاب . (٢) أوجده : أحزنه . (٣) الالية : الحلف. (٤) لاذ يلوذ : راغ وانحرف. (٥) الزمرذ والزمرد : من الاحجار النفيسة. (٦) استعبر : جرت عبرته وهي الدمعة قبل أن تفيض . (٧) ما مصدرية.

بالعدل ». ويقول : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم »قال : وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت : أو ما أقسمت لى أن لا تحجبني ولا تمتهنني (١) ؟ قال : احب يا أم الرشيد أن تشتريه محكمة (٢) فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمن لم يسخطك . قال يا أم الرشيد أمالى عليك من الحق مثل الذى لهم؟ قالت : بلى ياأمير المؤمنين انت أعز على ،وهم أحب إلىَّ . قال : فتحكمي فى تمنية (٣) بغيرهم . قالت : كلا . قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه وبقي مبهوتا مايحير (٤) لفظة .

قال سهل بن هرون : وخرجت فلم تعد ، ولا والله ما رأيت لها عبرة ، ولا سمعت لها أنة .

استعطاف ابراهيم (٥) بن المهدى للمأمون

أمر المأمون بابراهيم بن المهدي فأدخل عليه فلما وقف بين يديه قال هيه (٦) يا ابراهيم فقال : يا أمير المؤمنين ولي الثار محكم فى القصاص « والعفو أقرب للتقوى » ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقدجعلك الله فوق كلّ ذي ذنب، كماجعل كلَّ ذي ذنب دونك فان أخذت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك . ثم قال :

ذنبي إليك عظيمٌ وأنت أعظمُ منه

---

(١) امتهنه : ابتذله وأهانه . (٢) يقول : أحب أن تطلبي ما تشائين ازاء هذا القسم .
(٣) التمنية والأمنية والمنية: بمعنى واحد . (٤) يقال : هو لا يحير جوابا أي لا يرد .
(٥) كان ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد لأبيه قد ادعى الخلافة بعيد قتل الأمين وقبيل عودة المأمون من خراسان الى بغداد وأعانه علي ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فاختفي حتي ظفر به المأمون . وكان ابراهيم بارعا فى الأدب حسن الغناء جيد الشعر توفى سنة ٢٢٤ ه فى خلافة ابن أخيه المعتصم . (٦) هيه مثل أيه للاستزادة أو للاستنطاق فهي اسم فعل .

فخـذ بحقك أولا فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن فى فعالى من الكرام فكنه

فقال المامون : شاورت أبا إسحاق (١) والعبّاس فى قتلك فأشارا به . فقال فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال المأمون : قلتُ لهما نبدؤه بإحسان ، ونستأمره (٢) فيه ، فإنْ غيّر . فالله يُغيّر مَا بهِ . قال : إمّا أنْ يكونا قد نصحا فى عظيم بما جرتْ عليه السّياسة ، فقد فعلا وبلغَا مايلزمُهما وهو الرأيُ السّديدُ ، ولكنّك أبيت أن تستجلب النّصر إلاّ من حيثُ عوّدك الله ، ثم استعبرَ باكيًا فقال له المأمون : مايُبْكيك؟ قال : جذَلًا اذ كان ذنبي إلى من هـذه صفته فى الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جُرمى استحلالَ دمى فحلم أمير المؤمنين وفضله يبلّغانى عفْوه ، ولى بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب، وحقّ الأبوّة بعد الأب فقال المأمون : يا ابراهيم لقد حُبّبَ إلىّ العفوُ حتى خفتُ أن لا أوجر عليـه . أما لو علم الناس مالنا فى العفو من اللّذة لتقرّبوا الينا بالجنايات . لاتثْريب (٣) عليك . يغفر الله لك. ولو لم يكن فى حقّ نسبك مايُبلّغ الصفح عن جُرمك لبلّغك ما أمّلت حسنُ تنصّلك، ولُطْف توصّلك ثم أمر بردّ ضياعه وأمواله . فقال ابراهيم :

رددْت مالى ولم تبخل علىّ به وقبل ردّك مالى قد حقنْتَ دمى (٤)
وقام عِلْمك بى فاحتجَّ عندك لى مقامَ شاهد عدل غيرِ متّهم
فلو بذلتُ دمى أبغى رضاك به والمال حتي أسلّ النعل من قدمى
ماكان ذاك سوي عارِيّة سلفت لولم تهبْها لكنتَ اليوم لم تُلَم

(١) أبو اسحاق هو المعتصم بن الرشيد. والعباس هو بن المأمون ولقد أحسن ابراهيم في تصويب رأيهما لأن ذلك أنجع فى طلب الرضا وا بلغ فى دفع المكروه من الازدراء عليهما فى رايهما . (٢) اصل الاستئمار : المشاورة، والمراد هنا التجربة (٣) التثريب : اللوم والتعيير بالذنب. (٤) حقن الدم : صانه.

استعطاف اسحاق بن العباس للمأمون

قال المأمون لاسحاق بن العباس : لا تحسبنّي أغفلت أمر ابن المهدي وتأييدك له ، وإيقادك لناره . فقال : والله يا أمير المؤمنين لأجرام قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جُرْمي إليك ، ولرحمى بك أمتن من أرحامهم ، وقد قال لهم كما قال يوسف (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) لاخوته : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » وانت ياأمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة في الطوّل ، ومُمتَثِلٌ [1] لحلال العفو والفضل .

قال هيهات : تلك أجرام جاهليّة عفا عنها الاسلام وجُرمك جُرم فى إسلامك وفى دار خلافتك .

قال : ياامير المؤمنين فوالله لَلمُسلم أحق باقالة العثْرة وغفْران الذنب من الكافر وهذا كتاب الله بيني وبينك إذ يقول : « سارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعِدَّت للمتقين الذين ينفقون فى السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » والناس ياامير المؤمنين نِسْبةٌ دخل فيها المسلم والكافر ، والشريف والمشروف

قال : صدقت ، ورَتْ [2] بك زِنادي ولا برِحْت أري من اهلك أمثالك .

---

(١) امتثل طريقته : تبعها فلم يعدها. (٢) ورت بك زنادى، ووقدت بك زنادى : مثلان يقالان لمن أنجدك أو أرشدك . والمراد بهما الدعاء

استعطاف الفضل[1] بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل أكان من حقي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك ان تثلبني[2] وتسبني وتحرض على دمي؟! أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن عذري يحقدك اذا كان واضحا جميلا، فكيف إذا أخفته العيوب ! وقبحته الذنوب ! فلا يضيق عني من عفوك ما وسع غيري منك، فأنت كما قال الشاعر[3] فيك :

صفوح عن الأجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالى أن يكون به الأذي ... اذا ما الأذي لم يغش بالكره مسلما

استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسي[4] قد خرج بشاطيء الفرات واجتمع اليه كثير من الأعراب فعظم أمره، وبعد ذكره، ثم ظفر به وحمل موثقا إلى باب المعتصم. فقال أحمد بن أبي دواد : ما رأيت رجلا عاين الموت فما هاله[5] ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل، فانه لما مثل بين يدى المعتصم فأحضر

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشيد ثم وزيره بعد نكبة البرامكة ثم وزير الأمين فى خلافته . ويقال :انه هو الذى أوغر صدر الرشيد على البرامكة حسداً لهم على منزلتهم وفيه يقول أبو نواس :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

توفى الفضل سنة ٢٠٨ ه‍ . (٢) ثلبه : تنقصه وصرح بعيبه . قال الشاعر :

لا يحسن التعريض الا ثلبا

(٣) القائل : هو الحسن بن رجاء . (٤) سدوس : بطن من بنى شيبان ثم من بنى بكر

(٥) هاله : أفزعه .

السيف والنطع [١] ، وأوقف بينهما ، تأمله المعتصم (وكان جميلا وسيما) فأحبَّ أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره . فقال : تكلم يا تميم . فقال : أمَّا إذا أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . جبر بك صدع [٢] الدين ، ولمَّ بك شعث [٣] المسلمين ، وأوضح بك سبل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل . إن الذنوب تخرس الألسنة الفصيحة ، وتعيي الأفئدة الصحيحة . ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما الى أشبههما بك وأولاهما بكرمك . ثم قال (على البديهة) :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيثما أتلفت

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرىء مما قضى الله يفلت؟ [٤]

وأىُّ امرىء يأتي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت [٥]؟

وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء موقت

ولكنّ خلفى صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعي إليهم ... وقد خمشوا [٦] تلك الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا خافضين بغبطة ... أذود الردى عنهم وان متُّ موتوا [٧]

وكم قائلٍ لا يبعد الله روحه ... وآخر جذلان يسر ويشمت

فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل . قد وهبتك

---

(١) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يستقذره على الأرض.
(٢) الصدع : الشق في الحائط ونحوه . (٣) الشعث : انتشار الأمر والأشياء المتفرقة .
(٤) أفلت : تخلص ونجا . (٥) أصلت السيف : استله من غمده . (٦) خمش وجهه : لطمه وهو من بابي ضرب ونصر . (٧) موتوا : كثر فيهم الموت .

لصبية ، وغفرت لك الصَّبوة (١) . ثم آمر بفك قيوده وخلع (٢) عليه .

وكتب الجاحظ الى ابن الزيات يستعطفه قد تَنكَّر (٣) له وتَلَوَّن عليه .

أعاذك الله من سوء الغَضَب ، وعصمك من سَرَفِ (٤) الهوى ، وصرف ما أعارك من القوَّة إلى حب الانصاف ، ورَجَّح فى قلبك إيثار الأناة (٥) فقد خفت – أيدك الله – أن أكون عندك من المنسوبين الى نَزَق (٦) السُّفهاء ، ومجانبة سبل الحكماء بعد فقد قال عبد الرحمن (٧) بن حسان بن ثابت :

وان امرأ أمسَى واصبح سالما   من الناس إلا ماجني لسعيد

وقال الآخر . (٨)

ومن دعا النـاس إلى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

فان كنتُ اجْترأت عليك – اصلحك الله – فَلَمْ اجترىء إلّا لأن دوام تغافلك عني شبيه بالإهمال الذي يورث الإغفال ، والعفو المتتابع يؤمن من المكافأة لذلك قال عُيَيْنَةَ (٩) بن حصن بن حُذَيْفَةَ لعثمان رحمه الله: عمر كان خيرا لى منك رهبني فأتقاني (١٠) واعطاني فأغناني. فان كنت لأتهب عقابى – ايدك الله – لخدمة تهبه لأياديك عندي ، فان النِّعمة تشفع فى النقمة ، والا تَفْعل ذلك لذلك فعد الى حسن العادة ، وإلا فافعل ذلك لحسن الاحدوثة (١١) ، وإلا فأتِ ما انت اهله من العفو دون ما انا

---

(١) الصبوة : الزلة وجهلة الشباب .   (٢) خلع عليه خلعة : منحه بعض ثيابه وقد يراد به مطلق العطاء .   (٣) تنكر له : تغير .   (٤) السرف : مجاوزة الحد .   (٥) الأناءة : الحلم والوقار .   (٦) النزق : الخفة والطيش .   (٧) هكذا يقول الجاحظ وغيره ينسب البيت لحسان نفسه . راجع الأغاني .   (٨) من الناس من يروى هذا البيت فى جملة أبيات لكعب بن زهير ، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلي . راجع الأغاني .   (٩) هو سيد بني ذبيان فى صدر الاسلام وهو من سلالة حذيفة بن بدر الفزارى الذى كان السبب فى حرب داحس والغبراء .   (١٠) أتقاه : صيره تقياً .   (١١) الأحدوثة : الحديث والسيرة ، جمعها أحاديث .

أهله من استحقاق العقوبة ، فسبحان من جعلك تعفو عن المتعمّد وتتجافى [١] عن عقاب المصر [٢] حتى إذا صرت الى من هفوته ذِكْر [٣] ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكر إلا لك والإنعام إلا منك هجمْتَ عليه بالعقوبة . واعلم ــ أيدك الله ــ أن شيْن غضبك عليّ كزَيْن صفحك عنى ، وأن موت ذكري مع انقطاع سببي منك كحياة ذكري مع اتصال سببي بك [٤] . واعلم أن لك فطنة عليم وغفلة كريم والسلام .

استعطاف رجل من أهل الشام للمنصور

يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفي غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضّل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يُذْكَر فضْله ، وكظم الغيظ حِلم ، والتشفّي طرَفٌ من الجزَع ، ولم يمْدح أهل التقوي والنهى من كان حليما بشدة العقاب ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل. وبعد : فالمعاقب مستودِعٌ لعداوة أولياء المذنب [٥] والعافى مُستْرِعٍ لشكرهم آمن من مكافأتهم . ولأن يُثْنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بِضيقه ، على أن إقالتك عثراتِ عباد الله موجبة لإقالة عثرتك من ربهم وموصولة بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل : « خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

استعطاف رَوْح بن زِنباع لمعاوية

أراد معاوية معاقبة رَوْح بن زِنباع . فقال : يا أمير المؤمنين أنشُدُك الله تعالى

---

(١) تتجافى : تتباعد . (٢) أصر على الذنب : استمر . (٣) يقول : هفوته هي تذكر الهفوة أو جريها على لسانه (٤) التشبيه في هاتين الفقرتين من قبيل قولهم فى التفضيل : العسل أحلى من الخل . يقول : ان مقدار قبح الغضب كمقدار حسن الصفح وان مقدار موت الذكر عند الانقطاع مثل مقدار حياته عند الاتصال . (٥) الاولياء : الأهل والأقارب .

ألا تضع مني خسيسة أنت رفعتها أو تنقض مني مريرة [١] أنت أبرمتها [٢] أو تشمت بى عدوا أنت كبته [٣]، وحاسداً بك وقمته [٤]، وأسألك بالله إلا أربى حلمك على خطئى وصفحك على جهلى. فقال معاوية: اذا الله سنى [٥] عقد شيء تيسرا وعفا عنه

وقد ألم المتنبى بقول روح إذ يقول:

أزل حسد الحساد عنى بكبتهم ... فأنت الذي صيرتهم لى حسدا

إذا شد زندى حسن رأيك فى يدي ... ضربت بسيف يقطع الهام مغمدا

استعطاف ابن الرومي للقاسم [٦] بن عبيد الله

كتب ابن الرومي يستعطف القاسم بن عبيد الله:

ترفع عن ظلمى إن كنت بريئاً، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئا، فوالله إنى لأطلب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه، لتزداد تطولا [٧] وأزداد تذللا. وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها، وأسأل الله أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك، ومحلي من رجائك بحيث أستحق منك. والسلام.

---

(١) المريرة: الحبل الشديد الفتل. (٢) أبرم الحبل: أجاد فتله. والأمر: أحكمه. (٣) كبته: أذله وغاظه وصرعه لوجهه (٤) وقمه: قهره. (٥) سنى الشيء: فتحه وسهله وهذا شطر بيت وهو:

واعلم علماً ليس بالظن أنه ... اذا الله سني عقد شيء تيسرا

(٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبيته بيت وزارة وكتابة وأدب فقد كان وزيرا ابن وزير ابن وزير أما الكتابة فهو فيها معرق لأنه يرثها عن ثمانية آباء متعاقبين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وهو الذى دس لابن الرومي السم في الطعام خوفا من لسانه، توفى القاسم سنة ٢٩١ هـ وعمره نيف وثلاثون.

(٧) التطول الانعام.

وكتب اليه :

لو كان فى الصّمت موضع يَسعُ حالى لخَفّفْت عن سَمْع الوزير ونَظره، ولم أشْغَل وجهاً من فكره. وما زالت الشكوي تُعربُ عن لسان البَلوَي. ومن اختلّت حالتهُ كان فى الصّمت هَلَكَتهُ (١). وقد كانَ الصَّبر يَنصُرنى على ستر أمري حتّي خذَلنى.

استعطاف الخوارزمى

كَو بغير المَاء حَلْقِي شرق كنتُ كالغَصّان بالماءاعتصارِي (٢)

كيف يَقْدِر (أبقي الله السيد) على الدّواء، مَن لايهتدي إلى أوْجه الدّاء؟ وكيفَ يُدَاري أعداءَه مَن لايعرِفُ الأعداء من الاصدِقاء؟ أم كيف يَسري بلا دَليلٍ فى الظّلماء؟ أم كيف يَخْرُج الهاربُ مِن بين الأرض والسَّماء؟ الكريم (أيّد الله مولاى) اذا قَدَر غفرَ، وإذا أوْثق أطْلقَ، واذا أسَرَ أعتَق. ولقد هَرَبْت من الشيخ اليه، وتَسلّحتُ بعفوه عليه، وألقيْت رِبْقَة (٣) حياتِى ومماتى بيديه، فَليُذِقْنِي حَلاوَة رِضَاه عنّي كما أذاقنى مَرارة انتقامه منّي، ولْتَلُح (٤) على حَالِى غُرةُ (٥) عفوهِ كما لاحَتْ عليها موَاسِم (٦) غَضَبهِ وسَطْوِه، وليعلم أنَ الحُرّ كريم الظفَر اذا نال أقال، وأنّ اللئيم لئيم الظفَر إذا نال استطال (٧)، ولْيغْتنم

---

(١) الهلكة الهلاك (٢) الشرق بالماء كالغصة بالطعام والاعتصار معالجة الغصص بشرب الماء قليلا قليلا، والبيت لعدي بن زيد العبادى الشاعر الجاهلى من قصيدة يستعطف بها النعمان ابن المنذر يقول ان الانسان اذا غص بالطعام عالجه بالماء فاذا شرق بالماء فماذا يصنع؟ (٣) الربقة العروة التي يربط بها ويراد بها الزمام (٤) لاح ظهر (٥) الغرة بياض فى وجه الحيوان. والمراد هنا الأثر (٦) المواسم : العلامات (٧) استطال: تطاول واعتدي

لتجاوز عن عثرات الأحرار ، وليَنْتَهِز فُرَص الاقتدار ، وليحمد الله الذى أقامه
مقام من يُرْتَجَى ويُخْشى ، وركَّبَ نصابه فى رتبة شاب الزَّمانُ ومجدها فَتِي ،
أخْلَقَ العالَمُ وذِكْرُها طرىّ ، وليعتقد أنه قد هابه من استتر ، ولم يُذْنب اليه
ن اعتذر . وفق الله تعالى الشيخ لما يَحْفَظ عليه قلوب أوليائه ، وعَصمهُ ممَّا يَزيد
به فى جماجم أعدائه .

اعتذار لسعيد بن حميد

كتب سعيد [1] بن حُمَيد يعتذر :

أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه ، ولا يُغالِطك عن جُرمه ، ولا يلتمس رِضاك إلا
من جِهته ، ولا يستدعى بِرّك إلاَّ من طريقه ، ولا يستعطفك إلاّ بالإقرار بالذنب
ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالجُرم . نَبَتْ بى عنك غِرَّة الحداثة ، وردَّتني إليك
الحُنْكَة [2] ، وباعدتنى منك الثقة بالأيام ، وقادتنى إليك الضرورة . فان رأيت
أن تستقبل الصَّنيعة بقبول العذر ، وتُجدِّد النعمة باطّراح الحقد ، فان قديم الحرمة
وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة . وإن أيام الحياة وان طالت قصيرة
والمُتْعة بها وان كثرت قليلة .

اعتذار لأبى على البصير

كتب أبو على البصير يعتذر .

أنا أحد من أسكنته ظِلَّك ، وأعْلَقته حِبالك [3] ، وحَبوْته باطيف برّك
وخاصّ عنايتك ، وانتصف بك من الزمان ، واستغني بإخائك عن الإخوان ، فهو
لا يرغب إلا إليك ، ولا يعتمد إلا عليك ، ولا يَستَنْجِحُ [4] طلبه إلا بك . وقد كان

---

(١) هو من اولاد الدهاقين كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح احذ عن الامام ابن الاعرابى ويؤخذ عليه انه كان كثير الأخذ لكلام غيره . (٢) الحنكة خبرة التجارب . (٣) وصلته وقيدته بزمام مودتك (٤) استنجح حاجته وتنجحها تنجزها وطلب نجحها

فرَط منّي قول إن تأوّلته [١] لي أراك وجه عذري وقام عندك بحجّتي ، فأغناني عن توكيد الأيمان على حسن نيتي، وان تأوّلته عليّ أحاق [٢] بي لائمتك [٣] وحبسني على أسوإ حال عندك. وقد أتيتك معترفاً بالزّلة ، مستكيناً [٤] للموجدة [٥] عائذاً بالصفح والإقالة، فان رأيت أن تقرّ عيناً قرت بنعمتك عندي ، ولا تسلبني منها ما ألبستني ، وان تقتصر من عقوبتي على المكروه الذى نالني بسبب عتبك عليّ ، وتأمر بتعريفي رأيك بما يطامن [٦] هلعي وتسكن إليه نفسي ويأمن به روعي [٧] « فعلت » إن شاء الله .

اعتذار للبديع

كتب البديع إلى القاسم الكرَجي يعتذر :

يعز عليّ — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوب في خدمته قلمي ، عن قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي، دون وصولي ، ويرد شِرعة [٨] الانس به كتابي قبل ركابي . ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ،

وعليّ أن أسعي وليس عليّ إدراك النّجاح

وقد حضرت داره ، وقبلت جِداره ، وما بي حب الجُدران ، ولكن شغفاً بالقُطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السُّكان [٩] . وحين عدت [١٠]

---

(١) اول الكلام وتأوله فسره (٢) احاق انزل (٣) اللائمة اللوم
(٤) استكان خضع وهو من السكون ووزنه افتعال بزيادة الألف للاشباع كما قالوا في انظر (انظور) ويرى بعض الناس انه من الكون وليس بوجيه لأن المعنى لا يعينه (٥) الموجدة الغضب
(٦) يطامن يخفض ويخفف (٧) الروع القلب والروع الفزع والخوف
(٨) الشريعة والشرعة والمشرعة مورد الشاربة من الماء (٩) الم البديع هنا يقول الشاعر

امر على الديار ديار ليلي اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(١٠) منعت الموانع

العَوادى عن أمليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى مولاي عن تقصير وقع وفُتُور فى الخدمة عَرَض . ولـكنى اقول :

إن يكن تركي لقصدك ذنبا فكفي أن لا أراك عقابا

(الفصل الثانى [1] في رسائل حسن التقاضى والطلب)

(كتب الى عبيد الله بن سليمان أبو العيناءِ المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)

انا (أعزّك الله) وَعيالى زَرْعٌ من زَرْعكَ : إن أسقيتهُ رَاعَ [2] وَزَكا ، وإن جفوْتهُ ذَبُلَ وَذوِيَ . [3] وَقدْ مَسَّنِي منكَ جَفاءُ بَعدَ بِرٍّ ، واغفالٌ بعد تَعاهد . حتي تكلمَ عدوٌّ ، وشَمِتَ حاسدٌ . وَلعبتْ بي ظنونُ رجالٍ كُنتُ بهم لاعباً . ولهم مُخْرِساً

لا تَهِنِّي بعدَ أن أكرمتني وَشديدٌ عادَةٌ مُنْتزَعَهْ

(وكتب المرحوم عبد الخالق باشا ثروت)

إليكَ (يا من قد استأسَرَ النفوسَ بكرَمِهِ . وَاستَرقّ الأحرَارَ بجميلِ صُنْعه وَأوْلى النّعمَ والخيرَات . وَأسدَي المعرُوفَ والمبرَّات) . أرْفعُ كتاباً . تبعثهُ إلى ناديك العالى عَوَاملُ الحاجة ، وتزْجيه [4] إلى ساحتك دَواعي الشدّة . آملُ أن يكونَ تذكرةً بأمرِي ، (والذّكرَى تنفعُ المؤمنين) وَتذكرَةً بحالى (واللهُ لاَ يُضيعُ أجْرَ المُحْسِنين) فقد كان سيدي رفعَ الله قدره ، وأعلى مرتبَتَه ، وعدَنى (ومثلُه من يتمسك من الوفاءِ بالعُرْوَةِ [5] الوُثقي ، ويقطعُ حبلَ الإخلاف بسيف الوفاءِ . ويُطرزّ خلعةَ الوَعْدِ بوَشْي العطاء) أنْ يُرْسِلَ إلى مِن خيرَاته

---

(١) والفصل الاول فى الرسائل التجارية التى أغفلناها فى كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد (٣) ذبل (٤) تدفعه (٥) من الحبل الوثيق المحكم.

ويُوليني من آلائه وحسناته، ويضاعف لي من مِننه، ويزيدني من عطائه ما أشدُّ به أزرِي (١) على الزمان. وأطاول به نوائب الحدثان. (٢) فقد بارزني الدهر بسيوفه، ورماني بسهامه، وأناخ (٣) عليّ بكلاكله (٤) وقد طال الأمدُ (٥) على حاجتي عند سيدي (أطال الله بقاءه) حتى طال غراب شبابها، وصاح بجانب ليلها، فخفتُ أن تكون هبّت عليها ريحُ النسيان، وعصفت (٦) بها عاصفة (٧) الحدثان (٨) فكتبتُ إلى سيدي ومولاي تلك الرقعة، أستعجلُ بها بِرّهُ، وأستدرُّ بها ضرع عطائه. علماً بأن التعجيل يُكبّرُ العطية، وإن كانت صغيرة. ويُكثرها، وإن كانت يسيرةً. فعسى أن يكون قد لاح نجم النجاح وهبّ نسيمُ الفلاح. فيُرسلُ سيدي إليّ سحاب كرمه، ويمطرني من غيات فضله فتَرِفُّ (٩) غصونُ آمالي بعد ذبولها، وتضحكُ وجوه مطالبي بعد عبوسها وأملي في ذلك فسيحٌ، فإن سيدي من أكرم الناس نسباً وأشرفهم حسباً. ومثله جديرٌ (١٠) بحفظ العهد، وإنجاز الوعد — فإن رأى سيدي أن يخفف ثقل الحاجة عني، ويردّ ما سلبه الدهر مني بقطرةٍ من بحر عطائه، ومنةٍ (١١) من بعض آلائه، (١٢) ويجبرَ ما كسرهُ الفقرُ من جناحي، ويردّ عني النوائب التي لا تفتأ (١٣) تتوالى — عقدتُ لساني على مدحه، ووقفتُ نفسي على شكره. فيُحرِزَ من الله أجراً جزيلا، ومني شكراً جميلا. ان شاء الله بمنه وكرمه.

(وكتب المرحوم أحمد بك رأفت)

السيد الكامل (أدام الله علاءه، وأطال بقاءه، وجعله موئل (١٤) الكرام

---

(١) ظهري (٢) بفتح الحاء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر (٣) ثقّل (٤) مصائبه (٥) الغاية (٦) اشتدت (٧) الريح (٨) حوادث الدهر (٩) تتلألأ (١٠) حقيق (١١) نعمة (١٢) نعمه (١٣) تستمر (١٤) ملجأ

مُسدى النعم) قد غمرنى بنعمائه ، وطوّقني بآلائه . حتى قصرتُ حمدي عليه أمسكت لسانى عن الشكر إلاّ إليه . وكان من مِنَنِه علىّ ، وأياديه البيضاء لديّ أن وعدنى أنه يُقلّدُنى فى أوّل العام وظيفةً عالية ، ومرتبة سامية . فاخضلّ(١) روضُ الأمل بعد ذبوله ، وبزغ (٢) كوكبُهُ بعد أُفوله (٣) واتّسع نطاقُه (٤) واستبشر القلبُ بنيل أُمنيته ، والحصول على طلْبته . واشتدّ أزرى (٥) على مُقارعة كتائب (٦) الزّمان ، وقوي جنانى على صدّ جيوش الحدثان . وما زالتْ بى الأيام ، حتي حانَ أوّلُ العام ، وما تحقّقَ الوعدُ ، أوْ أُوفى العهدُ .ومثلُ السيد مَنْ إذا وعدَ وَفى ، أو تعهّدَ أوْفى .

أفى دِين ذِي المعرُوف يجملُ أنَّني	تنوءُ بىَ البُؤسي ويُثقِلُني العُسرُ
وأنتَ الذي أعطي المكارم حقها	ولم يحكِ جدْواكَ السحابُ ولا البحرُ
فعجّل فخيرُ البرّ يُحْمدُ عاجلاً	وأوْفِ فوعدُ الحرّ دِينٌ به الحرُّ

هذا ولكنّنى رجعتُ وحكّمتُ العقلَ ، فعذرْتُ السيد ، وحملتُ ذلك على أنهُ إنما لم يعجّلْ بإنجاز وعدِه ، وإيفاءِ عهده ، إلاّ لتقليد عبده وظيفةً أسمى ومرتبةً أعلى ، علّهُ يستدرِكُ ما فات ، ويُحسنُ إلى عبدِه فيما هُوَ آت

(وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد)

عهدى بالسيد الجليل (أدامهُ الله مصدراً للمكارم تشتقُّ منهُ صِفاتها ، ومظهراً للفضائل تتجلّى فيهِ آياتُها) سبّاقا إلى غايات المجد درّاكا لمطالب الحمد ، أرْيحيًّا(٧) لا يصبو (٨) إلاّ الى إسْداءِ المِنن ، (٩) جواداً لا يطمعُ طرفه فى بثّ عوارفه إلى

(١) صار نديا (٢) طلع (٣) غيبته (٤) ثوبه (٥) ظهري (٦) الجيوش (٧) يرتاح للعطاء (٨) لا يميل (٩) احسان

ثمن . ما آمه (١) أسيرُ فاقةٍ (٢) الا وألفي (٣) لديه كهفًا منيعًا ، وجاهًا رفيعًا . وما قصده ذو حاجةٍ الا وصدر (٤) عن مورِد (٥) فضله شاديًا (٦) بثنائه ، معلنًا بولائه . وإنّ لى الى السيِّد حاجةً ان لم يُسعف بقضائها ، فيا حسرة نفسي وطول شقائها . وليست هذه بأوّل مرّةٍ استمحتُ (٧) فيها عالى مروءته ، واستمطرتُ صيّبَ (٨) همته . فانهُ طالما طوّقني قلائد نعمِه ، وأرسل علىّ مِدرار (٩) كرمه . فليجرِ فى هذه أيضًا على عادته ، ويقابلني بما عوّدنى من كرامته . ومعاذَ الله أن أسأله ما ليس فى وُسعه ، أو أن أستقضيه شيئًا يحرصُ على منعه . ولكنّني

أُريدُ بسطةَ كفٍّ أستعين بها على قَضاءِ حقوقٍ للعلى قِبَلى

والذى يكفلُ لى تلك البسطةَ : أن يقلدنى سيدى وظيفةً مناسبةً لحالتي ، حتى تكون لى دِرعًا أتقى بها مهانة الفقر ، وسيفًا أكفُّ به عوادى الدّهر . ومالى والأقسام عليه فى إنالتي هذه البغية : بنفيس وقتٍ قضيتهُ فى خدمة العلم ، واقتناء أبكاره ، وطويل عناءٍ تحمّلته فى مزاولة (١٠) الادب واكتشاف أسراره ، ونفسٍ ارتاضت (١١) بالفضل ، وآثرت (١٢) غصة الفقر على منّة البذل ، وله من سنيّات (١٣) الفضائل ، (١٤) وعليّات الفواضل ، (١٥) وجليّات المآثر ، وجليلات المفاخر — ما لو اقسم به عليه فى إنالة أعز المطالب ، لألزمه كرمُ سجاياه برّ ذلك القسم ، واجابة دواعي الهمم ، وانك لفاعلٌ ان شاء الله تعالى .

(وكتب أفقيد الأدب حسن افندي توفيق العدل المتوفى بلندن سنة ١٣٢٢ هـ)

كتابى إلى ربّ النعماء ، واليدِ البيضاء ، وقد أصبحتُ كما قال الحريرى :

---

(١) قصده (٢) فقر (٣) وجد (٤) رجع (٥) مكان الورود (٦) مترنما (٧) سألته العطاء (٨) السحاب (٩) مايدر بالمطر (١٠) معاناته (١١) تمرنت (١٢) اختارت (١٣) عاليات (١٤) جمع فضيلة : الدرجة (١٥) فاضلة النعمة الجميلة

خاوِيَ (١) الوَفاض (٢) بادِيَ (٣) الانْفاض، (٤) لا أملكُ بُلْغة، (٥) ولا
جد فى جرابى مضغة» (٦) — قد التوي علىَّ أمرِي، وثقلَ مِن حاجتي ظهري..
دّ الاحتياجُ إلىّ أطنابَه، (٧) وسربلني (٨) الافتقار إهابَه (٩). والدُّنيا مكدَّرَة
أحداثها، (١٠) وقصورُها منغصةٌ بأجداثها (١١) نعيمها يَضفو، (١٢) ولكن لا يَصفو
أنتَ (كما أعلم) مفرّجُ كُرْبَتي، ومنقذي مِن شدَّتى، بطُرفة (١٣) من طرف
فْدك، (١٤) ولَمْحةٍ من لَمَحات بِرِّك. (١٥) فان استدرَرْتُ (١٦) حَلوبة (١٧)
الكَ، فقد لاذ غيري بجاهك. ما يمَّمْتُ (١٨) غيرَك. وكيف يَقصِدُ النّهر، من
اوَز البحرَ ويحتاج إلى النَّجم، منْ يسْرى فى ضوءِ البدر؟ فأستهِزُّ عِطف (١٩)
وُدكَ، وأستمطرُ سَحاب كرَمك. كيف وأنتَ قِبْلَةُ المعرُوف! وملاذ الملهوف!
بك تُشدُّ الرّحال، وبك تُناط الآمال. أولياؤُك مِنك فى ظِلّ ممدُودٍ،
هناءٍ وسعُود. أفأنت الشّمس عمّت بالإِشراق؟! أو الغيث والَى الاندِفاق؟!—
كن.

مَنْ قاسَ جدْواكَ يوْمًا ... بالسُّحْبِ أخْطأ مدْحَكْ
فالسُّحْبُ تعطِي وتبكى ... وأنت تُعطِي وتضْحَكْ

نَسَبُ الكرَم بك عَرِيقٌ، وروضُ المجد أنيقٌ، أصلٌ راسِخٌ، وفرْعٌ
مخ. تهتَزُّ للمكارم اهتزازَ الحسام، وتثبُتُ أمامَ الشّدائد بثغرٍ بَسّام.

تراهُ إذا ماجئتَهُ متهلّلاً ... كأنّك تعطيه الذى أنتَ سائلهُ

(١) خالى (٢) بكسر الواو جراب الزاد (٣) ظاهر (٤) فناء الزاد والمال (٥) بضم الباء
ة القليلة (٦) انتهي كلام الحريرى (٧) حبال الخيمة (٨) البسنيه قيصا (٩) جلده
١) مصائبها (١١) قبورها (١٢) يكثر (١٣) بنعمة (١٤) عطائك (١٥) احسانك (١٦)
حلبت (١٧) ما تحلب (١٨) ما قصدت (١٩) جانب

حكّمتَ الآمالَ في أموالك، واستعبدتَ الأحرارَ بفعالك، ينابيع ا[illegible]
من أناملك تتفجّر، وربيع السّماح بك ضاحكٌ لا يضجر، فلا زِلتَ مو[illegible]
ممتّعًا بشرف سجاياك وشيمك، مستمدّاً الشكر من غِراس نعمك، ولاز[illegible]
الأنام تنتفع بتلك الشّيم، وتجنى ثمار ذلك الكرم، ودُمتَ للمكارم بدر
لا يناله خسوف، وشمسَ فضلٍ لا يلحقُها كسوف، أطال الله لك البقاء، كت[illegible]
يديك بالعطاء آمين.

استمناح رجل لعبد الملك بن مروان

وَفَدَ رجلٌ من بَني ضَبَّةَ على عبد الملك بن مَرْوان فقال:

والله مَا ندري إذا ما فَاتَنا … طَلَبٌ اليكَ من الذي نَتَطَلَّب ؟
فلقد ضَرَبْنا (١) في البلاد فلم نَجِدْ … أحداً سِواكَ الى المكارِم ينْسَبُ
فاصْبِر لعَادتنا التي عوَّدتنا … أوْ لاَ فأرشدنا الى مَنْ نذهبُ؟

فقال عبدُ الملك. إليّ! اليّ! وأمر له بألف دينار. ثم أتاهُ في العام المقبل فقال

يَرُبّ (٢) الذي يأتي من الخير أنه … إذا فعلَ المعروفَ زَاد وتَمما
وليس كبانٍ حِينَ تَمّ بناؤُه … تَتَبّعه بالنقْض حتى تَهَدَّما

فأعطاه ألفَي دِينار. ثم أتاه في العام الثالث فقال.

إذا استمْطروا كانُوا مَغازِير (٣) في النّدي … يَجودُون بالمعرُوفِ عوداً على بَدءِ

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار.

---

(١) ضرب في الارض سافر (٢) ربّ زاد وأصلح (٣) اغزر المعروف جعله غزيرا والمغازير لا يكون الا جمعا لمغزار أو مغزير من صيغ المبالغة ولم أجدهما في اللسان والقاموس وفي المخصوص سحابة مغزار: غزير فيكون جمعا لمغزار حتما.

استمناح العتابي لأحد أصدقائه

كتب كُلْثوم(١) بنُ عمرو العتّابي الى صديق له

أمّا بعدُ — أطال الله بقاءك ، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنّة — فانك كنت عندنا روضةً من رياض الكرم ، تبتهج النّفوس بها ، وتستريح القلوب اليها وكُنا نُعفيها من النُّجعة (٢) استبقاءً لزهرتها ، وشفقة على خضرتها ، وادّخارا لثمرتها ، حتّي أصابتنا سَنَةٌ كانت عندي قطعةً من سِنِي يوسف ، واشتدّ علينا كَلَبها(٣) ، وغابت قطتها ، وكذبتنا غيومها ، وأخلفتنا بُروقها ، وفقدنا صالح الاخوان فيها ، فانتجعتُك . وأنا بانتجاعي إيّاك شديد الشّفقة عليك ، مع علمي بأنّك موضعُ الرّائد(٤) ، وأنك تُغطّي عينَ الحاسد . والله يعلم أنّي ما أعُدُّك إلاّ فى حومة(٥) الأهل . واعلم أنّ الكريم اذا استحيا من إعطاء القليل ولم يُمكنه الكثير لم يُعرف جودُه ولم تظهر همّته . وأنا أقول فى ذلك (٦)

إذا تكرّمت عن بذل القليل ولم ... تقدِر على سَعةٍ لم يَظهر الجودُ

بثَّ النَّوالَ ولا تمنعْك قِلّتُه ... فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود

استمناح اعرابية لعبد الله بن أبي بكرة

دخلت أعرابية على عبد الله[١] بن أبي بكْرة بالبَصْرة فوقفت بين السّماطين[٢] فقالت: — أصلح الله الأمير وأمتَعَ به — حدَرتنا إليك سنة اشتدّ بلاؤها وانكشف غطاؤها، أقودُ صِبيةً صغاراً، وآخرين كباراً، في بلدة شاسعة تخفضُنا خافضة، وترفعنا رافعة، لِمُلِمّات من الدّهر أذهبن لحمي، وبرين عظمي وتركنني والهة[٣] أدور بالحضيض، وقد ضاق بي البلدُ العريض. فسألتُ في أحياء العرب. من الكاملة فضائله، المعطي سائلهُ، الكافي نائله؟ فدلات عليك — أصلحك الله تعالى — وأنا امرأة من هوازن[٤]، قد مات الوالد، وغاب الرافد وأنتَ بعد الله غياثي ومنتهي أملي، فاصنع بي إحدي ثلاث خصال. إمّا أن تردّني الى بلدي، أو تحسن صفدي[٥]، أو تقيم أودي[٦]

فقال. بل أجمعهن لك. ولم يزل يجري عليها كما يجري على عياله حتي ماتت!

استمناح حكيم فارسي للمهلب

قال الهيثم بن عديّ: قدم حكيمٌ من حكماء أهل فارس على المُهلب فقال: — أصلح الله الأمير — ما أشخصتني الحاجة، وما قنعت بالمُقام، ولا أرضى منك بالنّصف إذ قمتُ هذا المقام. قال. ولِمَ ذلك؟ قال. لان النّاس ثلاثة. غنيّ وفقير ومستزيد، فالغنيّ من أُعطي ما يستحقّه، والفقير من مُنع حقه، والمستزيد الذي يطلب الفضل بعد الغِني، وإنّي نظرت في أمرك

(١) هو ابن أخي زياد ابن أبيه (٢) السماط الصف (٣) الوالهة والوهى الشديدة الحزن
(٤) هوازن قسم من قيس وعبد الله بن بكرة نسبه في ثقيف وهم من هوازن فهي تريد أن تميله بعاطفة القرابة (٥) الصفد العطاء (٦) الأود الاعوجاج

فرأيتُ أنّك قد أدَّيت اليّ حقي ، فتاقت نفسى الى استزادتك ، فإنْ منعتني فقد أنصفْتَني ، وإنْ زِدْتَنى زادت نعمتك عليّ ، فأعْجَب المهلبَ كلامُهُ ، وقضي حوائجه

تلطّف رجل من أهل الشام في استمناح المنصور

قدّم رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور فتكلّم معه كلاما حسنا ، فقال له أبو جعفر . حاجتَك . فقال . يُبْقِيك الله ياأميرَ المؤمنين . قال :حَاجتك فانّه ليس كلَّ ساعة يمكنك هذا ولا تؤْمر به ، فقال . والله ما أستقْصر عمركَ ، ولا أخاف بُخلك ، ولا أغتنم مالك ، وانّ سُؤالك لَشرفٌ ، وان عَطاءكَ لَزَيْن ، وَما بامرِيء بَذل وجهه اليك نقْصٌ ولا شَيْنٌ . فأمر له المنصور بمنحة سنيّة .

وقد ألمَّ الرجل فى أكثر معانيه بقول أمية بن أبي الصَّلت يستمنح عبد الله بن جُدْعان (١) القرشى .

عَطاؤُكَ زَيْن لامريءٍ إنْ حَبوتَهُ ببذلٍ وَما كلّ العطَاء يَزينُ
ولَيس بشيْن لامريء بذل وجهه اليك كما بعض السّؤال يَشين

• • •

ومن ألطف الاستمناح قول أمية يخَاطب ابن جُدْعان أيضا .

أأذكرُ حاجتي أم قد كفانِى حِبَاؤكَ إن شيمتَك الحِباء

(١) عبد الله بن جدعان من بني تيم رهط سيدنا أبى بكر الصديق وهو جواد مشهوروكان امية مداحا له منقطعا اليه توفى أميــة بين يدى الاسلام

وعلمك بالأمور وأنت قَرم ... لك الحسب المهذّب والسَّناء(١)
كريم لا يُغيّره صباحٌ ... عن الخُلق الجميل ولا مساءُ
تبارى الرّيح مَكرُمة ومجْدا ... اذا ما الكلبُ أجحَره الشّتاء(٢)
اذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرُّضه الثّناء(٣)

استمناح عبد العزيز بن زرارة لمعاوية

قال العتْبي . وفدَ عبدُ العزيز بن زرارة على معاوية ، فلما أذِن له وقف بين يديه وقال . يا أميرَ المؤمنين ! لم أزل أهزّ ذوائب(٤) الرحال اليك، اذ لم أجد معوَّلا إلاّ عليك، أمتطي الليل بعد النهار ، وأسم(٥) المجاهل بالآثار ، يقودُني اليك أمل، وتسُوقني بَلوَى، والمجتهد يُعذَر .وإذ قد بَلَغْتُك فقطني(٦) . فقال معاوية ، احطُطْ عن راحلتك .

• • •

ولما وَلي الخليفة المُهتَدي سُليمانَ(٧) بن وَهب وزارته قام اليه رجلٌ من ذوي حُرْمته فقال : ـ أعزّ الله الوزير ـ أنا خادمك المؤمّل لدَوْلَتك، السعيد بأيامك المنطوي القلب على وُدّك ، المَنْشُور اللسان بمدحك ، المُرتَهَن بشكر نعمتك. وقد قال الشاعر .

وفيتُ كلّ صديق ودّني ثمنًا ... إلاّ مُؤمّل دولاتي وأيّامي

---

(١) القرم الفحل والسيد والسناء الشرف، والسنا : الضوء (٢) اجحره: الجأه (٣) يقول: انك لاتجشم المحتاج مؤنة السؤال لأنك تستغني بثنائه عن استجدائه (٤) الذوائب : جمع ذؤابة وهي الجلدة المعلقة على آخرة الرحل . (٥) وسم الأرض كوعد : ترك فيها اثرا (٦) قطني اسم فعل بمعني يكفيني ومثلها قدني (٧) سليمان بن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ، وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيده القاسم . توفي سليمان سنة ٢٧٢ هـ

فانّني ضامن أنْ لاَ اكافئه إلا بتسويغه فصلى وإنعامي[١]

وإنّي لكما قال القيسي[٢] : مازلت أمتطى النهار اليك، واستدلّ بفضلك عليك، حتى اذا اجْتَنّ الليل فغضّ البصر، ومحا الأثر، قام الرجاءُ يدنى سائر أملى والنفس راغبة والاجتهاد عاذر واذ قد بلغتك فقدنى. فقال سليمان : لا عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى اصْطِناعك وكِفَايتك، ولست أؤخّر عن يومي هذا توليتك ما يحسنُ عليك أثره، ويطيب لك خبره.

وكتب رجلٌ من أهل البَصرة الى أخ له :

أما بعدُ فانه يُسَهّل عليَّ طلب الحاجة أمران فيك، وأمران لى، وأمرٌ من قبل الله وبه تمامها، فأمّا اللذان فيك فاجتهادك فى النُّجح، ومُبالَغَتُك فى الاعتذار، وأما اللذان لى فانّى لا أضيق عليك بعُذْرى، ولا أصونُ عنك شُكرى، وأمّا الذى من قبل الله عز وجل فإيمانى بأن كل مُقَدّر كائن والسلام.

«وكتب المرحوم السيد مصطفي لطفى المنفلوطي.»

أنا إن سألتك حاجتي ـ أعزّك الله ـ وبسطْت اليك يد رجائي فقد طرقتُ بابَ المكارم، واستمطرت غَيْثَ المراحِم، ورجوتُ واحد الدّهر هِمّةً وحزماً، ونادرة الوجود كرماً وفضلا. فانْ أنجزتَها فليستْ أُولَي الهِمَم، ولا واحدة النِّعم فلكم سبقت الىّ منك أيادٍ تخرَس دونها ألسنة الشكر، وتضيق بها جرائد[٣] الحَصْر ولقد مَثَّلت ـ أيدك الله ـ بين أن أستَشْفِع اليك بذوي الجاه عندك، والزُّلْفي[٤]

---

(١) سوغه : اناله (٢) يريد بالقيسي عبد العزيز بن زرارة المتقدم لأنه من بنى عامر ثم من هوازن ثم من قيس. وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها. (٣) الجرائد : جمع جريدة وهى السعفة وكانت يكتب فيها، فالمراد الصحائف (٤) الزلفي : القربة والمنزلة

لديك، وبين[١] أن أكل ذلك الى كرمك وفضلك وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر، فرأيت أن الثانية بك أحري، وبفضلك أجدر والسلام.

استمناح الصابيء لبعض الرؤساء

وكتب أبو اسحاق[٢] الصابيء الى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة — أطال الله بقاء الامير — بالتمهيد للحاجة قبل موردها وإسلاف[٣] الظنون الداعية الى نجاحها. وسالك هذه السبيل يسيء الظن بالمستول فهو لا يلتمس فضله الا بالاجزاء، ولا يستدعي طوله الاقضاء. والأمير بكرمه الغريب ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السالف له، والابتداء منه، ويوجب على المهاجم برغبته اليه، حق الثقة به. فالحمد لله الذي أفرده بالطرائق الشريفة، ووحده بالخلال المنيفة، وجعله عين زمانه البصيرة، ولمعته[٤] الباقية المنيرة.

...

وكتب محمد بن عباد الى جعفر بن محمد وزير المعتز وكان يتقرب اليه

ما زلت — أيدك الله تعالى — أذم الدهر بذمك إياه، وانتظر لنفسي ولك عقباه، واتمني زوال من لا ذنب له، الى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله، وأترك الإعدار[٥] في الطلب، على الاحتلال[٦] الشديد ضنا بالمعروف عندي إلا عن أهله، وحبسا لرجائي إلا عن مستحقه.

---

(١) كرر الكاتب بين توكيدا، وهو جائز مسموع وأنا استحسنه اذا طال ماقبل المعطوف كما هنا (٢) الصابيء : هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال كاتب ديوان الانشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بن بويه وهو معدود من رجالات الكتابة توفى سنة ٣٨٤ ﻫ (٣) الاسلاف : التقديم. (٤) اللمعة : البقعة والقطعة من الحسد تبرق (٥) اعذر : بالغ (٦) الاختلال: الاحتياج

ومن أرق الاستماحة (١) ما كتبه عُبَيْد الله بن طاهر الى سليمان بن وهب

أبى دَهْرُنا إسْعافَنا فى نفُوسنا وأسعفنا فيمن نُحب ونُكْرِم

فقلت له : نُعْماك فيهم أتِمها ودَعْ أمرَنا إن المُهِم المُقَدَّمُ

فاعجب سليمان بلطف طلبه فى تهنئته وقضى حوائجه .

وقال أعرابى لرجل . ما اتهمْتُ حُسن ظني بك، منذ توجه رجائي نحوك ، ولا قعدت بِجَدّ فائل (٢) باعتمادي عليك، ولا استدعتني رغبة عنك الى مَنْ سواك ، لا أرانى الاختيار غيرك عِوضاً منك.

وكتب البديع الهمذاني فى بابه الى بعض أصحابه

لك ــ أعزّك الله ــ عادةُ فضل، فى كل فصل، ولنا شِبْه مقْت، فى كل وقت لعمرى ان ذا الحاجة مقيتُ (٣) الطّلْعة ، ثقيل الوطأة، ولكن لَيْسُوا سواء .

(الفصل الثالث فى رسائل الشكر)

« كتب أبو منصور الثعالبيُّ المتوفى سنة ٤٢٩ ه »

الشكر تُرجُمان النّية ، ولسانُ الطويّة ، وشاهد الاخلاص ، وعنوان الاختصاص ... ندي من إنعامه ، وخاصّ برّهِ وعامّه ، ما يستغرق منهُ الشكر ، ويستنفدُ قوّةَ النشر . شكر الأَسير لمن أطلقهُ ، والمملوك لمن أعتقهُ . شكر كانفاس الاحباب فى الأَسحار ، أو أنفاس الرّياض غِبّ الأَمطار .

« وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٧٢ ه »

من شكركَ على درجةٍ رفعتهُ اليها ، أو ثروَة أقدرَتهُ عليها ــ فانّ شكري لك

---

(١) الاستماحة : الاستمناح (٢) الجد : الحظ . والفائل : المخطيء

(٣) المقيت والمقوت : البغيض المكروه

على مُهجةٍ أحييتَها ، وحشاشةٍ أبقيتَها ، ورَمَقٍ أمسكتَ بِهِ ، وقُمتَ بين التلف وبينه . فلكلِ نعمةٍ من نِعَم الدُّنيا حدٌّ تنتهي اليه ، ومدًى تقفُ عندهُ ، وغاية من الشكر لا يَسمو إليها الطَّرْف ، خلا هذه النعمةَ التي فاقت الوَصف ، وأطالت الشكر ، وتجاوَزت قدره . وأنتَ (مِن ورَاء كلِّ غاية) رَددتَ عنَّا كيد العدوّ وأرغمتَ أنف الحسود . فنحن نَلْجأُ منك إلى ظل ظليل ، وكنَفٍ[1] كريم . فكيف يَشكرُ الشَّاكرُ ؟ وأين يبلُغُ جُهْد المجتهد ؟ !

« وكتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

فأما الشكرُ الذى أعارَني رِدَاءَهُ ، وقلَّدَني طوْقَه وسناءَه ،[2] فهيهات أن ينتَسب الاَّ إلى عَاداتِ فضله وإفضاله ! أوْ يَسيرَ إلاَّ تحتَ رَايات عُرْفه[3] ونوَاله ![4] وهوَ ثوبٌ لا يُحلّي إلاَّ بِذكرِهِ طِرَازه . وآسمٌ له حقيقته ، ولسواه مَجازُه . ولو أنه (حين مَلك رِقّي بأياديه . وأعجزَ وُسْعِي عن حُقوقِ مكارمه ومساعيه) خلّى لى مذْهب[5] الشكر وميدانهُ ، ولم يجاذبْني زمامهُ وعِنانَه لتعلقَت فى بلوغ بعض الوَاجب بعرْوَة طمع ، ونهضْتُ فيه ولوْ على وَهنٍ وطَلَع .[6] ولكنهُ يأبي إلاّ أن يَستَولى على أمد الفضائل ، ويتَسنَّم[7] ذرَا[8] الغوارب[9] منها والكواهل .[10] فلا يدعُ فى المجد غايةً إلا سَبقَ اليها فارطًا ،[11] وتخلّف سواه عنها حسيراً[12] ساقطًا . لتكون المعالى بأسرها مجموعةً فى ملكه ، منظومةً فى سلكه ، خالصةً له من دعوَى القَسم وشركه .[13]

---

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معروفه (٤) عطائه (٥) الطريق (٦) كلاهما الضعف (٧) يعلو (٨) اعالى (٩) جمع غارب ما بين الظهر والعنق (١٠) جمع كاهل ما بين الكتفين (١١) سابقا (١٢) كليلا (١٣) مشاركته

وكتب أستاذى المرحوم الشيخ محمد عبده [1] يشكر للمرحوم

(حافظ بك ابراهيم تعريبه كتاب البؤساء)

لو كان لى أن أشكرك لظنٍّ بالغتَ فى تحسينهِ، أو أحمدَك لرأيٍ لك فينا أبدعتَ فى تزيينهِ - لكان لقلمي مطمعٌ أن يدنو من الوفاء بما يوجبُه حقّك، ويجري فى الشكر الى الغاية كما يطالبه فضلك. لكنك لم تقفْ بعُرْفك [2] عندنا، بل عمّمتَ به مَن حولنا، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا. زففت الى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية، سحرت قومها، وملكت فيهم يومها. ولا تزال تذبّه منهم خامداً وتهزّ فيهم جامداً. بل لا تنفكّ تحيي من قلوبهم ما أماتته القسوة، وتقوّمُ من نفوسهم ما أعوزت فيه الأُسْوة. [3] حكمة أفاضها الله على رجلٍ منهم، فهدى الى التقاطها رجلاً منّا. فجرّدها من ثوبها الغريب، وكساها حلةً من نسج الاديب، وجلاّها للنّاظر، وحلاّها للطّالب. بعد ما أصلح من خلقها وزان من معارفها. حتى ظهرت محبّبة الى القلوب، شيّقة [4] الى مؤانسة البصائر تهشّ [5] للفهم وتبشّ، [6] للطف الذوق. وتسابق الفكر الى موطن العلم، فلا يكاد يلحظها الوهم، الا وهي من النّفس فى مكان الأَلهام.

حاول قومٌ من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطّريق. ووصل منهم فريق الى ما يحبّ من مقصدهِ، ولكنه

---

(١) هو الاستاذ الامام المرحوم مفتي الديار المصرية سابقا ولد سنة ١٢٥٨ ه وتوفى سنة ١٣٢٣ ه وكتب هذا المكتوب شكرا لمترجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة اثناء مرضه منها

ولست أبالي ان يقال محمد ... أبل او اكتظت عليه المآتم

ولكن ديناقد اردت صلاحه ... احاذر ان تقضي عليه العمائم

(٢) المعروف (٣) بالكسر والضم القدوة

(٤) لطيفه (٥) بفتح التاء تصل اليه بسهولة (٦) بفتح الباء من البشاشة

لم يُعنَ بأن يعيد الى اللّغة العربية ما فقدت من أساليبها، ويردّ اليها ما سلبه المعتدون عليها من متانة التأليف، وحُسن الصّياغة، وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه أمّا أنتَ، فقد وفّيت من ذلك ما لا غاية لمزيدٍ بعده، ولا مطمع لطالب أن يَبلُغ حدّه. ولو كنتُ ممن يقول بالتناسخ: لذهبتُ إلى أنّ روح «ابن المقفع» كانت من طيّبات الأرواح، فظهرتْ لك اليوم فى صورة أبدع، ومعنى أنفع. ولعلك قد سننت بطريقتك فى التعريب سُنّةً يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويحماها الزّمان الي أبناء ما يُستقبَلُ منهُ. فتكون قد أحسنت الى الأبناء كما أجملتَ فى الصُّنع الى الآباء. وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعدُ من العجمة سوى ما هو فى الأسماء (أسماءِ الأماكن والأشخاص، لا أسماء المعانى والأجناس) ومثلى من يعرف قدرَ الإحسان إذا عمَّ، ويعلى مكان المعروف اذا شمِل، ويتمثل فى رأيه بقول الحكيم العربى أبي العلاء المعرى.

ولو أنى حُبيتُ الُخلدَ فرداً لما أحببتُ بالخلد انفرادا

فلا هطلت علىَّ ولا بأرضي سحائبُ ليسَ تنتظِم البلادا

فما أعجزَ قلمى عن الشكر لك! وما أحقّك بأن ترضي من الوفاءِ باللقاء!

«وكتب أيضاً فى الشكر مع توثيق المودّة الى بعض أصحابه»

لكَ فى قلوبنا من المودّة ما يزكيه سناؤُك، وفى منا طقنا من الحمد ما يُوجبه كمالُكَ، وفى صدُورنا من الإجلال ما يرفعهُ بهاؤك!

وما بيننا من المودّة لا تحدُّه مُده، ولا تخلق له جِدّه. نعيذه من حاجة للتجديد، واستدعاءٍ للمزيد. فلا المواصلةُ تربيه، ولا المجاهلةُ توهيه ـ نعم إنَّ ما يحفظُ لك فى الأنفُسِ هو تجلى فضلك، ومثالُ علائك ونبلك، وذلك الخالد

خلود الأرواح ، الباقي في تفانى الأشباح .

وبعدُ ـ فقد تلقيتُ منك كتاباً يبوح بسرّ المحبّة ، وينشرُ طيَّ الصداقة به تبيان وجدانكَ ممّا وجدنا ، وتأثركَ على ما فقدنا ، فكان نبأ عما نعلمُ ، قضاء بما نحكم . ولكن شكرنا لك فضلَ المراسلة ، وأريحيّة المجاملة ، والله يتولى جزاءك ، مثوبةً تكافئ وفاءك .

« وكتب أيضا فى الشكر لآخر »

لوْ كان فى الثناء ، وملازمة الدّعاء ، وحفظ الجميل ، والقيام بالخدمة جُهد مستطيع ما يفى بشكر من يفتتح باب المحبة ، ويبدأ بصنائع المعروف لكنت الحمد لله منْ أقدر النّاس عليه . ولكنْ أنّي يكون فى ذلك وفاء ؟ والمحبّة سرُّ نظام الأكوان ! والاحسانُ قوام عالم الامكان ! والقائمُ على كنْه جميعه قيُّومُ السموات والأرض ! والمفتتحُونَ لأبواب العُرف على هذه النّسبة الجليلة منهُ ليس لى إلا أنْ ألجأ الى الله فى مكافأة فضيلتكم ، على ما كان منكم أيام الاقامة عندكم ، ثمَّ أسلّي نفسي عن عجزى بما أتخيلُ أن كرمكم سيروي :

سيكفي الكريم إخاء الكريم ويقنع بالودّ منه نوالا

وبعدَ هذا أرجو عفوكم عن التقصير فى المبادرة الى المكاتبة ، لأنى شغلت بما شغلني عن نفسي . ولكن زالت العوارض (والحمد لله) وفاتني لهذا العذر تهنئتكم بالعيد . (وإنما للمؤمن فى كلّ يوم برّ به عيد) فنهنئكم برضاء الله عنكم وتقبله صالح الاعمال منكم . وسلامي على مجلسكم ومن ينتمى اليكم .

(الفصل الرابع في رسائل النصح والمشورة)

(كتب بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ)

اسمع نصيحة ناصحٍ جَمَع النَّصيحة والمِقَه (١)
إياك واحذرْ أنْ تكو ن من الثّقاتِ على ثقه

صدَقَ الشاعر وأجاد، وللثّقات خيانة فى بعض الأوقات: هذه العَينُ تريك السَّرابَ (٢) شرابًا. وهذه الأذُنُ تُسْمِعُكَ الخطأ صوابًا. فلست بمعذور إن وثقت بمحذور. وهذه حالة الواثق بعينه، السّامع بأذُنه:

وأري فلانًا يُكْثِرُ غشيانك (٣) وهو الدنيء دُخْلَتُه (٤) الرّدي جملته السّيء وُصلته، الخبيثُ كلمته. وقدْ قاسمته فى زِرِّك، (٥) وجعلته موضع سرك. فأرني موضع غلطك فيه، حتى أريك موضعَ تلافيه (٦). أفظاهرهُ غرّك؟ أم باطنه سرّك؟!

يا مولاي: يُورِدُك (٧) ثم لا يُصدِرُك (٨) ويوقِعُك ثمّ لا يَعذُرُك. فاجتنبه ولا تَقرَبه، وإن حضر بابك، فاكنس جنابك (٩). وإن مسّ ثوبك، فاغسل ثيابك، وإن لَصِقَ بجلدك، فاسلخ إهابك. ثم افتتح الصّلاة بِلعنه. وإذا استعذتَ بالله من الشيطان فَأعنه (١٠)

(وكتب الاسكندر المقدونى الى أستاذه الحكيم أرسطو)

(يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءَهم وتغلّب على بلادهم)

عليك أيّها الحكيم منا السّلام. أمّا بعدُ فان الأفلاك الدّائرة والعلل

---

(١) المحبة (٢) ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وهو مثل المخادع الكذب (٣) اتيانك (٤) بتثليث الدال نيته (٥) قوام القلب (٦) تداركه (٧) يوصلك الى مكان ورود الماء (٨) لا يرجعك (٩) الفناء والناحية (١٠) اقصده

السَّماوية ، وإن كانت أسعدَتنا بالأمور التى أصبحَ الناسُ لنا بها دائنين ـ فإنَّا مضطرُّون الى حِكمَتك غيرُ جاحِدينَ لفضلك ، والاجتباء (١) لرأيك ، لِما بلَونا من إجداء (٢) ذلكَ علينا ، وذُقنا مِن جَنْي (٣) منفعته ، حتى صارَ ذلك وبُجوعه (٤) فينا ، وتَرسُّخِه فى أذهانِنا ، كالغِذاءِ (٥) لنا . فما ننفكُّ نُعَوِّلُ عليه ، ونستمدُّ منهُ استمدادَ الجداولِ من البحار . وقد كان مما سبَقَ الينا من النصر ، وبلَغنا منَ النِّكاية فى العدُوِّ ما يَعجزُ القولُ عنْ وصفه ، والشكرُ على الإنعام بهِ . وكانَ مِن ذلكَ أنَّا جاوَزْنا أرضَ سُورية والجزيرَة ، إلى أرض بابلَ وفارس ، فلمّا نزلنا بأهلها ، لم يكن الاّ ريثما (٦) تلقانا نفرٌ منهم برأس مَلِكهمْ هديَّة ، وطلبا للحظوَة عندنا . فأمرْنا بِصلْبِ منْ جاءَ به وشهْرَته ، لسوء بلائه ، وقلة ارعوائه ووفائه . ثمّ أمرْنا بجمعِ من كانَ هنالكَ مِنْ أولادملوكهمْ وأحرارهم ، وذوي الشرَفِ منهم . فرأينا رجالاً عظيمةً أجسامُهم وأحلامُهُم ، (٧) حاضرة ألبابُهم وأذهانهم ، رائعة (٨) مناظرُهم ومناطِقُهُم ، دليلاً على أنّ وراء ذلك مالم يكُن معهُ سبيلٌ إلى غلبتهم . ولوْلا أنّ القضاءَ أدالنا (٩) منهم ، وأظهرَنا عليهم ولم نرَ بعيداً من الرّأى فى أمرهم أنْ نستأصِل (١٠) شأفتَهُم (١١) ونَجْتثَّ (١٢) أصلهم ونُلحِقهُمْ بمن مضَى من أسلافِهمْ ، لِتَسكنَ القلوبُ بذلك إلى الأمن من جرائرهم (١٣) وبوائقهم (١٤) فرأينا أنْ لا نَعْجل بِبادرَة (١٥) الرّأي فى قتلهم ، دُون الاستظهار بمشُورتِك فيهم .

---

(١) الاختيار (٢) اعطاء (٣) مايجني ويؤخذ من الثمر (٤) بتأثيره (٥) بكسر الغين ما يتغذى به (٦) مقدار ما (٧) جمع حلم بكسر الحاء العقل وبضمها المنام ليلا(الرؤيا) ـ (٨) زائدة (٩) جعل لنا الكرة عليهم (١٠) نقطع (١١) عداوتهم (١٢) نقتلع (١٣) كناية عن شرورهم (١٤) البواهى (١٥) ما يظهر عند الغضب

فارْفع إلينا رَأيكَ فى ما اَستَشرْناك فيه بعد صِحّته عندكَ ، وتَمابِك إياه بِجَلىّ نَظَرِك .

والسّلام على أهل السّلام . فليكُنْ علينا وعليك .

«وكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد إلى الاسكندر المقدونى »

إنّ لِكُلّ تُرْبة (وَلا محالةَ) قِسماً من كل فضيلةٍ . وإنّ لفارس قِسْماً من النّجدَة والقوّة . وإنّكَ إن تقتل أشْرافهم ، تُخلف الوُضعاءَ منهم على أعقابهم ، وتُورث سفلَتهم ، (١) منازل عليَتهم . وتغلب أدنياءهم على مرَاتب ذَوي أخطارهم ولم تَبْتَل الملوكُ قط ببلاءٍ هو أعظَمُ عليهم من غَلبة السّفلة وذُلّ الوُجوه . واحْذَر الحذر كله أنْ تُمكّن تلك الطّبقة من الغلبةِ ، فانهم إن نجم منهم ناجمٌ على جُندك وَأهل بِلادك ، دهمهم ما لا رَويّة فيه ، ولا منفعة معه — فانصرف عن هذا الرّأي إلى غيره . واعمد الى مَن قِبَلك من العُظماء والأحرَار ، فوزّع بينهم مملكتهم . وألزمْ اسم الملك كلّ مَنْ ولّيته منهم ناحية . واعقد التاج على رَأسه ، وإن صَغر ملكه . فإنّ المُتَسمّى بالملك لازمٌ لاسمه ، والمعقودَ له التّاجُ لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوَقعَ بين كلّ ملك منهم وصاحبهُ ، تدابُراً وتغالباً على الملك وَتفاخُراً بالمال والجند ، حتى ينسَوْا بذلك أضغانهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حرْباً بينهم . ثمّ لا يزدَادُون بذلك بصيرةً إلاّ أحدَثُوا هنالك استقامةً لك فانْ دنوْتَ منهم كانوا لك ، وان نأيتَ عنهم تعزّزُوا بك . حتي يثب كلٌّ منهم على جاره باسمك ، وفى ذلك شاغلٌ لهم عنك ، وأمانٌ لأحداثهم بعدك . (وَإن كانَ

(١) بفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس وبعض العرب يخفف فينقل كسرة الفاء الى السين

أمان للدّهر) وقد أدّيتُ للملك ما رأيتهُ حظّا ، وعليَّ حقّا . والملك أبعدَ
ويّةً وأعلى عيناً فى ما استعان بى عليه .
والسّلام الذي لا انقضاءَ له ولا انتهاء ، ولاَ غايةَ ولا فناءَ ، فليكنْ على الملك

(ومن رسالة للامام على المتوفّى سنة ٤٠ هـ)

دَع الإسرافَ مُقتصداً . واذكُر فى اليومِ غدا . وأمسكْ منَ المال بقدْر
رُورتك . وقدّم الفضل[1] ليوم حاجتك . أترجُو أنْ يعطيكَ الله أجر
تواضعين ، وأنتَ عندهُ منَ المتكبّرين ؟ . أوْ تَطمعُ وأنتَ متمرّغ فى نعيم
ه الضعيفَ والأرْملة ، أن يُوجبَ[2] لك ثوابَ المتصدّقين ؟ !
وإنّما المرْءُ مجزيٌّ بما أسلف[3] وقادمٌ على ما قدّم : والسّلاَم .

« وكتب أيضاً كرّم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما »

أمّا بعدُ ـ فانّ المرءَ قد يسُرُّه دَركُ ما لم يكنْ ليفوتَه ، ويسُوءه فوتُ ما لم
ن ليُدْركه . فليكنْ سرُورُك بما نلتَ منْ آخرتك . وليكُنْ أسفُك على ما فات
ا . وما نلتَ منْ دُنياك فلاَ تُكثرْ فيه فرحاً . ومَا فاتكَ منها فلاَ تأسفْ عليه
عاً . وليكنْ همُّكَ فيما بعد الموت .

(وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ)

لاَ حوْل ولا قوّة إلاّ (بالله) اشتَبه المرَاقبُ باللاه ![4] واستبدِلَ الحلوُ
ّ ، وقُدّمَ الرّقيقُ على الحرّ ! وبيعَ الدُّرُّ بالخزَف ! والخزُّ بالخشف ،[5]

---

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه (٢) أن ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف
ى بتطمع (٣) تدمه فى سالف أيامه
باللاهي الذي يكون ماهيا ـ وعالبا الشيطان (٥) بفتح الخاء أو بضمها الردىء من الصوف

وأظهر كل لئيم كِبْره ! إنّ فى ذلك لعبرة ! سمعاً سمعاً ، فالوُشاة إنْ سعَوا لا يعقلوا . ويحبّون أنْ يُحمدُوا بما لم يفعلوا . فكيف تشترُون منهُم القار (١) فى صنة العنبر ؟ وقد بدَت (٢) البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدُورهُم أكبر ! وكيف تسمعُ الأحبابُ لمن نهى منهُمْ وزَجر ؟ ولقدْ جاءهُمْ من الأنْباءِ (٣) ما فيهِ مزْدَجر ! (٤) عجبْتُ لهم وقد دخلُوا دارنا وهُم عنها معرِضون ! فلما أحسُّوا بأسنَا إذاهُم منها يرْكُضون ! فقابلوهُم بذبال الطرْد فى الأعناق . حتى إذا أثخنْتمُوهُم ، (٥) فشدُّوا الوثاق (٦) أبدخلون بما لا ينفع ، فى بيُوتٍ أذن اللهُ أنْ ترْفع ! سيعامون مقام الهبوط والعرُوج ، (٧) يوْم يسْمعُون الصيْحة بالحقّ « ذلك يوْمُ الخرُوج » ويقولون اذا لم يجدُوا ملاذاً ، يا ويلنا قد كنا فى غفْلةٍ من هذا فانهم عزمُوا على الاقامةِ مدّه . ولو أرادُوا الخرُوج لأعدُّوا لهم عدّه (٨) وأنت يا عزيز العليا ، وحيد الدّنيا ، قد بيّنْتُ لك فعالهم . فبما (٩) رحمة من الله لنْتَ لهم ، ولكنهم طمِعُوا فى عميم طوْلك ، (١٠) ولو كنت فظّاً (١١) غليظ القلْب (١٢) لانفضُّوا (١٣) منْ حولكْ ، أتراهُم يعقلون كلامك أم يفهمُون ؟ لعمرُكَ (١٤) إنهم لفى سكرتهم يعمهُون (١٥) لهم قلوبٌ لا يدرُون بها للحسد قراراً ، لو اطّلعت عليْهِم لوليْتَ منْهُمْ فِراراً ، وإنى قد شيّدتُ (١٦) لك بقلبي حصناً (١٧) صعباً (١٨)

---

(١) الزفت (٢) ظهرت (٣) الاخبار (٤) النهي بشدة (٥) أكثرتم القتل فيهم
(٦) ما يربط به (٧) الطلوع (٨) ما أعده الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح
(٩) فبرحمة وما للتوكيد وللدلالة على أن لينه ما كان الا برحمة من الله (١٠) احسانك
(١١) سيء الخلق (١٢) قاسيه (١٣) لتفرقوا (١٤) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره قسمى (١٥) يتحيرون (١٦) زينت (١٧) موضعاً حصينا
(١٨) لا يقدر أحد أن يدخله والمراد المبالغة فى تحصين المحبة

فما استطاعوا أن يَظْهَرُوه، [١] وما استطاعوا له نقْبا [٢] نسيت بالعاذل [٣] جميلَ الصّوْت [٤] وَأنكره، ما أنسانيهِ إلاّ الشيطانُ أن أذكُرَهُ [٥] رُميتَ أيها العاذل بسيف الغَدر فى نحرك! أجئتنا لتخرِجَنا مِن أرضِنا بِسِحْرِكَ! فان لم ترجعْ عن السّحر وفعله، فَلنَأتينّكَ بِسِحْرٍ مثلِهِ، كيف يسعي العاذلُ بين النّديم وإلفه، وقد خَلَتِ النُّذرُ مِنْ بَيْنِ يديْهِ وَمِنْ خلْفه! فيا سادتى دعُونى من المعْجِب والمُطرب لَيْسَ البِرُّ أنْ تولُّوا وُجُوهَكمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِب. واجعلوا سيفَ تباتِكم لِلعُذّال مسلولا، وَأوْفُوا بالْعَهْدِ إنَّ العهْدَ كان مَسْئولا. فإنهم إن قالوا كذب النَّديم أو بطر، سيَعْلَمُونَ غداً من الكَذَّابُ الأشِر. [٦] وها قد صارَ أمر الحِزْبينِ عندك جليًا، فأىُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مقاماً وَأحْسَنُ نَدِيا [٧]! أتظنُّ عهدَ العاذل عند غضبك لا يُنكث [٨] مَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تحمل عليه يَلْهث، أنه لَكم عَدُوٌّ كَبير، ففرُّوا إلى الله إنّي لكُم منهُ نذير، فانه جمع لقتالك الأولاد والأحفاد، [٩] وَآخرين مُقرّنينَ [١٠] فى الأصْفاد [١١] تركُوا أمر الله واشتغلوا بما يَرضونه، فأعقبهُم نِفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه. وظنّي إنْ وصل إليك كتابى، انهم يُطْرَدُون ويُرْدَعُون، وحرامٌ على قَرْيَةٍ أهلكْناها أنّهم لا يرجعُون أيُعجِبُكَ إذا مشي هذا اللاّه، ثانىَ عِطْفه [١٢] لِيُضِلّ عن سَبيلِ [١٣] الله

وإنّك وإن فرِحتَ بعلم ما يَجْهلُون، قد نعلم انهُ ليُحزنك الذى يقولُون. فان قلتَ إنّ اجتماعي بهم لأجل الصدقة أو شيء من هذا القبيل، إنما الصدقاتُ للفقَراء

---

(١) لا يقدرون أن يعلوا ظهره لارتفاعه ونعومته (٢) خرقا لصلابته وسمكه (٣) اللائم (٤) الذكر الجميل ولا يستعمل الصوت بهذا المعني الا فى الجميل (٥) انسانى ذكره (٦) المتكبر (٧) مجلس القوم (٨) لا ينتقض (٩) أولاد الابناء (١٠) مشدودين (١١) القيود (١٢) لاوى عنقه تكبرا (١٣) عن دين الله

والمساكينِ والعاملينَ(١) عليها والمؤلَّفةِ قلوبُهم(٢) وفي الرِّقابِ(٣) والغارمينَ(٤) وفي سبيلِ الله(٥) وابنِ السَّبيل(٦) على أنَّه لا تحلُّ الصَّدقة لذميمٍ(٧) همَّازٍ(٨) مشَّاءٍ بنميمٍ،(٩) وطباعُهم كما تعلمُ مُنكَرةٌ مُستقذَرة، كأنَّهم حُمُرٌ(١٠) مُستنفِرة،(١١) فرَّت من قسوَرة(١٢)، وقد قال وفائي: خاطبْ عزيزكَ هذه المرَّة، وإنْ لم يعملْ فيكَ فكراً، وما يُدريكَ لعلَّه يزَّكَّى،(١٣) أو يذَّكَّرُ فتنفعهُ الذِّكرى. فقال لساني إنَّ الودَّ هو الرَّسول المأمون. فأرسلْه معي ردْءاً(١٤) يصدِّقني إنِّي أخافُ أن يكذِّبون. فقلتُ سيروا مع المحبة ذات الفُتُوَّة(١٥) ولا تكونوا كالتي نقضتْ غزلَها من بعد قوَّة. وقولوا له عند الغاية قدْ جئناكَ بآيةٍ. ولا تهابوا الجيشَ وإنْ كبُرَ، سيُهزَمُ الجمعُ ويولُّونَ الدُّبُرْ(١٦) ولا تظنُّوا من ظاهر الأمر حُلُول البلوى، إذْ أنتمْ بالعُدْوَة(١٧) الدُّنيا(١٨) وهم بالعُدْوَةِ القُصْوى(١٩). بل قاتلوهم قتالَ المستشهِدين، وليجدُوا فيكم غِلظةً، واعلموا أنَّ الله مع المتَّقين. وإذا اشتبكَ القتالُ فليذبَّ كلٌّ منكم عن مولاه.(٢٠) وإنْ جنحوا(٢١) للسَّلْم(٢٢) فاجنَحْ لها وتوكَّلْ على الله. فسيروا ودعُوا الأولادَ والجُنَّة،(٢٣) وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكمْ وجنَّة

---

(١) السعاة الذين يقبضون الصدقات بأمر الحاكم (٢) أشراف من العرب كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفهم للاسلام (٣) المكاتبون من العبيد (٤) من تحملوا الدين (٥) الفقراء في الجهاد (٦) المسافر المنقطع عن ماله (٧) القبيح والمراد قبيح الفعال ذميم الخصال (٨) عياب يعيب الناس (٩) ساع بالنميمة والفساد (١٠) جمع حمار (١١) نافرة (١٢) الاسد (١٣) يتطهر من الذنوب (١٤) معينا (١٥) الكرم والتسامح (١٦) الظهر (١٧) بضم العين وكسرها جانب الوادي (١٨) القربى (١٩) البعدى (٢٠) صاحبه (٢١) مالوا (٢٢) الصلح (٢٣) المراد بها هنا النساء وأصلها ما تغطي بها المرأة وجهها

ولا تسألوا عن الميرة (١) من أصله ، وإن خفتم عيلة (٢) فسوف يغنيكم الله من فضله ، فانَّ الله قد أثاركم (٣) لقتال العذال العائبين ، ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم (٤) . فينقلبوا خائبين . واحملوا عليهم فانهم متى طعنوا فى جنوبهم رضوا أن يكونوا مع الخوالف (٥) وطبع (٦) الله على قلوبهم . ولا تدبروا إذا رأيتموهم قدامكم . (٧) ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وان أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها ، فإما منا (٨) بعد وإما فداء حتى تضع الحرب (٩) أوزارها ، (١٠) فان أطعتم رفعتم وأصاح الله بالكم ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

وسأتلو فى خطبتكم عند قدومكم سالمين فقطع دابر (١١) القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(وكتب أستاذنا الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ)

عرض لى ما منعنى من قراءة الجرائد نحو أسبوع ، وكنت أسمع فيه بحادثة (ميت غمر) من بعض الافواه ، أظنها من الحوادث المعتاد وقوعها ، حتى تمكنت من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضى ، فاذا لهب ذلك الحريق يأكل قلبى أكله لجسوم أولئك المساكين : سكان (ميت غمر) . ويصهر (١٢) من فؤادي ما يصهره من لحومهم . حتى أرقت (١٣) تلك الليلة ، ولم تغمض عيناي إلا قليلا . وكيف ينام من يبيت يتقلب فى نعم الله ، وله هذا العدد الجم من إخوة وأخوات يتقلبون فى شدة البأساء ؟ ! (١٤) فأردت أن أبادر بما أستطيع من المعونة

(١) جلب الطعام (٢) فقرا (٣) نشركم (٤) يصرفهم ويذلهم (٥) النساء (٦) كناية عن أعماء بصائرهم (٧) سابقيكم (٨) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (٩) أهل الحرب (١٠) أثقالها من سلاح وغيره (١١) اهلكوا عن آخرهم (١٢) يذيب (١٣) سهرت (١٤) الضرر والفقر

(وما أستطيعه قليلٌ لا يغني من الحاجة ولا يكشفُ البلاء) ثمَّ رأيتُ أن أفضو جمعًا من أعيان العاصمة ليشاركوني فى أفضل أعمالِ البرّ فى أقرب وقت . وكان ذلك يومَ السبت فحضرَ منهم سابقون ، وتأخر آخرون ، وكتب بعضهم يعتذرون فشكرَ اللهُ سعيَ من حضر ، وجزي خيراً من اعتذر ، وغفر لمن تأخر . على أنه ليسَ الحادثُ بذي الخطبِ اليسير . فالمصابون خمسة آلاف وبضعٌ (١) مبين منهم الأطفالُ الذين فقدوا عائليهم ، (٢) والتجار والصناعُ الذين هلكت آلاتهم ورؤوسُ أموالهم . ويتعذر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرّة أخرى إلا بمعونةٍ من إخوانهم ، وإلا أصبحوا متلصصين أو سائلين . والذين فقدوا بيوتهم ولا يجدون ما يأوون اليه ، ولا مالٌ لهم يقيمون ما يؤويهم من مثل بيوتهم المتخربة ـ لهذا رأيتُ ورأي كلٌّ من تفكرَ فى الأمرِ ، أن يُجمع مبلغٌ وافرٌ يتمكنُ به من تخفيف المصاب عن جميع أولئك المنكوبين

(وكتب أيضاً فى الغرض المذكور)

قد بلغكم (ولا ريبَ) من أخبار الجرائد ، ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعد الحريق الذي أصابَ مدينتهم ، فهم بلا قوتٍ ولا ساترٍ ولا مأوي ، فليتصورْ أحدُكم أنّ الأمرَ نزلَ بساحتهِ ، أفما كان يتمني أن يكونَ جميعُ الناس فى معونته فليطالب الآن كلٌّ منا نفسهُ بما كان يطالبُ به الناسَ ، لو نزل بهِ ما نزلَ بهم ولينفقْ مما لهُ ما يدفعُ اللهُ به عنه مكروهَ الدهر . . . فأرجو من همتكم أن تدفعوا شيئًا منْ مالكم فى مساعدة إخوانكم . وأنْ تبذلوا ما فى وسعكم لحث من عندكم على مشاركتكم فى هذا العمل المبرورِ والسلام

---

(١) بكسر الباء أو بفتحها ما بين الثلاث الى التسع ـ وبالضم الفرج (٢) من ينفقون عليهم

(الفصل السابع في رسائل الملامة والعتاب)

(كتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

لَئِنْ ساءني أنْ نِلْتَني بمساءةٍ ... لقد سَرَّني أنّي خطرتُ ببالِكِ[١]

الأميرُ أطالَ اللهُ بقاءهُ ، في حالَيْ برِّه وجفائه متفضل ، وفي يومَي إدنائه وإبعادِه متطوِّل ، وهنيئاً لهُ مِنْ حِمانا ما يحُلُّه ،[٢] ومن عُرانا ما يحِله[٣] ومنْ أعراضنا ما يستحِلّه .

بلَغني أنهُ (أدامَ اللهُ عزّه) استزاد[٤] صنيعه[٥] . فكنت أظنّني مجنياً[٦] عليه مساءً اليه ، فاذا أنا في قرارة الذّنب ، ومثارة[٧] العتْب ، وليْتَ شِعْري[٨] أي محظُور[٩] في العشْرة حضرْته ، أوْ مفرُوض مِنَ الخِدمة رفضتهُ ،[١٠] أو واجب في الزّيارة أهمَلتهُ ، وهل كنت إلاَّ ضيفاً أهداهُ منزعٌ[١١] شاسِعٌ[١٢] وأدّاهُ أمل واسع ، وحداه[١٣] فضلٌ وإنْ قلّ ، وهداه رأيٌ وإن ضلّ ، ثم لم يُلقِ الافي آل مكال رحله ،[١٤] ولم يصلْ الاّ بهم حبله ، ولم ينظم الاّ فيهم شِعره ، ولم يقفْ الا عليهم شكره .

ثمّ ما بعُدَت صحبةٌ الاّ دنتْ مهانة ، ولا زادت حرْمةٌ الاّ نقصتْ صِيانة ولا تضاعفتْ مِنّةٌ الاّ تراجعتْ منزلة ، ولم تزلِ الصّفة بنا حتّى صار وابل[١٥] الأعظامِ قطرةً ، وعاد قميص القيام صدْرة ،[١٦] ودخلت مجلسه وحوْلهُ من الأعداءِ كتيبةٌ ،[١٧] فصار ذلك التقريبُ ازْوِراراً ،[١٨] وذلك السّلامُ اختصاراً

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر المشهور بابن الدمينة من قصيدة والخطاب لمؤنث (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه واحسانه (٦) المؤاخذه بجنايته (٧) مكان الثوران (٨) ليتنى اشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٩) ممنوع (١٠) أبطلته (١١) مصدر ميمي بمعني البعد (١٢) بعيد (١٣) ساقه ودفعه (١٤) ما يأخذه المسافر من الاثاث وحوائج السفر (١٥) المراد به الكثير من الانعام وأصلة المطر (١٦) ثوب يلبس فيغطي الصدر (١٧) جماعة (١٨) انحرافا

وَالاحتزاز ايماءً، وَالعبارَة اشارَة. وَحين عاتبته آمل اعتابه، (١) وكاتبته أنتظرُ جوَابه، وسألته أرجو ايجابه، أجاب بالسكوت فما ازْددْتُ له الا ولاءً، وعليه ثناءً. وَلاجرَم (٢) انّي اليوْم أبيضُ وَجه العهد، وَاضحُ حُجّة الوُدّ، طويلُ لسان القوْل رَفيع حكم العذْر. وقد حمّلتُ فلانًا من الرّسالة ما تجافى القلمُ عنه، وَالأميرالرئيس (أطالَ الله بقاءَه) يُنعمُ بالاصغاء لما يوردُهُ، مُوَفّقًا إنْ شاءالله تعالى

« وكتب أيضًا الى القاسم السكَرجي المتوفى سنة ٤٠٠ ه »

أنا (وان لم ألقَ تطاوُل الإخوَان الاّ بالتّطوّل، وتحامُلَ الأحرار الا بالتّحمّل) أُحاسبُ مَوْلاي (آيّدَه الله) على أخلاقه، ضنًّا (٣) بما عقدتُ يدي عليه من الظن به، والتقدير فى مذهبه. وَلوْلاَ ذلكَ، لقلتُ فى الأرْض مجالٌ، ان ضاقت ظلاَلُك (٤). وَفى الناس وَاصلٌ، ان رَثتْ (٥) حبالك. وَآخذهُ بأفعاله.

فانْ أعارنى أُذنًا وَاعية، ونفسًا مراعية، وقلبًا مُتعظًا، وَرجوعًا عن ذهابه وَنزُعًا (٦) عن هذا الباب الذي يقرَعهُ، (٧) ونزولا عن الصّعود الذى يفرَعه، (٨) فرشتُ لمودّته خُوَان (٩) صدرى، وَعقدتُ عليه جوَامعَ خصري، ومجامع عمْرِي (١٠) وان رَكب من التّعالى غير مركبه (١١) وَذهبَ من التغالى فى غير مذهبه، (١٢) أقطعته خُطّة (١٣) أخلاَقه، ووَليّتهُ جانب اعراضه.

---

(١) ازالة عتبه وملامته (٢) كلمة كانت فى الاصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتي تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا (٣) بكسر الضاد وفتحها حرصا (٤) أماكن الظل (٥) بليت وذابت (٦) انتها، وتركا (٧) يدقه بيده لينفتح له (٨) يصعده ويعلوه (٩) بضم الخاء أو بكسرها ما يؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره (١٠) مراده التمسك بمودته مدة حياته (١١) مراده وان تكبر (١٢) طريقه (١٣) بضم الخاء الطريقة: مراده أنه يتركه وان أخذ فى غير طريق طباعه

لا أذودُ (١) الطَّير عن شجرٍ قد بلوت المُرّ من ثمره

فانى وإن كنتُ فى مُقتبل السّنّ والعُمر ، قد حلبتُ شطْري الدّهر ، (٢) وركبتُ ظهريَ البرّ والبحر ، (٣) ولقيتُ وفدَي (٤) الخير والشرّ ، وصافحتُ يدى النَّفع والضرّ ، وضربتُ إبطي العُسر واليُسر ، وبلوتُ طعمى الحُلو والمرّ وَرضعتُ ضرعي العُرْف والنُّكر ، (٥) فما تكاد الأيّام تريني من أفعالها غريباً وتسْمعني من أحوالها عجيباً ، ولقيتُ الأفراد ، وطرحتُ الآحاد ، (٦) فما رأيت أحداً الاَّ ملأت حافتيْ (٧) سمعه وبصره ، وشغلتُ حيزَيْ (٨) فكره ونظره وأثقلتُ كتفه فى الحزن ، وكفته فى الوزن ، ووددتُ لوْ بادرَ القِرْن (٩) صحيفتي ، (١٠) أوْ لقيَ صفيحتي (١١) . فما لى صغرْتُ هذا الصِّغر فى عينه ، وما الذي أزْرَى (١٢) بى عنده حتي احتجب . وقد قصدته ، ولزمَ أرْضه وقد حضرته .

وأنا أُحاشيه (١٣) أن يجهل قدرَ الفضل ، أوْ يجحدَ فضل العلم ، أوْ يمتطيَ (١٤) ظهرَ التِّيه (١٥) على أهليه ، وأسأله أن يختصّني من بينهم بفضل إعظام ، إنْ زلّتْ بي مرّةً قدم فى قصده . وكأنّى به وقد غضب لهذه المخاطبة المُجحفة ، (١٦) والرُّتبة المُتحيفة (١٧) وهو فى جنب جفائه يسير ، فان أقلع (١٨) عن عادته ونزع عن شيمته (١٩) فى الجفاء ، فأطال الله بقاء الاستاذ الفاضل ، وأدام عزّه وتأييده .

(وكتب أبو عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ ه)

والله ياقليب : لولا أن كبدى فى هواك مقروحة،[١] وروحى مجروحة لساجلتك[٢] هذه القطيعة . ومادذتك حبل المصارمة[٣]. وأرجو أن الله تعالى يديل[٤] صبرى من جفائك ، فيردك الى مودتى وأنف القلى[٥] راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتي كدنا نتنا كر عند اللقاء والسلام

« وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ ه الى تلميذه »

كتابى وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء[٦]، وبروز البدر من الظلماء وقد فارقتنى المحنة ،[٧] وهى مفارق لايشتاق اليه ، وودعتنى وهى مودع لايبكى عليه ، والحمد لله تعالى على محنة يجليها ، ونعمة ينيلها ويوليها كنت أتوقع أمس كتاب مولاي بالتسلية ، واليوم بالتهنية فلم يكاتبني فى أيام البرحاء[٨] بأنها غمته ، ولافى أيام الرخاء بأنها سرته ! وقداعتذرت عنه إلى نفسى وجادلت عنه قلبى . فقلت أما إخلاله بالأولى ، فلأنه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها وأما تغافله عن الاخرى ، فلأنه أحب أن يوفر على مرتبة السابق إلى الابتداء ، ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء ، لتكون نعم الله سبحانه على موفورة من كل جهة ، ومحفوفة بى من كل رتبة ، فان كنت أحسنت الاعتذار عن سيدي ، فليعرف لى حق الاحسان ، وليكتب إلى بالاستحسان وإن كنت أسأت ، فليخبرنى بعذره ، فانه أعرف مني بسره . وليرض منى بأنى حاربت عنه

(١) مجروحة (٢) معناه لقابلتك (٣) المقاطعة (٤) الغلبة والنصر (٥) صاحب البغض
(٦) صقله بازالة ما عليه حتى يرى له لمعان (٧) البلية (٨) شدة الأذى

قلبي، واعتذرت عن ذنبه، حتى كأنه ذنبي، وقلت يا نفس اعذري أخاك وخذي منه ما أعطاك، فمع اليوم غد - والعود أحمد.

(وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ)

أما بعد: فقد عاقني الشك فى أمرك، عن عزيمة الرأى فيك، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثم اعقبته جفاء من غير ذنب. فأطمعني أولك فى إخائك، وأيأسني آخرك من وفائك. فسبحان من لو شاء لكشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيه، فاجتمعنا على ائتلاف. وافترقنا على اختلاف والسلام.

(وكتب صديقي زعيم الوطنية المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش)

سيدي - مالى أراك كمن نسى الخايط، (١) وتجرد فى الصحبة عن المحيط والمخيط. فاذا ما صادفتك (٢) صدفت، (٣) أو أنصفتك ما نصفت، (٤) أتظن أنى قعيدة بيتك، (٥) أو رهين كيتك وذيتك، (٦) فوحقك اذا آنست (٧) من يدي ملالا، أو من قدمي كلالا، (٨) لنجزتها (٩) البتات، (١٠) وكلت بنقصها الذات. ولو أنى آنست من الزاد فترة، (١١) أو من الشراب عسرة، لطعمت الطوي، (١٢) واستقيت الجوي (١٣). فكيف أداعب، (١٤) وتصاعب؟ وأحالف وتخالف؟ وأواصل، وتفاصل؟ وأجالب، وتجانب! لبئست مطيتك التى اقتدعت، (١٥) وشرعتك (١٦) التى شرعت (١٧). فوالله لولا أن الحب حادث لا يتقى بالترس، ومعنى لا يدب الا فى النفوس، وسهام لا ترمي الا من قسيي

الحواجب ، ونحوٌ أوّله المحنة وآخره الجوازم ، لما افترست الظباء الأسود الصيد ، (١) ولا ملكت الأحرار العبيد . ولولا أني كرعت(٢) من صابه(٣) والتحفت ببردة أوصابه ، (٤) لتعوذت منك بسورة الفلق ، ونبذتك(٥) نبذ الرداء الخلق (٦) ولهان على أن أدعك أو أسمعك

تمرون الديار ولن تعوجوا(٧) كلامكم على إذاً حرام

غير أن لى نفساً شبت على الحب فلم أفطمها ، وتقادعت(٨) على ناره فلم أعصمها . حتي بلغ السيل الزبى ، (٩) وتبددت (١٠) النفس أيدي سبا (١١) إلا حشاشة غفل عنها الوجد ، وبقية رمق ألفيتها (١٢) من بعد . وكلما رأيت منك الشطط ، (١٣) واعتساف (١٤) الخطط (١٥) عمدت إلى أن أثني(١٦) من رسنها (١٧) وأذود (١٨) عن عطنها ، (١٩) وشخصت الى المكافحة والمكافأة ، وأن لا أكيلك إلا مثلاً ، ولا أسقيك الا وشلاً ، (٢٠) ولا أزيدك الا فشلاً .

ولست أجزيك الجزاء الذى على وفاء الصنع لا بخسه
وليس يبكي صاحباً من اذا أدين لا يبكي على نفسه

على انى بالرغم أصبح فى نهار أحلك (٢١) من ليل ، وأمسي فى ليل أشق على النفس من ويل .

---

(١) دفعت (٢) بكسر الراء وفتحها شربت بفمي (٣) مائه المر وأصله عصارة شجر مر (٤) أمراضه (٥) رميتك (٦) القديم البالى (٧) لن تقيموا (٨) تسابقت (٩) مثل يضرب لما جاوز الحد (١٠) ذهبت وهو مثل يقال تبددوا أيدي سبا وأيادي سبأ معناه ذهبوا متفرقين (١١) هم الذين ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله فى القرآن قل لقد كان لسبأ الى آخر الآيات (١٢) وجدتها (١٣) تجاوز الحد (١٤) الميل عن الطريق المألوف (١٥) الامور (١٦) أرد (١٧) زمامها (١٨) أمنع (١٩) مكانها (٢٠) الماء القليل في هذا الموضع والماء الكثير فى غيره (٢١) أشد سوادا

وليل كموج البحر أرخى سدوله [1] علىّ بأنواع الهموم ليبتلى [2]

فان تخلصت من لقائك، فالى الشقاء . واذا لجأت من عسفك، فإلى العناء . واذا استجرت بفراقك ، فقد استجرت من الرمضاء [3] وكأنك لم تدر أن دولة الحسن سريعة التقويض ، [4] وأنه لا بد من هبوط القمر إلى الحضيض ولسوف تبلى بعارض [5] يبد [6] أنه غير ممطر ، وبساعة مقبلك فيها مدبر وستصبح عما قريب قد عفت [7] رسومك ، [8] ولم تجد فى سوق الصحبة من يسومك . والعاقل من لا يختال بنفسه ، ولا يبني على غير أسه [9] فانك ما نضت [10] لؤلؤة مبسمك ، ولا نضرت [11] صورة معصمك [12] ولا شئت فخلقت كما تشاء ، ولا اتخذت عند الله عهداً وهذا الوفاء . ولكن مثلك من أفرغه الله فى القالب الذي اختار، وجعله مرتع النفوس ومسرح الأبصار وانى أيها العزيز قد تقدمت اليك

ولى أمل قطعت به الليالى أرانى قد فنيت به وداما

فلا تحرمني من سائغ العفو وسابغه ، ولا تجعلنى كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه

فأشد ما لقيت من ألم الجوي [13] قرب الحبيب وما اليه وصول

كالعيس [14] فى البيداء يقتلها الظما [15] والماء فوق ظهورها محمول

فاعمل فى يومك لغدك ، واستجز غيرك ببسط يدك ، ولا تأخذنى بجرم الجانى

المتلبّس ، ولاَ تبتَغ منّي صحيفة المتلمّس [١] بيدَ أني أنشدكَ الذى بلى العاشق بالمعشوق ، وكأنه فى الحبّ بيض الأنوق ، [٢] وسهّد [٣] طرفه بنواعس العيون ، وخوّل [٤] للحُسن إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ لهُ كُنْ فيكون . كما قرنَ الهوى بالنّوى ، [٥] والقلبَ بالجوى ، [٦] وقضي على المحبّ ، ونشرَ العشق فلم يحتجب ما الذي أغرى بكَ الى الاعتساف ، وعدم الإنصاف ؟

آلينُ الأعطاف ! أم فتور [٧] الأجفان ؟ أم تكسّر الكلام ؟ أم هيفُ القوام ! ؟ لقد شددتَ أزركَ [٨] (والله) بضعاف ، واستسمنتَ تلك العجاف . وهل حدا [٩] الى قطيعتي بك ! أني حسن الملمَس ؟ رثّ الملبَس ؟ ولم أُمنَحْ [١٠] كما منحت نضرَة [١١] ولم ألبس برْقع البياض والحُمرَة ، فاعلم انك ان نظرتني بعين الرّضا ورحمتَ فؤاداً يتقلّب منك على جمرِ الغضا ، [١٢] فستجدُني صديقك الذي لا يبطره الوفاء ، ولاَ يثنيه الجفاء . أملك لك من لسان ، وأطوع لأمرك من بنان .

أكتبُ ، فأين لعبد الحميد الكاتب قلمي ؟ وأشعرُ ، فأين الشعراء إلا تحت علمي ؟ وأبذل ، فأين حاتمُ [١٣] من كرمي ؟ وأحلمُ ، فأين ، أحنفٌ [١٤] من حلمي

وحسبكَ فخراً أن يجُودَ بنفسه على رغبٍ من ليسَ يأملُ فى الشكر
ومن يحتملْ فى الحُبّ مافوق كاهلي [١٥] فحسبكَ حلماً أنْ يقيم على الهجر

فان أصختَ [١٦] الى الدّاعية ، [١٧] ووعيت كلمات لاَ تسمعُ فيها لاغية [١٨]

---

(١) الطالب مرة بعد أخرى (٢) الانوق العقاب ولفظ المثل هو أعز من بيض الانوق مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل اليه (٣) أسهره (٤) ملكه (٥) البعد (٦) الحرقة (٧) ذبولها (٨) ظهرك (٩) ساق الى (١٠) اعطى (١١) حسنا (١٢) شجر خشبه فيه صلابة (١٣) ابو عدى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وبه يضرب المثل فى الكرم من شعراء الجاهلية (١٤) لقدم تاريخه (١٥) ما بين الكتفين (١٦) استمعت (١٧) مراده الواشى العاذل (١٨) لغوا من الكلام

فإليك الجزاء، وعليّ الوفاء. وإلاّ فالفِرار الى الموت أمرٌ يسير، والقبرُ للعشاق قليلٌ من كثير.

(وكتب معاوية الى ابنه يزيد يؤنّبه ويعاتبه)

أمّا بعد: فقد أدّت ألسنةُ التصريح الى أُذن العناية بكَ، مَا فَجَع الأمل فيك، وباعدَ الرّجاءَ منك، اذ ملأت العيُون بَهجَة. والقلوب هيبة، وترامَت اليك آمالُ الراغبين، وهِمَم المنافسين. فَسَخَتْ بك فتيان قريش، وكهول أهلك، فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجِرّة المُهوّعة،(١) والكَظّ الجَشْء(٢). اقتحمت البوائق،(٣) وانْقَدْت الى المعاير، واعتَضْتَها من سموّ الفضل، ورفيع القدر. فليتك ـ يزيد ـ إذ كنت لم تكن، سَرَرْت يافعاً ناشئاً، وأثقَلْت كهلا ضائعاً(٤). فواحزَناه عليك يزيد! ويا حرّ صدر المثْكَل بك! ما أشمت فتيان بنى هاشم! وأذلّ فتيان بني عبد شمس: عند تفاوض المفاخر ودراسة المناقب! فمن لصلاح ما أفسدتَ ورَتْق ما فتقْت؟ هيهات، خَمَشت(٥) الدُّربة(٦) وجه التّصبر بك. وأبت الجناية إلاّ تَحدُّرا على الألسن، وحلاوة على المناطق. ما أربح فائدة نالوها، وفرصة انتهزوها! انتبه «يزيدُ» للعظة، وشاور الفكرة. ولا تكن إلى سمعك أسرع من معناها الى عقلك. واعلم أن الذى وطّأك وسوسة الشيطان، وزخرفة السلطان مما حَسُن قُبحه، واحلَوْلى عندك مُرّه، أمرٌ شَرَكَكَ فيه السّواد(٧)، ونافَسَكهُ الأعبد. فأضعت به من قدرك، وأمكنت به من نفسك ـ فمن لهذا كله؟

واعلم يا يزيد أنك طريد الموت، وأسير الحياة. بلغني أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير كما قال تعالى: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون[1]) وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهرا.

اعلم يا يزيد أن أول ما سلبكه السكر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه المتظاهرة وآلائه المتواترة، وهى الجرحة العظمى. والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات فى أوقاتها، وهى من أعظم ما يحدث من آفاتها، ثم استحسان العيوب، وركوب الذنوب، وإظهار العورة، وإباحة السر. فلا تأمن نفسك على سرك، ولا تعقد[2] على فعلك. فما خير لذة تعقب الندم، وتعفي[3] الكرم؟ وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة. فكن الحاكم على نفسك، واجعل المحكوم عليه ذهنك. ترشد إن شاء الله تعالى. وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردا من نومه: فقد أصبح نصب[4] الاعتزال من كل مؤانس، ودرية[5] الألسن الشامتة. وفقك الله فأحسن.

(وكتب أعرابى لابنه وسمعه يكذب).

يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه. وإنما يدل على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقا لم يصدق، وان أراد خيرا لم يوفق. فهو الجانى على نفسه بفعاله، والدال على فضيحته بمقاله. فما صح من صدقه نسب الى غيره، وما صح من كذب غيره نسب اليه فهو كما قال الشاعر:

---

(١) تقدم شرح غريب الآية فى خطبة تطرى (٢) يقول: تنعقد بالشراب الارادة والعزيمة
(٣) تعفي: تذهب (٤) النصب هنا: الغرض والهدف (٥) الدرية: الحلقة التي يتعلم الرامى الطعن والرمي عليها

حسبُ الكذوب من المها نة بعض مايُحكي عليه
فاذا سمعت بكذبة من غيره نُسبت اليه

(وكتب المرحوم حفنى بك ناصف الى سماحة السيّد توفيق البكرى)

كتابى إلى السيّد السّند، ولا أُجشّمُه (١) الجوابَ عنه، فذلك ما لا أنتظرُه منه. وانّما أسأله أن ينشطَ إلى قِراءته، ويتنزّل إلى مطالعته، ولهُ الرّأيُ بعد ذلك أن يحاسبَ نفسهُ أو يُزكّيها، ويحكمَ عليها أوْ لها

فقد تنفعُ الذكرى إذا كانَ هجرُهمْ دلالاً فأمَّا إنّ ملالاً فلاَ نفعا

زُرْتُ (السيّد) ويعلم الله أنّ شوقى إلى لقائه، كحرصى على بقائه، وكلفي بشهُوده، كشغفى بوُجوده فقد بعُد (والله) عهدُ هذا التلاق، وطال امدُ الفراق وتصرَّم الزّمان، وأنا من رُؤيته فى حِرْمان. فسألت عنه فقيل لى إنّه خرجَ لتشييع (٢) زائر، وهو عما قليل حاضر. فانتظرت رجوعه، وترقبتُ طُلوعه ولم أزل أعُدُّ اللحظات وأستطيلُ الأوقات، حتى بزغتْ الأنوار، وارتجَّ صحنُ الدَّار، وظهرَ الاستبشارُ على وُجوه الزوّار. وجاء السّيد فى موكبه، وجلالة محتِده (٣) ومنْصبِه، فقُمنا لاستقباله، وهينمنا (٤) بكماله. فمرّ يتعرّف وجُوه القوم حتي حازانى، وكبُر على عينه أن يرانى. فغادرنى (٥) ومن على يسارى، وأخذ فى السلام على جارى، وجرّ السلام الكلام، وتكرر القعود والقيام. وأنا فى هذه الحال أوهم جارِي، أنّي فى داري وأظهرُ للنّاس أن شدة الألفة، تسقِط الكلفة. ومرّ السيّد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرّات، ومن الغرِيب أنهُ لم يستدْرِك ما فات.

---

(١) لا أكلفه (٢) لتوديع (٣) أصله من جهة النسب (٤) تكلمنا بصوت خفي (٥) تركنى

تمرُّون الدِّيارَ ولَنْ تعوجُوا كلامُكم عليَّ إذَنْ حرَامُ

وكنتُ أظنُّ أنَّ مكانتي عِندَ السّيدلا تُنكر ، وأنَّ عهدى لديه لا يخفُر [١] فاذَا أنا لستُ فى العِير ، [٢] ولافى النّفير . [٣] وغيري عند السيد كثيرٌ ، وذهاب صاحب أو أكثر عليه يسيرٌ

ومن مدت العليا اليه يمينها فأكبر إنسان لديه صغير

ولا أدَّعي أنى أوازي السيد (صانه الله) فى علوّ حسبه ، أو أدانيه فى علمه وأدبه ، أو أقاربه فى مَناصبه ورُتبه ، أو أكاثره فى فضّته وذهبه ، وإنما أقول ينبغي للسيد أن يُميّز بين من يزُوره لِسماع الاغانى والأذكار ، وشهود الأوانى على مائدة الإفطار ، وبين من يزُورُه للسلّام ، وتأييدجامعة الإسلام . وأن يُفرّق بين من يتردّدُ عليه استخلاصاً للخلاص ، ومن يتردّد إجابةً لدعوة الإخلاص . وأن لا يشتبه عليه طُلاّب الفوائد ، بطلاب العوائد . وقناص [٤] الشوارد [٥] ، بنُقباء الموالد ، ورُواد الطُّرَفْ ، [٦] بأرباب الحِرف .

فما كلُّ من لُقيتَ صاحِبُ حاجةٍ ولا كلُّ من قابلتَ سائلُكَ العُرفا [٧]

فان حَسُنَ عند السّيد أنْ يُغضِي عن بعض الأجناس ، فلا يحسُنُ أن يغضى عن جميع الناس ، والاَّ فلماذا يطوف على بعض الضُّيُوف ، ويحيِّيهم بصنُوف من المعرُوف ، ويتخطَّي [٨] الرّقاب « لصرُوف » ؟ [٩] ويخترق لاجله الصُّفوف ؟ فان زعم السيد أنه أعلم بتصريف الاقلام ، فليس بأقدم هِجرةٍ فى الاسلام وان رأى أنه أقدر منّي على إطرائه ، [١٠] فليس بمُمكن ان يتّخذهُ من أوليائه !

---

(١) لا ينقض (٢) الجماعة (٣) الجماعة أيضا (٤) جمع قانص بفتح القاف الصائد (٥) المتفرقات والمراد طالبوا متفرقات العلوم (٦) جمع طرفه وهى ما ترى مليحة والمراد أهل المراتب العالية (٧) المعروف (٨) يتجاوز (٩) هو المرحوم الدكتور يعقوب صروف المتوفي في آخر يوليه سنة ١٩٢٧ م وهو المرحوم أحد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم اليوميه (١٠) الثناء عليه

ولا أرُومُ بحمد الله منزِلةً غيري أحقُّ بها منّي اذا رَاما

وانما أصونُ نفسي عن المهانة والضّعة ، ولا أُعرّضها للضّيق وفى الدُّنيا سعَة

وأُكرِمُ نفسي إنّنى إن أهنتهُا وحقّكَ لم تـكرم علي أحد بعدي

فلا يُصعّر [١] السيد من خدّه ، فقد رَضيتُ بما ألزَمني من بُعْدِه . ولا يُغضّ [٢] من عينه ، فهذا فراقٌ بيني وَبينه . وليتّخذنى صاحباً من بعيد ، ولاَ يكلّمني الى يوم الوعيد .

كِلانا غنيٌّ عن أخيه حياتهُ ونحنُ إذا متنا أشدُّ تغانِيا

ومنى علي السيّد السّلاَم علي الدّوَام ، ومُباركٌ اذا لبس جديداً . وكلُّ عام وهو بخيرٍ اذا استقْبلَ عيداً ، ومَرحى [٣] اذا أصاب . وشيَّعته [٤] السلاَمة اذا غاب وقدُوماً مباركًا اذا آب [٥] . وبالرّفاءِ وَالبنين [٦] ، اذاَ أعرَس ، [٧] وبالطّالع المسعود اذا أنجب [٨] . وَرحمهُ اللهُ اذا عطس ، ونوم العافيـة اذا نعس ، وصحَّ نومه إذا استيقظ ، وَهنيئاً اذا شرب ، وما شاء الله كان إذا ركِبَ . وَنعِـم صباحه اذا انفجَرَ الفجر ، وَسعدَ مَساؤه اذا أذّن العصر ، وبخٍ بخٍ [٩] اذا نثر ، ولا فضَّ [١٠] فوهُ اذا شعَرَ [١١] وأجادَ وأفاد اذا خطبَ ، وأطرَب وأغرَب اذا كتب . واذا حج البيت فحجًا مَبرُوراً ، واذا شيع جنازَتى فسعياً مشكوراً وَالسلام

---

(١) لا يميل خده كبرا وخيلاء (٢) لا يغمض (٣) كلمة تقال عند الاصابة في الرمى مدحا للمصيب (٤) ودعتة (٥) رجع (٦) كلمة تقال لمن تزوج ومعناها بالالتئام وجمع الشمائل (٧) تزوج (٨) ولدله (٩) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء او عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة (١٠) لا كسرت أسنانه (١١) قال الشعر

وكتب القاضى الفاضل الى أخيه عبد الكريم يؤنبه على إيذائه علم الدين بن النحاس

« سبب اصدار هذه المكاتبة الى الأخ (أصلحه الله) إعلامه ماصح عندى من الأحوال التي أخفاها ، والله مبديها ، فى حق الأمير علم الدّين

وبالله أقسمُ لئن لم تداوِ ما جرحت ، وتستدرك ما فعلت ، وتمحُ ما أثبت وَتستأنفْ ضدّ القبيح الذي كتبتَ به وشافهت ، وَتعتذرْ بالجميل فيما قاطعتَ الله به وَبارزت ، ليكونن الحديث منّي بغير الكتاب ، ولأُزيلنَّ السبب الذي قدرتَ به على مضرّة الأصحاب ، وَما أشدّ معرفتي بأنَّ الطباع لا تتغيَّر ، وبأنك ستُحوجني بعد هذا الكتاب إلى مالا يتأخر . وبالجملة فاستدركْ بفعلك لا بأمانك لى وتنصلك الى

« فالدَّم فى النَّصلِ شاهدٌ عجب »

وَويلٌ لمن كانت غنيمته من الايام عقدُ القلوب علي البغضاء ، وإطلاقُ الألسنة بالمذَام ، ولولا أنّي شريكك فى كل ما تستوجبهُ من النَّاس ، لالقيتُ حبلك على غاربك ، وتركتك وما اخترتَ لنفسك . ولكن — كيف بمن يُرمي وليس برام ؟ !

ولكنَّ سكوتَ النَّاس عن قبيحك مقابلةٌ لجميل كثير منى . فاذاً أنت لا تنفُق إلا من كيسى . فأشفق على نفسك ، ان كنت تنظ فى غدٍ . وعلى بيتكَ ، ان كنت تنظر فى أمس . وعلى مكانك مني ، ان كنت لا تنظر فى اليوم . ولا تجاوبنى إلا بلسان الرجل شاكراً لك ، فانه وان كان (والله) ماذمكَّ ، فقد ذممتك به »

وما أظنُّ أنك تذكرُ أننى كتبت اليك كتاباً ، ولا كنتُ أوثره ، ولولا حافز غليظ ما كتبته . ولولا علمى أن الكثير مما قيل عنك فى أمر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربت عن هذا كما أضربتُ عن غيره . وستعرفك الأيام ما كنت تجهل

والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه . ويُغمد سيف حليلتك عن مقتلك ، والسلام

(الفصل السادس في رسائل الشكوى)

« كتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

انما أشكو اليك زَمانًا سَلَب ضِعف ما وَهب، و فجع بأ كثر مما متع، وَأوْحش فوقَ ما آنس، و عنف فى نزْع ما ألبسَ، فانه لم يُذقْنا حلاوةَ الاجتماع، حتى جرَّعنا مرَارَة الفِرَاق . ولم يُمتّعنا بأُنس الإلتقاء، حتى غادرَنا [١] رَهْن التلهف وَالاشتياق،

(والحمد لله تعالى على كل حال) يسوء و يسرّ، ويحلو و يمرّ. و لا أيأس من رَوْحِ [٢] الله فى إباحة صُنعٍ [٣] يجعل رَبْعه [٤] مُناخي، [٥] ويقصر مدّة البعاد وَالتراخي، فألاحظ الزَّمان بعين رَاض، ويقبل إلىَّ حظّي بعد إعرَاض، وَأستأنف [٦] بعزّته عيشًا عذب الموارد [٧] وَالمناهل، [٨] مأمون الآفات والعوائل [٩].

«و كتب عبدالحميد بن يحيي المقتول سنة ١٣٢ هـ الى أهله وهو منهزم مع مروان [١٠]»

أما بعدُ .فان الله تعالى جَعلَ الدُّنيا محفوفَة بالكُرْه والسرُور . فمن ساعد الحظّ فيها سكَنَ اليها، وَمنْ عَضَّته [١١] بنابها ذمَّها ساخطًا عليها، وشكاها مُستزيداً لها وَقد كانتْ أذاقتنا أفاويقَ [١٢] استَحْليناها . ثمَّ جمَحتْ [١٣] بنا نافرة وَرمحتْنا [١٤] مُولّيةً، فملح عذبها، وَخشنَ لينها . فأبعَدَتْنا من الاوْطان

وفرّقتنا عن الإخوان. فالدّار نازحة،[١] والطّير بارحة [٢]. وقد كتبتُ والأيام تزيدُنا منكم بُعداً، وإليكم وجداً. فإنْ تمّ البَلية إلى أقصى مُدّتها يكن آخرَ العهد بكم وَبنا، وإنْ يَلحقنا ظفرٌ جارحٌ مِن أظفارِ مَنْ يَليكم، نرجع اليكم بِذل الإسار[٣]. والذُّلُّ شرُّ جار

نسأل الله الذى يُعزُّ مَنْ يشاء ويذِلُّ مَن يشاء أن يَهبَ لنا ولكم ألفةً جامعةً فى دارٍ آمنةٍ، تجمعُ سلامةَ الأبدان والأديان، فانه ربّ العالمين، وأرحمُ الرّاحمين.

(وكتب أستاذنا الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده وهو مسجون بسبب الحوادث العرابية)

تقلّدتني الليالى وهى مُدْبِرَةٌ كأنّنى صارمٌ فى كفّ مُنْهزِم

عزيزى (هذه حالى) اشتدّ ظلام الفتَن حتي تجسَّم بل تحجّر، فأخذت صخوره من مَركَز[٤] الأرض إلى المحيط[٥] الأعلى، واعترضت ما بين المشرق والمغرب، وامتدّتْ إلى القُطْبيْن،[٦] فاستحجرتْ فى طبقاتها طباعُ النّاس. اذ تغلبتْ طبيعتها على الموادّ الحيوانية أو الانسانية، فأصبحت قلوب الثّقليْن[٧] كالحجارة أوْ أشدّ قسوة. فتبارك اللهُ أقدرُ الخالقين. انتثرتْ نُجومُ الهُدَي وتدهورتْ[٨] الشُّمُوس والأقمار، وتغيّبَتْ الثّوابت النيّرة، وفرّ كلّ مُضيء مُنهزِمًا مِنْ عالمِ الظّلاَم، ودارتْ الأفلاكُ دوْرَةَ العكس، ذاهبةً بنيراتها إلى عوالمَ غيرِ عالمنا هذا، فولّى معهُ آلهةَ الخير أجمعين، وتمحّضتْ السُّلطة

(١) بعيدة (٢) البارح من الطير ما يمر من اليمين الى الشمال والعرب تتشاءم به وذلك أنه كان من عادتهم اذا ارادوا امراً عمدوا الي الطير فطاروهد فان طارت شمالا يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يمينا تفاءلوا باليمين ومضوا فى امرهم وتسمى سانحات.
(٣) الاسر وهو القبض على الرجل واخذه اسيرا (٤) وسط دائرتها (٥) الدائرة المحيطة بالكرة الارضية (٦) الشمالى والجنوبى وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمي الذي تدور عليه الارض من المغرب الى المشرق اثنا حركتها (٧) الانس والجن (٨) ادبرت

لا لهيه الشر فقلبوا الطباع، وبدلوا الخلق، وغيروا خلق الله، وكانوا على ذلك قادرين

رأيت نفسي اليوم في مهمه [١] لا يأتي البصر على أطرافه، في ليلة داجية [٢] غطى فيها وجه السماء بغمام سوء، فتكاثف [٣] ركاما ركاما [٤] لا أرى إنسانا! ولا أسمع ناطقا! ولا أتوهم مجيبا! أسمع ذئابا تعوي! وسباعا تزأر [٥]! وكلابا تنبح! [٦] كلها يطلب فريسة واحدة، هي (ذات الكاتب) والتف على رجلي تنينان [٧] عظيمان. وقد خويت [٨] بطون الكل، وتحكم فيها سلطان الجوع ومن كانت هذه حاله، فهو لا ريب من الهالكين

تقطع الأمل، وانفصمت [٩] عروة الرجاء، وانحلت الثقة بالأولياء، وضل الاعتقاد بالأصفياء، وبطل القول بإجابة الدعاء، وانفطر [١٠] من صدمة الباطل كبد السماء، وحقت على أهل الأرض لعنة الله والملائكة والأنبياء، وجميع العالمين

سقطت الهمم، وخربت الذمم، وغاض [١١] ماء الوفاء، وطمست معالم الحق وحرفت الشرائع، وبدلت القوانين، ولم يبق إلا هوى يتحكم، وشهوات تقضى وغيظ يحتدم، [١٢] وخشونة تنفذ، (تلك سنة القدر) والله لا يهدي كيد الخائنين:

ذهب ذو السلطة في بحور الحوادث الماضية، يغوصون لطلب أصداف من الشبه، ومقذوفات من التهم، وسواقط من اللمم [١٣] ليموهوها [١٤] بمياه السفسطة، ويغشوها بأغشية من معادن القوة، ليبرزوها في معرض السطوة ويغشوا بها أعين الناظرين. لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه، أو لمستور

يكشفونه ، أو لحق خفي فيظهرونه ، أو خرق بدا فيرقعونه ، أو نظام فاسد فيصلحونه ! كلا : بل ليثبتوا أنهم فى حبس من حبسوا غير مخطئين ، وقد وجدوا لذلك أعوانا من حلفاء الدناءة ، وأعداء المروءة ، وفاسدي الأخلاق وخبثاء الأعراق[1] . رضوا لأنفسهم قول الزور ، وافتراء البهتان ، واختلاق الإفك .[2] وقد تقدموا الى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الأباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين .

كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة ، ولم تحل قلبي وحشة . بل أنا على أتم أوصافى التي تعلمها ، غير مبال بما يصدر به الحكم أو يبرمه القضاء عالما بأن كل ما يسوقه القدر ، وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لا شبهة للحق فيه ، لأن الله تعالى يعلم كما أنت تعلم أننى بريء من كل ما رمونى به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعبا ، وكنت من الضاحكين .

نعم خنقني الغم ، وأحمي فؤادي الهم ، وفارقني النوم ليلة كاملة عند ما رأيت اسمك الكريم ، واسم بقية الأبناء والأخوان المساكين ، تنسب اليهم أعمال لم تكن ، وأقوال لم تصدر عنهم ، لقصد زجهم فى المسجونين .

لكن اطمأن قلبى ، وسكن جاشى ،[3] عند ما رأيت تواريخ التقارير متقادمة ومع ذلك لم يصلكم شرر الشر ، فرجوت أن الحكومة لم ترد أن تفتح بابا لا يذر[4] الأحياء ولا الميتين .

قدم فلان وفلان تقريرين ، جعلا فيهما تبعات الحوادث الماضيه على عنقي ولم يتركا شيئا من التخريف إلا قالاه . وذكرا أسماءكم فى أمور أنتم جميعا أبعد الناس عنها . لكن لا حرج عليهما فإنى أراهما من المجانين . ولم أتعجب من

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لا يدع ولا يترك

هذين الشخصين اذ يعملان مثل هذا الذنب القبيح ، ويرتكبان هذا الجرم الشنيع ! ولكن أخذني العجب (كل العجب غاية العجب بالغ ماشئت فى عجبي) إذ أخبرنى المدافع عني بتقرير قدمه فلان ، الذى أرسلت اليه السلام ، وأبلغته سروري عند ماسمعت باستخدامه ، وأنافى هذا الحبس رهين .

الى هذا الوقت لم يصلني التقرير . ولكن سيصل الى . إنما فيما بلغني أنه شهادة بأقبح شيء ، لا يشهد به إلا عدو مبين

هذا اللئيم الذي كنت أظن أنه يألم لألمي ، ويأخذه الأسف لحالى ، ويبذل وسعه إن أمكنه فى المدافعة عنى ! فكم قدمت له نفعاً ! ورفعت له ذكراً وجعلت له منزلة فى قلوب الحاكمين ! كم سمعني أقاوم هجاء الجرائد ؟ ! وأوسع محرريها لوماً وتقريعا ! وأهزأ بتلك الحركات الجنونية وكان هو على فى بعض أفكاري هذه من اللائمين ! كان ينسب فلاناً لسوء القصد اتباعاً لرأي فلان ، وأعارضه أشد المعارضة . ثم لم أنقض له عهداً ولم أبخس له وداً ، وحقيقة كنت مسروراً لوجوده موظفاً ، فما باله أصبح من الناكثين ؟ !

آه — ما أطيب هذا القلب الذى يملى هذه الأحرف ! ما أشد حفظه للولاء ما أغيره على حقوق الاولياء ! ما أثبته على الوفاء ! ما أرقه على الضعفاء ! ما أشد اهتمامه بشؤون الأصدقاء ! ما أعظم أسفه لمصائب من بينهم وبينه أدنى مودة ، وإن كانوا فيها غير صادقين ! ما أبعد هذا القلب من الإيذاء ولو للأعداء ! ماأشده رعاية للود ! ماأشده محافظة على العهد ! ما أعظم حذره من كل ما توبخ عليه الذمم الطاهرة ! ما أقواه على العمل الحق ، والقول الحق لا يطلب عليه جزاء ! وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين ؟ ! هذا القلب

الذي يؤملونه بأكاذيبهم ، هو الذي سرّ قلوبهم بالترقية ، وملأها فرحاً بالتقدم ولطف خواطرهم بحسن المعاملة ، وشرح صدورهم بلطيف المجاملة ، ودافع عنهم أزماناً « خصوصاً هذا اللئيم » !

أفنشرح الصدور وهم يحرجون ؟ ونشفي القلوب وهم يؤلمون؟ ونفرحها وهم يحزنون . ؟ ! تالله قد أضلوا وما كانوا مهتدين . هذا القلب ذاب معظمه من الأسف على ما يلم بالهيئة العمومية من مصائب هذه التقلبات، وما ينشأ عنها من فساد الطباع الذي يجعل العموم في قلق مستديم . وما بقي من هذا القلب فهو في خوف على من يعرفهم على عهد مودته . فان تسللوا جميعاً بمثل هذه الأعمال أصبحوا من مودته خالين. واتخذوه وقاية لهم من المضرة ، وجعلوه ترساً يعرضونه لتلقى سهام النوائب التي يتوهمون تفويقها اليهم ، كما اتخذوه قبل ذلك سهماً يصيبون به أغراضهم ، فينالون منها حظوظهم ـ فقد أراحوا تلك البقية من الفكر فيهم ، والله يتولى حسابهم وهو أسرع الحاسبين .

آه ـ ما أظن أن تلك البقية تستريح من شاغل الفكر في شؤون الأحبة وإن جاروا في تصرفهم .

إن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخز ، اذا اتصل بذي الود (وان كان خشناً) ، فصعب أن ينفصل ولو مزقته خشونته . وان هذا القلب في علاقة مع الأوداء كالضياء مع الحرارة ، أيما حادث يحدث ، وأيما كيماوى يدقق ، لا يجد للتحليل بينهما سبيلا . وأظنك في العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين

« وكتب المرحوم محمد حافظ بك ابراهيم [١] الى الاستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده » .

كتابي الى سيدى : وأنا من وعده ، بين الجنة والسلسبيل ، [٢] ومن تيهي [٣]

(١) يشكو اليه حاله وهو ضابط بالسودان (٢) عين في الجنة وهو الشراب السهل في الحلق.
(٣) عجبي

بهِ، فوْقَ النثْرَةِ[١] وَالإكليل[٢]. وَقد تعجّلتُ السُّرُور، وَتسلّقتُ الحبور[٣] وقطعتُ ما بَيني وَبينَ النوائب.

وَبشّرْتُ أهلي بالذي قَد سمعته ... فما محنتي[٤] إلاّ ليال قلائل

وَقلت لهم للشّيخ فينا مشيئةٌ ... فليسَ لنا من دَهرنا ما نُنازلُ[٥]

وجمعتُ فيه بين ثقة الزّبيديّ[٦] بالصمْصامة،[٧] وَالحارث بالنّعامة،[٨] فلم أقل فيه ما قال الهذَلى[٩] لصاحبه، حينَ نسىَ وَعدَهُ[١٠] وحجبَ رِفدَهُ[١١] « يا دارَ عاتكة التي أتغزّلُ » بل أناديه نداء الأخيذةِ[١٢] فى عمورِيّةَ[١٣] شجاع الدَّوْلة العبّاسية. وَأمُدُّ صوتى بذكر إحسانه، مَدَّ المؤذّن صَوْتهُ فى آذانه وَأعتمدُ عليه فى البُعد وَالقُرْب، اعتمادَ الملاّح[١٤] على نجمَة القطب[١٥]

وقالَ أُصيْحابى وَقدْ هالني النَّوَى[١٦] ... وَهالَهمُ أمري متى أنتَ قافل[١٧]

فقلتُ إذا شاء الامامُ فأوْبتي[١٨] ... قريبٌ وَرَبعي[١٩] بالسّعادة آهل

وها أنا متماسكٌ حتى تنحسر[٢٠] هذه الغمْرَة،[٢١] وَينطويَ أجلُ تلك

---

(١) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب (٢) من منازل القمر أربعة انجم مصطفة (٣) الفرح ومعنى تسلق تسور أي أتى الفرح من غير بابه ويروي تسلفت بالفاء (٤) محنتي: بليتي (٥) نضارب لان الشيخ كفانا صدمات الدهر (٦) أبو ربيعة عمرو بن معدي كرب ينتهى نسبة الى قحطان صحابى من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة الى زبيد بضم الزاي قوم من اليمن (٧) اسم سيف عمرو (٨) اسم فرس للحارث بن عباد البكرى شيخ من العرب (٩) نديم الخليفة أبى جعفر المنصور العباسي كان لا يكلم الخليفة الا جوابا (١٠) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلى هذه دار عاتكة التي قال فيها الشاعر — يادار عاتكة

فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك فى قصيدة الشاعر فوجد فيها (وأراك تفعل ما تقول) فتذكر الخليفة الوعد (١١) عطاءه (١٢) الاسيرة يريد بها أمرأة من بني هاشم اسرها الروم فنادت وامعتصماه تعنى المعتصم من خلفاء بنى العباس فوصل الخبر الى المعتصم فحاربهم وخلصها (١٣) بلدة من بلاد الروم (١٤) صاحب السفينة (١٥) كوكب فى السما تدور عليه الكواكب وهو ثابت بمكانه ينظر اليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التى هو قاصدها (١٦) البعد (١٧) راجع (١٨) رجعتي (١٩) دارى (٢٠) تنكشف (٢١) الشده

الفترة ،(١) وينظر إليّ سيّدي نظرة ترفعني من ذات(٢) الصدع ،(٣) الى ذات(٤) الرجع(٥) وتردني الى وكري(٦) الذي فيه درجت، (٧) ردّ الشمس قطرة المزن(٨) الى أصلها ، وردّ الوفيّ الأمانات الى أهلها.

فان شاء فالقرب الذى قد رجوته وان شاء فالعزّ الذي أنا آمل
والاّ فاني قاف رؤبة(٩) لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائل

فلقد حلّت السودان حلول الكليم (١٠) فى التابوت ، (١١) والمغاضب (١٢) فى جوف الحوت . بين الضيق والشدّة ، والوحشة والوحدة. لا بل حلول الوزير(١٣) فى تنور العذاب ، والكافر فى موقف الحساب ، بين نارين : نار القيظ (١٤) ونار الغيظ.

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمرة تذيب دماغ الضبّ والعقل ذاهل
فصرت كأني بين روض ومنهل تهبّ الصبا فيه وتشدو البلابل

واليوم أكتب اليه وقد قعدت همة النجمين ، وقصرت يدا الجديدين، (١٥) عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد. فلقد نمي ضبّ (١٦) ضغنه (١٧) عليّ ، وبدرت (١٨) بوادر (١٩) السوء منه إليّ . فأصبحت كما سرّ العدو وساء الحميم (٢٠) وآلامي كأنها جلود أهل الجحيم ، كلما نضج منها أديم تجدّد أديم (٢١) وأمسيت

(١) يريد المدة بينهما (٢) الارض (٣) الشق (٤) السماء (٥) صوت الرعد (٦) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٧) مشيت (٨) المطر (٩) رجل من العرب كان اكثر روى اراجيزه على القاف الساكنة (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) الذى وضعته أمه فيه والقته فى البحر (١٢) سيدنا يونس بن متي عليه السلام (١٣) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنور الذى اصطنعه لتعذيب من يأمر بتعذيبه (١٤) شدة الحرّ (١٥) الليل والنهار (١٦) بكسر الضاد الغيظ (١٧) حقده (١٨) أسرعت (١٩) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٠) القريب الذي يهتم لأمره (٢١) الجلد

ومُلكُ آمالى الى الزوال ، أسرع من أثر الشهاب فى السماء ، ودولة صبرى إلى الاضمحلال ، أحثُّ (١) من حباب (٢) الماء . فنظرتُ فى وجوه تلك العباد، وانى لفارسُ العين والفؤاد، فلم تقف فراستي على غير بابك.

وانى أهديك سلاماً لو امتزج بالسحاب ، واختلط منه باللعاب، لأصبحت تتهادي (٣) بقطره الأكاسرة ، (٤) وأمست تدخر منه الرهبان فى الأديرة ولأغني ذات الحجاب ، عن الغالية (٥) والملاب (٦)

ولا بدع إذا جاد السيد بالرد ، فقد يُري وجه المليك فى المرآة ، وخيال القمر فى الاضاءة . وإن حال حائلٌ ، دونُ أمنيَّة هذا السائل ، فهو لا يذم يومك ، ولا ييأسُ من غدك ، فأنت خيرُ ماتكون حين لا تظنُّ نفسٌ بنفس خيراً : والسلام

(الفصل التاسع فى رسائل العيادة)

(كتب ابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٤ ه الى بعضهم)

أذن الله فى شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومسح بيد العافية عليك، ووجه وفد السلامة اليك، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك .

(وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ ه)

وصل كتابك ياسيدى ، فسرنى نظري إليه ثم غمني اطلاعي عليه ، لما تضمنه من ذكر علتك ، جعل الله أولها كفارة ، وآخرها عافية ، ولا أعدمك على الأولى أجراً ، وعلى الأخرى شكراً

وبودى لو قرب على متناولُ عيادتك، فأحتملت عنك بالتعهد والمساعدة

(١) أسرع (٢) مايرى علي وجه الماء من الفقاقيع (٣) تجعله هدية (٤) الملوك (٥) الطيب (٦) الزعفران

بعض أعباء (١) علتك ، فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك ، ومرض قلبي فيك لمرض جسمك . وأظن أني لو لقيتك عليلا ، لا نصرفت عنك ، وأنا أعل منك ، فإني بحمد الله تعالى جلد (٢) على أوجاع أعضائي ، غير جلد على أوجاع أصدقائي – شفاك الله وعافاك .

(الفصل العاشر في رسائل التهاني)

(كتب في التهنئة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

أهلاً وسهلا بعقيلة(٣) النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الاطهار

ولو كان النساء كمثل هذى   لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال

والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة بموقعها . فالدنيا مؤنثة ، والناس يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والارض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجوم الثواقب (٤) والنفس مؤنثة ، وهي قوام الابدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا تحرك الانام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون وفيها تنعم المرسلون – فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك (٥) الله شكر ما أعطيت وأطال بقاءك ما عرف النسل وما بقي الابد .

(وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى الداوردي يهنئه بمولود)

حقاً لقد أنجز الاقبال وعده ، ووافق الطالع سعده ، وأن الشأن لفيما بعده وحبذا الاصل وفرعه ، وبورك الغيث وصوبه (٦) وأينع الروض ونوره ، (٧) وحبذا

(١) جمع عبء الثقل (٢) شديد (٣) كريمتهن (٤) المضيئات (٥) اتدرك (٦) مطره وهو هنا كناية عن الولد (٧) زهره الشجر وهو كناية عن الولد أيضا

سماءٌ أطلعت فرقداً ، وغابةٌ[1] أبرتْ أسداً ، وظهرٌ وافق سنداً ، وذكر يبقي أبداً ، ومجد يُنمي والداً ، وشرفٌ لحمةٌ وسدى[2]

أنجب[3] كلٌّ من والديه به اذْ نجلاه فنعم ما نجلا

فألفياه[4] شهابَ ذكاءٍ ، وبدرَ علاء .

ووجداهُ ابنْ جلاَ[5] أبيض[6] يدّعي الجفلَى[7]

لمثله أولَى فلاَ إذا النّديُّ[8] احتفلا

« وكتب فى التهنئة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

اهنئ سيدي، ونفسي تطيب بما يسّرَ اللهُ من قدومه سالماً ، وأشكرُ الله على ذلك شكراً دائماً . جعلَ الله قدومَك مقرُوناً بالخيرَة التامة العامة، والكفاية الشاملة الكاملة غيبةُ المكارم مَقرُونةٌ بغيبتك، وأوبةُ النّعم موصُولةٌ بأوْبتك. فوصل اللهُ قدُومَكَ منَ الكرامة ، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة ، وهنّاك بإيابك، وبلغك غاية محابّك ، ما زلتُ بالنّية معكَ مُسافراً ، وباتّصال الذّكر والفكر ملاقياً ، إلي أن جمع شمل سرُوري بأوْبتك وسكَنَ نافرُ قلْبي بعودتك

(وكتب أيضاً فى التهنئة برمضان)

ساق اللهُ إليكَ سعادَةَ إهلاله ، وعرّفك بركة كمله ، لقّاك اللهُ فيه ما ترجوه ورقّاك إلى ماتحبُّ فى ما تتلوه ، جعلَ الله مايطول من هذا الصوم مقروناً بأفضل

---

(١) موضع الاسد الذى يألفه والمراد أصوله (٢) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو كناية عن الصرف وظاهراً وباطنا (٣) ولداه كريما (٤) وجداه (٥) واضح الامر (٦) نقي العرض شريفه (٧) دعاهم بجماعتهم وعامتهم (٨) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع «أي لمثله نصوغ التهانى أولى فلا يحسن أن تصاغ لغيره »

بشري فقد أنجز الاقبال ماوعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

القَبُول ، مؤذنًا بدَرك البغية ونجح المأمول . ولا أخلاك من برٍّ مرفوع ، ودعاء مسمُوع . قابل اللهُ بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجّدك وقيامك. أعاد الله إلى مولاي أمثاله ، وتقبّلَ فيه أعماله ، وأصلح فى الدّين والدُّنيا أحوَاله ، وبلّغه منها آمالَه ، أسعدَ اللهُ مولاي بهذا الشهر ، ووفّاه فيه أجزلَ المثُوبة والاجرِ .

(وكتب أبو الفرج الببغاء المتوفى سنة ٣٩٨ هـ تهنئة)

سيّدي : أيّدَه الله ـ أرفع قدراً ، وأنبهُ ذِكراً ، وأعظمُ نُبلاً ، وأشهرُ فضلاً ـ مِنْ أنْ نهنّئه بولاية ، وإن جلَّ خطرها ، وعظُم قدرُها . لأن الواجبَ تهنئة الاعمال بمائض عدْلِه ، والرعية بمحمود فعله ، والاقاليم بآثار رياستهِ . والولايات بسمات سياسته ، فعرّفهُ الله يُمْنَ ما تولّاه ، ورعاه فى سائر ما استرعاهُ . ولاَ أخلاه من التّوفيق فيما يُعانيه ، والتّسديد فيما يُبرِمُهُ ويُمضِيه .

(وكتب أستاذنا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)

أى جهابذَة (١) الكِنانة (٢) نبّال الجُنانة (٣) مياه الإِجّانة (٤) أبناء تلك اللّغي ، صناديدَ هذه الوَغى ، اليكم يُساقُ الحديثُ ، فى القديم والحديثِ ، عن هذا النّبأ العظيم ، والمجد الصميم . مالى أرَى فى لغتنا الشريفة « ويعلم أولو النّهي آيةً من اللغات أحقُّ بهذا النّبْز (٥) أن يُصرَفَ اليها عند الاطلاق » هُبوبًا عِبَّ خمُول ، وترّةً (٦) بعد نُحول ، ونوراً عقيب أفول ، ونَوْراً أثر ذُبول ، وصبًا ورَاءَ قبول ، وعدلاً ولاَحيف (٧) وقوّة ولَا ضعف ، وما يشاء المُطرِي (٨) فى هذا القبيل من العطف

---

(١) الحداق دوو النقد (٢) ما يوضع فيها السهام والمراد انهم نتادون للمسائل (٣) بضم الجيم الترس التي يتقى بها (٤) الاجانة بالكسر اناء تغل فيه الثياب وما حول الغراس شبه الاحواض جمع اجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء الجسم بالسمن (٧) الظلم والجور (٨) المادح

آمنتُ بالقدر المقدُور ، والبعث والنشُور ، كذلك يحيي الله الموتى

أليس رجلٌ واحدٌ أسفرَت (١) عنهُ عناية التوْفيق ، فألقتْ اليه المقاليد ؟ (٢)

ب (٣) ولكنهُ الوَاحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال

والناس ألفٌ منهمُ كوَاحدٍ وَوَاحدٌ كالالف ان أمرٌ عنا (٤)

إي (٥) ورَبِّ تلك البنيّة ، (٦) بارىء (٧) نسَم البريّة ، إنه لرجلُ البلاد

جلُ الحزم والسّداد . ألَم ترَ جنَانه ، (٨) وَحنانه ، وَبنانه (٩) وبيانه : عوَامل

ع لهذه اللغة : لغةِ الفرْقان ، (١٠) لغة الاوْطان! لا ـ بل أمضيَ من العَوامل حتي ظلّت

ابها (فرَائض) ، وقد كانتْ وَما بالعهدِ من قِدَم (نوَافل) . ومنْ حُليّها أجيادٌ (١١)

هجاتِ عوَاطلُ . اللّهم الاّ بقيةَ ثَمد ، قدْ مُنيت (١٢) صُحُفها الاوَد ، (١٣)

قدت الجلد وَالجلد (١٤) وبعدَ أنْ رَاجَ سُوقُ الرّطانَة (١٥) ونضبَ (١٦) ماء

إبانة ، وَخبتْ (١٧) أنوَارُ البلاَغة ، وَذَوَتْ (١٨) أنوَارُ (١٩) النّباغة ، وكسدَ

بيان ، وقوّض (٢٠) منهُ البُنيان ، وَأصبحت العربية لـُقّى (٢١) مُلقاه ، وَبضاعة

زجاه ، (٢٢) فأيهذا اليَراع (٢٣) لا أقلّ من نفَثات ، فى صوْغ كُلَيْمات ، تقدُر

ذه النّعمة قَدْرها ، وتمْنحُها (٢٤) شكرَها

وَيحك ! (٢٥) هُبَّ (٢٦) مِن سِنَتِك ، (٢٧) فى حِلْية مقتك ، (٢٨) وَانْض (٢٩)

---

(١) ظهرت (٢) المفاتيح (٣) حرف جواب تثبت المتقى (٤) أهم الناس وأقلقهم (٥) حرف جواب مثل نعم (٦) بفتح الباء وزن غنية الكعبة (٧) خالق (٨) قلبه (٩) أناملأصابعه (١٠) القرآن الشريف (١١) الاعناق (١٢) اختبرت (١٣) الاود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بها لا عن بذل جهد (١٤) القوة (١٥) كل لسان يخالف العربية (١٦) غار وذهب (١٧) خفيت (١٨) ذبلت (١٩) جمع نور بالفتح الزهر (٢٠) نقض (٢١) بالقصر مطروحة (٢٢) قليلة (٢٣) القلم (٢٤) تعطيها (٢٥) كلمة رحمة (٢٦) استيقظ (٢٧) نومك (٢٨) محبتك (٢٩) سله من غمده

حُسامَكَ،(١) وأشحذْ كهامك،(٢) وأنثلْ(٣) كنانتَكَ(٤)، واعملْ بنانَكَ(٥) وصُغْ إن استطعتَ تهانىء غُرّا، بل عقوداً دُرّاً، بل أنجُماً زُهراً، مشتاراً(٦) من خلايا ذلك الأرْى(٧) الشهىّ،(٨) الندي الذكي، ما جرستْ(٩) نحلُه الشيحَ(١٠) والخزامي،(١١) وأطايبَ الثمار، وأزاهيَ الأزهار، تهديهن أولئك المصاقعُ(١٢) شكراً لتلك النعم تجميعاً لشوارِدها، وتقييداً لأوابدِها(١٣) كما شبهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، واشفاقاً عليها من الجماح،(١٤) بعد ذلك من الارتياح.

فاليكم بنى هذه اللغة «كتابى هذا» تهنئةً بتلك النهضة العربية فى إبانٍ (كما تعلمون) وَجهُهُ مُكْفَهِر(١٥) وبدنه مقشعر، وثناء على العناية (التوفيقية) والعزمة (الرياضية) على أنّ لهذا المولى الوزير سوى ذلك، أيادي(١٦) مبرورة، ومساعي مشكورة أكسبتِ الوطنَ وأهليه نهضات، وأقالته كثيراً من العثرات ــ لكنّني آثرتُ(١٧) تلكمُ النهضة العربية بتهنئتكم بها. أي بنى جِبلّتى،(١٨) وإخوانَ حرفتي لكونها فيما إخال، لا، بلْ فيما أتيقّنُ ويتيقّنُ أولو الحِجا،(١٩) أعظم النهضات، وأيمن(٢٠) ما اجتازه(٢١) الوطن من العقبات. ولو كان فى نطاق الامكان، زيادة البيان، فى هذا الشأن، لأسهبتُ(٢٢) وأوسعتُ، وأطريتُ(٢٣) وأطنبتُ. ولو لم يكن فى تلك

---

(١) السيف القاطع (٢) شحذه حده والكهام بفتح الكاف السيف الكايل (٣) استخرج ما فيها من النبال (٤) الجراب الذى توضع فيه النبال والسهام (٥) أصبعك (٦) كثير الشراء (٧) العسل (٨) ما يشتهي (٩) أكلت واصله حرس الشيء جرساً لحسه بلسانه (١٠) نبت طيب الرائحة (١١) بضم الخاء نبت زهره أطيب الازهار (١٢) جمع مصقع البليغ (١٣) لغرائبها (١٤) الذهاب بسرعة (١٥) متعبس (١٦) نعماً من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١ ه (١٧) اخترت (١٨) بنى عشيرتى (١٩) العقل (٢٠) أكثر بركة (٢١) سلكه (٢٢) لاكثرت الكلام (٢٢) مدحت

النهضة إلا أن حياة الأمة حياة لغتها فحسب ، لكفاك ، وشفاك ، وأغناك ، وكان ذلك قصاراك (١) وحماداك (٢)

(وكتب المرحوم الاستاذ محمود بك أبو النصر)

انسان عين الفضائل ، عزيزي فلان المحترم

نور على نور، وشفاء لما فى الصدور ، شفاؤك أيها العزيز من ذلك الرمد . قد أنجز الإقبال ما وعد ، وابتهجت النفوس ، وتزينت الطروس ، واهتزت الأقلام، وأعلنت بالسلام

ولاح فجر التهانى بالبشائر اذ حييت فأحييت ربوع الفضل والادب

وكيف لا؟ وأنت واحد الكتاب ، وإنسان عين الآداب ! رمدت فرمدت وشفيت فاهتزت وربت . وقد كان طرفها كليلا ، وفؤادها عليلاً . واليوم زال العناء ، وحق الهناء ، ووافى الشفاء . فكان برداً وسلاماً على القلوب وقميص يوسف فى أجفان يعقوب .

فلك الهناء بصحة ميمونة أبداً على مر الدهور تدوم

وان الله ما قضي بما قد مضي ، إلا ليعرف سيدي مكانته من القلوب ومنزلته من الفضل . وهذه حلل العافية قد خلعت عليك ، وثياب السلامة سيقت إليك فوافى السرور ، وعم الحبور . والله يبلغك بالصحة والاعمال ، منتهي الآمال والسلام

« وكتب الوزير المرحوم عبد الله باشا فكرى المتوفى سنه ١٣٠٧ ه فى تهنئة العيد»

هذا يوم نشر البشر فيه أعلامه . وأضاءت الدنيا وازدانت الآفاق ، ببهجة

(١) مبلغ جهدك وغايتك (٢) غاية ما تحمد عليه

هذا العيد السعيد، وأخذ الأحبة يتهادون رسائل البشائر فيما بينهم، وكل حزب فرحون بما لديهم، بما أودع فيهم من روابط المحبة وعوامل الاتحاد السارية في النفوس — أما أنا فعيدي، وبهجة نفسي، وسرور فؤادي، دوام إقبال الزمان عليك بوجه النصر وعود أعياد السرور على جنابك الرفيع. فمثلك تشرق الدنيا بطلعته، وتمرح الأعياد برؤيته.

وأرى الحياة لذيذة بحياته وأرى الوجود مشرفاً بوجوده
لو أنني خيرت من دهري المنى لاخترت طول بقائه وخلوده

أعاد الله عليك أيها الأخ أمثاله وأمثال أمثاله في صفاء وهناء

(الفصل الحادي عشر في رسائل التعازي والتأبين)

« كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

خبر عز على مستمعه، وأثر في قلبي موقعه. خبر تستاء [١] له المسامع وترتج منه الأضالع، خبر يهد الرواسي، [٢] ويفلق الحجر القاسي. كادت له القلوب تطير، والعقول تطيش، والنفوس تطيح [٣] خبر يشيب الوليد، ويذيب الحديد، قد كاد من الحزن أن تنقبض الألسن عن هذا النعي الفادح، [٤] وتخرس. وتقصر الأيدي عن التعزية بهذا الرزء الفادح، [٥] وتيبس.

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

إذا ما الدهر جر على أناس مصائبه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك (٤) الذي يثقل الناس ويهمهم (٥) المصيبة

أحسنُ ما في الدّهر عمومهُ بالنّوائب، وخصوصهُ بالرّغائب ، فهو يدعو الجفلى (١).
إذا ساءَ ، ويخصّ بالنّعمة إذا شاءَ ، فليكفر التّشامتُ : فان كان أفلَت (٢) فله أن
يشمَت . ولينظر الإنسان في الدّهر وصُرُوفهِ ، والموتِ وصُنوفه ، من فاتحة أمرهِ
إلى خاتمةِ عمره ، هل يجدُ لنفسِهِ أثراً في نفسه ؟ أم لِتدبيرِه عوناً على تصويره ؟
أمْ لِعمَله تقديماً لأملِه ؟ أم لِحيله تأخيراً لأجله ؟ كلا . بلْ هُو العبد لم يكنْ
شيئاً مذكوراً ، خُلقَ مقهُوراً ، فهو يحيا جبراً ، ويهلك صبْراً ، وليتأمل المرءُ
كيفَ كان قبلاً ؟ فانْ كان العدمُ أصلاً ، والوُجُودُ فضلاً ، فليعلم الموْتَ عدْلاً .
والموتُ (أطال الله بقاءَ موْلاي) خطْبٌ قد عظُم حتى هان ، وأمرٌ قد خشن
حتّى لانَ ، ولعلّ هذا السّهمَ قد صار آخر ما في كِنانتها ، (٣) وأزكي (٤) ما في
خزانتها ، ونحنُ معاشرَ التبَع ، نتعلم الادبَ من أقوَاله ، والجميلَ من أفعاله ، فلا
نحثهُ على الجميل وهو الصّبرُ ولا نرْغبهُ في الجزيل وهو الاَجر، فليرَ فيهما رأيه .

« وكتب أيضاً »

ياسيدي — المصابُ لَعمرُ الله كبيرٌ ، وأنتَ بالجزع جدير . ولكنّكَ بالصبر
أجدَر . والعَزاءُ عن الأعزَّة رُشْدٌ كأنهُ الغيّ ، وقد مات الميْتُ : فليَحيى الحيّ

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

أشباحٌ ترُوح وتجي ، وآجالٌ تُمسي وتغْتدي ، وأنفاسٌ تتقطَع من دُونها
حزناً وأسفاً ، وعبرَاتٌ تتفطّرُ وجداً ولهفاً . وما عمدَت الأقدار إلى استنزاف
مدْمع ، ولا أرادت الايام إيلامَ موُجَع . إنما هي سُنّةُ الخلق : كونٌ يليه زوال
وعقْدٌ يسبقهُ انحلال ، وأنّ لكلّ شيءٍ أجلاً موْقوتاً ، وأنّ لكلّ أجل سبباً

(١) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم (٢) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر .
(٣) الجراب الذى توضع فيه السهام (٤) اطهر وانفس لانه لايحرز الا ماكان نفيسا

مقدوراً ، وإنَّ الإنسانَ لفى كلّ ذلك شاهدٌ ، يسمعُ لاهياً ويبصرُ ساهياً ، وليس فى يَدِهِ أن يستردّ ماضياً ، ولا أن يُردَّ آتياً ، ولقدْ وددت أن أعزّيك: لولا ما يُغالبنى على العزاء من كبدٍ حرّي ، ومقلةٍ شكرَى ، وزفرةٍ تترى . ثمّ وددت أن أستبكيك: لولا أني بكيتُ حتي لم أدع فى البكاء من واد ، وأحييتُ لياليّ بالنّوح حتى ما بالنّجم سُهاد . ثمّ لم يزدنى البكاء على سقم جسَدِي ، ولم يَزدنى النّوح على صفر يدي إلاّ من كَبدِي . وإن الاقدارَ سِهامٌ إذا انطلقتْ لَمْ تُرَدْ ، وإن المتطلّع إلى الفائتِ لَطويلُ شُقّةِ الكمَد ، وإنَّ الخطوبَ لهي هي وإنما تتفاوت عند الجلَد .

وإن الحصى عند الجَزُوع ثقيلةٌ   وضخم الصفا عند الصبور خفيفُ

والله المسئول فى إطالة بقائك قرة للعيون ، وجبراً لخاطر المحزون ، بمنّه وكرَمه

« تأبين الأحنَف[1] بن قيْس »

مات الأحنَفُ بن قَيْس بالكوفة فمشي مُصْعَبُ بن الزبير فى جنازته بغير رِداء[2] وقال قوم : مات سر العرب . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت : لله درّك[3] من مُجَنٍّ[4] فى جَنَن ، ومُدْرَجٍ فى كَفَن ، نسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يُوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك ، فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا ، وعلى الارامل عطوفا . ولقد كنت في الحي مسوّدا ، والى الخليفة موفدا . ولقد كانوا لقولك

(١) اسمه الضحاك وكان سيد تميم في عهده ، معروفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم الى ثبات جنان وحسن بيان ، وحياته مملوءة بجلائل الاعمال وكريم الفعال توفى سنة ٦٧ هـ . (٢) تلك كانت عاداتهم فى جنائز العظماء . (٣) الدر : اللبن والعمل ، ولله درك : كلمة تعجب . (٤) أجنة : ستره . والجنن : القبر . ومن بدائع العربية أن مادة (ج ن ن) تدل على الستر كالجن والجنون والجنة والمجن والجنان والجنين .

مستمعين ، ولرأيك متبعين . « ثم أقبلت على الناس فقالت » . ألا ان أولياء الله فى بلاده ، شهود عباده . وانى لقائلة حقا ، ومثنية صدقا ، وهو أهل لحسن الثناء ، وطيب البقاء ، أما والذي كنتَ من أجله فى عِدَّة ، ومن الحياة الى مُدَّة ، ومن المقدار إلى غاية ، ومن الآثار الى نهاية ، الذى رفع عملك ، لمّا قضي أجلك ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت سعيداً مفقوداً [1] ، ثم انصرفت وهى تقول :

لله دَرُّك يا أبا بحرٍ ماذا تغيب منك فى القبر

لله دركِ أيَّ حشو ثرًى أصبحت من عُرْف ومن نُكر

ان كان دهر فيك جدّ لنا حدَثانه ووهت قوي الصبر [2]

فلَكم يدٍ أسديتها ويد كانت ترُد جرائر الدهر

ثم انصرفت فسئل عنها فاذا هي امرأته وابنة عمه [3] فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة قط أصدق ولا أبلغ منه .

« تأبين الاسكندر »

لمّا جعل الإسكندر فى تابوت من ذهب تقدّم اليه أحد الحكماء فقال :

كان الملك يخبأ الذهب وقد صار الآن الذهب يخبؤه .

وتقدّم اليه آخر والناس يبكون ويجزعون فقال : حرّكنا بسكونه :

وتقدم اليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس [4]

(١) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أى غير مكترث لفقدانه فقولها : مفقوداً تريد يحزن الناس فقدك (٢) حدثان الدهر . نوائبه . (٣) ذكر صاحب بلاغات النساء أن اسمها صفية بنت هشام المنقرية . (٤) أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الارضين وتملكها ثم جعل منها فى أربع أذرع ،
ووقف عليه آخر فقال : انظر الى حُلْم النائم كيف انقضي ، وإلى ظل الغمام ،
وقد انجلى .

ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُقِلُّ عضوا من أعضائك وقد كنت تستقلّ
مُلك العباد ؟

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها عن
رَحْب البلاد ؟

(الفصل الثاني عشر في رسائل الاجوبة)

« كتب المرحوم عبدالله باشا فكري المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ »

سيدى سلّمك الله وحيّاك ، وأسعدنى برُؤية مُحيّاك ، وزاد عزّك وعُلياك
وحرس دينك ودُنياك ، وجمعنى على بساط المسرّة وإيّاك ، ولا حرمنى دوام لقياك
ولا برح الدهر مُبْتَسِمَ الثّغر بمحاسن معاليك ، مُباهيًا أعصار الاوائل بأيامك
ولياليك ، مُحلّيًا أجياد المفاخر بزواهر لآليك — وَرَدَ عليَّ كتابك الكريم
مورد إعزاز وتكريم ، فبلّ بعض ما فى الجوانح من الصّدي ، وأنعشنى ولا
انْتعاش الزهر بمُباكرة النديّ ، وَجلا عليّ من البلاغة رَوْضًا غضًّا ، وأدارَ
لدّيّ صَفْواً من سُلاف المحبّة محضًا . وهزنى هزة النشوان شوقًا وطربًا
واستفزّنى بمعجز آياته الحسان عُجبًا وعجبا . ونثر عليّ من محاسن لفظك الحُر
وكلماتك الغر ، ما يُخجلُ الدراري ويفضح الدُّر :

كلامٌ كستهُ بهجة الحُسن رونقًا هو السّحر لا بل جلّ قدراً عن السّحر

(وكتب أيضاً وهو بالاستانة العليّة في يوم برد كثير الامطار)

كتبتُ إليك والأمطارُ ساجمة (١) بطلّها (٢) ووبلها ، (٣) وعساكر البرد والبرد هاجمة بخيلها ورجلها ، (٤) والسماء متلفعة بأذيال السحاب ، وكأن الشمس خافت من الطل فتوارت بالحجاب . والجو مسكيّ الرداء ، عنبريّ الأرجاء ، كأنه وعليه ثوب الغيم مزرور ، قد وجل (٥) من صولة البرد فلبس فروة السمور والغمام على الأفق بكلاكله (٦) ، وهزّ من البرق بيض مناصله ، (٧) ونشر في الجو طرائق مطارفه ، (٨) وجاد على الأرض بتليده (٩) وطارفه . وثقل على كاهل الهواء ، كالطير بلّ جناحه بالماء ، وقرب حتى كاد يمسك باليدين ، ويعتصر بالراحتين ، أو كأنه مرآة مذهبة تبدو وتخفى ، أو جذوة (١٠) ملتهبة توقد وتطفى والرعد يهدد بزواجر زماجره السحائب فيبكيها ، والطير يتلو سطور الندى في طروس الثرى (١١) فيمليها ، ويطرب بأفنان (١٢) الألحان أفنان (١٣) البان فيعليها ويثنيها . ويقرأ على رؤوس الأغصان أوراده الحسان فيقريها ويرقيها وقوس السماء يرمي بسهام وبله (١٤) جنوب الشقائق (١٥) فيصميها (١٦) ويدميها والريح تمسح أخلاف (١٧) الغمائم فتمريها ، (١٨) وترضع بدرّها بنات النبات في حجور أراضيها فتربيها وترببها ، وترصع بدرّها تيجان القضبان ، وتارة تجعله عقوداً في تراقيها ، (١٩) أو دموعاً في أماقيها . وكأن الجر خاف من بنادق

(١) سائلة (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على ارجلهم (٥) خاف (٦) بجماعاته (٧) سيوفه (٨) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتي غطي السماء (٩) المال القديم والطارف ضده والمراد كثرة مطره (١٠) بتثليث الجيم الجمره (١١) الارض (١٢) جمع فن الغصن (١٣) الاغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان نبت أحمر (١٦) ليرميها ومراده انه يرميها بالمطر حتي تزهو فتحمر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع (١٨) مرى الناقة يمريها اذا مسح ضرعها لتدر اللبن (١٩) اعناقها

البَرْد، ومدافع الرَّعد، ففرَّ إلى مصر ونوَاحيها، وأصبح نزيل مَنْ فيها لكرم أهليها. وكانَّ غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفاً، أوْ غلط النَّاس فى حساب الفصُول فظنوا شتاها صيفاً.

(وكتب المرحوم حفني بك ناصف الى المرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣هـ)

وصل يامولاى إلى هذا الطرَف، ماخصَّصت به العبدَ من الطرَف «قفصٌ» من عنب كاللؤلؤ فى الصدَف، تتألق عناقيده كأنَّها من صناعة «النَّجَف» ولَعَمر الحق أنها تُحفة مِن أحلى التحف، لا يُعثَر على مِثلها إلاَّ بطريق (الصُّدف). فقابلناه، لثماً بالأفواه، ورَشفاً بالشفاه، واحتَفينا[1] بقدُومه كل الاحتفاء، ولم نفرِّط فى حُبِّهِ عندَ اللقاء. بل حَلَلْنا لهُ الحُبى،[2] وقلنا لهُ أهلاً وسهلاً ومرحباً، وأوْسعناهُ عَضا ولثْماً، وتناولناهُ تَجْميشاً[3] وضمًّا. وحفظنا فى صدورنا سره المكنون، وطويناه فى غضُون[4] البُطون، فطَرِبتْ منْ تعاطيه الارْوَاح، ولا غرْوَ فهو أصل الرَّاح،[5] وانتَشَيْنا[6] ولم نحمل وِزراً، وثَمِلْنا[7] ولم نذُقْ طعمًا مرّاً. فهوَ كبيان مُهديه سِحرٌ ولكنَّه حلالٌ. ولَعِبٌ إلاَّ أنه كمال. فان أكسبَت الشَّمُول شاربها قوَّة فى الجنان، ونفحت[8] ذائقها طلاقة فى اللّسان؛ فقد سرَت فى أجسامنا من حرَارته شجاعةٌ «لَيثيَّة» ودبّتْ فى كلاَمنا من مذاقتهِ فَصاحةٌ «علويّة» وخَلُصَتْ إلينا مِنْهُ فوائدُ لا يحيط بها العلم، ونَجَمَتْ[9] عنه منافع ليس يصحَبُها إثْمٌ — فان زَعَمَ الأوَّلونَ أنّ فى الخمر معنيً ليس فى العنَب، فقد تغيَّرَ الحال فى هذه المدَنية

(١) بالغنا فى اكرامهواظهرنا الفرح والسرور (٢) الحبال (٣) المغازلةوالملاعبة (٤) طيات البطون (٥) الخمرة (٦) سكرنا (٧) سكرنا أيضا (٨) أعطت (٩) أظهرت

وَانْقلبَ ، وانكشف للمتأخرين حقيقة الامر ، أنّ في العنب معني ليسَ في الخمر وكان الأحرَي بهذا العنب أن يُناط (١) بالنحور ، أو تزيّن به الصدور . فما هوَ إلاّ اللؤلؤُ ! لكنهُ تسلم من سجن البحار ، وما هوَ إلا الدُّرّ ، لكن ليس فيه صغار (٢)

(وَمن كنتَ بحراً له يا عَليّ لا يَلقط الدّرّ إلا كبارا)

وما ضرّه أنْ ضمّهُ القفص حصبةً من الحصص، فانّ كريم الطير يودَع في الأقفاص ، والقلبُ ليس لهُ من حنايا الضّلوع خلاص . فلا بِدع أن تستقلّ في حبّاته حبّاتّ القلوب ، ويُستملَح في جنبِ حلاوَتِه رُضاب (٣) المحبوب . وكأنّ الثرَيا لما أخذَتْ شكلَهُ فغرَ (٤) الهلال فَاهُ لعنقودها ، يريد أكلهُ . فهو يطاردها في السّماء ، ويأخذ عليها الطريق من الوراء ، وهي تجري من الأمام ، مخافة الالتهام . هذا لمجرّد تشابه في الشكل ، فكيف بالثريّا ، لو أشبَهتهُ حلاوةً ورِيّا (٥) فلله تلك العناقيد : وما أشدّ . تألّقها ! وأصفَي ماءها وأحسن رَوْنقها ! من كل عنقودٍ تخاله عمود الصُّبح أحاطتْ به الدّراري ، أو غُصن البان تعانقت به القماري .

فسقَي الغيثُ أرضاً أنبَتتهُ ، ولا ثَلّ (٦) الدّهر عُرُوشاً حمَته ، وأرضاً عرفتنا بأثمارها حلاوة الجنّة ، وأبرَزتْ لنا لمحةً من محاسنها المستكنة . وأنسانا عِنبُها ذِكرَى دمشق (٧) وأزْمير ، وأنبأنا غارسُها أن مصرخيرُ مُسْتقرّ ، ولا يُنبئك مثلُ خبير ، وعروساً كالعروس ، تتيه (٨) في الحلْي والملبُوس ، تحسدُها المجرّة (٩)

---

(١) يعلق (٢) بضم الصاد الصغير (٣) ريقه (٤) فتح (٥) منظراً حسنا (٦) لا هدم (٧) عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشاق بن كنعان (٨) تتبختر (٩) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وانما ينتشر ضوءها فيري كأنه بقعة بيضاء

بقى السّماء وتودّ لو تكون لها هذه البهجة والرّواء (١) لازال مولاي يهدي ويُهدي وصنائعه تعيد في ثنائه وتُبدي.

(وأجابه المرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)

وبعدُ . فقد وصل كتاب القاضي الفاضل . وأرّج الارجاء بلطيف فواضله وشريف الفضائل . وما كنتُ أظنُّ أن يحصل من زبيبة خماره ، حتى رأيت القاضي الفاضل سبكه في قوالب شتى وصاغه ، وأتى بما أدهش اللب من أساليب البلاغة ؛ فتارةً عقداً على النّحور ، وتارةً في ميادين الطلب تُطارده البدور ، وآونة دُرًّا مكبراً ، ومرّة خمرا معنبراً ، وساعة دوالى « بجنة » وساعة غصناً تعلق به الهَزَار (٢) والأنه .

تكاثرت الظباءُ على خِراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

عجباً لك أيها الفاضل ! هذا مع اشتغال بالك ، وإقبالك على ما لديك من مراعاة عدلك واعتدالك ! فكيف لو تفرّغت لهذا الامر ؟ ولإراحة النفس اعتصرت من العنقود قدحا من خمر ، وامتطيت (٣) طرف اليراع منتهجاً مناهج الطرس ، ودبّجت (٤) بياض صفحاته بمحاسن حلى النقس (٥) فلله أنت من بليغ بلغ ما يريد ! وقلّد قرائد آدابه كل جيد ! وأفاد السحر منثوراً في فواصله وأقام بعوامل أقلامه شتيت عوامله ! وأوجب علينا الشهادة له بالسبق ؟ فأذعنا مسلمين وأسلق أحق هذا ؛ ولولا أن يقال : فلان جفا ، وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفى ؛ (٦) وإن كان شيخي يلزمني ذلك ، كأن شباب (اليك) يسألك به

(١) يقم المراد حسن المنظر (٢) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب (٣) علوت (٤) نقشت (٥) يفسر سوق الحبر (٦) ولا سأل

قوم المسالك ، لسترتُ عنى وما أشرتُ ، ورأيتُ طيِّ خيراً لى مما نشرت جعلت كتاب سيدي فى عنقى تميمة (١) وروحتُ النفس تيمناً (٢) بمبين آياته الكريمة . وقلتُ : كفاني ما أحاط بالعنق من قلائده ، حيث العبد لا يبلغ فى الفخامة كمال سيده .

وهبْنى قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ   أيعمي العالمون عن الضياء

لا زالت بُرُد الترسُّل بيننا مُستمرة ، ومُدد التوصّل على جناح التقرب مُستقرة ، ولا برح الجنابُ فى كلّ بداية ، يترقى كما يحبّ من غاية الى غاية والسلام .

(الفصل الثالث عشر فى رسائل الوصايا والشفاعات)

(من كلام له عليه الصلاة والسلام لعُمر بن الخطاب فى غزْوة الفرس)

إنّ هذا الامر لم يكن نصرُه ولا خذلانه بكثرةٍ ولا قلّة ، وهو دين الله الذي أظهره ، وجُندُه الذى أعدّه وأمدّه ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حيثُما طلع ونحنُ على موْعود من الله ، والله مُنجزٌ وعده ، وناصرٌ جنده - ومكان القيّم بالامْر مكان النظام من الخرز يجمعهُ ويضمّه ، فاذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ثُمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً

والعربُ اليوْمَ وان كانوا قليلاً فهمْ كثيرون بالاسلام ، عزيزُون بالاجتماع فكن قُطباً - واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهمْ دُونكَ نارَ الحرْب ، فانك إن شخصت من هذه الارْض انتقضتْ عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدعُ وراءك من العوْرات أهمّ اليك مما بين يديك .

---

(١) ما تكتب وتعلق فى عنق الصبيان للحرز (٢) تبركا .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب . فاذا قطعتموه إسترحتم :فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك وطمعهم فيك ، فأمّا ماذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين ، فانّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك . وهو أقدر على تغيير ما يكره . وأمّا ما ذكرت من عددهم فانّا لم نكن نقاتل فيما مضي بالكثرة ، وانما كنّا نقاتل بالنّصر والمعونة .

(ومن وصية له عليه الصلاة والسلام قالها بصفّين)

أمّا بعد : فقد جعل الله لى عليكم حقا بولاية أمركم ، ولكم علىّ من الحق مثل الذي لى عليكم ـ فالحقّ أوسع الاشياء فى التواصف ، وأضيقها فى التناصف لا يجرى لأحد الا جرى عليه ، ولا يجري عليه إلاّ جري له ، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباده ، ولعدله فى كلّ ماجرت عليه صروف قضائه . ولكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه ، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثّواب تفضّلا منه وتوسّعا بماهو من المزيد أهله ، ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض ، فجعلها تتكافأ فى وجوهها . ويوجب بعضها بعضا ، ولا يستوجب بعضها إلا ببعض . وأعظم مافترض سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعية وحقّ الرّعيّة على الوالى . فريضة فرضها سبحانه لكل على كلّ . فجعلها نظاماً لألفتهم وعزاً لدينهم ؛فليست تصلح الرّعية إلاّ بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة الاّ باستقامة الرّعية ، فاذا أدّت الرعية الى الوالى حقه ، وأدّي الوالى اليها حقها ، عزّ الحقّ بينهم وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن .فصلح بذلك الزمان ؛وطمع فى بقاء الدولة . ويئست مطامع الأعداء ؛وإذا غلبت

الرَّعيةَّ والبهاء وأجحف الوالى برعيته ، إختلفتْ هنالك الكلمةُ وظهرتْ معالم الجوْر وكَثُرَ الإدغال فى الدّين وتُرِكتْ محاجُّ السُّنَنْ فعُمل بالهوَى وعطّلت الأحكام وكثُرَت عللُ النفوس فلا يُستوحشُ لعظيم حقٍّ عُطّل ، ولا لعظيم باطلٍ فُعل: فهنالك تذِلُّ الأبرار ، وتعزّ الأشرار، وتعظمُ تبعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتناصُح فى ذلك وحُسن التعاوُن عليه ، فليس أحد وإن اشتدّ على رضاء الله حرْصُه، وطال فى العمل اجتهادُه ، ببالغٍ حقيقةَ ما اللهُ أهله من الطاعة : ولكن من واجب حقوق الله على العباد ، النصيحة بمبلغ جُهدهمْ ، والتعاوُن على إقامة الحق بينهم وليسَ امرُؤٌ وإن عَظُمت فى الحقّ منزلتُه ، وتقدَّمتْ فى الدين فضيلته، بفَوْقَ أنْ يُعان على ما حمّله الله من حقّه ، ولا امرؤ وان صغرَته النفوس، واقتحمتْهُ العيُون بدُون أنْ يُعين على ذلك أوْ يُعانَ عليه .

فأجابه عليه الصلاة والسلام رَجل من أصحابه بكلام طويل يُكثِرُ فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته. فقال عليه السلام : إنّ من حقّ مَن عظم جلالُ الله فى نفسه ، وجلّ موضعُه من قلبِه ، أن يصغرَ عنده لِعظِم ذلك كلّ ماسواه ، وإنّ أحقّ من كان كذلك لَمَنْ عظمت نعمةُ الله عليه ولُطفَ إحسانه إليه، فانه لم تَعظم نعمةُ الله على أحد الا ازدادَ حقُّ الله عليه عِظما ، وإنّ مِنْ أسخف حالات الوُلاة عند صالح الناس ، أن يُظنَّ بهم حبُّ الفخر، ويُوضعَ أمرُهُم على الكبر ، وقد كرِهتُ أن يكُون جالَ فى ظَنكم أنى احبّ الاطراء واستماع الثناء ، ولستُ بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركتُه انحطاطا للهِ سبحانه عن تناوُل ما هو أحق بهِ من العظمة والكبرياء ، وربَّما استحلى الناسُ الثناء بعد البلاء ، فلا تثنُوا علىّ بجميل ثناء لاخراجى نفسى الى الله وإليكم من التقيَّة فى

حقوقٍ لم أفرُغْ من أدائها، وفرائضَ لا بُدَّ من إمضائها، فلا تكلّمونى بما تكلّم به الجبابرة. ولا تتحفّظوا منّي بما يُتحفّظ به عند أهل البادرة. ولا تخالطونى بالمصانعة ولا تظنُّوا بي استثقالاً فى حقّ قيل لى. ولا التماس إعظام لنفسي. فانه من استثقل الحقّ أن يقالَ له، أو العدلَ أن يُعرَض عليه، كان العمل بهما أثقلَ عليه. فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقّ، أو مشورة بعدل، فانى لستُ فى نفسى بفوق أنْ أُخطيء ولا آمنُ ذلك من فعلى، إلا أن يكفي الله من نفسي ماهو أملك به مني. فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا مالا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنّا فيه إلى ماصلحنا عليه، فأبدلَنا بعدَ الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى.

(ومن وصية له عليه الصلاة السلام وصّى بها جيشاً بعثه الى العدو)

فاذا نزلتم بعدوّ أو نزلَ بكم فليكُنْ معسكرُكم فى قبيل الأشراف، وسفاح الجبال، أو أثناء الأنهار. كيما يكون لكم ردءًا، ودونكم مردًّا. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رقباء فى صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلا يأتيكم العدوّ من مكان مخافةٍ أو أمن. واعلموا أن مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم — وإياكم والتفرّق. فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً، واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، واذا غشيكم الليلُ فاجعلوا الرّماح كفّة، ولا تذوقوا النّوم إلا غراراً أو مضمضة.

(ومنْ وصية له عليه الصلاة والسلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

إنطلقْ على تقوى الله وحده لاشريك له، ولا ترَوّعنَّ مسلماً، ولا تجتازنَّ عليه كارها، ولا تأخذنَّ منه أكثر من حقّ الله فى ماله، فاذا قدِمتَ على الحيّ

فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم امض اليهم بالسكينة والوقار ، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم ، ثم تقول — عباد الله ، أرسلني اليكم ولي الله وخليفته ، لآخذ منكم حق الله في أموالكم . فهل لله من أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل منهم : لا . فلا تراجعه . وإن أنعم لك منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه وتوعده ، أو تعسفه أو ترهقه. فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة . فان كان له ماشية أو إبل، فلا تدخلها إلا بإذنه. فإن أكثرها له . فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة، ولا تفزعنها ، ولا تسوأن صاحبها فيها، واصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره . ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره . فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره. فلا تزال بذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله. فاقبض حق الله منه . فإن استقالك فأقله . ثم اخلطهما . ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله ، ولا تأخذن عوداً ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ، ولا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم . ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب . ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله ، فاذا أخذها أمينك، فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوبا. وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها : وليرفه على اللاغب ، وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر . ولا يعدل بها عن نبت الارض إلى جواد الطرق وليروحها في الساعات ، وليمهلها عند النطاف والاعشاب ، حتى تأتينا بإذن الله

بدْنا منْقيات، غير متْعبات ولا مجهودات ، اقتسمها على كتاب الله وسُنة نبيه صلى الله عليه وآله ، فان ذلك أعظم لأجرِك ، وأقرب لرُشْدك ، إن شاءَ الله

وقال عليه الصلاة والسلام . وقد سمع رجلاً يذم الدُّنيا ـ أيُّها الذَّامُّ للدُّنيا المُغترُ بغرورها، المخْدُوع بأباطيلها ، أتغْترّ بالدُّنيا ثم تذُمها ؟! أنت المتَجرّم عليها أم هي المُتجرّمة عليك؟! متى استهوتْك؟! أم متى غرّتك؟ أبمصارع آبائك من البِلى؟ أم بمضاجع أمهّاتك تحت الثّرَى ؟! كم علّلْت بكفّيك ؟! وكمْ مرَّضْتَ بيديك؟! تبْغِي لهم الشفاء ، وتستوصفُ لهم الأطبّاء ، لم ينفع أحدَهُم إشفاقُكَ ، ولمْ تُسعف بطَلِبتِكَ ، ولمْ تدْفع عنهُ بقوّتك . وقد مثّلت لك به الدُّنيا نفسَك وبمصرَعِه مصرَعك

ان الدُّنيا دَارُ صدْق لمن صَدَقها . ودَارُ عافيةٍ لمن فهِمَ عنها ؟ ودارُ غِنيً لمنْ تزوّد منها . ودارُ موْعظة لمن اتعّظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومُصلّي ملائكة الله ومَهْبط وحي الله ، ومَتجر أوْلياء الله ، اكْتسبُوا فيها الرّحمة ، وربحوا فيها الجنة فَمنْ ذا يذُمها وقدْ آذنتْ ببيْنها ، ونادَت بفراقها ، ونعتْ نفسها وأهلَها ، فمثّلت لهم ببلائها البلاء ، وشوّقتهم بسرُورها إلى السُّرُور ، راحتْ بعافية ، وابتكرَت بفجيعة ، ترْغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً . فذمّها رجالٌ غداةَ الندامة ، وحمدَها آخرُون يوم القيامة . ذكّرتهُم الدنيا فتذكّرُوا ، وحدّثتهم فصدقوا ، ووعظتْهم فاتّعظوا

« عهد الامام على المتوفى سنة ٤٠ هـ لمالك بن الحارث الأشتر النَّخعي »

(حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وعمارة بلادها)

اعلم يامالكُ أنى قدْ وَجّهتُك إلى بلاد قد جَرَتْ عليها دُولٌ قبلك من عدْلٍ وجور . وأنَّ النّاس ينظرُون من أمورك فى مِثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الوُلاة قبلك . ويقولُون فيك كما كنتَ تقول فيهم . وانما يستدلُّ على

الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسنة عباده ـ فليكن أحبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح . فاملكْ هواكَ ، وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك . فانّ الشحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحببتَ أو كرهت — وأشعِرْ قلبك الرّحمة للرعيّة ، والمحبة لهم واللطف بهم . ولا تكوننّ عليهم سبُعا ضاريًا تغتنم أكلهم . فانهم صنفان : إمّا أخ لك فى الدّين ، وإمّا نظيرٌ لك فى الخلق . يفرُط منهم الزّلَل ، وتعرض لهم العلَل ويُؤتى على أيديهم فى العَمْد والخطأ . فأعطهم من عفوِك وصفحِك ، مثلَ الذي تُحبُّ وترضى أن يُعطيَك الله من عفوه وصفحه . فإنّك فوقهُمْ ، ووالى الأمر عليك فوقكَ ، والله فوقَ من ولاّكَ ، وقد استكفاك أمرَهم وابتلاك بهم . ولا تنصِبنّ نفسك لحرْب الله . فانهُ لا يدىْ لك بنقمته ، ولا غنىً بك عن عفوه ورحمته . ولا تندَمنّ على عفوٍ ، ولا تبجحنّ بعقوبة ، ولا تُسرِعنّ إلى بادرة وجدْتَ عنها مندوحة ، ولا تقولن إنّي مُؤمّرٌ آمُرُ فأُطاع ، فانّ ذلك ادغالٌ فى القلب ، ومنهكة للدّين ، وتقرُّبٌ من الغِيَر . وإذا أحدَث لك ماأنتَ فيه من سلطانك أبّهةً أو مخِيلةً ، فانظر إلى عِظَم ملك الله فوقك ، وقدرَته منك على مالا تقدَر عليه من نفسك ، فانّ ذلك يُطامن اليك من طِماحك ، ويكُفُّ عنك من غَربك ، ويُفيء اليك بما عزَب عنك من عقلك . وإياك ومُساماة الله فى عظَمته ، والتّشبُّه به فى جبرُوته . فانّ الله يُذِلُّ كلّ جبّار ، ويهين كلّ مُختال . أنصفِ الله وأنصفِ الناس من نفسك ، ومن خاصّة أهلك ، ومن لك فيه هوًى من رعيّتك . فانّك إن لم تفعلْ تَظلم ، ومن ظلمَ عباد الله كان اللهُ خصمه دُون عباده ، ومن خاصمهُ الله أدحَض حُجّته ، وكان اللهُ حربًا حتى ينْزِع ويتوب ، وليس شيءٌ أدعى الى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فانّ الله سميعٌ دعوةَ المظلومين ، وهو للظالمين بالمرْصاد

وليكن أحبَّ الأمور اليك أوسطها فى الحقّ، وأعمُّها فى العدل، وأجمعها لرضاء الرَّعيَّة، فإنَّ سخطَ العامةِ يجحفُ برضاءِ الخاصةِ. وأنَّ سخطَ الخاصةِ يغتفرُ مع رضاءِ العامةِ. وليس أحدٌ من الرَّعيَّةِ أثقلَ على الوالى مؤونةً فى الرَّخاء، وأقلَّ معونةً فى البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلَّ شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأخفَّ صبراً عند ملمَّات الدّهر، من أهل الخاصة. وانما عمادُ الدِّين، وجمَّاع المسلمين، والعُدَّة للأعداء، العامةُ من الأمة. فليكنْ صغوك لهم وميلُك معهم. وليكن أبعد رعيَّتك منك، وأشنأهُم عندك، أطلبهم لمعايب النَّاس فانَّ فى النَّاس عيوبًا، الوالى أحقُّ من سترها، فلا تكشفنَّ عمّا غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك، واللهُ يحكم على ما غاب عنك. فاسترِ العورةَ ما استطعت يسترُ الله منك ما تحبُّ سترَهُ من رعيَّتك. أطلق عن النَّاس عُقدةَ كلّ حقد، واقطع عنك سبب كلّ وتر، وتغابَ عن كلّ ما لا يصحُّ لك. ولا تعجلنَّ الى تصديق ساعٍ، فانَّ السَّاعى غاشٌّ. وان تشبَّه بالنَّاصحين. ولا تدخلنَّ فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدُك الفقر. ولا جبانًا يضعفك عن الأمور. ولا حريصاً يزيّن لك الشرَّ بالجور. فان البخل والجبن والحرص غرائز شتّى، يجمعها سوء الظّنّ بالله. انَّ شرَّ وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً. ومَنْ شركهم فى الآثام، فلا يكوننَّ لك بطانةً. فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظَّلمة، وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلف ممَّنْ هو مثلُ آرائهم ونفاذِهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لا يعاونُ ظالمًا على ظلمه، ولا آثمًا على إثمه. أولئك أخفّ عليك مؤونةً وأحسن لك معونةً، وأحنى عليك عطفًا، وأقلّ لغيرك إلفًا. فاتخذ أولئك خاصةً لخلواتك وحفلاتك. ثم ليكنْ آثرهم عندك أقولهمْ لك بمرِّ الحقّ، وأقلّهم مساعدةً

فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع
وألصق بأهل الورع والصدق. ثم رُضهم على أن لا يطروك، ولا يبجحوك بباطل لم تفعله. فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء. فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة. وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه. واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن وال برعيته، من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم، على ما ليس له قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجمع لك حسن الظن برعيتك. فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً. وإن أحق من حسن ظنك به، لمن حسن بلاؤك عنده. وإن أحق من ساء ظنك به، لمن ساء بلاؤك عنده. ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية. ولا تحدثن سنة تضر بشيء مما مضى من تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه، أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً. فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله

تعالى لهم من الخراج، الذي يقوون به فى جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم — ثم لاقوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة، والعمال، والكتاب، لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها. ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار، وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم، مالا يبلغ رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنه الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفى الله لكل سعة. ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزومه الحق، والصبر عليه، فيما خف عليه أو ثقل فول من جنودك، أنصحهم فى نفسك لله ولرسوله ولإمامك — وأطهرهم جيبا وأفضلهم حلماً ممن يبطيء عن الغضب، ويستريح الى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء، ممن لا يثيره العنف. ولا يقعد به الضعف. ثم ألصق بذوى المروآت والأحساب. وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة. فانهم جماع من الكرم، وشعب من العرف — ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما. ولا يتفاقمن فى نفسك شيء قويتهم به — ولا تحقرن لطفاً تتعاهدهم به وإن قل. فانه داعية الى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها. فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه — وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فى معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً فى جهاد

العدو ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وإن أفضل قرّة عين الوُلاة استقامةُ العدْل فى البلاد ، وظهور مودّة الرعية . وإنه لا تظهر مودّتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على وُلاة أمورهم ، وقلّة استثقال دُولهم ، وترْك استبطاء انقطاع مُدّتهم . فأفسِحْ فى آمالهم . وواصل فى حُسن الثّناء عليهم ، وتعديل ما أبلى ذوُو البلاءِ منهم . فان كثرة الذّكر لحُسْن فعالهم تهزّ الشجاع وتُحرّضُ النّاكلَ إن شاء الله تعالى — ثم اعرف لكلّ امرىءٍ منهم ما أبْلى ، ولا تُضيفنّ بلاءَ امرىءٍ الى غيره ، ولا تُقصّرنَّ به دُون غاية بلائه ، ولا يدْعُونك شرفُ امرىءٍ إلى أن تعظّمَ من بلائه ما كانَ صغيراً ، ولا ضعةُ امريءٍ أن تستصغرِ من بلائِه ما كان عظيما . وارْدُدْ إلى الله ورسوله ما يُضْلِعك من الخُطوب . ويشْتبه عليكَ من الامور ، فقد قال سبحانه لقوْم أحبّ إرشادهم « يَا أَيُّها الّذِين آمَنُوا أطِيعُوا الله وَأطِيعُوا الرّسُولَ وأُولِى الأمرِ مِنكُمْ . فَإِنْ تَنَازَعْتُم فى شَيْءٍ فرُدُّوهُ إلى اللهِ وَالرّسُول » فالرّد إلى الله الأخذ بمُحكم كتابه ، والرّدّ الى الرسول الاخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة — ثم اختر للحكم بين النّاس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيقُ به الأمور ولا تمحّكه الخُصوم ، ولا يتمادى فى الزّلة ، ولا يحصر عن الفيء الى الحقّ إذا عرفه ، ولا تُشرف نفسهُ على طمع ، ولا يكتفى بأدْنى فهم دون أقْصاه ، أوقفهم فى الشّبهات ، وآخذهُم بالحُجج ، وأقلهم تبرُّماً بمراجعة الخصمِ وأصبرَهم على تكشيف الأمور ، وأصْرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزْدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل — ثم أكْثر تعاهدَ قضائه ، وافسحْ له فى البَذْل ما يزيح علّته وتقلّ معه حاجته إلى النّاس . وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطْمع فيه غيرهُ من خاصّتك ، لتأمن بذلك اغتيال الرّجال له عندك . فانظُر فى ذلك

نظراً بليغاً ، فإنّ هذا الدّين قد كانَ أسيراً فى أيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا — ثمّ انظُر فى أمور عُمّالك، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولّهم محاباةً وأثَرَةً ، فإنهم جُماعٌ من شُعَب الجوْر والخيانة ، وتوخّ منهم أهل التّجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدَم فى الإسلام ، فإنهم أكرَم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً ، وأقل فى المطامع إشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الامور نظراً . ثم أسْبغ عليهم الأرزاق ، فإنّ ذلك قوّة لهم علي استصلاح أنفسهم ، وغنًي لهم عن تناوُل ماتحت أيديهم ، وحجّة عليهم إن خالفُوا أمرَك أو خانوا أمانتك — ثم تفقّدْ أعمالهم وابْعث العيُون من أهل الصّدق والوَفاء عليهم ، فإنّ تعاهُدك فى السرّ لأمورهم حَدْوةٌ لهم علي استعمال الأمانة والرّفق بالرّعية . وتحفّظ من الأعوان ، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمَعتْ بها عليه عندك أخبار عُيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطْتَ عليه العُقوبة فى بدنه ، وأخَذْتَه بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلّة ، ووسمته بالخيانة ، وقلّدته عار التُّهمة — وتفقّدْ أمرَ الخراج بما يُصلح أهله ، فإنّ فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سِواهم ، ولا صلاح لمن سِواهم إلاّ بهم ، لأن الناس كلهم عيالٌ علي الخراج وأهله — وليكن نظرُك عمارة الأرض ، أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يُدرَك إلا بالعمارة . ومَن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمرُه إلا قليلاً ، فإن شكَوْا ثقلاً أو علّة أو انقطاع شرْب أو بالّةً أو إحالة أرْض اغتمرها غرقٌ ، أو أجحف بها عطش ، خفّفتَ عنهم بما ترجُو أنْ يَصلح به أمرُهم . ولا يثقلن عليك شيءٌ خفّفْتَ به المؤونةَ عنهم . فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلدِك وتزْيين ولايتك ، مع استجلابك حسنُ ثنائهم ، وتبجّحك باستفاضة العدل فيهم ،

معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم . والثقة منهم بما عودتهم من غد لك عليهم في رفقك بهم ، فربما حدثت من الامور ما إذا عول فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به . فان العمرن ان يحتمل ماحملته ، وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر ـ ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور . فان الجاهل بقدر نفسه ، يكون بقدر غيره أجهل ، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم في العامة أثراً . وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره . واجعل لرأس كل من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ، ولا يتسلط عليه صغيرها . ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته . ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح ، في برك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها ، فانهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى

غائلته. وتفقّدْ أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك، واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشُحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً فى البياعات، وذلك بابُ مضرّة للعامّة، وعيبٌ على الوُلاة. فامنع من الاحتكار، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منعَ منهُ. وليكن البيع بيعاً سمْحاً، بموازين عدْل، وأسعار لا تُجحِفُ بالفريقين من البائع والمُبتاع. فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فنكّلْ به وعاقب فى غير إسرافٍ. ثمَّ اللهَ اللهَ فى الطّبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين، والمحتاجين، وأهل البؤسي والزّمني. فانّ فى هذه الطبقة قانعاً ومُعترّاً واحفظ الله ما استحفظك من حقّه فيهم. واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسما من غَلات صوافى الاسلام فى كلّ بلد، فانّ للأقصى منهم مثلَ الذي للأدنى وكلٌّ قد استرْعيتَ حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطرٌ، فانك لا تعذر بتضْييعك التافه لاحكامك الكثيرَ المهم. فلا تُشخص همّك عنهم، ولا تُصعّر خدْكَ لهم، وتفقدْ أمورَ منْ لا يصلُ اليك منهم ممنْ تقتحمه العيُون، وتحتقرهُ الرّجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهلِ الخشيةِ والتواضع، فليرفعْ اليك أمورَهم. ثمَّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله سبحانه يوْم تلقاه. فانّ هؤلاء من بين الرعية أحوجُ إلى الانصافِ من غيرهم، وكلٌّ فاعذِرْ إلى الله فى تأدية حقّه اليه، وتعهّد أهل اليُتم وذوى الرّقة فى السنّ ممنْ لا حيلةَ له، ولا ينصبُ للمسألة نفسه، وذلك على الوُلاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبرُوا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم. واجعل لذوي الحاجات منك قسما تُفرّغُ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه للهِ الذي خلقك، وتُقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتي يكلمك متكلمهم غير مُتتعتع. فانى

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى غير موْطنٍ : « لن تقدّس امةٌ لا يُؤْخذ للضّعيف فيها حقه من القوىّ غير مُتتعْتع »

ثم احتمل الُخرْق منهم والعِيّ ، ونحّ عنهم الضّيق والأنف ، يبسط اللهُ عليك بذلك أكناف رحمته ، ويُوجبْ لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطيتَ هنيئًا وَامنع فى إجمال وإعذار

ثم أمورٌ من أمورك لا بُدّ لك من مباشرتها ، منها إجابةُ عُمَّالك بما يَعْيا عنه كتّابك ، ومنها إصدار حاجات النّاس يومَ وُرُودها عليك مما تحرَج به صدُور أعوانك . وأمْض لكلّ يومٍ عمَله . فانّ لكُلّ يوم ما فيه . واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت ، وَأجزلَ تلك الأقسام ، وان كانت كلّها لله اذا صلحَت النّية وَسلِمت منها الرَّعية . وليكن فى خاصّة ما تُخْلِصُ لله به دِينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة . فأعط الله من بدَنك ، فى ليلك ونهارك . وَوَفّ ما تقرّبت به إلى الله سبُحانه من ذلك كاملاَ غيرَ مثلوم ولا منقوص، بالغًا من بدَنك ما بالغَ . وإذا قمتَ فى صلاتك للنّاس فلا تكونن مُنفرّاً ولا مُضيّعًا ، فان فى النّاس مَن به العِلّة وله الحاجة. وقد سألتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجّهنى الى اليمن كيف أُصلى بهم ؟ فقال : « صلّ بهم كصلاة أضعفهم، وكنْ بالمُؤمنين رَحيما »

أمَّا بعدُ — فلا تُطوّلنّ احتجابك عن رَعيتك، فان إحتجابَ الولاة عن الرّعية شُعبة من الضّيق وقلّة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يَقطع عنهم علم ما احتجَبوا دُونه ،فيصغُر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، وَيقبُح الحسَن،ويحسُن القبيحُ ، ويُشاب الحقّ بالباطل . وانما الوَالى بشرٌ لا يعرف ما توَارَي عنهُ الناس

به من الأمور، وليست على الحق سِماتٌ تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وإنما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه! أو فعل كريم تسديه؟! او مبتَلًى بالمنع، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا منك بذلك، مع أن أكثر حاجات الناس إليك، مما لامؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة!

ثمّ انّ للوالي خاصةً بطانةً – فيهم استئثار وتطاول، وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادّة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة، ولا يطمعنّ منك في اعتقاد عقدة تضرّ بمن يليها من الناس في شرب، أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة. وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغ عاقبة بما يثقل عليك منه، فان مغبّة ذلك محمودة، وإن ظنّت الرعيّة بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم باصحارك. فان في ذلك رياضةً منك لنفسك، ورفقاً برعيّتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق. ولا تدفعنّ صلحاً دعاك اليه عدوّك، ولله فيه رضا. فانّ في الصلح دعةً لجنودك وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فانّ العدوّ ربما قارب ليتغفّل. فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن. وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدةً، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت. فانه ليس من فرائض الله شيءٌ الناس أشدّ عليه اجتماعا مع تفرّق أهوائهم. وتشتت

آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود . وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استوبلوا من عواقب الغدر . فلا تغدرنّ بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك ، فانه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته ، وحريما يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره ، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل ولا تعوانْ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة . ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق . فان صبرك على ضيق أمر ترجوا نفراجه وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك فيه من الله طلبة ، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك

إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدعى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحري بزوال نعمة ، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة . فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام ، فانّ ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد . لانّ فيه قود البدن وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة ، فان فى الوكزة فما فوقها مقتلة . فلا تطمحن بك نخوة سلطانك ، عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم . وإياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها ، وحبّ الاطراء . فانّ ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين . وإياك والمنّ على رعيتك باحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك ، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فانّ المنّ يبطل الاحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق

... المَقتَ عند الله والنّاس ، قال اللهُ سبحانهُ وتعالى «
عند الله ان تقولوا مالا تفعلون »

وَإيّاكَ وَالعَجلة بالامُور قبلَ أوَانها ، أو التّسقّط فيها عند امكانها ، أو اللّجاجة فيها إذا تنكّرت ، أو الوَهن عنها إذا استوضحت ، فَضع كلّ أمرٍ موضعه وأوقع كلّ عملٍ موقعه . وإياك والاستئثار بما النّاس فيه أسوَةٌ ، والتّغابي عمّا يعنى به مما قد وَضح للعيُون ، فانه مأخوذٌ منك لغيرك ، وعما قليلٍ تنكشف عنكَ أغطيةُ الأمور ، ويُنتصفَ منكَ للمظلوم . أملِك حميّة أنفك ، وسَورَة حدّك وسَطوَة يدك ، وَغربَ لسانك ، وَاحترِس من كل ذلكَ بكفّ البادرة ، وتأخير السَّطوَة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولنْ تحكم ذلكَ من نفسك حتي تكثرُ همُومك بذِكر المعاد إلى رَبك. والواجب عليك أن تتذكَّر ما مضي لمَنْ تقدّمك من حكومة عادلة ، أوسنة فاضلة ، أو أثرٌ عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أو فريضة فى كتاب الله فتقتَدي بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدتُ اليك فى عهدي هذا ، وَاستوثقتُ به من الحجَّة لِنفسي دليلك لكيلا يكون لك علة عندَ تسرُّع نفسك الىهَواها ، وأناأسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرَته على إعطاء كل رَغبة ، أنْ يُوفّقنى وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح اليه وإلى خلقه من حسن الثناءِ فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد ، تمام النّعمة ، وَتضعيف الكرَامة ، وَأن يختم لى وَلك بالسعادة والشَّهادة إنّا إلى الله رَاغبُون ، وَالسلَامُ على رَسول الله عليه وآله الطَّيبين الطاهرين

(وكتب أبوبكر الصّدّيق المتوفى فى ٧ جماد الثانية سنة ١٣ھ إلى بعض قوّادِه)

إذا سِرتَ فلا تُعنّف أصحابك فى السَّير ولا تُغضبهم ، وشاور ذوي

الآراء منهم واستعمل العدل، وباعد عنك الجور، فانه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم (وإذا لقيتم الذين كفروا زحفا (١) فلا تولوهم الأدبار (٢) ومن يولهم يومئذ دبره، إلا متحرفا (٣) لقتال، أو متحيزا (٤) إلى فئة، فقد باء بغضب من الله) وإذا نصرتم عليهم، فلا تقتلوا شيخا، ولا امرأة، ولا طفلا، ولا تحرقوا زرعا، ولا تقطعوا شجرا، ولا تذبحوا بهيمة، إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا اذا هادنتم (٥) ولا تنقضوا اذا صالحتم، وستمرون على أقوام في الصوامع، رهبان ترهبوا لله، فدعوهم، وما انفردوا اليه وارتضوه لأنفسهم، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم — والسلام

« وكتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٢ هـ الى بعض قواده »

أما بعد: فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فانَّ تقوي الله أفضل العدة على العدو، وأقوي المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك، أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فانَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لان عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم. فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة (وإلا ننصر عليهم بطاعتنا، لم نغلبهم بقوتنا) واعلموا أنَّ عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون. فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم

وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة، حتي تكون لهم راحة يحيون

---

(١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون (٢) الانهزام
(٣) ومتعطفا (٤) منضما الي جماعة يستنجد بهم (٥) صالحتم

فيهما أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم . ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصُّلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك الاّ مَنْ تثق به — وليكن منك عند دُنوك من أرض العدوّ أن تكثر الطلائع ، وتبثّ السّرايا بينك وبينهم ، ثم أذكِ أحراسك على عسكرك ، وتيقّظ من البيات جهدك ، والله وليّ أمرك ومن معك ، وولى النّصر لكم على عدوّكم .

(وكتب أبو الفضل بديع الزّمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى ابن أخته)

أنتَ ولدي مادُمتَ : والعلمُ شأنك ، والمدرسة مكانك، والمِحبرة حليفك والدفترُ أليفك . فإن قصّرتَ ولا إخالك ، فغيرى خالك — والسلام

« ومن وصية ابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٩٦٧ هـ لابنه وقد أراد السفر »

أُودِعُكَ الرّحمنَ فى غُربتك	مُرتقباً رُحماه فى أوْبتك
فلا تُطِلْ حَبل النّوى إنني	والله أشتاق إلى طلعتك
واختصر التوْديعَ أخذاً فما	لى ناظرٌ يقوى على فرقتك
واجعل وصاتى نُصبَ عين ولا	تبرح مدي الأيام من فكرتك
خُلاصة العُمر التى حنّكت	فى ساعةٍ زُفّت إلى فطنتك
فللتّجاريب أمورٌ إذا	طالعتها تَشحذُ من غفلتك
فلا تنمْ عنْ وعيها ساعةً	فإنها عونٌ إلى يقظتك
وكل ما كابدْتهُ فى النّوى	إيّاك أن يكسِر من همتك
فليس يُدْري أصلُ ذي غُربة	وإنما تُعرَف من شيمتك
وامشِ الهُوينا مُظهراً عِفّةً	وابغِ رضا الأعيُن عن هيئتك
وانطق بحيثُ العيّ مُستقبحٌ	واصمُت بحيث الخير فى سكتتك

وَلِجْ على رِزْقِكَ من بابه | واقصد له ما عشت فى بكْرَتِك
ووَفِّ كُلاًّ حقّه وَلتكُنْ | تكسر عندَ الفخرِ من حدَّتك
وحيثُما خيّمتَ فاقصد إلى | صُحبة مَنْ ترجُوهُ فى نصرتك
وللرَّزايا وَثْبَةٌ ما لها | إلا الذي تَذْخرُ من عُدَّتك
وَلا تَقُل أسلَمُ لى وَحدتى | فقدْ تقاسى الذلَّ فى وَحدتك
ولتجعلَ العقلَ مِحكاًّ وخذ | كُلاًّ بما يَظهر فى نَقدتك
واعتبر النّاس بألفاظهم | واصْحبْ أخا يرغب فى صحبتك
كم من صَديق مُظهِر نُصحه | وفكرُهُ وَقْفٌ على عَثرتك
إيّاك أنْ تقربَهُ إنهُ | عَوْنٌ مع الدَّهر على كرْبتك
وانْمُ نُمُوَّ النبْت قد زاره | غِبَّ النَّدَي واسمُ إلى قدْرتك
ولا تُضيّع زَمنًا مُمكنًا | تذكارُه يذكِى لظي حسرتك
وَالشرّ مهما اسطعت لا تأتِه | فانهُ جَوْرٌ على مهجتك

يا بُنىّ: الذى لا ناصحَ له مثلى، ولا منَصُوح لى مثله — قد قدَّمت لك فى هذا النظم ما إن أخطَرته بخاطرك فى كلّ أوان رَجوْت لك حُسْن العاقبة (إن شاء الله تعالى) وإنَّ أخفَّ منه للحفظ، وأعلق بالفكرِ، وأحقَّ بالتقدُّم قولُ الأوّل

تزينُ الغريبَ اذا ما اغترَب | ثلاثٌ فمنْهنَّ حسن الادبْ
وثانيةٌ حُسن أخلاقه | وثالثةٌ اجتنابُ الريَب

وَاصغ يا بنىّ إلى البيت الذى هو يتيمة الدَّهر، وسُلَّم الكرَم والصبر

ولوْ أنَّ أوطانَ الدِّيارِ نبت بكم | لسكنتمُ الأخلاقَ والآدابا

إذ حُسن الْخلق أكرمُ نزيل، والأدبُ أرحبُ منزل. ولْتكن كما قال بعضهم فى أديب متغرّب: وكان كلما طرأ على ملك فكأنهُ معهُ ولد، واليه قصد غيرَ مستريب بدهره، ولا مُنكرٍ شيأً من أمره

وإذا دعاك قلبُك إلى صُحبة من أُخذ بمجامع هواه، فاجمل التكلف لهُ سلمًا، وهُبَّ فى روض أخلاقهِ هبُوب النسيم، وحُلَّ بطرفه حُلولَ الوسَن وانزل بقلبه نزولَ المسرّة، حتى يتمكّنَ لك ودادُه، ويخلص فيك اعتقادُه وطهِّر من الوقوع فيه لسانَك، وأغلق سمْعك ولا تُرخّص فى جانبه لحسُودٍ لك منهُ، يُريد إبعادَك عنهُ لمنفعة، أوْ حسُودٍ لهُ يَغارُ لتجمُّله بصُحبتك. ومع هذا: فلا تغترّ بطول صُحبته، ولا تتمهّد بدوام رقدته، فقد يُدهِّه الزّمان، ويتغيّر منهُ القلْب واللسان، وإنما العاقل مَن جعل عقله معياراً، وكان كالمرآة يلقى كلّ وجهٍ بمثاله — وفى أمثال العامة: «من سبقَك بيوْم فقد سبقَك بعقل». فاحتذ بأمثلة مَن جرّب، واستمع إلى ما خلّد الماضُون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال فانها خُلاصة عُمرهم، وزُبدة تجاربهم. ولا تتّكل على عقلك، فإنّ النّظر فيما تعِبَ فيه النّاسُ طُول أعمارهم، وابتاعُوه غاليًا بتجاربهم، يُربحُك، ويقع عليك رخيصًا — وإنْ رأيت مَنْ له عقل ومرُوءة وتجربة، فاستفد منه، ولا تضيّع قوْله ولا فعله، فان فيما تلقاهُ تلقيحًا لعقلك، وحثًّا لك واهتداء

وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحْسُن بك أن تتّبعه، حتى تتدبّره فإن كان مُوافقًا لعقلك، مصلحًا لحالك، فراع ذلك عندك، وإلا فانبذهُ نبذَ النّواة فليس لكلّ أحد يُتبسَّم، ولا كل شخص يُكلم، ولا الجودُ ممّا يعم به، ولا حُسن الظنّ وطيبُ النفس ممّا يُعامَل به كلُّ أحدٍ — ولله درُّ القائل:

وتمالىَ لا أوْفِى البريّةقِسطَيا على قَدْر ما يُعطى وعقلىَ ميزانُ

وإيّاك أنْ تُنْطِيَ مِنْ نَفسك إلاَّ بقَدَرٍ . فلا تُعامل الدُّون بمعاملة الكُفْءِ ولا الكفءَ بمعاملة الأعلى، ولا تُضيّع عمرَكَ فِيمن يُعاملك بالمطامع ، ويُثيبك على مصلحةٍ حاضرة عاجلة ، بغائبة آجلة ، ولا تجفُ النّاسَ بالجملة ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحَق منهُ ملالٌ، ولا ضجَرٌ ، ولا جفاء . فمتى فارَقتَ أحداً ، فعلى حُسنى فى القَوْل والفعل . فإنّكَ لا تدْرى هلْ أنتَ رَاجعٌ إليه ؟! فلذلك قال الأوّل : « وَلما مَضى سِلمٌ بَكَيْتُ على سلمٍ » ـ وإيّاك والبيت السّائر :

وكنتَ إذاحلاتَ بدَارِ قومٍ رحلتَ بخزيةٍ وتركتَ عارًا

وَاحرص على ما جَمعَ قوْل القائل « ثلاثة تبقي لك الوُدَّ فى صدر أخيك أن تبدَأهُ بالسَّلام ، و توسعَ له المجلس ، وتَدْعوهُ بأحبّ الاسماء اليه » ، واحذَر كلّ ما بَيّنه لك القائل : « كل ما تغرسه تجنيه ، إلاَّ ابن آدم ، فاذا غرَستَه يقلعك » . وقول الآخر : « إن ابن آدم ذئب مع الضّعف ، أسدٌ مع القوّة » وإيّاك أن تثبت على صحبة أحد قبل أنْ تُطيل اختباره . ويحكى أن ابن المُقفع خطب من الخليل صُحبته ، فجاوبهُ : «إنَّ الصُّحبة رِقّ ، ولا أضعُ رقّى فى يدَيك حتي أعرف كيف ملكتك » . واستمل من عين من تُعاشره ، وتَفقَّد فى فلتات الألسن ، وصفحات الأوجه . ولا يحملك الحياء على السكُوت عمّا يضُرّك أن لا تُبيّنه ، فانَّ الكلام سلاح السّلم ، وبالأنين يُعرَف ألمُ الجُرح . واجعل لكل أمرٍ أخذْت فيه غايةً ، تجعلها نهاية لك

وخذ من الدَّهر ما أتاك به مَن قر عيناً بعيشه نفَعه

إذ الأفكار تجلب الهمُوم ، وتضاعفُ الغُموم . ومَلازمة القطوب ، عنوان

المصائب والخطوب، يستريب به الصاحب، ويشمت العدوّ والمجانب، ولا تضرّ بالوساوس إلاّ نفسك، لأنّك تنصر بها الدّهر عليك — ولله درّ القائل

إذا ما كنت للأحزانِ عونًا عليك مع الزّمان فمن تلوم ؟ !

مع أنه لا يردّ عليك الغائب الحزن، ولا يرعوى بطول عتبك الزّمن

ولقد شاهدت (بغرناطة) شخصًا قد ألفته الهموم. وعشقته الغموم، ومن صغره إلى كبره لا تراهُ أبدًا خليًا من فكرة، حتى لقّب « بصدر الهمّ »

ومن أعجب ما رأيتهُ منهُ انهُ يتنكّدُ فى الشدّة، ولا يتعلّل بأن يكون بعدها فرج، ويتنكّد فى الرّخاء خوفًا من أن لا يدوم — وينشد:

« توقّعْ زوالاً إذا قيلَ تمّ » وينشد: «وعند التناهي يقصرُ المتطاولُ».

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب . ومثل هذا عمرُه محسور يمرّ ضياعًا

ومتى رفعك الزّمانُ إلي قوم يذمّون من العلم ما تحسنه حسداً لك وقصداً لتصغير قدرك عندك، وتزهيداً لك فيه، فلا يحملك ذلك على أن تزهد فى علمك، وتركن إلى العلم الذى مدحوه، فتكونَ مثلَ الغراب الذي أعجبه مشيُ الحجله، فرامَ أن يتعلّمهُ فصعبَ عليه، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه فبقي مخبّل المشى كما قيل:

إن الغرابَ وكان يمشى مشيْة فيما مضي من سالف الأجيالِ

حسَدَ القطا وأراد يمشى مشيها فأصابه ضربٌ من العُقّال

فأضلّ مشيتَه وأخطأ مشيها فلذاك كنّوهُ (أبا مرقال)

ولا يفسد خاطرك من جعل يذمّ الزّمان وأهلَه، ويقول: ما بَقي فى الدّنيا

كريم ولا فاضل، ولا مكان يُرتاح فيه ، فانَّ الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبهم الحرمان ، واستحقت طاعتهم للهوان ، وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم، وعجزوا عن طلب الامور من وجوهها ، فاستراحوا إلى الوقوع فى الناس ، وأقاموا الاعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم . ولا تزل هذين البيتين من فكرك

لنْ إذا ما نِلتَ عزًّا فأخو العزّ يلينُ
فاذا نابكَ دهرٌ فكما كنتَ تكون

والامثال تضرَبُ لذى اللبّ الحكيم ، وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم . والفطنُ يقنع بالقليل ، ويستدلُّ باليسير . واللهُ سبحانهُ خليفتى عليك لا ربَّ سواه

(وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين)

يا أحمرُ — إن أمير المؤمنين قد دفع اليك مُهجة نفسه ، وثمرة قلبه . فصيّر يدكَ عليه مبسوطةً ، وطاعته لك واجبةً . فكُنْ لهُ بحيث وضعك أميرُ المؤمنين أقرِئْهُ القرآن ، وعرّفهُ الأخبارَ ، وروِّه الأشعارَ ، وعلّمهُ السُّننَ ، وبصّرْه بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعهُ من الضحك إلاّ فى أوقاته ، وخذهُ بتعظيم بنى هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القوّاد اذا حضروا مجلسه ، ولا تمرنَّ بك ساعة إلاَّ وأنت مُغتنمٌ فائدةً تفيده إيّاها من غير أن تُحزِنَهُ فتميتَ ذِهنَهُ ، ولا تمعنْ فى مُسامحته فيستحلى الفراغ ويألفهُ ، وقوّمْهُ ما استطعت بالقُرْب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدّة والغلظة

(وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر)

قال أبانُ بن تغلب ، وكانَ عابداً من عُبَّاد أهل البصرة : شهدتُ أعرابيةً وهى توصي ولداً لها يريد سفراً ، وهي تقول له :

أي بُنيَّ : إجلس أمنحْك وصيَّتي وبالله توفيقُك ، فانّ الوصيَّة أجدَى[1] عليك من كثير عقلك . قال أبان : فوقفتُ مستمعاً لكلامها ، مستحسناً لوصيتها فاذا هي تقول : أى بُني - إيّاك والنَّميمةَ ، فانها تزرَعُ الضَّغينةَ ، وتُفرّقُ بين المحبّين ، وإيّاك والتّعرُّضَ للعيوب فتتّخذ غرضا[2] وَخالِقٌ ألاّ يثبت الغرضُ على كثرة السّهام . وَقلَّما اعتَورَت[3] السّهام غرضاً إلاّ كلمتْه[4] حتي يهي[5] ما اشتدَّ من قوَّته .

وإياك والجودَ بدِينكَ ، والبُخلَ بمالكَ . وإذا هَزَزْتَ فاهزُز كريماً يلِنْ لهزَّتك ، ولا تهزُز اللّئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها

ومثّلْ لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك : فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبهُ ، فان المرء لا يري عيب نفسه

ومن كانت مودّته بِشْرَهُ ، وخالف ذلك منهُ فعلهُ ، كان صديقه منهُ على مثل الرّيح فى تصرّفها . والغدر أقبح ما تعاملَ به الناس بينهم . ومن جمع الحِلْم والسَّخاء ، فقد أجاد الحُلة ريطتها وسرْبالها

(نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك)

خَرَج الزُّهرى يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا سمعت كاربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام . دخل عليه فقال : يا أمير

(١) انفع (٢) هدفا (٣) تداولت (٤) جرحته (٥) يضعف

المؤمنين : احْفَظ عنّي أربع كلمات، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك . قال ما هنّ ؟ قال : لا تعِد عِدة ولا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يَغُرَّنَّك المُرْتقى وإن كان سهلا إذا كان المُنْحَدَرُ وعْراً ، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتّق العواقب وأن للأمور بَغَتَاتٍ [١] فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : فحدثتُ بهذا الحديث (المهدىّ) وفى يده لُقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها وقال ويحك ! أعد علىّ فقلت يا أمير المؤمنين : أسِغْ [٢] لقمتك . فقال : حديثك أعْجب إلىّ

(نصيحة أعرابى لسليمان بن عبد الملك)

قال أعرابى لسليمان بن عبد الملك : « إنى أكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله: فانّ وراءهُ إن قبلته ما تحبّه » . قال : هاته يا أعرابى: فنحن نجود بسَعَةِ الاحتمال على من لا نأمن غَيْبَتَه، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيباً، الناصح جيباً [٣]. قال: « فإنى سأطلق لسانى بما خَرِست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى إنه قد اكْتَنَفَك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا [٤] دنياك بدينهم ورضاك بسُخْط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك، فهم حَرْب للآخرة وَسِلْم للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لم يألوا [٥] الأمانة تضييعاً ، والأُمة كسْفاً وخسفا ، وأنت مسئول عمّا اجترموا، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلِح دُنياهم بفساد آخرتك . فإن أعظم الناس عند الله غبْناً من باع آخرته بدنيا غيره » : فقال سليمان : أمّا أنت يا أعرابى فقد سَلَلْت لسانك

---

(١) البغتات : جمع بغتة وهي الفجأة . (٢) أساغ اللقمة : ابتلعها . (٣) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه وصدره أي أمين ، قال الشاعر : « وحشت صدراً جيبه لك ناصح »
(٤) ابتاع : اشترى . (٥) ألا يألو ألوا : قصر . يقال انى لا آلوك نصحاً أى لا أقصر ، وقال تعالى : « لا يألونكم خبالا » أي لا يقصرون في خبالكم وفسادكم .

وهو سيفك . قال : « أجل: يا أمير المؤمنين لك لا عليك ».

(نصيحة فتاة لأبيها)

قالت أعرابية: تنصحُ أباها بمُجانبة السَّرف : حبس المال ، أنفع للعيال ، من بَذْل الوجه فى السؤال ، فقد قلَّ النوال ، وكَثُرَ النِّجال (١) . وقد أتلفتَ الطّارف والتّلاد (٢) ، وبقيت تطلب ما فى أيدى العباد . ومن لم يَحفَظ ما ينفعه ، أوْشك أن يسعى فيما يضره

(نصيحة البديع الهمذانى لوارث مال)

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزيه وينصح له :

وَصلت رُقْعتك (ياسيدي) والمصاب لعمر الله كبير ، وأنْت بالجزع جَدير ، ولكنك بالصبر أجدر . والعزَاء عن الأحبة رُشْد كأنه الغيّ ، وقد مات الميت فَليَحىَ الحيّ ، فاشدد على مالك بالخَمْس (٣) ، فأنت اليوم غيرك بالأمس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وَكيلك ، تضحك ويبكى لك . وقد موَّلك (٤) مما ألف بين سُرَاهُ (٥) وسيره ، وخلَّفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره . وسيعْجُم (٦) الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقوم يقولون: خيرُ المال ماتُتْلفه بين الشراب والشَّباب ، وتنفقه بين الحَباب (٧) والأحباب ، والعيش بين القِداح والأقداح (٨)

---

(١) النجال : جمع نجل وهو الولد (٢) الطارف : المستحدث من المال وغيره ، والتلاد: جمع تليد وهو عكس الطارف . (٣) يريد بالخمس الاصابع وهى مؤنثة فى الاكثر .
(٤) موله : اتخذ له مالا . (٥) السرى : سير الليل . (٦) عجم العود : عضه ليعرف مبلغ صلابته . (٧) حباب الماء والشراب : فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير
(٨) القداح : سهام الميسر واحدها قدح كقرد . والاقداح : جمع قدح كجبل وهو وعاء الشراب

ولولا الاستعمال ، لما أريد المال . فإن أطعتهم فاليوم فى الشراب ، وغداً فى الخراب. واليوم وَاطرَبًا للكاس ، وغداً واحَرَبًا (١) من الإفلاس . يامولاى: ذلك الخارج من العُود يسمّيه الجاهل نَقْرا ، والعاقل فقرا ، وذلك المسموع من النّاى (٢) هو فى الآذان زَمْر ، وفى الأبواب سَمْر . وإن لم يجد الشيطان مَغْمَزاً فى عودك من هذا الوجه، رماك بآخرين يُمثّلون الفقر حِذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عِرْسك (٣) ، وتمنع نفسك ، وتبوء فى دُنياك بوِزْرك ، وتراه فى الآخرة فى ميزان غيرك . لا - ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين. لا منع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضَيْر عاجل ، وإنما يبخل المرء خيفة ما هو فيه

ومن يُنفْق الساعاتِ فى جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

فليكن لله فى مالك قِسْم ، وللمُروءة قسم، فَصِل الرحم مااستطعت، وقدّر (٤) إذا قطعت ، فلأن تكون فى جانب التقدير ، خير من أن تكون فى جانب التبذير

(وصية الرّياحى لقومه)

قال الرّياحى فى خطبته بالمِرْبد (٥) :

يابني رياح - لا تُحقّروا صغيراً تأخذُون عنه . فإنى أخذت من اللّيث بَسالتهْ ومن الحِمار صبره ، ومن الخِنزير حِرصه ، ومن الغُراب بُكورَه ، ومن الثّعلب

---

(١) الحرب : أن يسلب الرجل ماله وقد حرب ماله أى سلب ومن هذا قولهم : واحربا
(٢) الناى : آلة للزمر (فارسى معرب) وقد تهمز ياؤه ، وقد جمعوه على ايات
(٣) العرس : الزوجة . (٤) التقدير : التروية والتفكير فى تسوية أمر :
(٥) المربد : الجرين ثم صار علماً على موضع بالبصرة

روغانه [١] ومن السنّور ضَرَعَه [٢] ، ومن القرد حكايته ، ومن الكلب نُصرَته ومن ابن آوي حِذْره . ولقد تعلمت من القمر سير الليل ، ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين

(وصية ذى [٣] الأصبع لابنه)

لمّا احتُضِرَ ذُو الأصبع العَدْواني دعا ابنه (أسيداً) فقال له :

يا بُنى : إن أباك قد فني وهو حيّ ، وعاش حتى سئم العيش . وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغته . ألنْ جانبك لقومك يحبُّوك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسُط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثِر عليهم بشىء يسوّدوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويَكبَر على مودّتك صغارهم واسمح بمالك ، وأعزِزْ جارك [٤] ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة فى الصّريخ [٥] فان لك أجلا لا يَعدُوك . وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمّ سُؤدَدُك .

(وصية عبْد الله [٦] بن شدّاد لابنه)

قال الكلبي : لما حضرتْ عبد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنًا له يقال له (محمد) فقال : يا بُنى ، إنى أري داعي الموت لا يُقلِع ، وأري من مضى لا يرجع ، ومن

---

(١) الروغان : الميل عن الشيء لتجنب الضرر . (٢) الضرع : الخضوع . (٣) هو حرثان بن الحارث ، خطيب حكم ، شاعر فارس ، وهو أحد المعمرين فى الجاهلية .
(٤) الجار : المجاور والذى أجرته من أن يظلم . (٥) الصريخ : صوت المستغيث وهو أيضاً المغيث واحداً أو أكثر . (٦) هو عبد الله بن شداد بن الهادي الليثى كان من رجالات العراق ، ومن ذوي المكانة عند الحجاج ، ثم خرج عليه مع ابن الأشعث ، ويقال انه قتل سنة ٨٣ هـ .

بقى فإليه ينزع[1] . وإنى موصيك بوصية فاحفظها:

عليك بتقوي الله العظيم ، وليكن أولى الأمور بك شكرُ الله ، وحُسْنُ النيةِ في السر والعلانية ، فان الشكور يزداد ، والتقوى خير زاد . وكن كما قال الحطيئة:

ولست أري السعادة جمع مال ... ولكنّ التقيّ هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقي مزيد

وما لا بُدَّ أن يأتي قريبٌ ... ولكنَّ الذي يمضي بعيد

أيْ بُنيّ : لا تزهَدَنَّ فى معروف ، فان الدهر ذو صُرُوف ، والأيام ذاتُ نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه . واعلم أنَّ الزَّمان ذو ألوان. ومن يصحب الزّمان يرَ الهوَان . وكن أىْ (بُنيّ) كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وعدّ من الرحمن فضلا ونعمة ... عليك إذا ما جاء للعُرْف[2] طالبُ

وإن امرأً لا يُرْتجَى الخير عنده ... يكن هيّناً ثِقلاً على من يصاحب

فلا تمنعنْ ذا حاجة جاء طالباً ... فانك لا تدرى متي أنت راغب

رأيت التْوِا[3] هذا الزمان بأهله ... وبينهم فيه تكون النوائب

أىْ بُنىّ : كن جواداً بالمال فى موضع الحق ، بخيلا بالأسرار عن جميع الخلق فإنّ أحمد جود المرء الإنفاق فى وجه البرّ ، وإنّ أحمد بخل الحر الضَّن بمكتوم السّر وكن كما قال قَيس[4] بن الخطيم الأنصاري :

---

(١) نزع اليه كجلس : اشتاق (٢) العرف : المعروف . (٣) التوا مصدر التوى وقصره للضرورة ، والتوى به الزمان : اعوج . وآلوي به: أهلكه . (٤) شاعر من أهل يثرب وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة .

أجُود بمكنون التّلاد وإنّني بسرك عمّن سالني لضَنين(١)

إذا جاوز الاثنين سرّ فإنّه بنثّ وتكثير الحديث قمين(٢)

وعندي له يوماً إذا ما ائتمنتني مكان بسوداء الفؤاد مكين(٣)

أيْ بُنيّ: وإن غُلبت يوماً على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإنّ الكريم يحتال، والدنيّ عيال. وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالا، أقلّ ما تكون في الباطن مالا، فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنفاد(٤) نعمته. وكن كما قال ابن خذّاق(٥) العبدي:

وجدتُ أبي قدَ اورثه أبوه خلالا قد تُعدّ من المعالي(٦)

فأكرمُ ما تكون عليّ نفسي إذا ما قلّ في الأزمات مالي

فتحسُن سيرتي وأصون عرضي ويجمل عند أهل الرأي حالي

وإن نلتُ الغنى لم أغلُ فيه ولم أخصص بجفوتي الموالي(٧)

أيْ بُنيّ: وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها(٨) رجع العيب على من قالها. وكان يقال: الأريب العاقل هو الفطن المتغافل(٩). وكن كما قال حاتم الطائي:

وما من شيمتي شتم ابن عمّي وما أنا مُخلِف من يرتجيني

---

(١) سهل الشاعر همزة سأل للوزن. (٢) قطع همزة اثنين للضرورة. ونثا الحديث: أفشاه. (٣) سوداء الفؤاد أو القلب وسويداؤه وسواده وأسوده: حبته. (٤) الانفاد: الفقر. (٥) اسمه يزيد وهو شاعر قديم. (٦) نقلت حركة الهمزة من أورث الى الذال وحذفت هي للوزن. والخلال: جمع خلة وهي الخصلة.

(٧) غلا في الأمر غلوا: جاوز الحد. والموالي: الأقارب. يقول ان كثر مالي لم أجف أقاربي. (٨) حيال ظرف في معني ازاء أي ان تركتها تذهب في طريقها الخ. (٩) في معنى هذا قول الشاعر:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وكاشحٍ حاسد في غير جُرم سمعت فقلت مُرِّى فانفذيني(١)
فعابوها عليَّ ولم تَسُؤْنى ولم يَعْرق لها يوماً جبيني
وذو اللّونين يلقانى طليقًا وليس إذا تغيّب يأتليني(٢)
سمعت بعيبه فصفحت عنـه مُحافظةً على حَسَبي وديني

أيْ بُنيّ : لا تؤاخِ امرأً حتّى تعاشره، وتتفقّد موارده ومصادره، فاذا استطعت العِشرة، ورضيت الخُبْرة(٣)، فواخهِ على إقالة العثْرة، والمواساة في العُسْرة وكن كما قال المُقنَّع الكِنْدى(٤):

ابْلُ الرجالَ إذا أردت إخاءهم وتوسّمنّ فعالهم وتفقّدِ
فإذا ظفرت بذي اللّبابة والتُّقَي فبه اليدين قريرَ عينٍ فاشْدُدِ(٥)
وإذا رأيت ولا مَحالة زلّةً فعلى أخيك بفضل حلمك فارْدُدِ

أيْ بنيّ : إذا أحببت فلا تُفْرِط، وإذا أبغضت فلا تُشْطِطْ(٦)، فانه قد كان يقال : أحْبِبْ حبيبك هَوْنًا ما(٧) عسي أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبْغِض بغيضك هَوْنًا ما عسي أن يكون حبيبك يومًا ما . وكن كما قال هُدْبة(٨) بن

---

(١) نفذه : جازه . (٢) ائتلى كألا أي قصر . يقول : اذا غاب عنى فلن يقصر في نكايتي (٣) الخبرة وبغير هاء : العلم بالشيء كالاختبار . (٤) هو محمد بن عميرة والمقنع لقبه شاعر رصين المباني حكيم المعانى من شعراء الدولة الأموية . (٥) اللبابة مصدر لب أي صار ذا لب وهو العقل ، وكل ماقبل فاشدد من الشطر الثانى معمول له وتكررت الفاء للربط ــ وكذا في البيت التالى .

(٦) شط وأشط : جاوز الحد . (٧) الهون: الرفق ، وما ــ اما زائدة . واما صفة لهونا مثلها في قوله تعالى : « ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما » . (٨) هو شاعر من شعراء الدولة الأموية جيد البديهة . وهو القائل

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب

الْخَشْرَمَ العُذْرِي !

وكن مَعْقِلاً للحلم واصْفح عن الخنا ... فإنك راءٍ ما حييت وسامع

وأَحْبِب إذا أحببت حبًّا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى أنت نَازِع[1]

وأبغِض اذا أبغضت بغضًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى أنت راجع

(الفصل الثانى عشر فى رسائل التَّنَصُّل والتَّبرُّؤ)

(كتب أبو الحسن على بن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤ ﻫ)

(إلى القاسم بن عُبيد الله)

ترَفّع عن ظُلمى إن كنتُ بريئًا ، وتفضَّل بالعفو إن كنتُ مُسيئًا . فوالله إنى لأطلب عفو ذنبٍ لم أجنِه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه، لِتزدادَ تطوُّلاً ، وأزداد تذللاً . وأنا أُعيذ حالى عندك بكرمك من واشٍ يكيدُها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاوِلُ إفسادها

وأسأل الله تعالى أن يجعل حظِّي منك ، بقدر وُدِّي لك ، ومحلّى من رجائك بحيث أستحقُّ منك . والسلام .

(وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون الأندلسى)

(المتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٣ ﻫ)

يا مولاى [2] وسَيِدي [3] الذي وِدادي له [4] ، واعتمادى [5] عليه

(١) نزع عن الامر نزوعا : انصرف وانتهى عنه . (٢) المولى له معان كثيرة والأليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضا ـ قال أبو تمام

مولاك يا مولاى صاحب لوعة ... فى يومه وصبابة فى أمسه

دنف يجود بنفسه حتى لقد ... أمسى ضنينا أن يجود بنفسه

(٣) السيد من ساد على قومه ارتفع ـ وهو اخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعطاف (٤) محبتى
(٥) اتكالى

واعتدادِي [١] به ، وَامتدادِى [٢] منه ، ومن أبقاهُ الله ماضِيَ [٣] حَدّ العَزْم [٤] واری [٥] زنْد [٦] الأمل [٧] ، ثابتَ [٨] عَهْدِ [٩] النّعْمة ، إنْ سَلَبتنى [١٠] أعزَّك [١١] اللهُ لِباسَ [١٢] نَعمائك ، وعطّلتنى [١٣] من حُليَ [١٤] إيناسِك [١٥] وَأظمأْتني [١٦] إلى بُرُود [١٧] إسعافك [١٨] وَنفَضْتَ [١٩] بى كَفَّ حياطَتك [٢٠] وغضَضْتَ [٢١] عنّي طرْفَ [٢٢] حمايتك ، بَعدَ أن نظر الأعمى إلى تأميلى [٢٣] لك ، وسمع الأَصَمُّ ثنائى [٢٤] عليك، وأحسَّ الجمادُ باسْتِحْمَادِى [٢٥] اليك .

---

(١) عدتى ليوم حاجتي (٢) مزيد خيرى (٣) قاطع (٤) قوة الارادة: أی لا يعزم على أمر الا أمضاه (٥) الورى خروج النار من الزند وقت الاقتداح (٦) مقدحة (٧) الرجاء

(٨) متمكن ومتوثق (٩) ميثاق أى ان نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبداً وان محبته مقصورة عليه، وانه هو الملتجأ اليه، وانه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع، وخيره غيث متتابع وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال (١٠) انتزعت مني (١١) أعزك الله جملة اعتراضية لغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والاشارة الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيهاً له على ذلك (١٢) ما يواري الجسم أى جردتنى من نعمك المحيطة بى (١٣) العطل فى الأصل خلو جيد المرأة من القلائد (١٤) ما يتحلي به (١٥) انسك — اى احرمتنى من لذيذ أنسك

(١٦) اعطشتنى (١٧) بارد (١٨) انجادك (١٩) طرحت (٢٠) احاطتك اي طرحتني من كف حوزك لى (٢١) خفضت (٢٢) نظر — اي خفضت طرف وقايتك عنى فتركتني غرضا لصائبات الحوادث (٢٣) التأميل امر معنوى لا يشاهد وانما ذلك مبالغة فى شدة التلبس والانصاف

(٢٤) مدحي — مبالغة في انتشار مدحه (٢٥) استحمادى مبالغة فى تأثير حمده يشير الى تعداد ما حل به من المصائب وأحدق به من كل جانب الا وهو تجريده من نعم الأمير المحيطة به احاطة الثياب وحرمانه من الأنس بذلك الجناب واعطاشه الى مريع اغاثته واخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصاً بعد ان صير تأميله فيه جسما مخترعا ولذا رآه الأعمي وجلا مدحه فجذب اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمعه الأصم —

وبذل قصارى جهده فى حمده حتى كان مؤثراً فى كل الكائنات ولذا ادركه الجماد : وفيه من المبالغة ما في قول المتنبي

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى واسمعت كلماتى من به صمم

وانما اكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك ادل على توجعه وتألمه واسرع لتلبية ندائه وامكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء

فلا غروَ (١) قد يغصُّ (٢) بالماء شاربهُ ، ويقتلُ الدواء المستشفى به ، ويؤتي الحذرُ (٣) من مأمنه (٤) وتكونُ منيّةُ (٥) المتمني فى أمنيته (٦) ، والحين (٧) قد يسبقُ جُهْدَ (٨) الحريص

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى وتهون غيرَ شماتةِ (٩) الحسّاد

وإنى لأتجلّدُ (١٠) وأُري للشامتين «أني لريبِ (١١) الدهر لا أتضعضعُ (١٢)

فأقول : هل أنا إلا يدٌ أدماها (١٣) سوارُها (١٤) ، وجبينٌ عضَّ به إكليله (١٥) ومشرفيّ (١٦) ألصقهُ بالأرض صاقلهُ (١٧) ، وسمهريٌّ (١٨) عرضهُ على النار مثقِّفهُ (١٩) ، وعبدٌ ذهب به سيّده مذهبَ الذي يقول

---

(١) فلا عجب — والفاء واقعة فى جواب ان من قوله ان سلبتنى (٢) غصصت بالماء أغص غصا اذا شرقت به وأغصصته انا (٣) المتيقظ (٤) محل امنه (٥) موت (٦) ما يتمناه (٧) الهلاك (٧) طاقة (٩) الفرح فى بلية الغير يقول ان انتزعت مني ما أعطيت وأحللت بى من المصائب ما أحللت بعد غلوى فى الثناء عليك والتجائى فى كل الأمور اليك فليس ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر الغريب بل كثير النظائر والأمثال فالماء الذي به زوال الغصص قد يكون هو الغص وان الأمنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير فى عبارته الى قول بعضهم

قد كنت عدتى التي أسطو بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد

والى قول الآخر :

تجري الأمور على وفق القضاء وفى طي الحوادث محبوب ومكروه

فربما سرنى ما بت أحذره وربما ساءنى ما بت أرجوه

والبيت الذى ذكره لابن أبى عيينة (١٠) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب الدهر نوائبه (١٢) أتزلزل: هذا حل بيت لابى ذؤيب الهذلي وهو

وتجلدي للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا اتضعضع

(١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلي يلبس فى الساعد (١٥) تاجه
(١٦) سيف (١٧) جاليه (١٨) رمح (١٩) مقومه

فقِسا لِيزْدَجِرُوا[١] ومَن يكُ حازمًا   فليقسُ أحيانًا على مَنْ يرْحَم

هذا العَتبُ [٢] محمودٌ عواقبهُ ، وهذه النَّبوَةُ [٣] غَمرةٌ [٤] ثمَّ تنجلى [٥] وهذه النَّكبةُ [٦] سحابة صيفٍ عن قليلٍ تقشَّعُ [٧] ، ولن يُريبَنى [٨] من سيدِى إن أبطأ سَيبُه [٩] ، أو تأخر غير [١٠] ضَنين غناؤُه [١١] . فأبطأ الدِّلاء فيضًا [١٢] أملؤُها ، وأثقَلُ السَّحائب مشيًا أحفلها [١٣] ، وأنفعُ الحيا [١٤] ماصادف جدبًا [١٥] ، وألذُّ الشَّراب ما أصاب غليلاً [١٦] ، ومع اليوم غدٌ ولكلِّ أجلٍ كتابٌ .

---

(١) يمتنعوا : يخاطب نفسه ويسليها ويضرب لها الأمثال ويمنيها ويسهل عليها ماتعانيه ويحببها ما تعاديه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعله وعمله معه فقد نزل نفسه منزلة يد الحسناء التي أحرى دمها السوار ، والجبين الذى أثر فيه تاج الافتخار ، والسيف الذى وضعه على الترب صاقله لصقله لا لهوانه ، والرمح الذى وضعه على النار مثقفه لتعديله لا لاحراقه ، والعبد الذى قسى سيده رحمة به واحسانًا لا استخفافًا به وهوانًا — والبيت لأبى تمام (٢) اللوم (٣) الجفوة (٤) شدة (٥) تنكشف (٦) المصيبة (٧) تقلع — يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الألفة والصفاء وان هذه الجفوة شدة تحول وسحابة لا تلبث أن تزول — يشير الى قول المتنبى

لعل عتبك محمود عواقبه   وربما صحت الأجسام بالعلل

والى المثلين العربيين « غمرات ثم تنجلى » و« سحابة صيف عن قليل تقشع » والاول يضرب فى حصول اليسر بعد العسر والثانى فى سرعة التغير (٨) يجعلني شاكا (٩) عطاؤه (١٠) غير ضنين احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير للايقاع به (١١) نفعه

(١٢) الفيض صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أى أبطأ الدلاء صعودًا أكثرها امتلاء (١٣) أملؤها (١٤) المطر (١٥) الأرض التي لا نبات بها (١٦) العطش بحرارة — لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وان ما حل به عن قريب يزول ورأى ان تأخير الرحمة به وعدم انقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة فى محمدة العاقبة دفع ذلك معتذرًا عن سيده فى هذا التأخير معللا بقوله فأبطأ الدلاء فيضًا املؤها وأثقل السحائب مشيًا احفلها وغير ذلك مما يدل على أن فى التأخير مما ينعم البال ويقر الأعين ثم ختم عبارته بما هو أمثل فى التسلية وأدعى للتصبر من حيث قوله ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

له الحمدُ على اجتبائه (١) ولا عتبَ عليه في اغتفاله (٢)

فإن يكن الفعلُ الذي ساءَ واحداً فأفعاله اللَّائي سَرَرْنَ ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذَّنبُ الذي لم يَسَعْهُ عفوُكَ ، والجهلُ الذي لم يأتِ من ورائه حلمُك ، والتَّطاوُل (٣) الذي لم يستغرقهُ تطوُّلكَ (٤) والتَّحامُلُ (٥) الذي لم يفِ به احتمالكَ (٦) ؟ ! ولا أخلو من أن أكونَ بريئاً فأينَ عدلُك ؟

أو مُسيئاً ، فأين فضلُك ؟

إلاَّ يكن ذنبٌ فعدلُك واسعٌ أو كان لي ذنبٌ ففضلُك أوسعُ

فَهَبْني مُسيئاً كالذي قلت ظالماً قصاصاً (٧) فأين الأَخذ ياعزّ (٨) بالفضل

حنانَيْكَ (٩) قد بلغ السَّيل الزُّبى (١٠) ، ونالني ما حسْبي به وكفى .

---

(١) اختياره (٢) تغافله وهو تركه على ذكر منه بعد ان اعتذر عن سيده بما اعتذر أخذ يمدحه على ايقاعه به وتغافله عنه عله أن يرأف به ويعطف عليه والبيت للمتنبي (٣) التكبر (٤) تفضلك (٥) التكلف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل الا أنه في الأمور العظيمة قال النابغة الذبياني * فحملت براً واحتملت فجارا * (٧) عقابا (٨) اسم امرأة — رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التمت منه الي ما في ضميره من بقايا العتب فقال يستفهم مريداً بذلك الزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول ما هذه الحركة التي زلزلت طودك وما هذه الحمية التي عكرت بحرك ولم لا يشملني كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر شفيع للعاصي والمطيع — وذكر البيتين تأييد لما قاله في نثره والأول للبحتري والثاني مأخوذ من قول الحماسي

هبيني ظلوماً ملته بمساءة قصاصاً فأين الاخذ ياعز بالفضل

(٩) تثنية حنان وهو الرحمة (١٠) جمع زبية وهي حفرة تحفر لصيد الاسد في مكان مرتفع لا يعلوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجحفا — يريد بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له : حنانيك أي رحمة بعد رحمة أطلبها منك فان الذل والهوان قد وصلا الى النهاية . والصغار والاحتقار قد بلغ الغاية — وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربي يضرب في بلوغ الشيء غايته

وما أراني إلاَّ لو أمرتُ بالسُّجُود لآدمَ فأبيتُ (١) واستكبرتُ .

وقال لي نوحٌ إركب معنا فقلت سآوي (٢) إلى جبلٍ يَعْصِمُني (٣) من الماءِ وأمرتُ ببناءِ صَرحٍ (٤) لعلّي أطّلع إلى إلهِ مُوسى ، وعكَفْتُ (٥) على العجلِ واعتديت (٦) في السَّبتِ وتعاطَيتُ (٧) فعقَرْتُ (٨) وشربتُ من النَّهر الذي

---

(١) امتنعت : ولقد احسن كل الاحسان وتلطف ما شاء في عطف قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدعاً في وصف ما لاقاه من العقاب والنكال وأنه لو قسم على ذوي الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافياً لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقاً ، ملمحاً الى ذوي الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة . فقال : وما أراني الخ . يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث امره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال انا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين (٢) سألجأ

(٣) يحفظني : يشير الى ذنب ابن نوح ، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه : « يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال : سآوي الخ (٤) قصر : يشير الى ذنب فرعون وهو انكاره الآله وادعاؤه أنه هو الآله الحقيقي ، وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله ، فقال فرعون : « يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ، فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا » الآية (٥) واظبت : يشير الى ذنب بني اسرئيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسي عليه السلام لميقات ربه ، قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقرة وقال لبني اسرائيل ان الحلى الذي استعرتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فدفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأيه فيه ففعلوا فأخذه وصاغه عجلا ووضع فيه القبضة التي اخذها من اثر حافر فرس الحياة ، فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمشي وكأنه يخور فقال لبني اسرائيل هذا آلهكم واله موسى نسيه وذهب لطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه (٦) جاوزت : يشير الى ذنب بني اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك انهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطى الماء ولا تأتي في غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان في الحيضان فيأخذونها يوم الأحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب (٧) تعاطى : قام على أطراف اصابع رجليه ثم رفع يديه وضرب (٨) عقر البعير بالسيف فانعقر اي ضرب به قوائمه : يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام وذلك ان امرأة يقال لها عنيزة ام الأمل وبنات حسان

أبتلي (١) به جُيوش طالوت ، وقُدْتُ الفيل لأبرهة (٢) ، وعاهدتُ (٣) قريشاً علي ما في الصّحيفة ، وتأوّلت (٤) في بيعة العقبة (٥) واستنفرتُ إلي العِير (٦)

واخري يقال لها صدوق بنت المحيا صاحب أوثانهم كان زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح وأتباعه وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح فدعت صدوق مصدعاً لنفسها علي قتل الناقة ودعت عنيزة قداراً علي ذلك أيضاً فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود وكمن كل منهما في اصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فشد عليها قدار بسيفه فأبان عروقها ثم نحرها

(١) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اقترحوا عليه قلة الماء فقال لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا الا قليلا منهم (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشي يشير الى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك انه بنى كنيسة في صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كناني ولوثها بالعذرة وأتى أقوام من تجار قريش وأضرموا ناراً بجانبها فهبت الريح فأحرقتها فغضب النجاشي لذلك وقام أبرهة وأخذ الفيلة وفي مقدمتها فيل النجاشي المسمى محموداً ليهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فأبى فوجهه الى اليمن فقام مهرولا وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل

(٣) أعطيتهم عهداً وميثاقاً — يشير الي ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ في النمو وأن حمزة وعمر أسلما تعاقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب وعلى قطع العلائق بينهم تماماً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تأكيداً لذلك (٤) حالفت (٥) طريق وعر في الجبل — يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها أحد فذكره لها على سبيل الفرض أي هب أني خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعله أحد (٦) العير بالكسر الابل التي تحمل الميرة : يشير الى ذنب ضمضم الغفاري وهو استنهاض قريش لأبي سفيان ، وذلك : ان أبا سفيان كان آتياً من الشام في عير ، فذهب عليه السلام لقتاله ، فشعر بذلك أبو سفيان ، فاستأجر ضمضما المذكور ليخبر قريشاً ، فذهب وصرخ ببطن الوادي واقفاً على جمل قد جدعه ، وحول رحله وشق قميصه قائلا يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة : أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهزوا جميعاً وذهبوا اليه ، وحصلت الوقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى ، اوفيها انتصر النبي عليه الصلاة والسلام انتصاراً باهراً

بِبَدْرٍ ، وانخذلت (١) بثُلث الناس يوم أُحُد (٢) ، وتخلّفت (٣) عن صَلاة العصر في بَني قُرَيظة (٤) ، وجِئتُ بالأَفك (٥) على عائشة الصّديقيّة ، وأنِفت (٦) عن إمارة أسامة ، وزعمتُ أنّ خِلافة أبي بكر كانت فَلتَةً (٧) ، ورَوّيتُ رُمحي

---

(١) خذله ترك عونه ونصرته (٢) أحد جبل بالمدينة يشير الى ذنب أبي بن سلول رأس المنافقين ، وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين ، وذلك : أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه ، كان من رأى أبي بن سلول أن يمكث النبي في المدينة ، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه ، موافقاً لمعظم الصحابة ، فرجع هو ومن معه من المنافقين ، وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت

(٤) طائفة من اليهود : يشير الى حادثة بني قريظة ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من غزوة الخندق ، قال « من كان سميعاً مطيعاً ، فليصل العصر في بني قريظة ، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس ، والبعض الآخر رأى أن المقصود الاسراع فصلى في الطريق ، ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ، ترافعا اليه عليه الصلاة والسلام فحكم باصابتهما واذا تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب

(٥) الكذب : يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما ، في مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه الصلاة والسلام . وذلك : أنه لما ذهب عليه الصلاة والسلام الى غزوة بني المصطلق ، كانت معه السيدة عائشة ، حيث كانت قرعتها . ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظر في هودجها ، فمر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما ، فأركبها بعيره وقاده فأشاعوا هؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٦) استكبرت : يشير الي بعض الصحابة ، من حيث استكبروا على أسامة . وذلك : أن النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشاً ليذهب به الي الشام وقال له سر الي مقتل أبيك فتكلم قوم وقالوا . أيأمر هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج في مرضه عاصباً رأسه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال ما معناه : لئن طعنتم في أسامة فقد طعنتم في أبيه من قبل وانه لأهل لها فاستوصوا به خيراً

(٧) أى من غير احكام ولا روية : يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن علياً هو الأحق بالخلافة ، ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم . وفي حديث عمر : « أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها » فقيل : المراد بالفلتة الخلسة أى أن الامامة يوم السقيفة مالت الأنفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها أبو بكر اختلاسا ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى

من كَتيبة (١) خالد ، ومزّقت (٢) الأديمَ (٣) الذي باركتْ يدُ الله عليه وضَحَّيتْ بأشمط (٤) عنوان السّجود به ، وبذلتُ لِقَطام (٥)

ثلاثة آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ (٦) وضربُ عليٍّ بالحُسامِ المسمَّمِ

وكتبت إلى عُمر بن سعد : أن جَعْجِعْ (٧) بالحسين ، وتمثلت عند ما بلغني

---

(١) جيش : يشير الى ذنب أبي شجرة السلمى وهو تمسكه بجيش خالد في حرب الردة . ويشير الى قوله في ذلك :

ورويت رمحى من كتيبة خالد وانى لأرجو بعدها أن أعمر

(٢) قطعت (٣) الجلد : يشير الى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن أبا لؤلؤة طلب منه أن يخفف عنه حمل سيده فقال له : انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد وأريد أن تصنع لي رحي. فقال : سأصنع لك رحى يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه فى صلاة الصبح ومات بسبب ذلك . ويشير الى ذلك ما قاله بعضهم فى رثاء

جزى الله خيراً من امام وباركت يد الله فى ذاك الأديم الممزق

(٤) مختلط شعر الرأس : يشيرالى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد عليه كثير من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبى بكر ليكون والياً على مصر فبينما هو ذاهب اذ رأى عبداً على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتاباً من الخليفةالى عامل مصر يقول فيه : اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل فى قتلهم ، فرجع محمد وأعطى الجواب الخليفة فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وأنه لم يرسله ، فطلب منه أحد أمرين : الاعتزال أو اعطاء كاتبه الحكم فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه الي أن قتل . ويشير الى ما قاله بعض ناعاته :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

(٥) اسم امرأة (٦) جارية : يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على كرم الله وجهه . وذلك ان هذه المرأة أعجبته لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما فى البيت فقال لها : لك ما طلبت وقال البيت وبعده :

فلا مهر أغلى من على وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

(٧) ضيق : يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين . وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطأ جهز له (شمراً) وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله رضي الله عنه

من وقعة الحرّة [١] .

ليت أشياخى ببدرٍ شهدُوا جزَعَ الخزرج من وَقع الأسل

ورَجمت [٢] الكعبة ، وصلبت العائذ [٣] على الثّنية [٤] لكان فيما جرَى علىَّ [٥] ما يحتمل أن يكون نَكالاً [٦] ، ويُدعى ولو على المجاز عقابًا .

وحسبُك من حادث بامرئٍ ترى حاسديه له رَاحمينا

فكيف ولا ذنبَ إلا نميمةٌ [٧] أهداها كاشحٌ [٨] ! ونبأ [٩] جاء به فاسق وهم الهمَّازُون [١٠] المشّاؤون [١١] بنَميم ، والواشُونَ [١٢] الذين لاَ يلبثون [١٣] أن يَصدَعوا [١٤] العصا ، والغُوَاةُ [١٥] الذين لا يترُكون أديمًا [١٦] صحيحًا

---

(١) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بن عقبة بن مسلم وأهل المدينة: يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك انه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة واباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح ، فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبعرى المذكور مظهراً للضمير المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين

(٢) رميت بالحجارة (٣) الملتجىء (٤) طريق العقبة : يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن الزبير وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه الي الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لا ينزله الا اذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعة وأنزله . ومن قولها لابنها يوم مقتله : يابنى لا تقبلن منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بالسيف فى عز ، خير من ضربة بالسوط فى مذلة . فقال لها : انما أخاف المثلة . قالت يابنى : ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها

(٥) حصل لى (٦) عذاباً : يريد انى لو اتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لى من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافياً لتمحيص هذه الذنوب . كيف لا وقد صرت فى حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب ، وذلك ادل على طلب الرحمة واحكم في الاستعطاف ، والبيت الذى ذكره للعتبي (٧) نقل الكلام للافساد (٨) مضمر العداوة « اهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النميمة وانه ممتن بها كما يعتنى بالهدية للأمير (٩) خبر (١٠) المغتابون (١١) النمامون (١٢) الذين يزينون الحديث للافساد (١٣) لبث بالمكان : قام به (١٤) يشقوا (١٥) المضلون (١٦) جلداً

والسُّعاة [١] الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس فقال : « ما ظنُّك بقومٍ الصّدقُ محمودٌ إلا منهم ؟! »

حَلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً [٢] وليسَ وَراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

والله ما غَشَشْتُك بعدَ النّصيحة ، ولا انحرفت [٣] عنك بعدَ الصّاغية [٤] إليك ، ولا نصَبْتُ [٥] لك بعد التّشيّع فيك ، ولا أزمعتُ [٦] يأساً منك ، مع ضمان تكفّلتْ به الثّقة عنك ، وعهد أخذه حُسن الظّن عليك . ففيم عَبِثَ [٧] الجفاء بأذمّتى [٨] ، وعاث [٩] العقُوق [١٠] فى موَاتى [١١] ، وتمكّن الضياع [١٢] من وَسائلى [١٣] ؟ ولمَ ضاقَتْ مذاهبى [١٤] ، وأكدَتْ [١٥] مطالبي ؟ وعلامَ رَضيت من المركب [١٦] بالتّعليق [١٧] ؟ بل من الغَنيمةِ بالإِياب [١٨] ؟ وأنّي غلبنى

المغلب [١] ، وفجر [٢] على العاجز الضعيف ، ولطمتني [٣] غير ذات سوار ؟ ! ومالك لم تمنع من قبل أن أفترس ؟ وتدركني ولمّا أمزّق [٤] ؟ !

أم كيف لا تضطرم [٥] جوانح [٦] الأكفاء [٧] حسداً لى على الخصوص لك ؟ وتنقطع أنفاس [٨] النظراء [٩] منافسة [١٠] لى على الكرامة فيك ، وقد زانني اسم خدمتك ، وزهاني [١١] وسم [١٢] نعتك ، وأبليت [١٣] البلاء الجميل فى سماطك [١٤] ، وقمت المقام المحمود على بساطك ؟ !

ألستُ الموالى [١٥] فيك غرّ قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما

---

(١) المغلوب مراراً (٢) اجترأ (٣) ضربتني على وجهي براحتها

(٤) أقطع : يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل الرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتى رضى من عظيم الامر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالماً واجترأ عليه كل ضعيف . وغلبه من كان له غلاباً وظلمه من لم يكن له كفوءاً وقد ضمن عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال « أولها » أرض من المركب بالتعليق يضرب فى القناعة بادراك بعض الحاجة « وثانيها » رضيت من الغنيمة بالاياب يضرب فى القناعة بالسلامة وهو مأخوذ من قول امرىء القيس :

لقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله :

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها « لو ذات سوار لطمتنى » قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة — والثلاثة تضرب عند العجز والذلة — ويشير الى قول الممزق العبدى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركنى ولما أمزق

وفى هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه

(٥) تتقد (٦) أضلاع (٧) الامثال (٨) جمع نفس (٩) جمع نظير (١٠) رغبة شديدة

(١١) الزهو : الكبر (١٢) علامة (١٣) جربت (١٤) السماط : الصف من الناس

(١٥) المتابع

ثناءٌ يَظَلُّ الرَّوضُ منهُ مُنوَّراً ضُحًى ويُخالُ الوَشْيُ (١) فيه منمنما (٢) ؟!

وهل لبس الصباحُ إلاّ بُرْداً (٣) طرَّزتهُ (٤) بفضائلك ، وتقلّدت (٥) الجوزاء (٦) إلاّ عِقداً فصّلتهُ (٧) بمآثرك ، واستملى (٨) الربيعُ إلاّ ثناءً أملأته في محاسنك ، وبثَّ (٩) المسكُ إلاّ حديثاً أذعته (١٠) في محامدك ؟ (ما يومَ حليمةَ بسرّ) وإن كنت لم أكسك سليباً (١١) ! ولا حليتك عُطلاً ! ولا وسمتك غفلاً (١٢) بل وجدت آجرّاً (١٣) وجصّاً (١٤) فبنيت . ومكان القول ذا سعةٍ فقلت : حاشا (١٥) لك أن أُعدّ من العاملة الناصبة (١٦) ، وأكون كالذبالة (١٧) المنصوبة ، تضيءُ للناس وهي تحترقُ . فلكَ المثلُ الأعلى (١٨) ، وهو بك وبي فيك

---

(١) ضرب من الحرير ذو ألوان (٢) ثوب موشى بألوان فيها البياض — لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ — وذلك من الاعتراف لسيده بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالانعام وصلته بالصلات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت من الليل أنجما والثناء الذي زهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل . والبيتان من قصيدة للبحتري يعاتب بها الفتح بن خاقان (٣) رداء (٤) علمته (٥) لبست (٦) برج (٧) تفصيل العقد : جعل خرزة بين كل لؤلؤتين (٨) طلب الاملاء (٩) نشر (١٠) أشعته : والمعنى ان فضائلك التي نشرتها في مدائحي ظهرت للعين ظهور الصباح حتى أنه لا يضيء الا بسببها ، وأن عقد الجوزاء لم يحسن في مرآي العين الا لكوني فصلته في محامدك وكذلك الربيع لم تتضوع الأزهار بنشرها فيه الا لكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك ثم أثبت أن ما تقدم حقائق ثابتة بقوله ما يوم حليمة بسر وهو مثل عربي يضرب في فشو الامر وانتشاره (١١) مسلوباً (١٢) عادم العلامة (١٣) الطين المحروق (١٤) الجبر : أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه باذاعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له : أني لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الخصال وجميل الخلال وانما أنا صغتها في القالب الذي يلفت الأنظار ويجلي صدأ الأفكار (١٥) تنزيهاً لك (١٦) من النصب : وهو التعب (١٧) الفتيلة (١٨) الصفة العليا — بعد أن عمل جهد المستطيع في الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فنزهه، عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعبوا في الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى . ويشير الى قوله تعالى : « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلي ناراً حامية » الآية : والى قول العباس ابن الأحنف :

أولى . ولعمرك[١] ما جهلت أنّ (صريح الرأي[٢]) أن أتحوّل إذا بلغتني الشّمس و (نبابى المنزل[٣]) وأصفح[٤] عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال. فلا (أستوطيء العجز[٥]) ولا أطمئنّ[٦] إلى الغرر[٧] . ومن الأمثال المضروبة : خامري[٨] أم عامر[٩]

وإني مع المعرفة ان الجلاء[١٠] سِباءٌ[١١] والنُّقلة[١٢] مُثلةٌ[١٣]

ومن يغترب عن قومه لم يزل يري مصارعَ مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصّالحاتُ وإن يُسئ يكن ما أساء النّار فى رأس كبكبا[١٤]

عارفٌ أن الأدب الوطنُ لا يُخشى فراق ، والخليط[١٥] لا يتوقّع زياله[١٦]

صرت كأنى ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وبالغ فى التلطف بقوله : فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح وأنت أولى من صفح عن زلة المسيء ، وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه ، وما أحسن قوله وهو بك الخ . كأنه يقول هو بك أولي وهو بي كذلك اذا كان فيك فكلا الخالين مخصوص بك وما ألطف ما ينسب الى الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فى الامام أحمد بن حنبل:

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زرته فلفضله أو زارنى فلفضله فالفضل فى الحالين له

(١) حياتك (٢) شديده (٣) نبابى المنزل لم يوافقنى (٤) أعرض (٥) أستوطىء العجز : أجده ليناً سهلا (٦) أميل (٧) ما يغتر به من متاع الدنيا (٨) استرى (٩) كنية الضبع يقسم بحياة سيده أنه ما جهل أن سديد الرأى وجوب التحول عن مقام الاهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وانه كان عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل الى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الغرور نصيبه والامل قائده فاغتر كما اغتر الضبع بقول القائل: خامرى أم عامر . يشير الي قول أبي تمام :

وان صريح الرأى والحزم بامرىء اذا بلغتــه الشمس ان يتحولا

والى المثل العربى «العجز وطيء» يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب وقوله خامرى الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم يميل اليها ويغتر بها

(١٠) الخروج عن الوطن (١١) أسر (١٢) الانتقال (١٣) تنكيل (١٤) جبل.
(١٥) المخالط (١٦) مفارقته

والنَّسيب (١) لا يخفى ، والجمال لا يُجفى (٢)

ثمَّ ما قِران (٣) السَّعد بالكواكب أبهى أثراً ، ولا أسنى خطراً (٤) من اقتران غِنى النفس به ، وانتظامها نسقاً (٥) معه ، فإن الحائز (٦) لها الضارب بسهم فيهما ، « وقليلٌ ما هُمْ » (٧) أينما توجّه ، وردَ منهل (٨) بر وحطَّ فى جناب (٩) قبول ، وضُوحِك قَبل إنزال رحْله ، وأعطى حكم الصبىّ على أهله

---

(١) ذو النسب (٢) لا يهجر : بعد ان بين لسيده أنه لا يجهل أن الصواب التحول أراد أن يبين له أنه يعرف أيضاً أن الانتقال فيه التمثيل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وأن حسنات الغريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال انى مع معرفتى بأن خروجى من وطنى أسر لى ودفن لمحاسنى وانتقالى منه الى غيره مع عدم معرفة أهل هذه الجهات بما أنا متحل به من العلوم والآداب والكمالات تنكيل بمحاسنى وتضييع لبهجة كمالاتى فيجهل قدرى ويهضم حقوق وتدفن منى الصالحات وتشاع على قلتها السيئات غير أنى لا أعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقي بل وطنى الذى أعول عليه انما هو الخلق وهو ملازم لى أينما حللت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سميرى الملازم لى فلا أتوقع شيئاً به وان النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشي من الانتقال بأساً ولا من التحول ضيماً — والبيتان للأعشى . والنقلة مثلة — مثل مولد

(٣) مصاحبة (٤) قدراً (٥) النسق من الكلام وغيره ماجاء على نظام واحد (٦) الجامع

(٧) قليل ما هم : يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لا نظير له فى أخلاقه وآدابه (٨) عين

(٩) ناحية بعد ان بين أن الادب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطناً فى الغربة وفرجة عند الكربة بين أنه يكون أكثر نفعاً وأعظم جدوى اذا صاحبه غنى النفس فان المتحلى بحلاهما القابض على زمامهم أينما يمم فالسعد قرينه والناس أهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم الاول وهلة أو بمجرد نظرة ويعطونه حكم الصبي على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبيد ويقولون له لقيت أهلا ونزلت مكاناً سهلا واسعاً رحباً فانس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فأنت رب الدار . وقوله ما قران السعد الخ أخذه من قول البستى :

وأتم الاشياء نوراً وحسنا بكر شكر زفت الى صهر بر

ما قران السعد بالحوت أبهى منظراً من قران بر وشكر

وقوله أعطى حكم الصبي الخ : عبارة كانت تتوخاها العرب فى مدح من نزلوا عنده وأكرمهم وأصل البيت المذكور — فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا — فهذا مبيت صالح وصديق

وقيلَ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبا فهذا مَبيتٌ صالحٌ ومقيل

غير أن الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأ مألوفٌ ، واللبيبُ يحنُّ إلى وطنه ، حنين النجيب[١] إلى عَطَنِهِ[٢] . والكريمُ لا يجفو أرضًا بها قوابله[٣] ، ولا ينسى بلداً فيها مراضعهُ — قال الأول :

أُحبُّ بلادَ اللهِ ما بين مَنْعِجٍ[٤] إليَّ وسلمي أن يصوبَ سحابها

بلاد بها حل الشَّباب تمائمي[٥] وأوّل أرض مسّ جِلدي ترابُها

هذا إلى مُغالاتي[٦] بعقد جوارك ، ومُنافستي[٧] بلحظةٍ من قربك ، واعتقادي أن الطّمع في غيرك طَبعٌ[٨] ، والغنى ممن سواك عناءٌ ، والبَدل منك أعور ، والعوض لَغاءٌ[٩] وكلُّ الصّيد في جَوْفِ الفرَا[١٠]

وإذا نظرتُ إلى أميري زادَني ضنا به نظري إلى الأُمراءِ

---

(١) النجيب من الابل الفحل الكريم (٢) مبرك الابل حول الماء (٣) جمع قابلة وهي من تتلقي المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تميمة وهو ما يعلق للطفل حفظاً له — بعد أن بين له أن سديد الرأى الانتقال وأنه لا يخاف عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف

ما من غريب وان أبدى تجلده ألا سيذكر عند الغربة الوطنا

ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ بها جسده وأول بقعة نما فيها فكره وأول جهة قضي فيها الشباب ما مر به مع اخوان وأحباب وخلان وأتراب — فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى أغصان شبابه تميد على تلك الاوطان وتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وأنه ليس من كرم الاصل وشرف المحتد أن يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم أثناء الصغر فالواجب عليه أن يصلهن في ابان الكبر حتى يجنين ثمرات أتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن — والبيتان لبعض الاعرابيه

(٦) مجاوزتي الحد (٧) رغبتي فيك على وجه المباراة (٨) دنس

(٩) خسيس (١٠) حمار الوحش

وفى كلّ شجرٍ نار ، وأستمجدُ (المَرْخ والعفَار) (١) ، فما هذه البراءةُ ممن يتولاّك (٢) ؟ والميلُ عمَّن لا يميلُ عنك ؟! — وهلاّ (٣) كان هواك (٤) فيمن هواه فيك ؟ ورضاك فيمن رضاه لك ؟!

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وجدانُنا كلَّ شيء بعدكم عدمُ

أعيذك ونفسي من أن أشيم (٥) خُلّبا (٦) ، وأستمطر جَهاما (٧) ، وأكدي (٨)

---

(١) نوعان من الشجر سريعا الوري . وأستمجد : أستفضل ، وقيل أقتدح على الهوينا — بعد ان بين محبة الوطن وألفة المنشأ . وسبب ذلك الطبيعى : أراد أن يبين للأمير ان ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل لى على المكث بل انضم اليه ما هو أشد منه تأثيراً وأعظم خطراً ألا وهو شدة محبتى لجوارك وحظوتى بقربك ، وأنت أكرم من حفظ للجوار حرمته ، وأوضح محجته ، واعتقادى بأن الطمأنينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائى بسواك بدلا ولا بغيرك عوضاً ، وكيف أستبدل السمين بالغث ، والراحة بالتعب ، أم كيف أنظر الى غيرك من الأمراء ، وغيرك فيك

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

نعم وان اشتركوا معك فى اللقب الا أنهم لم يشتركوا معك فى كمال الادب وفى كل شجر نار وأستمجد المرخ والعفار فى ذلك من استمالة القلب ما يدهش اللب وقد جمعت هذه العبارة من الامثال ما يزري باللآلى — فأولها « رب طمع يجر الى طبع » وثانيها « كل الصيد فى جوف الفرا » وهو يضرب لمن يفضل نفسه على أقرانه وثالثها « البدل منك أعور » يضرب لكل ما لا يرتضى به من الذاهب وأصله أن يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلى وكان شحيحاً أعور قال الناس هذا بدل أعور — ورابعها « رضي من الوفاء باللقاء » يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير — وخامسها « وفى كل شجر نار وأستمجد المرخ والعفار » يضرب فى تفضيل بعض المشتركين فى صفة على بعض

(٢) مضارع تولاه صار وليه (٣) كلمة تحضيض (٤) ميل النفس : بعد ان بين له أنه لا يرضي بما سواه وأنه يفضل جواره على ما عداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل اليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الادب من حيث يقول كيف تتبرأ منى وأنا أواليك وتميل عني وتهجرنى وأنا لاأميل الا اليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبي (٥) شام البرق : نظر الى سحابته أين تمطر (٦) البرق الذى لا يعقبه مطر (٧) السحاب الذى لا ماء فيه (٨) أعض

فى غير مَكدَم ، وأشكو شكوَى الجريح الى الغربان والرَّخَم (١) فما أبسستُ (٢) لك إلاّ لِتدُرّ ، ولا حرّكت لك الحوار (٣) إلا لِتحِنّ ، ولا نبّهتك إلاّ لِأنام ، ولا سريتُ اليك الاّ لأحمَدَ السُّرَى (٤) لديك

وإنك إن سنّيت (٥) عقدَ أمرىءٍ تيسّر ، ومتى أعذرت (٦) فى فكّ أسرى لم يتعذّر . وعِلمك محيط بأنّ المعروف ثمرة النّعمة ، والشّفاعة زكاةُ المرُوءة وفَضلَ الجاه (٧) يعوذُ به صدَقَة

وإذا امرُؤٌ أهدَى اليك صَنيعةً   من جاهه فكأنّها من ماله

(١) طائر ضعيف (٢) الابساس الرفق (٣) ولد الناقة (٤) السير ليلا — يطلب منه أن يجعل لاعماله نتيجة يجنى ثمرتها وأن يكون سيده غارس دوحتها وأن لايجعله كالمستميح الماء من الصخر ، والمستجير عند كربته بعمرو ، والمستمطر الجهام والناظر الى البرق الخلب بل يرسل عليه طفه مدرارا ، وان يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينا أضرها سهاد الجفوة وأن يحمد فيه سراه ويحسن عقباه ، ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها فى قالب غريب المثال يشير فيها إلى قول ابن معديكرب

لاتهن بعد اكرامك لى   فشديد عادة منتزعه
لا يكن برقك برقا خلبا   إن خير البرق ماالغيث معه

والى المثل العربى « كدمت فى غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئا من غير أهله، وإلى قول المتنبى

ولاتشكو إلى خلق فتشمتهم   شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

وإلى الامثال العربية « الابساس قبل الايناس » وهو يضرب فى الرفق « حرك لهاحوارها تحن » وهو يضرب فى استنهاض الهمة و « نبه لها عمراً ثم نم » يضرب فيمن يعتمد على غيره « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو يضرب عند حمد العاقبة (٥) سهلت (٦) بالغت فى طلب العذر (٧) المنزلة — يقول لسيده إنى ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الاهوال ولا بمعاناة الاحوال ولا بعد نجوم السماء ولا رمال الدهناء وإنما هو أمر يكبر فى عين سائله ويصغر عند باذله وهو فى يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وإن سهلت عسيره سهل وان التمست لى المعذرة نفت الصعوبة ، وأنت تعلم زادك الله علماً أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال زكاتها الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين — وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله ان سنيت مأخوذا من قول بشار

فبالله ثق إن عزما تبتغى وقل   إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

لعلّى ألقِي العصا بذَراكَ (١) وتستقرُّ بِىَ النَوَى (٢) فى ظلّك ، وأستأنِف (٣) التّأدّب بأدَبك ، والاحتمالَ على مَذهبك . فلا أُوجِدُ للحاسد مَجَالَ (٤) لَحْظِهِ (٥) ولا أدَعُ للقادح (٦) مسَاغَ (٧) لفْظِهِ

والله مُيسِّرك من إطلابى (٨) بهذه الطِّلْبَة (٩) ، وإشكائى (١٠) من هذه الشّكْوَى ، بصنيعةٍ تُصيبُ منها مكان المَصْنع ، وتَستودِعها أحفظ مُستودع حسبًا أنتَ خليقٌ (١١) له ، وأنا منك حَرِىٌّ (١٢) به ، وذلك بيدهِ وهيّن عليه

﴿ مكاتبات متفرقة ﴾

(كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدُّوَل الاوربية)

أيها الوزير الأفخم — إن لفظة تقسيم (تركيا) إفكٌ لا يفوه بهِ عاقل ، ولا يَتصوَّره إنسان . تكاد تَنْفطر له السَّماء دَهْشة ، وترتجُّ له الأَرْض وَحْشة . بل تخِرّ دُونهُ الجِبال . وتنفكّ عنده الآمال ، كأنّ أوربا تستطيعه ، ولكنها لم تفعله ولن تفعله ، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيراً ، فقل : « اللّهمَّ مالك المُلك تُؤتى الملك

---

(١) كل ماستترت به (٢) ماينويه المسافر من قرب أو بعد (٣) أبتدئ (٤) جال طاف (٥) نظره (٦) الطاعن (٧) ساغ الشراب سهل مدخله فى الحلق — يقول أرجو من سيدى أن يعفو عن ذنبي وتقصيرى ويلبي ندائى ، هذا كى أسكن فى ظلك وكنفك ولا أذهب إلى غيرك وتكون غاية آمالى ومنتهى أسفارى وأتوب عما كنت مرتكبه ومتمسكا به مما لا يرضيك وأتخلق باخلاقك وأتمسك بطريقتك وأحذو حذوك وأتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوى فى مدار لحظه ولا الطاعن ما يسوغ من لفظه . وقوله لعلى القى الخ حل بيت للمعز بن أوس وهو

وألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالاياب المسافر

(٨) اسعافى (٩) ما أطلبه (١٠) ازالة ما أشكوه (١١) جدير (١٢) حقيق : يقول لسيده والحمد لله الذى سهل لك مطلبي وإسعافى وازالة ما أشكوه من آلام السجن بمعروف تبذله لاهله وتحفظه عند أمين لوقته حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفاتك وأنا أحق الناس به لمودتى لك واخلاصى فى ولائك وما ذلك عليك بعزيز

ان الصنيعة لاتكون صنيعة ... حتى تصيب بها مكان المصنع

من تشاء وتنزِع الملك مِمَّن تشاء وتعزّ من تشاء وتُذِلّ من تشاء بيدِكَ الخير إنك على كلِّ شيء قدير»

تقسيم تركيا، كلمة ليست أكبر من أوربا فقط، بل هى أكبر من منظومةِ هذا العالَم الشَّمسى، الذى تراه أو تسمع به، إن كنت لاتراه، فلا يليقُ أن يفوه به إلافم القدرة الآلهيـة «القائم على كلّ نفسٍ بما كسبتْ وَاللهُ غالبٌ على أمْره وَلـكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلَمون»

تقسيم تركيا: رُبَما يكون، ولـكن متى يكون؟ حينما يتحلَّى وَجهُ البسيطة بدمائنا الطاهرة الزكية. يوم ترى الأرض لابسة تلك الحُلَّة الأرْجُوانيـة الثَّمينة، حيث تتمشَّى الدِّماء، عـلى فيروزج الفضاء، محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق: لا أَرض لمن تقلّ، ولا سماء لمَن تظلّ، ولا قائم موجود، ولا دائم مقصود — هنالك تتحدَّث شياطين الخيال فى أندية المحال، بحديث ذلك التَّقسيم المشئوم، ولا من سميع ولا من مجيب. فالويلُ ثم الويل يوم ذلك التَّقسيم الموهوم، والثُّبُور ثم الثّبور إذا تنزّلت السَّماء بقضاءِ ذلك الهول المقسوم. إنَّ فى ذلِك لبـلاغاً لِقَوْمٍ يتفكَّرُون.

«وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ ﻫ فى شكر صديق له على مراسلته إياه»

وصل ما وصلتَنِي به (١) (جعلنى الله فِداك) (٢) من كتابك، بل نعمتك التَّامة، ومِنّتك العامة (٣)، فقرَّت عينى بوُروده (٤) وشُفيت نفسى بوُفوده (٥).

---

(١) ورد الي كتابك الذى ربطتنى به معك (٢) أى وضعنى الله مكانك فى كل مكروه حتى تخلص منـه (٣) أى الذى ورد إلى هو خطابك الذى أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل (٤) فاطمان قلبي بوصوله الى (٥) وطابت نفسى بمجيئه الى

ونشرته فحكى نسيم الرّياض غِبّ المطر [١]، وتنفُّسَ الأنوار فى السّحر [٢] وتأمّلْتُ مفتتَحه وما اشتمل عليه من لطائف كَلِمك، وبدائع حكمك [٣] فوجدته قد تحمّل من فنون البرّ عنك [٤]، وضرُوب الفضل منك [٥]، جدًّا وهزلاً [٦] ماملأ عينى وغمر قلبى، [٧]، وغلبَ فكرى، وبهر لُبِّى [٨]. فبقيت لا أدرى! أسُمُوط دُرّ خصصتنى بها [٩]؟ أم عقُود جوهر منحتنيها [١٠]؟ ولا أدرى: أجَدّك أبلغ وألطف؟ أم هزلك أرفع وأظرف؟ وأنا أوكّل بتتبُّع ما انطوى عليه نفساً لا ترى الحظّ الا ما اقتنته منهُ [١١]، ولا تعدّ الفضل الا فيما أخذتهُ عنه. وأمتّع بتأمله عيناً لا تقرّ إلا بمثله، ممَّا يصدُر عن يدك، ويردُ من عندك. وأُعطيه نظراً لا يملّه، وطرَفاً لا يطرِف دونه [١٢]. وأجعله مثالاً أرتسمه وأحتذيه [١٣]، وأمتع خُلقى برونقه، وأغذّى نفسى ببهجته، وأمزج قريحتى برّقته، وأشرح صدرى بقراءته، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً، وفى تعديد ما ذكرتهُ متخلّفاً، لقد عرفت أنهُ ما سمعت به من السِّحر الحلال.

(ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكرى فى سَفرته إلى الاستانة العلية)

كتابى إلى السيد الأجل، وأنا أحمد الله اليهِ، وأدعوهُ أن يُديم النّعمة والسلامة

---

(١) ونشرته أى فتحته فحكى نسيم الرياض غب المطر أى لشبه الريح التى تهب من البساتين بعد ما نزل المطر عليها. (٢) وأشبه تفتح الازهار فى أواخر الليل (٣) أى وتدبرت فى صدره وفى الكلمات اللطيفة التى أودعتها فيه والحكم البديعة التى نثرتها فيه (٤) أى شاهدت منه أنواعا من الاكرام أثبتها فيه (٥) وأصنافاً من الافضال دونتها فيه (٦) من الامور الهامة الجدية والامور المفرحة المازحة (٧) ملأ عينى يعنى صرفها عن النظر الى غير احسانك ـ وغمر قلبى أى لم يدع له منصرفاً إلى غير افضالك (٨) وغلب فكرى اى استحوذ على عقلى، وبهر لبى أى راع عقلى وسباه (٩) أى عقود در قصرتها على (١٠) منحتنيها أى اعطيتنيها (١١) اكتسبته (١٢) الطرف العين، ويطرف يطبق جفنا على الآخر (١٣) أرسمه فى فكرى واقتدى به

عليه : وبعدُ — فلما اعتزمتُ على الرّحلة هذا العام ، الى قبّة السلام ، ودارخلافة الأسلام ، وفارقت مصر وساكنها ، وأرباضها (١) ومواطنها ، ركبت سفينة عَدَوْليّة (٢) ، إلى الثّغور الفرنجية ، فجرتْ فى خضمّ (٣) عجّاج ، ملتطم الأمواج له دَوِىٌّ من جرجرة (٤) الآذىّ (٥) ، أخضر الجلد ، كأنه إفرند (٦) تصطخب (٧) فيه النّينان (٨) ، وتجرى فى جوفه الدّعاميص (٩) والحيتان ، اذا مازجه الأصيل (١٠) بالعشىّ ، خلته كُسّرت (١١) عليه الحُلىّ ، أو مزج بالرّحيق (١٢) القُطْرُبّلى (١٣) . وإن لاحت به نجومُ السّماء ، خلتهُ صفائح من فضّة بيضاء ، سُمّرت بمساميرَ صغار من نُضار (١٤) . وأخذت السفينةُ تشقّ عُبابه (١٥) ، وتفلق حَبابه (١٦) ، بين ريح رُخاء (١٧) ، أو زعزع (١٨) هوجاء (١٩) . فهى تارةً فى طريق معبّد (٢٠) ، ورميث (٢١) مسرّد (٢٢) ، وطوراً فوقَ حَزْن (٢٣) وقردد (٢٤) ، أو على صرح (٢٥) ممرّد (٢٦) وكان معنا فى الفُلك ، رهط من العرب والتُّرك ، فكنّا نتواردُ معهم فى جوائب (٢٧) الأخبار ، وطُرف (٢٨) الأحاديث والأسمار (٢٩) ، ما يُزرى (٣٠) بالمنهل العذْب ، واللّؤلؤ الرّطب ، الى أن يميلَ ميزان النّهار ، وتغرق ذُكاء (٣١) فى البحار ، ويمسى

(١) مساكنها (٢) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين او نسبة الى صانعها، والمقصود أنها أضخم سفينة (٣) البحر (٤) الصوت (٥) الموج (٦) جوهر السيف (٧) تختلط أصواتها (٨) جمع نون الحوت (٩) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى فى الماء إذا قل (١٠) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس (١١) ردت ووضعت (١٢) الخمر (١٣) بضم القاف وتسكين الطاء وضم الراء وتشديد الباء الخمر المنسوب الى قطر بل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر (١٤) الذهب (١٥) بضم العين الموج (١٦) بفتح الحاء مايعلو الماء (١١) بضم الراء الريح اللينة (١٨) بفتح الزاءين الريح الشديدة (١٩) بفتح الهاء الريح القوية تقلع الاشجار والبيوت (٢٠) مذلل ومسهل (٢١) جمع ميثاء الارض السهلة (٢٢) منتظم لا صعوبة فيه (٢٣) الارض الصعبة (٢٤) الارض المرتفعة الغليظة (٢٥) القصر (٢٦) مرد البناء ملسه حتى صار ناعما (٢٧) الاخبار الطارئة (٢٨) المحاسن (٢٩) الاحاديث وأصله لاحاديث الليل (٣٠) يعيب ويحقر (٣١) بضم الذال ممنوعة من الصرف اسم للشمس

الكونُ من السّواد ، فى لَبُوس حديد (١) أو لِباس حداد . وتبْرُق نجومُ السّماء فى أكناف الظّلْماء ، كأنّها سِكاك (٢) دِلاص (٣) ، أو فلقُ رَصاص ، أو عيُون جراد ، أو جمرٌ فى خلال رماد ، أو دُرٌّ فى بحر ، أو ثُقبٌ فى قُبّة الدَّيْجُور (٤) ، يلُوحُ منها النُّور . ويبدو الهلال كأنه خنْجَرٌ من ضياء ، يَشقّ طيالس الظّلْماء ، أو قِلادة ، أو دُمْلُج (٥) غادةٍ (٦) . أو سِنان (٧) لواه الضرّاب ، أو اللّيل فِيلٌ وهو ناب . فنأخذ مجلساً نَسْمه (٨) الكافور ، وأرْضُهُ عنبر مذُور (٩) ، رُقِمتْ فيه زَرَابىُّ مبْثُوثاتٌ (١٠) ، ومنابذ (١١) وحُسبانات (١٢) ، وأنماطٌ (١٣) مفروشة ، وبُسط منقوشة .

بُسْطٌ أجادَ الرّسمَ صانعُها ... وزها عليه النّقشُ والشّكلُ
فيكادُ يُقطَفُ من أزْهارها ... ويكاد يسقط فوْقها النّحلُ

وحولهُ شموع تَزْهَر ، وأضواءٌ تَبْهر (١٤) ، وقد دَارت عليه سُقاةٌ (١٥) كجُمّاع (١٦) الثُّريا (١٧) ، بأقداح الحُميّا (١٨) ، وأكوابِ (١٩) الفانيذِ (٢٠) المرَوّق ، وقواريرِ (٢١) الجُلّاب (٢٢) المُصفّق (٢٣) . ثمّ تجيء قَيْنةٌ (٢٤) فى يدها نَاىٌ ، كأنه صُور اسرافيل ،

---

(١) بفتح اللام الدرع (٢) جمع سك المسمار (٣) بكسر الدال الذى يبرق ويلمع (٤) الظلام (٥) بكسر الدال وزن درهم او بضمها مع ضم اللام حلى للنساء يلبسنه فى أيديهن (٦) المرأة الناعمة لينة الاعطاف (٧) حديدة الرمح (٨) نسيمه (٩) منثور (١٠) منشورات (١١) جمع منبذة وزن مكنسة الوسادة التى يتكأ أو ينام عليها (١٢) جمع حسبانة الوسادة الصغيرة التى يتكأ عليها أيضا (١٣) جمع نمط ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الالوان
(١٤) تزهر وتبهر كلاهما بمعنى تضئ وبابهما منع (١٥) جمع ساق (١٦) بالضم ماجمع وانضم بعضه الى بعض ومراده الغلمان (١٧) سبعة كواكب منضمة بعضها الى بعض (١٨) الخمر والمراد الشراب (١٩) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لاعروة له أو لا خرطوم (٢٠) نوع من الحلوى فارسى معرب بانيد (٢١) جمع قارورة مايوضع فيها الشراب من الزجاج (٢٢) ماء الورد فارسى معرب (٢٣) المروق الصافى (٢٤) المغنية

يحيي الرُّفات [١] ، وينشر [٢] الأموات ، حتى إذا بدَا الضياء ، كابتسام الشفة اللمياءِ [٣] ، دخلنا المضجَع لنهجَع ، وهلُمَّ جرًّا [٤] ، فى أيّامنا الأُخرَى .

﴿ وكتبت السيدة وردة اليازجية الى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ﴾

سيدّتى ومولاتى — أعرض أننى بينما أنا ألهجُ بذكرألطافكم السَّنية ، وأتنسَّمُ شذا أنفاسكم العبقَرِيَّة ، وأترقَّبُ لقاءَ أثرٍ من لدُنكم يتعلّل به الخاطر ، ويكتحل بإثمِدِ مداده النَّاظر

وصلتْنى مكاتبتكم ، فجَلَتْ عن العين أقْذاءها ، وردَّت إلى النَّفس صفَاءها فتناولْتها بالقلب لا بالبنَان ، وتصفَّحت ما فى طيّها من سحر البَيان — فقلت

هذا الكتابُ الذى هامَ الفؤاد به   ياليتنى قلمٌ فى كفِّ كاتبه

ولعمْرى انه كتاب حوَى بدائع المنثور والمنظُوم ، وتحلّى من دُرر الفصاحة فأخْجلت لديه دَرارى النّجوم ، وقد تطفّلتُ على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقاً بتقصيرى ، وضمّنتهُ من مَدْح سجاياكم الغرّاء ، وما يشفع لدى مكارمكم فى قبول معاذيرى ، لا زلتم للفضل معدناً وذُخراً ، وللأدب كنزاً وفخراً .

﴿ وكتبت السيدة عائشة تيمُور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ ﴾

أستهلُّ براعةَ سلامٍ حمَلَ الشَّوقُ رِسالَتهُ ، وتقلّدَ الشَّفقُ مانشقَتْ ناشقةُ عَرْفِ الوداد كفالَته . ولو رَضيتُ المجال . فى صدْق المقال ، لَنطَقَ بخالص الوَفاء مِدادُ حرُوفه ، وأقام بأداء التَّحية العَاطِرة قبلَ فضّ ختام مظرُوفه . ولعَمرى قد توّجتْه أزهارُ الثناءِ ، بلآلىء غرّاء ، كلَّلتْهُ زواهر الوَفاء ، من خالص الوداد إلى

---

(١) العظام البالى — والمراد الاموات (٢) يحييها (٣) فيها لمى وهى سواد الشفة (٤) معناه إتصال الامر واستدامته

حضرة من لا تزالُ تستروِحُ الأسماعُ بنسيمِ أنبائها صباحَ مساء ، وتتشوّقُ الأرواح إلى استطلاع بدرِ إنسانها الكامل أطرافاً وآناء ، ومما زادنى شوقاً إلى شوق ، حتى لقد شبّ فيه طفل الشفق عن الطوق ، اجتلائى حديقة « الورْد » القُدْسيّة ، ونافجة الأدب المسكيّة . فيالها من حديقة رمتها أحداقُ الأذهان ، فاقتبست نوراً ونُوراً وانتشقتْها مسامُّ الآذان ، فثملت طرباً وسروراً . ومنذ سرّحتُ فى أرجاءِ تلك اليانعة إنسان العيون ، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدُّرّ المصون ، لم أزل بين طرَب أتوشّح بوشاحه ، وأتعجّبُ من حسن اختتامه وافتتاحه ، وجعلت أغازل من نرْجِس تلك الرّوضة عيوناً ملكتْ منّى الحوّاس ، وهصَرتُ من غُصون ألفاتها كلّ ممشوقٍ أهيف ميّاس ، وأتأدّبُ فى حضرة وردها ، خوْفاً من شوكة سلطانها ، وأن حيانى بجميل الالتفات ضاحكةٌ عن نفيس جُمانة ، وإذا بالياسمين الغضّ قد ألقى نفسه على الثّرَى ، ونادى بلسان الأفصاح : هل لهذه النّضرة نظيرة يا تُرى ؟ ! فأشار المنثور بكفّه الخضيب أنْ لا نظيرَ لتلك الغادة ، ونطقَ الزّنبقُ بلسان البيان : لا تكتُموا الشّهادة . فعند ذلك صفّق الطيرُ بأكفّ الأجنحة وبشَّر ، وجَرَى الماء لإذاعة نبأ السُّرور فعثرَ بذَيْل النّسيم وتكسّرَ ، وتمايلتْ أغصانها المُورِقةُ لسماع هذا الحديث ، وأخذتْ نسماتُها العاطرة فى السّيرِ الحثيث. إذاعةً لتلك البشائر فى العشائر ، ونشراً لهذه الفضائل التى سارتْ مسير المثل السّائر ، فقلتُ بلسان الصّادق الأمين ، بعد تحقيق هذا النّبأ اليقين . هكذا هكذا تكون الحديقةُ والاّ . وكذلك كذلك لتُكْتَب الفضائل وتُملَى.

وحدّثتنى يا سعدُ عنهم فزدْتنى غراماً فزدْنى مِنْ حديثك ياسعدُ

فتحمّلْ عنىّ أيّها الصّديقُ تحيّةً إلى ربّة هاتيك الحديقة ، واشرحْ لديها

حديث شغفى بفضلها الباهر على الحقيقة ، وأعتذرُ عن كتابى هذا فقد جاء يمشى على استحياء ، وكلّما حرّكه الشّوقُ يبطئهُ الحياء . وكيف وقد حلّ فى منبع الفضائل والمقام الذى لم يدَعْ مقالاً لقائل ، فكأنى انما أهدى التّمر إلى هَجر ، وأمنحُ البحرَ الخِضمّ بالمطرَ ، أدام الله معالى تلك الحضْرَة ، وزادَها فى كل حال بهجة ونَضْرة ، مالاح جبينُ هلال ، و بلغ غاية الكمال .

« وكتب المرحوم السيد عبد الله النَّديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ »

أستاذى وقُدْوَتى ، ومَلاذى وعُمدتى — رَبَّيْتَ فأحسنْتَ . وغَذَّيت ، فأسْمنتَ . مؤدّباً ليثاً ، ولِنت فسوّدتَ ، وجُدتَ فعوَّدتَ ، مُهَذّباً غيثاً . وعلّمت فأفهمت ، وأشرت فألهمت غرَض سَهمك . وقدْ نِلْتَ ما أمّلتَ ، فيمَنْ عليه عوَّلت ، بحُسْن فَهْمك .

غلامُك الشّهير بالنّديم — مَنْ صارَ فى البيان كالنّسيم

وكيف لا يكونُ لسانى قوسَ البديع ؟ وكلامِى السَّهم السّريع ؟ وأنت باريه وَراميه ! أم كيف لا يكون مقامى الحِصنَ المَنيع ؟ وقَدْرى العزيزَ الرّفيعَ ؟ وأنت مُعليه وبانيه ! فوجهُ جمالِ العلم أنتَ غُرَّته ، وإنسانُ عينِ العلم أنتَ قُرَّته ، وحاليه وجاليه . وجبينُ العقل أنت طرَّته ، وكتاب الفَضْل أنت صُورته ، وطاليه وتاليه .

على بابك العالى من الفضْل رايةٌ — على رأس أرباب المعارفِ تخفقُ
فعلمك جنّاتٌ وحلمك جنّةٌ — وكُلّك خيراتٌ وغَيثُك مُغدقُ
أرَى غصنَ من يدْعُوا إلى الفضل نفسه — مِنَ الفضْل عرْياناً وغُصْنك مُورقُ
اذا رُمْت إنشاءً فمَنْ صِدْقِ فكْرة — تهادى بأبكارٍ وغيرك يسرقُ

« وكتب أيضاً فى التودد »

بينما أنا راكبٌ لُجَّة بحر الفكر ، مُجدٌّ فى طلب فريدةٍ بِكر ، تارةً أغوص ومرةً أسبح ، وآونةً أقف وطوراً أصفح ، لا يقرُّ لى قرار ، ولا يمكننى الفرار ، ولا يقصر عن طرح شِباكى ذراعٌ ، ولا يُطوَى لسفينتى شِراع ، كلَّما أدركنى الملل ، هاجت علىَّ رياحُ الأمل ، حتى دخلتُ فى بحرٍ عجّاج ، مُتلاطم الأمواج ، فاقتحمت هذا المركبَ الصعب ، وتهتُ بين الجزائر والشّعب ، فتعلّقت أفكارى بالسوارى والجبال ، وبتّ بليلة نجومُها كواحل ، لا يُرَى فيها برّ ولا سواحل ، وقلتُ اشتدادُ الأمر يستدعى ضدّه ، ولا يأتى الفرجُ إلا بعد الشدّة ـ وعينيك ما سلَّ سيفها على مفرَق مساها ، حتى سمعت باسم الله مُجراها ومُرساها . فكان من تمام حظّى وسعودى ، أن تركتْ لجة اليمّ واستوتْ على الجودى . وانصرف خوفى وارتباكى ، وبادرتُ بطرح شِباكى ، فاذا هى قد مُلئت بأصداف الجوهر ، وعلقت بها شَجَرَة العنبر ، فتفتّح الصدف عن دُرٍّ يستخدمُ الأقمار ، وفاح العنبرُ بما أذهب شذىّ الأزهار .

وصرت ما بينها كِسرى الزمانِ له   شمسٌ تنادمهُ فى مجلس عطر
ونلتُ أقصى أمانٍ كنت آملُها   الانس فى خلَدى والنورُ فى نظرى

ولما جلوْت الطَّرْف ، بما فيها من الظَّرْف ، ووقعت عندى الموْقع الحسن ، أردت أن أسومها بثمن ، فاذا هى دُرَّة يتيمة ، لا يقدِر لها أحدٌ على قيمة . فاستهديتها من ربِّها ، لشغفى بحبّها ، وجعلت القلبَ لها كنزاً ، والفؤادَ لها حِرْزاً ، ألا وهى (محبَّة العزيز الحافظ) أبدع مرئىْ وأبلغ لافظ .

« وكتب ابراهيم بك المويلحي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ يعزّى محموداً باشا البارودى »

أَنت يافوق أَن تُعزَّى عن الأحبا ب فوق الذى يُعزّيك عقلا
وبألفاظك أهتدى فاذا عزّا ك قال الذى له قُلت قبلا
وقتلت الزَّمان علماً فما يغ رب قولاً ولا يُجدّد فعلا

نَعم إنك يا « محمود » الخصال و « سامى » الفِعَال ، لأَنْتَ الشهم المُجرّب صُروف الحدَثان ، والعالم الخبير بأحوال الزَّمان ، قد أعْدَدْتَ لنوازل المقدُور ، نُزُلاً من الصَّبر المأْجور ، وصرفت ضيف الشُّجون والهُموم ، إلى قُرى الفضائل والعلوم ، وأخذت بسُنة السَلف الصالح ، فى مُقابلة الخطوب الفَوادح ، وأنت لاشك عندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم ، بسيرة ذاك الفَيلسوف الحكيم بين هو جالسٌ يوماً فى الدّرس بين تلاميذه ، إذ جاءه من أخبره بأنّ ابنه الوَحيد مات ، وهو رَطْب الشباب غضّ العُمر ، فلم يتولَّه الفزَع ، ولم يظهر عليه الاضطرابُ ، ولم يَبدُ على وجههِ الكدَر ، وما زاد على أن استرَجع ، واستمرّ فى قراءة درسه كما كان . فلمَّا انتهى منه بادره أحد الحاضرين من أَصحابه ، ممَّن حيَّرتهم الدّهشة فى أمره ، يسأله : كيف لم يسلبه الُحزنُ ثوب الثَّبات بُرهةً عند مُفاجأته بالخبر ؟ فقال له : « لو فاجأتنى النَّازلةُ على غِرَّة منّى لجزعْتُ وحزنت ، ولكنّى ما زلتُ أُقدّرُ لابنى مُنذُ يومِ ولادتِه ، حُلول أجله فى كلّ يوم من أيام حياته ، ولمثلِ هذا اليوم كنت أعدّه من زمانٍ طويلٍ ، وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرْتهُ خُلسة اختْلَسْتها من الدَّهر ، حتى مضى على هذه العارية عشرُون عاماً ، فشُكرى للهِ اليوْم على أن أبقاها فى يدى طُولَ هذه المدَّة ، يوم مقام الحزْن عندَ غيرى لدى استردادها » وعن النَّبى ﷺ « إذا ماتَ ولدُ العبدِ قال الله تعالى للملائكة : أَقَبَضْتم ولدَ عبدى؟

فيقولون : نعم . فيقول : أقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون : نعم . فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة : وسموه بيت الحمد » وأنت يامحمود ـ صلوات الله عليك ورحمته لقوله تعالى « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » — أول من يمتثل لحكم القضاء ، ويسترجع عند نزول البلاء ، ويعمل بأدب الدين فى التجلد والتصبر ويأخذ بسيرة الحكماء فى التدبر والتبصر

ومن كان ذا نفس كنفسك حرة ففيه لها مغن وفيها له مسل

وكتب سهل (١) بن هرون المتوفى سنة ٦٤٩ هـ فى البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال الأحنف بن قيس : يامعشر بنى تميم ، لا تسرعوا الى الفتنة ، فان أسرع الناس الى القتال ، أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة ، فتأمل عيابا . فانه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى مرشدا ، وان تغرى بمشفق وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، واصلاح فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة فى دولتى الرشيد والمأمون وقد وضع كتابا حاكى به كتاب « كليلة ودمنة » وسماه « ثعلة وعفرة » وكان قيم بيت الحكمة (مديردار الكتب) فى عهد المأمون .

وما أخطأنا سبيل حُسن النيّة فيما بيننا وبينكم. وقد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم، ولأنفسنا قبلكم، وشُهِرْنا به في الآفاق دونكم؛ ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: «وما أُرِيد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه، إن أُريدُ إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكّلت واليه أُنيب» فما كان أحقّنا منكم في حُرْمَتِنَا بكم، أن ترْعَوْا حقّ قَصْدِنا بذلك اليكم على ما رعيْناه من واجب حقكم، فلا العذْر المبسوط بلَغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم. ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شُغْلا.

عِبْتمونى بقولى لخادمى: «أجيدى العَجِين فهو أطيب لطَعْمه، وأزْيَد في رَيْعه[1]».

وقد قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: «[2]أملِكوا العجين فإنه أحد الرَّيْعين»

وعِبْتُمونى حين خَتَمتُ على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رَطْبَة نَقِيَّة، ومن رُطَبَة غريبة، على عَبْدٍ نَهِم، وصَبِيّ جَشِع، وأَمَة لَكْعاء[3]، وزوجةٍ مُضيعة

وعِبتمونى بالختم. وقد خَتَم بعض الأئمة على مِزْود سَوِيق[4] وعلى كيس فارغ. وقال: «طِينة خير من طَيَّة[5]» فأمسكتم عمّن ختم على لا شيء، وعِبتمْ من ختم على شيء:

وعِبتمُونى أنْ قُلت للغلام: «إذا زدتَ في المرَق فزِدْ في الإنضاج، ليجتمع مع التأدّم باللحم طيب المرق».

وعِبتُمونى بخَصْف[6] النعل، وبتَصدير[7] القميص. وحين زَعمت أن

---

(١) الريع: النماء والزيادة. (٢) إملاك العجين: إنعام عجنه. (٣) اللكعاء: الحمقاء.
(٤) المزود: وعاء الزاد. والسويق: طعام يتخذ من الحنطة أو الشعير. (٥) طينه من طان الشيء أى ختمه بالطين و(طيه) من الطوى وهو الجوع (٦) خصف النعل: خرزها.
(٧) تصدير القميص: أن يجعل لصدره بطانة.

المَخْصُوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشدّ ، وإنّ الترقيع من الحَزْم ، والتفْريط من التَضْييع. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نعله ويُرَقِّع ثوبه ، ويقول : «لو أُهدى إلىّ ذِرَاع لقبلت ، ولو دُعيت إلى كُرَاع لأجبت » . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَس الخلَق . وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدّثا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا . فأتاه به موافقا ، فقال له : أكُنت به ذا معرفة؟ قال : لا . ولكنّي رأيته في يوم قائظ ، يَلْبَس خَلَقا ، ويَلْبَس الناس جديدا . فتفرّست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلَق في موضعه ! مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قَدْرا ، وسما به موضِعاً . كما جعل لكل زمان رجالا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسمّ ، وأمات بالدّواء ، وأغصّ بالماء . وقد زَعموا أن الاصلاح أحد الكاسبين كما زعموا أن قِلّة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يدَ عَنْز ، وأمر مالك بن أنس بفَرْك النعْل . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بَيْضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جِلْد أُضحِية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أُهدى اليك دَجاجة . فقال : ان كان لابد فاجعلها بَيُوضا .

وعِبْتُمونى حين قلت : من لم يَعرف مواضع السَّرَف في الموجود الرخيص لم يَعرف مواضعَ الاقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشدّ من الكفاية ، فلما صِرْت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التّوْفير عليها من وَضيعة [1] الماء ، وجدْت فى الأعضاء فَضْلا عن الماء . فعلمت أنْ لَوْ كنت سَلَكت الاقتصادَ فى أوائله ، لَخَرَج آخره على كِفاية أوّله ، ولكان نصيب الأوّل كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وشَنّعتم علىّ ، وقد قال الحسن : وذكر

(١) الوضيعة هنا : النقص .

السّرف : « أمَا إنه لَيكونُ فى الماء ، والكلأ » . فلم يَرْض بذكر الماء حتى أرْدفَه الكَلأ .

وعبتمونى أن قلت : لا يَغترّنّ أحدكم بطول عمره ، وتَقْويس ظهره ، ورِقّة عَظْمه ، ووهْن قوّته . وأن يَرَى نحوه أكثر ذُرِّيّته ، فيدعُوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السَّرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعلّه يكون مُعَمّرا وهو لا يدرى ، ومَمْدودا له فى السّن وهو لا يَشْعُر . ولعلّه أن يُرْزَق الولدَ على اليأس ، ويَحْدُث عليه من آفات الدهر ، ما لا يخْطُر على بال ، ولا يُدْركه عقل . فيستردّه ممّن لا يردّه ، ويُظْهِر الشكوى الى من لا يرحمه ، أصعَبَ ما كان عليه الطّلب ، وأقْبَح ما كان به أن يُطلب ؛ فعبْتُمونى بذلك . وقد قال عمرو بن العاص :

اعْمَلْ لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعبْتمونى بأن قلت : بأن السَّرَف والتّبذير إلى مال المواريث ، وأموال الملوك . وإلى مالا يُعرَّض فيه بذهاب الدين . واهتِضَام العِرْض . ونَصَب البْدَن . واهتضام القلب أسْرع ، وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنىَ المجتلَب أقرب . ومن لم يَحْسُب نفقته لم يَحْسُب دخله . ومن لم يَحْسُب الدخل ، فقد أضاع الأصل . ومن لم يعرف للغنىَ قدره ، فقد أُوذِن بالفقر ، وطاب نفسا بالذلّ .

وعِبتُمُونى بأن قلت : إنّ كَسْب الحلال ، يَضْمَن الانفاق فى الحلال . وإن الخَبيث يَنْزِع الى الخبيث ، وإن الطّيّب يدعو الى الطّيب ، وإن الإنْفاق فى الهوى حِجاب دون الهُدى ، فعِبتُم علىّ هذا القول . وقد قال معاوية : لم أرَ تبذيراً قطّ إلا وإلى جَنْبِه تَضْييع . وقد قال الحَسَن : إن أردتم أن تَعْرِفوا من أين أصابَ

الرجل ماله ، فانظروا فيماذا ينْفِقه . فان الخبيثَ إنما يُنفَق فى السّرَف . وقلت لكم بالشّفَقة عليكم ، وحُسْن النّظر منّى لكم ، وأنتم فى دار الآفات ، والجَوائح غير مأمونات . فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يَرْجع إلا الى نفسه . فاحذروا النِّقم باختلاف الأمكنة . فإن البليّة لا تجرى فى الجميع ، إلا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأَمَة . والشّاة والبعير: فرّقوا بين المنايا . وقد قال ابن سِيرين لبعض البَحْريّين : كيف تَصْنَعُون بأموالكم ؟ قالوا : نُفرّقها فى السُّفن : فإن عَطِب بَعْضٌ سلم بَعْض . ولولا أنّ السّلامة أكثر ماحَمَلْنا أموالنا فى البحر . قال ابن سِيرين : « تَحْسبها خَرْقاء وهى صَنَاع [1] » .

وعِبتُمونى بأنْ قلت لكم عند إشْفَاقى عليكم : إن للغنىَ لَسُكْرا ، وللمال لنَزْوة [2] . فمن لم يَحفَظ الغنى من سكره ، فقد أضَاعَه ، ومن لم يَرْتبِط المالَ بخوف الفقر ، فقد أهْمَله .

فَعِبتمونى بذلك، وقد قال زيد بن جَبَلة : ليس أحد أقصر عقلا من غَنِىّ أَمِنَ الفقر . وسُكر الغِنى أكثر من سُكر الخمْر . وقد قال الشاعر فى يحيى بن خالد بن بَرْمَك:

وَهُوبٌ تِلادَ المال فيما يَنُوبه مَنُوعٌ اذا ما منعه كان أحزما

وعبتمونى حين زَعَمْتُم أنّى أُقدِّم المال على العلم ، لأن المال به يُفَاد العلم ، وبه تُقوّم النفس ، قبل أن تعرف فضل العلم . فهو أصل ، والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع . فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : آلأغنياء أفضَل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتُون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء

---

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الغفلة هو فطن يقظ . (٢) النزوة : الثورة ـ أو الوثبة

أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لِمَعْرِفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم فقلت : حالهما هى القاضية بينهما . وكيف يَستَوِى شىء حاجةُ العامة اليه ؟ ؟ وشىء يَغْنَى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتّخاذ الغَنَم ، والفقراء باتّخاذ الدّجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى لأبغض أهل بيت يُنْفِقُون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدُّؤلى يقول لولده : اذا بَسَط الله لك الرزق فابْسُط . واذا قبض فاقْبِض .

وعِبتمونى حين قلت : فضل الغنى على القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت ، اذا احتِيجَ اليها استعمِلت ، وإن استُغْنِى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحُضيْن بن المُنْذِر : وَدِدْت أنّ لى مثل أُحد ذهبا لا أنْتفَع منه بشىء . قيل له فما كنت تصنَع به ؟ قال : لكثرة من كان يَخْدُمنى عليه ، لأن المال مخدوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغِنَى : فلو لم يكن فيه إلا أنه عِزّ فى قلبك وذُلّ فى قلب عَدُوّك ، لكان الحظّ فيه جسيما ، والنّفع فيه عظيما .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب اللهو ولستم علىّ تردّون ، ولا رأيى تُفَنِّدون . فَقَدّموا النَّظر قبل العَزْم ، وأدرِكوا مالكم قبل أن تُدْرِكوا مآلكم . والسلام عليكم .

﴿ الكلام على الرسالات العلمية ﴾

ألرِّسالات العلمية ، هى : مقالاتٌ فى المطالب العلمية ، أو المسائل الأدبية ، وانَّما سمِّيت بالرِّسالات ، لأن أصحابَها يُرْسلونها إلى مَن اقترحها عليهم ، ويسلك فيها

صاحبها مناهج الاسترسال ، والمخاطبات البليغة . وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكيم ـ فى منهج الأنشاء القويم » فارجع اليه إن شئت .

﴿ الفن الثانى فى المناظرات ﴾

للمناظرة ثلاثة شروط (الأول) أن يُجمَع بين خَصمين متضادَّين ، أو مُتباينين فى صفاتهما ، بحيث تظهر خواصُّهما بالمقابلة . كالرَّبيع ، والخريف ، والصيف ، والشتاء (والثانى) أن يأتى كلٌّ من الخَصمين فى نُصرته لنفسهِ ، وَتَفنيد مزاعم قِرْنه ، بأدلّة من شأنها أن تَرفَع قَدْره ، وتَحُطّ من مقام الخَصم ، بحيث يميل بالسّامع عنه اليه (والثالث) أن تُصاغ المعانى والمراجعات صوغاً حسناً ، وتُرَتّبَ على سِياق مُحكَم ليزيد بذلك نشاط السَّامع ، وتَنمى فيه الرّغبة فى حلّ المشكل .

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكُتَّاب فنقول :

﴿ مناظرة النُّعمان بن المنذر وكِسرى أنو شِرْوان فى شأن العرب ﴾

رَوى ابن القُطامى عن الكَلْبى قال : قَدِم النّعمان بن المنذر على كِسرى : وَعنده وُفود الرُّوم . والهند . والصّين . فذكروا من ملوكهم و بلادهم ـ فافتخرَ النّعمان بالعرب وفضَّلهم على جميع الأمم ، لايَستَثْنى فارسَ ولا غيرها ، فقال كِسرى وأخذَتْه عِزَّة المُلك : يانعمان ، لقد فكّرْتُ فى أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت فى حالة من يَقْدِم علىَّ من وفُود الأُمم — فوجدت للرُّوم حظًّا فى اجتماع أُلفتها ، وعِظَم سُلطانها ، وكثرة مدائنها ، وَوثيق بُنيانها . وإنّ لها ديناً يُبيِّن حلالَها وحرامها ، وَيردّ سَفيهها ويقيم جاهها — ورأيت الهند نحواً من ذلك فى حِكمَتها وطِبِّها ، مع كثرة

أنهار بلادِها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطِيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددِها . وكذلك الصِّين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفُروسيّتها ، وهِمّتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد ، وانّ لها مُلكاً يجمَعُها ـ والتُّرك والخزَرُ على مابهم من سوء الحال فى المعَاشِ ، وقِلة الرّيف والثِّمار والحُصُون ، وماهو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تَضمّ قَواصيَهُم ، وتُدبّر أمرهم ـ ولم أرَ للعرب شَيْئاً من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة . ومع أن مما يَدُلّ على مهَانتها وذُلها ، وصِغَرِ همّتها ، محِلّتهم التى همْ بها مع الوحوش النّافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مَطاعِم الدُّنيا وملابسها ومَشاربِها ولَهْوها ولذّاتها . فأفضل طعام ظفر به ناعِمهم لحُوم الإبل التى يَعافها كثير من السّباع لِثقلِها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وان قَرى أحدُهم ضيفاً عَدّها مكرُمَةً ، وان أُطعم أكلة عدّها غنيمة ، تنْطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هذه التّنُوخية التى أسَّس جَدّى اجتَماعَها وَشدّ مملكتها . ومنعَها من عدُوّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وان لها مع ذلك آثاراً ولبُوساً ، وقرَى وحصُوناً ، وأُموراً تشبه بعض أمور النّاس . يعنى (اليمن)

ثم لا أراكم تَستكينون على ما بكم من المذَلّة ، والقلّة . والفاقة . والبؤْس . حتى تفتخرُوا ، وتريدوا أن تنزلوا فوْق مراتب الناس —

قال النعمان : أصلح الله الملك . حَقّ لأمة ، الملكُ مِنها أن يَسمُوا فضلها ، ويَعظُمَ خطْبها ، وتعلُوا درجتها ، إلاّ أنّ عندى جَواباً فى كل ما نطق به الملِكُ فى غير ردٍّ عليه ، ولا تكذيب له ، فان أمّنَنى من غضبه نَطقْتُ به ، قال كسرى : قلْ فأنتَ آمن ، قال النعمان : أمّا أُمتك أيها الملك : فليست تنازعُ فى الفضل لموضعها الذى

هِيَ به ، من عقولها وأحلامها وبَسطة محلّها ، وبُحبوحة عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأمّا الامم التى ذكرْتَ فأيّة أُمّة تقرنها بالعرَب إلاّ فضلَتها .

قال كسرى : بِمَاذا ؟ قال النعمان : بعزّها ومنعتها ، وحُسن وجُوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألسنتها ، وشدّة عقولها وأنفتها ووفائها .

فأمّا عِزّها ومَنعتها ، فانها لم تَزَل مُجَاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ، ووطّدُوا المُلك ، وقادوا الجُنْد ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينَلْهم نائل . حُصونُهم ظهُور خيلهم ومِهادُهم الأرض ، وسقوفُهم السماء ، وجُنّتُهم السُّيوف ، وعُدّتهم الصَّبر — إذْ غَيْرُها من الأمم . انما عِزُّها الحِجارة والطّين ، وجَزائر البُحُور .

وأما حُسْن وُجوهها وألوانها ، فقد يُعرَف فَضْلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المُنْحَرفة ، والصِّين المُنْحَفة ، والتُّرْك المشوّهة ، والرُّوم المُقَشّرة .

وأما أنسابُها وأحسابُها ، فليست أُمّة من الأمم الا وقد جَهِلت آباءها وأصولها وكثيراً من أوّلها ، حتى ان أحدَهم لَيُسْئَل عمّن وراء أبيه دُنيا فلا يَنْسبُهُ ، ولا يعرفه وليس أحد من العرَب الا يُسمّى آباءه أباً فأباً . حَاطُوا بِذلك أحسابَهم ، وحَفِظوا به أنسابَهم ، فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا يَنْتسب إلى غير نسبه ، ولا يُدعى إلى غير أبيه .

وأما سخاؤها : فانّ أدْناهم رَجُلا الذى تكون عنده البَكْرة والنَّاب ، عليها بلاغه فى حَموله ، وشِبعه ورِيّه ، فيَطرُقه الطارِق الذى يكتَفى بالفَلْذة ، ويَجتزى بالشَّرْبة ، فَيعقْرها له ، ويرْضى أن يَخرج عن دنياه كلّها ، فيما يكسبه حُسن الأحدوثة ، وطَيّبَ الذِّكر .

وأما حِكمة ألسنَتهم : فان الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ، ورَونق كلامهم وحسنه

وَوَزْنه . وقوافيه ، مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وابلاغهم فى الصفّات ما ليس لشىء من ألسنة الأجناس ـ ثمّ خيلُهم أفضل الخيْل ؛ ونساؤهم أعفّ النّساء ولباسُهم أفضل اللّباس ، ومَعادِنُهم الذّهب والفضّة ، وحجارة جبالهم الجزْع ومطاياهم التى لا يُبْلغ على مِثْلها سفَرٌ ، ولا يُقْطع بمثلها بلدٌ قفْرٌ .

وأمّا دِينها وشَرِيعتها : فانهم مُتَمسكون به ، حتّى يبلغ أحدُهم من نُسُكهِ بدينهِ أنّ لهم أشهُراً حرُما ، وبلدًا مُحرَّما ، وبَيتاً محْجُوجا ، ينسكونَ فيه مناسكَهُم ، وَيذبحُونَ فيه ذبائحهم ، فيلقَى الرَّجُل قاتلَ أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثاره وإدْراك رغمه منهُ ، فيحْجُزهُ كرَمُهُ ، ويَمنعهُ دينُه عن تناولهِ بأذى .

وأمّا وَفاؤها : فانَّ أحدَهم يلحظ اللّحظةَ ، ويُومِئ الإيماءَةَ : فهى وَلْتٌ (أى عهدٌ) وعقْدَةٌ لا يحلُها إلا خرُوج نفسه ، وإنَّ أحدَهم يرفعُ عُوداً من الأرض فيكون رَهناً بدينْه ، فلا يَغلق رهنُهُ ، ولا تخفر ذِمتّه . وإنَّ أحدَهم ليبْلُغه أنَّ رجلًا استجَارَ به ، وعَسى أنْ يكون نائياً عن دَاره فيُصاب فلا يرضى ، حتى يُفنِي تلك القبيلة التِي أصابَته ، أوْ تَفنَى قبيلته لما أُخفِر من جوَاره . وإنه ليلجأ إليهم المجرِم المحْدِث من غير معرفة ولاقرَابة ، فتكون أنفُسهم دُون نفسه ، وَأموالهُم دُون مالِه

وأمَّا قولك أيها الملك يئِدُون أوْلادهم فانما يفعله من يفعَله منهم بالإناث أنفة من العار ، وغيرَة من الأزواج .

وأما قولُك إنَّ أفضل طعامهم لُحوم الإبل على ما وَصَفْت منها ، فما تركوا ما دونها الا احتِقارا له ، فعَمدُوا إلى أجلّها وأفضلها ، فكانت مرَاكِبهم وَطعامهم مع أنها أكثرُ البهائم شُحوماً ، وَأطيَبُها لُحوماً ، وَأرقُّها ألبانا ، وأقلها غائلة ، وأحلاها مضغة ، وانه لا شئ من اللّحمان يُعالج ما يُعالج به لحمُها الا استبان فَضلُها عليه .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لِرَجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنِسَت من نفسها ضعفاً ، وتخوّفت نهوض عدوّها اليها بالزحف ، وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهلُ بيتٍ واحدٍ يُعرَف فَضلُهم على سائر غيرهم ، فيلقونَ اليهم أمورَهم ، وينقادُونَ لهم بأزمّتهم .

وأما العرب فانّ ذلك كثيرٌ فيهم ، حتّى لقد حاوَلُوا أن يكونوا مُلوكا أجمعين مع أنَفَتِهم من أداء الخَرَاج والوَطْث (أى الضَّرْب الشَّديد بالرَّجل على الأرض) بالعَسف .

وأما اليمن الَّتى وَصفَها الملك ، فإنما أتى جَدّ الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الجيش له على مُلكٍ متَّسق ، وأمرٍ مُجتمع ، فأتاه مسلوباً طريداً مُستَصرِخاً . ولَوْلا ماوُتِر به مَنْ يَليه من العرَب لمال الى مجَال . وَلَوَجَدَ مَنْ يُجيد الطِّعان ، ويَغضب للأحرَار ، من غَلبة العَبيد الأشرَار .

قال : فعجب كسرَى لمَا أجابه النعمان به ، وقال : انك لأَهلٌ لمَوْضعك من الرّياسة فى أهل إقليمك . ثم كساه من كسوته وسرّحه إلى موْضعه من الحيرة .

فلمّا قدِم النعمان الحيرة وفى نفسه مافيها مما سمع من كسرى مِن تَنَقُّص العرَب وتهجين أمرِهم ، بعثَ إلى أكثم بن صَيفى . وحاجِب بن زُرارة التميميِّيْن ، والى الحارث بن ظالم . وقَيس بن مسعُود البَكريِّين ، وإلى خالد بن جعفر . وعلْقمة بن عُلاَثة . وعامر بن الطُّفيل العامِريين ، والى عَمرو بن الشَّرِيد السُّلَمى ، وعمرو بن معْدِيكرِبَ الزُّبيدى ، والحارث بن ظالم المُرِّىّ — فلما قدِمُوا عليه فى الخوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقُرْب جِوَار العرَب منها ، وقد سمعتُ من كسرى مقالات ، تَخوّفت أن يكُون لها غورٌ ، أو يكون انَّما أظهرَها لأمرٍ أراد أنْ يتّخذ به

العرَب خوَلاً كبعض طماطِمتَه فى تأديتهم الخراج اليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوْلهُ ـ فاقتص عليهم مقالات كسرى ، ومارَدّ عليه فقالوا : أيها الملك وفقك اللهُ ما أحسن ما ردَدْتَ ، وأبلغ ما حجَجتَه ، فمُرْنا بأمرك ، وادْعنا إلى ما شئت .

قال : انما أنا رَجلٌ منكم ، وانما ملَكتُ وعززتُ بمكانكم وما يُتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبَّ إلىَّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم — والرأى أن تسيرُوا بجماعتكم أيها الرّهطُ ، وتنطلقوا إلى كسرى فاذا دخلتم : نَطق كلُّ رجل منكم بما حضره ، ليعلم أن العرَب على غير ما ظنّ ، أو حدّثتهُ نفسه ، ولا ينطق رَجل منكم بما يُغضبهُ ، فإنّه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، مُترَف معُجبٌ بنفسه ، ولا تَنْخذلُوا له انخذَال الخاضع الذّليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به دَماثةُ حُلومكم ، وَفَضْل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن أوّل من يَبدأ منكم بالكلام (أكثم بن صَيفى) ثم تتَابعوا على الأمر من منازلكم التى وَضعْتكم بها ، فانما دعانى إلى التّقدمة اليكم عِلمْى بميل كلّ رجل منكم الى التقدُّم قبل صاحبه ، فَلا يكونَنَّ ذلك منكم فيَجدَ فى آدابكم مَطْعناً ، فانه ملِك مُترَف ، وقادر مُسلّط ، ثم دعَا لهم بما فى خزائنه من طرائف حُللَ الملوك وأعطى كلّ رجل منهم حلّةً . وعمّمه عمامة ، وختّمه بياقوتة ، وأمر لكلّ رَجل منهم بنَجيبة مَهْرِيّة ، وفرسٍ نجيبة ـ وكَتَب معهم كتاباً .

أما بعد ـ فان الملك ألقى إلىَّ من أمر العرَب ماقد عَلم ، وأجبْتُه بما قد فَهم مما أحبَبْتُ أن يكون منهُ على عِلْم ، ولا يتلَجلَج فى نفسه أنَّ أمّة من الأمم الّتى احتجزت دُونه بمملكتها ، وحمت مايليها بفضل قُوّتها ، تبلغُها من الأمور الّتى يتعزّزُ بها ذَوُوا الحزْم والقُوّة والتّدْبير والمكيدة ـ وقدْ أوفدْتُ أيُّها الملك رَهطاً

من العرب ، لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك وليُغمض لا عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليكرمنى بإكرامهم ، وتعجيل سراحهم وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم .

فخرج القوم فى أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا اليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ـ فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته ، ووجوه اهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسى عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء ، والمراتب التى وصفهم النعمان بها فى كتابه وأقام الترجمان ليؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم فى الكلام

فقام أكثم بن صيفى فقال : إنّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها .

ألصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب والعجز مركب وطئ — آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر . حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة . إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء .

شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء ، المرء يعجز لا المحالة ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نفّر ، ومن تراخى تألف . فتعجب كسرى من أكثم ـ ثم قال : ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامك ! لولا وضعك كلامك فى غير موضعه . قال أكثم : الصدق ينبىء

عنك لا الوعيد ، قال كسرى : لولم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكثم : رُبَّ قولٍ أنفذُ من صَوْل .

ثم قام حاجب بن زرارة التميمى وقال : وَرَى زَنْدُك ، وَعلت يدُك ، وهيبَ سُلطانُكَ ـ انَّ العربَ أمّة قد غلُظَتْ أكبادُها ، واستحصدَتْ مِرَّتها ، ومنعت درَّتها ، وَهى لك وامقةٌ ما تألّفتها ، مُسترسلةٌ ما لاَينتَهَا ، سامعة ما سامحتها ، وهى العَلقم مَرارة ، وهى الصّاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزُّلال سلاَسة .

نحنُ وفودُها اليك ، وألْسنتها لديك ، ذِمَّتُنا محفوظة ، وأحسابُنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مُطيعة ، إنْ نؤُب لكَ حامِدِين خيراً ، فلكَ بذلك عموم محْمدَتنا ، وإن نَذُمَّ لم نُخصَّ بالذَّمّ دُونها ـ قال كسرى : ياحاجب ، ما أشبه حَجر التِّلاَل بألوان صَخرها ـ قال حاجب : بل زَئير الأسْد بصَولتها ـ قال كسرى : ذلك. ثم قام الحارث البكرى فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظِّها ، وعلوّ سنَائها ـــ من طال رَشَاؤُهُ كثُرَ متحهُ [1] ، ومن ذهبَ مالهُ قلّ مَنحه ، تناقُل الأقاويل يُعرِّف اللُّبَّ ، وهذا مقام سيُوجَف [2] بما تنْطِق به الرَّكْب ، وتعرْف به كُنْه حالِنا العجَم والعرَب ، ونحن جيرانُك الأدْنون ، وأعوانُك المُعينُون. خيُولُنا جمة ، وجيوشنا فخمة ، إن استَنجدْتنا فغير رُبْض ، وإن استطرقْتنا فغير جُهض ، وإن طلبتنا فغير غُمض ، لا نَنْثَنى لذُعر ، ولا نتنكَّر لدَهر ، رِماحُنا طِوَال ، وأعمارنا قصَار ، قال كسرى : أنفسٌ عزيزة وأمّة ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك وأنّى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مِرَّة ؟ [3] قال كسرى : لو قصُر عُمرُك لم تَستولِ على لِسَانك نفسُك ، قال الحارث : أيُّها الملك ، إن الفارس إذا حمل نَفْسَه على الكتيبة ، مُغرِّراً

(١) المتح ـ الاستقاء (٢) أو جفته ـ أعديته أى اجريته (٣) مرة . قوة

بنفسه على الموت ، فهى مَنيَّة استقبلها ، وجنانٌ استدْبرَها — والعرب تعلم أنى أبْعث الحرب قُدُماً، وأحبسها، وهى تَصرّف بها[1] حتى إذا جاشتْ نارُها، وسَعرَتْ لَظاها ، وكشفَتْ عن ساقها ، جعلْتُ مقَادها رُمْحى ، وبرْقَها سَيفى ، ورعْدَها زئيرى ولم أُقصِّر عن خوْض خَضخاضها ، حتى أنْغَمس فى غمرات لُجَجِها ، وأكون فُلكاً لِفُرْسانى إلى بُحبُوحة كَبْشها ، فأستَمْطِرُها دَما ، وأترُك حُماتها جزر السّباع ، وكلِّ نسرٍ قَشْعمٍ ، ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هُو ؟ قالوا : فِعالهُ أنطَق من لسانه ، قال كسرى : مارأيتُ كاليوم وفداً أحشد ، ولا شُهوداً أوْفَد .

ثم قامَ عمْرو بن الشَّريد السُّلَمى فقال : أيها الملك . نعُم بالُك ، ودامَ فى السُّرُور حالُك ، إنّ عاقبة الكلام مُتدَبَّرة ، وأشكال الأمور مُعتبرة ، وفى كثير ثِقْلة وفى قليل بُلْغة ، وفى الملوك سَوْرَةُ العزِّ ، وهذا منطقٌ لهُ ما بَعدَه ـ شرُف فيه من شرُف ، وخَمَلَ فيه من خَمَل ، لمْ نأت لضيْمك ، ولم نُفد لِسخطك ، ولم نتعرَّض لِرفدِك ، انّ فى أموالنا مُنتقَدا ، وعلى عزّنا مُعتَمدا ، إنْ أوْرَينا نارا أثقبنا ، وإن أَوِدَ دهرٌ بنا اعتدَلنا ، إلاّ أنّا مع هـذا لجوَارك حافظُون ، ولمَنْ رَامكَ كافِحُون حتى يُحمدَ الصَّدرُ ، ويُستَطاب الخبَر . قال كسرى : مايقوم قصدُ منْطِقك بإفراطِك ولا مدْحِك بذمِّك ، قال عَمرو : كفى بقليل قصْدِى هادِيا ، وبأيسَر إفراطى مُخبِرا ولم يُلَمْ من غربَت نفسُه عمَّا يَعلَم ، وَرضى من القصد بما بلغ ، قال كسرى : ما كلُّ ما يَعرف المرء يَنْطق به ـ اجلس

ثم قامَ خالد بن جعفر الكلابى فقال : أحضرَ الله الملك إسعاداً ، وأرْشده إرْشاداً ، إنَّ لكلِّ منْطق فرصة ، ولكلِّ حاجة غُصّة ، وعِيُّ المنْطق أشدّ من

(١) بها ـ أى بالعرب

عيّ السكوت ، وعِثار القوْل أنكأ من عِثار الوعْث ، وما فُرصة المنطق عندنا إلاّ بما نَهوى ، وغُصةُ المَنطق بما لا نهوَى غيرُ مُسْتساغة ، وتَركى ما أعلم من نفسى ويعلَمُ من سَمِعى ، أنَّنى له مُطيق ، أحبُّ إلىَّ من تكلّفى ماأتخوَّف ويُتخوَّف منّى وقد أوفدَنا اليك مَلِكُنا النُّعمان ، وهو لك مِن خير الأعوان ، ونِعم حامل المعروف والأحسان ، أنفُسنا بالطاعة لكَ باخعةٌ ، ورقابنا بالنَّصيحة خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة ، قال كسرى : نَطَقتَ بعقْل ، وسَمرْت بفضل ، وعلوت بنُبل .

ثم قام علقمة بن عُلاثة العامرى فقال : نَهجَتْ لك سُبل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ، إنَّ للأقاويل مناهج ، وللآراء موالج ، وللعويص مَخارج ، وخير القوْلِ أصدَقه ، وأفضَلُ الطَّلب أنجحهُ . إنَّا وإن كانت المحبةُ أحْضرَتنا ، والوِفادة قرَّبتنا ، فليس من حَضرَكَ منَّا بأفضل ممَّن عزَب عنك ، بَل لو قِستَ كلَّ رجل منهم وعلمتَ منهم ماعلمنا ، لوَجدت له فى آبائِهِ دُنيا أنداداً وأكفاء ، كلّهم إلى الفَضْل منسوب ، وبالشّرَف والسُّؤدَد موصوف ، وبالرأى الفاضل ، والأدب النَّافذ معروف يحمِي حِمَاه ، ويُروى نداماه ، ويذود أعداه ، لا تخمدُ ناره ، ولا يَحترِزُ منه جارهُ أيُّها الملك ، من يَبلُ العرَب يَعرف فَضلهم ، فاصطنع العرب فانها الجبال الرَّواسى عزًّا ، والبحور الزّواخر طميا ، والنجوم الزَّواهر شُرفا ، والحصى عددا ، فان تعرِف لَهم فضلهم يُعزّوك ، وان تَسْتصرخهُم لا يَخذلوك . قال كسرى : وخشِي أن يأتىَ منهُ كلام يَحملهُ على السُّخْط عليه : حسبُك أبْلغت وأحسَنت .

ثم قام قيس بن مسعود الشَّيبانى فقال : أطابَ الله بك المراشد ، وجنَّبك المصائب ، ووقَّاك مكروه الشدائد ، ماأحقَّنا اذا أتيناك بإسماعك مالا يُحنق صدرك ولا يَزْرع لنا حِقداً فى قلبك ، لم نَقدم أيُّها الملك لمُساماةٍ ، ولم ننتسب لمُعاداة

ولكن لتعلم أنت ورعيّتك ، ومن حضرك من وُفود الأمم ، أنّا فى المنطق غير محجمين ، وفى النّاس غير مُقصّرين ، ان جُورينا فغير مسبوقين ، وان سومينا فغير مغلوبين ، قال كسرى : غيْرَ أنكم إذا عاهدْتم غيرُ وافين . وهو يُعرِّض به فى تركه الوفاء بضمانه السَّواد ـ قال قيس : أيها الملك ، ما كُنتُ فى ذلك إلا كوافٍ غُدِرَ به أو كخافر أُخفِرَ بذمّته ـ قال كسرى : ما يكون لضعيف ضَمان ، ولا لذليل خِفَارة قال قيس : أيها الملك ، ما أنا فيما اخفِرَ من ذمّتى أحقُّ بِالزّامى العارَ مِنك فيما قُتِل من رَعيّتك ، وانتُهك من حُرْمتِك . قال كسرى : ذلك لِأنَّ من ائتمَنَ الخونة واستَنْجد الأئمة ، نالَه مِنَ الخَطأ ما نالَنى ، وليس كلّ النّاس سَواء ـ كيف رَأيت حاجِبَ ابن زُرارة لِمَ يُحكِمُ قُواه فَيبْرِم ، ويعْهد فيُوفى ، ويَعِدُ فيُنْجِز ؟ قال : وما أحَقّه بذلك وما رَأيتُه إلاّ لى . قال كسرى القومُ بُزْلٌ[1] فأفضلُها أشدُّها

ثم قام عامر بن الطُّفَيل العَامرىّ فقال : كَثُرَ فُنون المَنْطِق ، وليس القول أعمى من حِنْدِس الظّلْمَاء ، وإنّما الفخر فى الفِعَال وَالعَجز فى النَّجدَةِ : والسّؤدَد مطاوَعةُ القُدْرة ، وما أعلَمَك بقدرنا ، وأبصرَكَ بِفَضْلنَا ، وبالحَرِىّ : إنْ أدالَت الأيَّام وثابَتِ الأحلام ، أن تُحْدِث لنا أمورا لها أعلَام ـ قال كسرى : وما تلك الأعلام؟ قال : مُجْتَمع الأحياء من رَبيعة ومُضَر على أمر يُذكر ـ قال كسرى : وما الأمر الذى يُذكر ؟ قال عامر : مالى عِلْم بأكثر مما خَبَّرنى به مخبرٌ . قال كسرى : مَتَى تكاهنْتَ يا ابن الطّفيل ؟ قال : لستُ بكاهن ، ولكنّى بالرُّمْح طاعِن ، قال كسرى . فإن أتاك آت من جهَة عَينك العَوْرَاءِ ، ما أنتَ صانع ؟ قال : ماهَيْبَتِى فى قفاى

(١) بازل ـــ البعير سن ٩ سنوات

بدُون هَيبتى فى وَجْهى . وما أذهبَ عينى عَيْثٌ ، ولكن مُطاوعةُ العَبث .

ثم قام عمرو بن مَعدِ يكرَب الزُّبيدى فقال : انما المرء بأصغرَيْه قلبِه ولسانِه فبلاغ المَنْطق الصَّوَاب ، ومِلاك النَّجْدة الارْتياد . وعفْوُ الرَّأى خيرٌ من استِكرَاه الفِكرَة ، وتوْقيف الخِبْرة ، خيرٌ من اعتساف الحَيْرة . فاجْتَبِذ طَاعَتَنا بلفظك واكتَظِم بادِرَتنا بحلمك ، وألِنْ لنا كنفَكَ يَسلَس لك قِيادنا . فإنَّا أُناس لم يُوَقِّس صفَاتنا قِرَاعُ مَناقير مَنْ أرادَ لَنَا قَضماً . ولكن مَنَعْنَا حمانا مِن كلِّ مَن رَامَ لنَاهَضْما

ثم قام الحارث بن ظالم المُرِّى فقال : انَّ من آفة المَنْطق الكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملَق ، ومَن خَطَل الرَّأى خِفَّة المَلِك المُسلَّط . فان أعلَمنَاكَ أنَّ مُوَاجَهتَنَا لكَ عن ائتِلاف ، وانقيادَنا لك عن تَصاف ، فما أنتَ لِقبول ذلِك مِنا بِخَلِيق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق . ولكن الوَفاء بالعُهُود ، وإحكام ولْث العقُود ، والأمرُ بيننَا وَبينكَ مَعتدِل ، مالم يأتِ من قِبلك مَيل أوْ زَلَل ـ قال كسرى : من أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم . قال : إنّ فى أسماء آبائِك لَدليلاً على قِلَّة وَفائِك . وأن تكون أوْلى بالغدر ، وأقرب من الوِزر . قال الحارث : إنّ فى الحقّ مَغضبة ، والسّرّ التغافل ، ولن يسْتوجب أحدٌ الحِلم إلاَّ مع القُدْرَة . فَلْتُشبه أفْعَالكْ مَجْلِسَك . قال كسرى : هذا فتى القوم — ثم قال كسرى : قد فَهِمْتُ ما نطَقتْ به خُطباؤكم ، وتفنَّن فيه متكلِّمُوكم ، وَلولاَ أنّى أعلم أنَّ الأدَب لم يُثقّف أودَكم ، ولم يُحكِم أمرَكم ، وأنّه ليس لكم ملك يجمعكم ، فتنطقون عنده مَنطق الرّعية الخاضعة الباخعة ، فَنَطقتُمْ بمااستَولى على ألْسنتكم وغلب على طباعكم ، لم أُجزِ لكم كثيراً مما تكلّمتم به ، وإنّى لأكره أن أُجبِّه وُفودى ، أو أُحنق صدُورهم ، والذى أُحبّ منْ إصلاح مُدبّركم ، وتأَلُّف شواذِّكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى وَبينكم . وقد قبلتُ ما كان فى منطقكم من

صَوَاب وصَفحت عما كان فيه من خلَل ، فانصرفوا إلى مَلِيكِكُم فأحسنُوا مُوازرته والتزموا طاعته ، وَارْدعوا سُفهَاءكم وأقِيموا أودَهم ، وأحسنُوا أدَبهم فإن فى ذلك صلاح العامة .

***

رُوِى عن الكلبى أنه قال : كان كسرى يَحفِل بالعرب ، ويستأنس بمشاهدتهم ويرغب فى سماع محادثاتهم ، ومُفاخراتهم ومُنافرَاتهم . ولم يَدّخر وُسعاً إلا بَذله للحصول على ذلك (ومما اتّفق له) أنّ النُّعمان بن المنذر ، كان بمجلسه يوماً : فقال له هل فى العرب من قبيلة تَشرُف على قبيلة ؟ قال نعم . قال : فبأى شىء ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، واتّصل ذلك بمزِيّة رابعة ، فبيته أشرف بيت وإليه تنسب القبيلةُ ، وبه تعلو على غيرها . قال أحضر مَنْ هذه صِفتهم . فطلبهم النُّعمان فلم يُصِبهم إلا فى آل حُذَيفة بن بدر ، وآل ذى الجدَّين ، وآل الأشْعث بن قيس بن كِنْدة ، فأحضرهم فى جملة من عشائرهم . فَعَقَد لهم كسرى مَجْلِساً عاماً حضره الحكّام والعدول والأعيان . ثم قال : ليتكلّم كلّ منكم بمآثر قومه وليصدُق فانتصب حُذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال : قد علمت العرب أن فينا الشّرفَ الأقدم ، والفَخرَ الأعظم . فقيل له لِم ذَاك يا أخا فزَارة ؟ قال : ألسنا الدّعائم[1] التى لا ترام ؟! والعزّ الذى لا يضام ؟! فقيل له صَدَقْت ثم قام شاعرهم فقال

فزَارةُ بيتُ العزِّ والعزّ فيهمُ ... فزارةُ بدرٍ حسْبُ بدرٍ نِضَالها[2]
لها العزّةُ القَعساء[3] والحسب الذى ... بناه لبَدرٍ فى القديم رِجالُها
فَهيْهات قد أعيا القُرون التى مَضت ... مآثر بدرٍ مجدُها وفِعالها

(١) الاركان (٢) محاماتها ودفاعها (٣) الرفعة

وهل أحدٌ إن مدّ يوماً بكفه إلى الشمس فى مجرى النجوم ينالها؟!
فان يصلحوا يصلح لذاك جميعنا وان يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس : فقال : لقد علمت العرب أنّا نقاتل عديدَها الأكثر ونقهر جمعها الأكبرَ . وأنّا غياثُ اللزَبات [1] وبناة المكرُمات . فقيل له لمَ يا أخا كندة ؟ قال : لأنّا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأفيائه ، وتقلّدنا منكبه الأعظم ، وتوسّطنا بحبوحه [2] الأكرم . ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قستَ أبياتَ الرجال ببيتنا وجدْت له فضلاً على من يفاخرُ
فمن قال كلاَّ أو أتانا بخطّة ينافرُنا يوماً فنحن نخاطرُ
تعالوْا قِفُوا كى يعلم النّاس أيُّنا له الفضل فيما أورثته الأكابرُ

ثم قام بسطام بن قيس .فقال : قد علمتْ العرب أنّا بناةُ بيتها الذى لا يزول ومغرَسُ عزّها الذى لا يحول . فقيل له ولِمَ يا أخا شيبان ؟ قال لأنّا أدركهم للثأر وأضربهم للملك الجبّار، وأقولهم للحق ، وألدُّهم للخصم .

ثم قام شاعرهم فقال :

لعمرِىَ بسطامٌ أحقُّ بفضلها وأوّل بَيْت العزِّ عزّ القبائلِ
فسائل أبيتَ اللّعْن عن عزّ قومها اذا جدّ يوم الفخر كلُّ مناضل [3]
فيخبرك الأقوام عنها فانها وقائع جدٍّ لا ملاعبُ هازل
ألسنا أعزّ النّاس قوماً وأسرةً وأضربهم للكبش يوم التخاذل
وقائع عزّ كلّها ربَعيّةٌ [4] تذلُّ لهم فيها رقابُ المحافل
اذا ذُكرتْ لم ينكر النّاس فضلَها وعاذَ بها من شرّها كلُّ قائل

(١) بتسكين الزاى . الشدائد (٢) وسطه . (٣) المجادل (٤) نسبه الى قبيلة ربيعة

وإنّا ملوك النّاس فى كلّ بلدةٍ   اذا نزلت بالنّاس إحدى النّوازلِ

ثم قام حاجب بن زُرارة التّميمى ، فقال : قد علمت العرب أنّا فرعُ دعامتها وقادَة زُحُوفها . فقيل له : لِمَ ذلك ياأخا بنى تميم ؟ قال : لأنّا أكثرُ النّاس عديداً وأنجبُهم طرّا وليدا ، وأعطاهم للجزيل ، وأحملُهم للثقيل .

ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمتْ أبناء خِندفَ أنّنا   لنَا العزّ قِدماً فى الخطوب الأوائلِ

وأنّا كرامٌ أهلُ مجدٍ وثروةٍ   وعزٍّ قديم ليس بالمتُضائل

فكم فيهم من سيّدٍ وابن سيّدٍ   أغرَّ نجيبٍ ذى فعَال ونائل

فَسائِل أبيتَ اللّعنَ [1] عنّا فانّنا   دعائم هذا الناس عند الجلَائِل

ثم قام قَيس بن عاصم السَّعدى فقال : لقد علم هؤلاء أنّا أرفعهم فى المكرُمات وأثبتهم فى النّائبات . فقيل له : لِم ذاك يا أخا بنى سعد ؟ قال : لأنّا أدركهم للثأر ، وأمنعهم للجار ، لا نتّكل اذا حَملنَا ، ولا نُرام اذا حللنَا . ثم قَام شاعرهم فقال :

لقد علمت قَيسٌ وخندِفُ أنَّنَا   وجُلُّ تميم والجموع التى تَرى

بأنّا ليوثُ البأسِ فى كلّ مأزِق   اذا جُزّ بالبيض الجماجم والطّلى

وأنّا اذا داعٍ دعانا لِنَجدةٍ   أجبنا سِراعاً فى العلائم من دعا

فهيهات قد أعيا الجميع فِعالُهم   وقاموا بيوم الفخر مَسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلاّ سيّد يصلح لموضعه ، ثم أعظمَ صِلاتهم أجمعين ، وردّهم الى أقوامهم معظّمين .

---

(١) اللعن بغضته ومنعته والمعنى انك لا تفعل ما يوجب لعنك ، بل تفعل ماتحمد وتمدح عليه

﴿ مناظرات المهدى لأهل بيته ومشاورته لهم فى حرب خراسان ﴾

هذا ما تراجع فيه المهدى ووزراؤه ، وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة ، على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمال ، والتووا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدى ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولا بالفضل واتساعا بالعفو وأخذا بالحجة ورفقا بالسياسة ، ولذلك لم يزل منذ حمله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رفيقا بمدار سلطانه ، بصيرا بأهل زمانه ، باسطا للمعدلة فى رعيته تسكن إلى كنفه ، وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة ، أثرة للحق ، وقياما بالعدل وأخذا بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج وطردوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجا باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنصلا باعتلال — فلما انتهى ذلك إلى المهدى خرج إلى مجلس خلائه ، وبعث إلى نفر من لحمته ووزرائه ، فأعلمهم الحال واستفهم للرعية ، ثم أمر الموالى بالابتداء — وقال للعباس بن محمد : « أى عم » تعقب قولنا وكن حكما بيننا . وأرسل إلى ولديه (موسى وهارون) فأحضرهما الأمر وشاركهما فى الرأى ، وأمر محمدا بن الليث بحفظ مراجعتهم وإثبات مقالتهم فى كتاب .

فقال سلام صاحب المظالم :

أيها المهدى ، إن فى كل أمر غاية ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم

واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعرفوا بها وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الأمور وقادة الجنود وفرسان المزاهز وإخوان التجارب وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها وفيأتهم ظلالها وعضتهم شدائدها وقرمتهم نواجذها فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك وتجارب توافق نظرك وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك وأصحاب دواوينك فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتنا من أماناتك وشغلتنا من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حقك .

فأجابه المهدى ، إن فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبيراً يبطل الآخر الأول — ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نعم : أيها المهدى ، أنت متبع الرأى ، وثيق العقدة ، قوى المنة ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى إلى الخير — إن هممت ففي عزمك مواقع الظن ، وان اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يهد الله إلى الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمة ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ

فأجابه المهدى : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يهلك عليهما رأى ، ولا يتغيل معهما حزم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم ، فإنى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع : أيها المهدى ، ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وإن الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية

الشُّقَّة متفاوتة السبيل ، فإذا ارتأيتَ من مُحكَم التّدْبير ومبْرَم التَّقدير ولُباب الصّواب رَأياً ، قد أحكمه نَظَرُك وقلّبه تدْبيرك ، فليس وراءه مَذْهب طاعن ولا دُونه مَعْلقٌ لخصومة عائب ، ثم خَبّتْ البُرُد به وانطَوت الرّسل عليه كان بالحَرَى أن لا يَصِل اليهم مُحكَمُه ، إلا وقد حدَث منهم ماينقُضه ، فما أيسرَ أن ترجع اليك الرّسل ، وتَرِدَ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشَوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحْدث رأياً غيره وتبتدع تدبيراً سواه ، وقد انفرجت الحَلَق وتحلّلت العُقَد واسترخى الحِقاب وامتدّ الزمان ، ثمّ لِعلْمك موقع الآخرة كمصدر الأولى ، ولكنّ الرأى أيُّها المهدى ، وفّقك الله أن تَصْرِف إجالة النظر وتقليب الفِكَر فيما جَمعْتنا له ، واستشرتنا فيه من التّدبير لحربهم والحِيَل فى أمرهم إلى الطَّلب لرجُل ذى دِين فاضل وعقلٍ كاملٍ ووَرَع واسع ليس موصوفاً بهوى فى سواك ، ولا متّهماً فى أثَرَة عليك ، ولا ظَنينا على دِخْلةٍ مكروهة ولا مَنْسوباً إلى بدعة محذُورة ، فيَقْدح فى ملكاك ويُريض الأمور لغَيرك، ثم تُسنِد إليه أمورَهم وتُفوّض اليه حرْبَهم وتأمُره فى عَهدك ، ووصيّتك إيّاه بلزوم أمرك مالَزِمه الحزم ، وخلاف نَهيك إذا خالفه الرّأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التى ينقَضُّ [1] أمرُ الغائب عنها ويثبتُ رأىُ الشاهد لها ، فانه إذا فعل ذلك ، فواثبَ أمرَهم من قريب وسقَط عنه مايأتى من بعيد ، تمّت الحيلة وقَويت المكيدة ، ونَفذَ العمل وأُحِدّ النَّظر إن شاء الله .

قال الفضل بن العباس :

أيُّها المهدى ـ إنّ ولىّ الأمور وسائس الحرُوب رُبما نحّى جنوده وفرّق أمواله فى غير ما ضيقِ أمرٍ حزَبه ، ولا ضَغْطة حالٍ اضطَّرته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد

---

(1) ينقض — ينهدم .

التَّفْرِقة لها عَدِماً منها فاقداً لها ، لا يثق بقوَّة ولا يَصول بعُدّة ولا يَفْزع إلى ثقة فالرّأى لك أيها المهدى وفّقك الله أن تُعفى خزائنك من الإنفاق للأموال وجُنودك من مُكابدة الأسفار ومُقارعة الأخطار وتغرير القتال ، ولا تُسرع للقوْم فى الإجابة الى مايطلبُون والعطاء لما يسألون ، فيَفسُدُ عليك أدُبهم وتُجرّئ من رَعيّتك غيرَهُم ولكن أغزُهم بالحيلة وقاتلهم بالمكِيدة وصارعْهم باللّين وخاتِلْهم بالرّفْق وأبْرِق لهم بالقوْل وأرْعد نحوهم بالفِعل وابْعث البُعُوث وَجنّد الجنود وكتّب الكتائب واعقد الألْوية وانصِب الرّايات وأظْهر أنك مُوَجّهٌ اليهم الجيوش مع أحنَق قُوادك عليهم وأسوئِهم أثراً فيهم ، ثم ادسُس الرسل ، وابثُثْ الكُتب ، وضَعْ بَعْضهم على طَمع من وَعدك وبعْضاً على خَوْفٍ من وعيدك ، وأوْقد بذلك وأشباهه نِيرَان التّحاسُد فيهم واغرِس أشجار التّنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوَحشة ، وتَنْطَوى الصدُور على البِغضة ، وَيدخل كلاًّ من كلٍ الحَذَرُ والهيْبَة ، فان مرَام الظَّفَرِ بالغِيلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب ، والمُكايدة بالرُّسل ، والمُقارَعة بالكلام اللطيف المُدخَل فى القلوب ، القوِىّ الموْقع من النُّفوس ، المعقود بالحُجَج الموْصول بالحِيَل المبْنى على اللِّين الذى يستميل القلوب ويستَرقُّ العقول والآراء ويستميل الأهواء ويستدعى المُواتاة — أنفَذُ من القتال بظُبات السُّيوف وأسنَّة الرِّماح . كما أنَّ الوالِىَ الَّذى يستنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُفرّق كلمةَ عدُوِّه بالمُكايدة أحكم عملاً وألطفُ مَنظَراً وأحسَن سياسة ، مِن الذى لا ينال ذلك الا بالقتال والإتلاف للأموال والتّغرير والخِطارِ .

وليعلَمْ المهدى ، أنه إنْ وجَّه لِقتالهم رَجلاً لم يَسِرْ لقتالهم الاَّ بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدِم على أسفار ضيقة وأموال مُتفرِّقة وقُوَّاد غشَشة إنْ

ائتمَنَهُم استنفدُوا ماله ، وان استنْصحَهم كانوا عليه لا لهُ . قال المهدى : هذا رأىٌ قد أَسفر نُورُه ، وأَبرق ضَوْءه وتَمثّل صوابهُ للعيون ومَجدَ حقّه فى القلوب ، ولكن فوْق كلّ ذِى عِلم عليم ، ثم نَظرَ الى ابنه علىّ فقال : ما تقول ؟

قال علىّ : أَيُّها المهدى ان أَهل خُراسان لم يَخلعُوا عن طاعتك ولم يَنصبُوا من دونك أَحداً يقدَح فى تَغيير مُلكك ويُريض الأمور لفساد دولتك ، ولو فَعلوا لكان الخطب أَيسَر والشأن أَصغَر والحالُ أَذَلّ ، لأنَّ اللهَ مع حقه الذى لا يَخذله وعند مَوْعده الّذى لا يُخلِفُه ، ولكنهم قومٌ من رَعيّتك وَطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم وَالياً وَجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طَلبُوا حقّاً وسأَلوا إِنصافاً فان أَجبتَ الى دعوتهم ونَفَّستَ عَنهم قبل أَن يتلاحم منهم حال ، أَو يَحدُث من عندهم فَتق ، أَطعْتَ أَمرَ الرَّبِّ وأَطفأْت ثائِرَة الحرْب وَوفَّرْتَ خزائن المال وطَرحت تغْرير القتال ، وحَملَ النَّاس مَحمَل ذلك على طبيعة جودك وسجيَّة حلْمك وأَسجاع خَليقتك ومَعدَلة نَظرك ، فأَمنت أَنْ تُنْسَب إلى ضُعف ، وأَن يكون ذلك فيما بقى دُرْبةً . وان منعتْهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سأَلوا اعْتدلتْ بك وبهم الحال وساويتَهم فى ميدان الخطاب — فما أَربُ المهدى أَن يَعمْد الى طائفة من رعيّته مُقرِّين بمملكته مُذعنين بطاعته لا يُخرجون أَنفسهم عن قدرته ولا يَبرّئونها من عبوديته فيُملّكهم أَنفسَهم ويَخلع نفسه عنهم ويَقف على الحِيل معهم ، ثم يجازِيهم السوء فى حدِّ المنازعة ومضمار المُخاطرة — أَيريد المهدى وفّقه الله الأموال ؟؟ فَلعَمرى لا ينَالها ولا يَظفرَ بها الا بإِنفاق أَكثر مِنها مما يَطلبُ منهم ، وأَضعاف ما يَدّعى قِبلهم ، ولو نالها فَحُملت اليه أو وُضِعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، لكان مما اليه يُنْسب وبه يُعرف من الجود الذى طَبعَه الله عليه وجَعل

قرّة عينه ونهمة نفسه فيه ، فان قال المهدى هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا . فأمّا الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الإرجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالاً لغيرهم وعظة لسواهم ، فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مقرّنين فى الأصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ، ولإقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أو لمن بازائهم من عدوه لما كان بدعاً من رأيه ولا مستنكراً من نظره .

لقد علمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفواً وأشدها وقعاً وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاظمه عفو ، ولا يتكاءده صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأى للمهدى وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم براً بهم وتوسعاً لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول وبحجتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطووا فيه عن إجابته ، ومثله فى قلة ما غير من رأيه فيهم أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبل عارض ولهو حادث فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفاً به واحتيالاً لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه وبراً به ، ومرحمة له

فقال المهدى — أمّا على فقد نوى سمت اللّيان وفضّ القلوب فى أهل خراسان ولكل نبأ مستقر . فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعنى موسى ابنه

فقال موسى

أيها المهدى : لا تسكن إلى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحالُ من القوم ينادى بمضمرة شرٍّ وخفيَّة حقد قد جعلوا المعاذير عليها ستراً واتخذوا العلل من دونها حجاباً ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدى فيهم ويفنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم وتتلاحق مادتهم وتستفحل حربهم وتستمر الأمور بهم والمهدىُّ من قولهم فى حال غِرّة ولباس أمَنة ، قد فترَ لها وأنِس بها وسكن اليها ولولا ما اجتمعتْ به قلوبهم ، وبردتْ عليه جلودهم من المناصبة بالقتال ، والإضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الوُلاة وغِبَّ سكون الأمور ، فليَشدُدْ المهدى وفقه الله أزره لهم ويكتِّب كتائبه نحوهم ، وليضع الأمر على أشدّ ما يحضره فيهم ، وليُوقنْ أنه لا يُعطيهم خُطَّةً يُريدُ بها صلاحهم الا كانت دُرْبة إلى فسادهم وقوّة على معصيتهم وداعيةً الى عودتهم وسبباً لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إنْ أقرَّهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأرب ، لم يبرح فى فتق حادث وخلاف حاضر ، لا يَصلُح عليه دين ولا تستقيم به دُنيا . وإن طلبَ تغييرَه بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُّرْبة لم يصل إلى ذلك إلاَّ بالعقوبة المفرطة ، والمؤُونَة الشّديدة . والرأيُ للمهدى وفَّقه الله أن لا يُقيل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السُّيوف ويستحرّ بهم القتل ويحدق بهم البلاء ويُطبق عليهم الذلّ ، فان فعل المهدى ذلك كان مَقْطعةً لكلّ عادة سوء فيهم وهزيمةً لكلّ بادرة شرٍّ فيهم ، واحتمالُ المهدى فى مؤونة غزوتهم هذه تضع عنه غزَوات كثيرة ونفقات عظيمة .

فقال المهدى قد قال القوم ، فاحكُم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدى : أمَّا (الموالى) فأخذوا بفروع الرأى وسلكوا جنبات الصواب وتعدَّوا أموراً قصَّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها ــ وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تنفق ، والجنود أن لا تفرّق ، وبأن لا يعطى القومُ ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانة بحربهم وانما يهيج جسيماتِ الأمور صغارُها ، وأمَّا (علىّ) فأشار باللين ، وإفراط الرِّفق وإذا جرَّد الوالى لمن غمط أمره وسفه حقّه اللّينَ بحتاً والخيرَ محضاً لم يخلطهما بشدّة تعطف القلوب عن لينه ، ولا بشرٍ يحبسهم إلى خيره ، فقد ملّكهم الخلع لعذرهم ووسّع لهم الفرجة لثني أعناقهم ، فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرّهم ولا شدّة ، فنزوة فى رؤوسهم ، يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لاجابته باللين المحض والخير الصُّراح ، فذلك ماعليه الظّن بهم ، والرأىُ فيهم ، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم لأنّ الله تعالى خلق الجنّة وجعل فيها من النّعيم المقيم والملك الكبير مالا يخطرُ على قلب بشر ولا تدركه الفكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا النّاس اليها ورغّبهم فيها فلو لا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمةً يسوقهم بها الى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما (موسى) فأشار بأن يعصبوا بشدّة لا لين فيها ، وأن يرموا بشرٍّ لا خير معه . واذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفرداً والشّر مجرّداً ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم اشتدّت الأمور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين : إما أن تدخلهم الحميّة من الشدّة والأنفةُ من الذّلة والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى التّمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام

للموت ، وإمّا أنْ ينقادوا بالكُرْه ويُذْعِنوا بالقهر على بغضة لازمةٍ وعداوة باقية تورثُ النّفاق وتُعقب الشّقاق ، فاذا أمكنتهم فُرْصة أوْ ثابت لهم قُدْرة أو قويت لهم حالٌ ، عاد أمرهُم الى أصْعب وأغْلظ وأشدّ ممّا كان .

وقال : فى قول الفضل: أيّها المهدى أكفى دليل وأوْضح برُهان وأبين خبر بان قد أجْمع رأيه وحزم نَظره على الأرشاد ببعثة الجيوش اليهم ، وتوجيه البُعوث نحوهم مع إعطائهم ما سألوا من الحقّ ، وإجابتهم إلى ما سألوه من العدْل .

قال المهدى : ذلك رأىٌ .

قال هارون ما خلطت الشدَّة أيّها المهدى باللّين ، فصارت الشدَّة أمْر فطام لما تكْره ، وعاد اللّين أهْدَى قائدٍ إلى ما تُحبّ ، ولكن أرَى غير ذلك .

قال المهدى : لقد قلْتَ قوْلا بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤْتمَن بما قال ، وظنينٌ بما ادّعى ، حتى يأتى ببيّنة عادلة وحجّة ظاهرة . فاخرج عما قلت .

قال هارون :

أيها المهدى : إنّ الحرْبَ خُدعة ، والأعاجم قومٌ مكرَة ، وربّما اعتدَلت الحال بهم ، واتّفقت الأهواء منهم فكان باطن ما يُسرّون على ظاهر ما يُعْلنون . وربما افترقت الحالان ، وخالف القلبَ اللسانُ ، فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبطن ، واسْتَسرّ بمدْخولة لا تُعلَن ، والطّبيب الرَّفيق بطبّه ، البَصير بأمْره العالم بمقدَّم يدِه ومَوْضع ميسِمه ، لا يتَعجّل بالدّوَاء حتى يَقع على معرفة الدَّاء ، فالرَّأى للمهدى وفقّه الله : أنْ يَفرّ باطن أمرهم فرّ المُسِنَّة ويمخضَ ظاهرَ حالهم مخض السقّاء بمتابعة الكتب ومظاهرَة الرُّسل ، وموالاة العيُون ، حتى تُهتَك حُجُب عيوبهم

وتُكشَف أغطية أمورهم. فان انفرَجت الحال وأفضت الأمور إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه، وانقادَ الرِّجال اليه وامتدَّت الأعناق نحوه بدِين يعتقدونه وإثم يستَحلُّونه عصَبَهم بشدّة لالين فيها، ورَماهم بعُقوبة لا عَفو معها، وإن انفرَجتَ العيُون واهتُصِرَت السُّتور ورُفِعت الحُجُب والحال فيهم مريعة والأمور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمال يُنكرونها، وظلامات يدَّعونها وحقوق يسألونها بماتّةِ سابقتهم ودالّة مناصحتهم، فالرّأى للمهدى وَفّقه الله أن يتّسع لهم بماطَلَبوا وَيتجَافى لهم عما كرهوا وَيشْعَب من أمْرِهم ماصدَعوا وَيرتُق من فَتقِهم ماقطعوا ويُولّى عليهم من أحبّوا ويدَاوى بذلك مَرَض قلوبهم وَفساد أمورهم، فانما المهدى وأمّته وَسوَاد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرَّفيق وَالوَالد الشَّفيق والراعى المُجرِّب الذى يحتال لمرَابض غنمه، وضوَالّ رَعيّته، حتى يُبْرِىء المرِيضة من داء عِلّتها وَيرُد الصحيحه الى أُنس جَماعتها — ثم ان خُراسان بخاصة الذِّين لهم دالة محمولة، وماتّة مقبولة، ووسيلة معرُوفة، وحقوق واجبة. لأنهم أيدى دولته وسيُوف دَعْوته وأنصار حقّه وأعوان عدله. فليسَ من شأن المهدى الاضطِغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التّوعُّر بهمْ ولا المكافأة باساءتهم. لأن مبادرة حَسْم الأمور ضعيفةً، قبل أن تقوى ومُحاولة قَطع الأصول ضئيلةً قبل أن تَغلُظ أحزَمُ فى الرَّأى وأصحّ فى التَّدبير من التأخير لها والتّهاون بها حتى يَلتئِم قليلها بكثيرها وتجتَمع أطرافُها الى جمْهورها

قال المهدى: ما زال هارون يقَع وقْع الحيا حتى خرَج خرُوج القدَح من الماء، وانْسلّ انسلال السيف فيما ادّعى، فدَعُوا ما سبقَ مُوسى فيه فانه هو الرَّأى وثنّى بعده هارون — ولكن مَن لأعِنَّة الخيل وسياسة الحرب وقادة النَّاس إن

أمعن بهم اللّجاج وأفرطت بهم الدالّة ؟ !

قال صالح بن علىّ

لسنا نبلغ أيّها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينفضّ عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تقلّده حربك وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثّقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النّقيبة مبارك العزيمة مخبور التّجارب محمود العواقب ، معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولا يقف نظرك على أحد تولّيه أمرك وتسند اليه ثغرك الاّ أراك الله ماتحبّ وجمع لك منه ماتريد

قال المهدى : انى لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه ، ولكن أحبّ الموافقة على الرّأى والاعتبار للمشاورة فى الأمر المهم .

قال محمد بن الليث :

أهل خراسان أيها المهدى ، قوم ذوو عزّة ومنعة وشياطين خدعة ، زروع الحميّة فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالرّويّة عنهم عازبة والعجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عذلهم . لانهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم . وبين رؤساء لا يلجمون الاّ بشدّة ، ولا يفطمون إلاّ بالمرّ وان ولّى المهدى عليهم وضيعاً لم تنقد له العظماء ، وان ولّى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وان أخّر المهدى أمرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمّه أو بنى أبيه ، ناصحاً يتّفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ولا حميّة تدخلهم ولا مصيبة تنفرهم ، تنفّست الايّام بهم وتراخت الحال بأمرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير والضّياع العظيم مالا يتلافاه صاحب

هذه الصفة وان جدَّ ، ولا يَستَصْلحهُ وان جهَد ، إلا بعد دَهْرٍ طويل ، وشرٌّ كبير. ولَيس المهدى وفَّقه اللهُ فاطماعاداتهم ولا قارعاً صفاتهم بمثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهماولا عدَل فى ذلك بهما : أحَدهما لسانٌ ناطقٍ موصول بسَمعك ويَدٌ ممثّلة لِعينك وصخْرة لا تُزعزع وبُهمة لا تُثنْى ، وبازلٌ لا يفزِعه صوتُ الجلْجلُ ، نقىٌّ العرْض نزِيه النَّفس جَليل الخطر ، قد اتّضعتْ الدُّنيا عن قدره ، وسَما نحو الآخرة بهمَّته فَجعل الغرَض الأقصى لِعينْه نُصْبا ، والغرَض الأدْنى لِقدَمه موْطئاً ، فليس يَقبَل عملا ، ولا يتعدَّى أملاً وهو رأس مَواليك وأنْصح بَنى أبيك . رجل قد غُذّى بلطيف كرامتك ونَبت فى ظلّ دولتك ونَشأَ على قوائم أدَبك فان قلَّدْته أمْرَهم وحمَّلْته ثِقْلَهم وأسْندت اليه ثَغْرهم ، كان قفْلاً فتَحه أمرُك وباباً أغْلقه نَهْيُك ، فجعل العدْل عليه وعليهم أميراً والانصافَ بينَه وبينهم حاكماً ، واذا حكم الْمَنْصفة وسلك المعْدَلة فاعطاهم مالهُم وأخذ منهم ماعليهم ، غرس لك فى الذى بين صدُورهم وأسْكن لك فى السُّوَيدَاء دَاخل قلوبهم ، طاعةً راسِخةَ العُروق بَاسِقة الفروع متماثِلة فى حوَاشى عوَامهِّم ، متمكِّنة من قلوب خواصهِّم ، فلا يبقى فيهم رَيْبٌ إلاَّ نَفوْه. ولا يلزَمهم حقٌّ إلاّ أدّوه ، وهذا أحدُهما . والآخرُ عُودٌ من غيضتك ، أوْ نَبعة من أرُومَتِك ، فتِيّ السِّن كهْلُ الحِلْم رَاجح العقل محمود الصَّرامة مأمُون الخِلاف. يُجرِّد فيهم سَيفَه ويَبْسط عليهم خَيْرَه بقدر مايستَحقون وعلى حسب مايستْوجبُون وهو « فُلان » . أيها المهدى — فسلّطه أعزّكَ اللهُ عليهم ، ووَجّهه بالجيوش اليهم. ولا تَمنعُكَ ضَراعة سِنِّه وَحداثة موْلده فان الحِلْم والثّقة مع الحْداثة خيْرٌ من الشّكّ، والجْهل مع الكُهولة ، وانما أحْدَاثُكم أهلَ البيت فيما طبَعكم الله عليه ، واختصَّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفَعال ومحَاسن الأمور وصواب التَّدبير وصرَامة

الانفس كفراخ عِتاق الطَّير[1] المُحكمة لأخذ الصَّيد بِلاَ تَدْريب، والعارِفة لوُجوه النفع بلا تأديب، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتُّؤَدة والرّفق ثابتٌ فى صُدُورِكم مزْرُوع فى قُلوبكم، مُستحكم لكم متكامل عندكم، بطبائعَ لازمة، وغرائز ثابتة

قال معاوية بن عبد الله:

أفتاء[2] أهل بيتك أيها المهدى فى الحلم على ما ذُكر. وأهل خُراسان فى حال عزّ على ما وُصِف — ولكن ان ولّى المهدى عليهم رجلاً ليس بقديم الذّكر فى الجنود ولا بنَبيه الصوت فى الحروب ولا بطويل التَّجرِبة للأمور، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الأعداء، دخل ذلك أمران عظيمان، وخطران مهولان أحدهما — أن الاعداء يَغتمِزونها منه ويَحتقرونها فيه ويَجترئون بها عليه فى النّهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبارِ لأمره، والتكشّفِ لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر — أن الجنود التى يقود، والجيوش التى يسوس، اذا لم يختبروا منه البأس والنَّجْدة ولم يعرفوه بالصِّيت والهَيْبَة انكسرت شجاعتهم ومَاتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم، إلى حين اختْبارهم ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار

وبباب المهدى وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيِّتٌ له نسب زاكٍ وصَوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساد الحروب وتألّف أهل خُراسان، واجتمعوا عليه بالمِقَة[3] ووثقوا به كل الثّقة، فلو ولاّه المهدى أمْرهم لكفاه الله شرّهم.

قال المهدى: جانَبْت قَصد الرَّميّة وأبيْتَ إلاّ عَصَبيّة، اذ رأيُ الحدَث من أهل بَيتنا كرأى عَشرة حُلَماء من غيرنا — ولكن أين تركتم ولىّ العهد؟

---

(١) عتاق الطير — الجوارح منها (٢) أفتاء — أصحاب القوة من الشبان جمع فتى كيتيم وأيتام (٣) المقة — المحبة

قالوا : لم يَمنَعنا من ذكره الا كونه شَبيه جَدّه ونَسيجَ وحدِه ، ومن الدّين وأهله ، بحيث يَقْصُر القول عن أدنى فضله ، ولكن وَجدْنا الله عزّوجل حَجب عن خَلْقه وَسترَدون عباده عِلمَ ما تختلف به الأيام ، ومعرفة ما تَجْرى عليه المَقادير من حوادِث الأمور ، وريب المَنون المخترِمة لخوالى القُرون ، ومَواضى المُلوك فكرهْنا شُسُوعه عن مِحلّة الملك ودار السُّلطان ، ومقرّ الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقرّ الجنود ومعدِن الجود ، وَمجمع الأموال التى جعلها الله قُطْباً لدار الملك ، ومِصْيَدة لقلوب الناس ومثَابة لأخوان الطّمع وثُوّار الفِتن ، ودواعى البِدع وفُرسان الضّلال وأبناءِ الموت — وقلنا ان وجّه المهدى ولى عَهده فحدث فى جيوشه وجنوده ماقد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدىّ أنْ يُعقِبهم بغيره إلا أن ينْهض اليهم بنفسه ، وهذا خَطر عظيم وهَوْل شديد ، إن تنفّستِ الأيام بمقامه واستدارت الحال بإمامه ، حتى يقع عِوض لايُستغنىَ عنه ، أو يحدث أمر لابدّ منه صار ما بعده مما هو أعظم هولاً ، وأجل خطراً له تبعاً ، وبه متّصلاً .

قال المهدى

الخطْب أيْسَر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تَصفونَ الأمر عليه . نحن أهل البيت نَجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ، ومحتوم من الأمر ، قد أنبأتْ به الكتب ونبّأتْ عليه الرُّسل . وقد تناهى ذلك بأجْمَعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه ندبّر وعلى الله نتوكل . انه لابدّ لولىّ عهدى ، وولى عهد عَقبى بعدى ، أن يقود الى خراسان البعوث ويتجه نحوها بالجنود ؛ أمّا الأوّل فانه يقدّم اليهم رسله ويُعمِل فيهم حيله ثم يَخْرج نشيطا اليهم حَنِقا عليهم ، يريد أن لا يَدَع أحداً من إخوان الفِتَن ودواعى البِدَع ، وفُرسان الضلال الا توطّأه بحرّ

القتل وألبسه قِناعَ القهر ، وقلّده طوق الذلّ ولا أحداً من الذين عملوا فى قصّ جناح الفتنة و إخماد نار البدْعة ونُصرة وُلاة الحقّ إلاَّ أجْرى عليهم دِيَمَ فضْله وجداول نَهله ، فاذا خرَج مزْمِعاً به مُجْمعاً عليه لم يسِرْ إلاَّ قليلاً حتى تأتيه أن قد عملَت حيلُه، وكدَحت كُتبُه ونفذَت مكايده ،فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظراً لهم وبرًّا بهم وتعطُّفا عليهم إلى عدُوّ قد أخاف سبيلهم وقطَع طريقهم ومنع حُجّاجَهم بيتَ الله الحرام ، وسَلب تُجّارَهم رِزْقَ الله الحلال ، وأمَّا الآخر ، فانه يُوجّه اليهم ثم تُعقد له الحجّة عليهم باعطاءِ ما يطلبون و بذل مايسألون ، فاذا سَمحت الفرَق بقرَاباتها له وجنَح أهل النَّواحى بأعناقِهم نَحوه ، فأصغَتْ اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوُفود قصدَ الأول ناحية نجعت بطاعتها وألقت بأزمّتها فألبسَها جَناح نِعْمته وأنزلها ظِلّ كرَامته وخصَّها بعظيم حِبائه ، ثمَّ عمَّ الجماعة بالمعدِلة وتعطّفَ عليهم بالرّحمة فلا تَبقى فيهم ناحيةٌ دانية ولافِرْقة قاصية إلا دَخلت عليها بَركته ووَصلتْ اليها منَفعته فأغنَى فقيرَها وجبرَ كسيرها ورفَع وضيعها وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتيْن : ناحية يَغلب عليها الشقاء ، وتَستميلهم الأهواء ، فتستخِفّ بِدْعوته ، وتُبطئ عن إجابته وَتتثاقَل عن حقِّه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعث وأبطأ مَنْ يُوجّه ، فيصطَلى عليها موْجِدَة ويبتغى لها علة ، لا يلْبَث أن يَجدَ بحقٍّ يلزِمُهم وأمرٍ يجب عليهم فَتستلْحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرُّ بهم القتل ويُحيط بهم الأسر ويُفنيهم التّتبّع حتى يُخرِّب البلاد ويُوتّم الأولاد . وناحيةٍ لا يَبسُط لهم أمانا ولا يَقبلُ لهم عهداً ولا يجْعل لهم ذمّة لانّهم أوّلُ من فتَح باب الفرْقة وتدَرّع جلبابَ الفتنة وربَض فى شَق العصا ، ولكنه يقتُل أعلامَهم ويأسِر قوّادهم ويطلب هُرّابهم فى لجُج البَحار

وقُلل الجبال وحميل الأوْدية و بطون الأرض تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلا حتى يدَع الدِّيار خراباً والنساء أيامَى — وهذا أمرٌ لا نعرف له فى كتُبنا وقتاً ولا نصحِّح منه غيرَ ما قلْنا تفسيراً — وأما (موسى ولىّ عهدى) فهذا أوانُ توجُّهه إلى خراسان وحلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُّخوص اليها والمقام فيها خيرٌ للمسلمين مَغبَّة وله باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتذاأب مشرق نوره ويتقلل كثير ماهو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من النَّاس ؟

قال محمد بن الليث .

أيُّها المهدى — ان ولىّ عهدك أصبح لأُمتك وأهل مِلّتك علماً قد تثنّتْ نحوه أعناقها ، ومدّتْ سَمتَه أبصارَها ، وقد كان لقُرْب داره منك ومحلِّ جوَاره لك عُطل الحال غفْل الأمر واسِعَ العُذْر ، فأما اذا انفرد بِنفسه وخلا بِنظره وصارَ إلى تدبيره ، فان من شأن العامة أن تتَفقّد مَخارج رأيه . وتَستنصِت لمواقع آثاره وتَسأل عن حوادِث أحواله فى برّه ومَرْحمتَه ، وإقساطه ومعْدلتَه ، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سَبَق اليهم أغلب الأشياء عليهم وأمْلك الأمور بهم وألزَمها لقلوبهم وأشدّها استمالةً لرأيهم وعطفا لأهوائهم فلا يفتأ المهدى وفّقه الله ناظراً له فيما يقوِّى عمدَ مملكته ، ويُسدِّد أركان ولايته ، ويستجمع رضاء أُمته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله وأفضل مَغبّة لأمره وأجلّ موقعاً فى قلوب رعيته وأحمد حالا فى نُفوس أهل ملّته ، ولا أدفع مع ذلك باستْجماع الأهواء له وأبْلغ فى استْعطاف القلوب عَليه ، مِن مَرحمة تَظْهر مِنْ فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ، ومَحبة

للخير وأهله ـ وأن يختار المهدى وفقه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مِصْر ، أقواماً تسكن العامة اليهم اذا ذُكِرُوا ، وتأنس الرَّعيةُ بهم إذا وُصفوا ثم تُسهّل لهم عِمارَة سُبُل الاحسان ، وُفتح باب المعرُوف ، كما قد كان فُتح له وسُهّل عليه .

قال المهدى : صدقت ونصحت . ثم بعث فى ابنه موسى ، فقال :

أى بُنَىّ ـ إنك قد أصبحتَ لِسَمْتِ وُجوه العامة نُصْبا ، ولمثْنَى أعطاف الرَّعيّة غايةً ، فحسَنتُك شاملة واساءتك نائيـة ، وأمرُك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سُخط الناس فيهما ، ولا تطلُبْ رِضاهُم بخلافهما . فان الله عزّ وجـل كافيكَ من أسْخَطه عليك إيثارُك رضاه ، وليس بكافيك من يُسْخطه عليك ايثارُك رِضا مَن سواه ـ ثم اعلم أن لله تعالى فى كلّ زمان فَترةً من رسله ، وبَقايا من صفْوة خلْقه وخبايا لنُصرة حقه يجدّدُ حَبل الاسلام بدعواهم ويُشيِّدُ أركان الدِّين بنصْرَتهم ويَتَّخذ لأولياء دينه أنصاراً وعلى إقامة عدْله أعْواناً ، يَسدُّون الخلل ويُقيمُون المَيَل ، ويَدْفعون عن الأرض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحُوا أيْدِى دولتنا وسيُوف دَعْوتنا ، الذين نستَدْفع المكاره بطاعتهم ، ونَستَصْرِف نزُولَ العظائم بمناصَحتهم ، ونُدافع ريبَ الزمان بعزائمهم ، ونُزاحم ركن الدَّهر ببصائرهم ، فهُم عِماد الأرض إذا أرجَف كنَفُها ، وَخوْف الأعداء إذا برزت صفحتها ، وحصون الرَّعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومَوَاطن صالحات أخمدَتْ نيرَان الفتَن وقسَمتْ دواعى البدَع وأذلّت رِقاب الجبَّارِين ، ولم ينفكُّوا كذلك ماجرَوا مع ريح دولتنا ، وأقامُوا فى ظلّ دعوَتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذاتَهم ورَفع بها ضَعتَهم ، وجعلهم بها أرْباباً فى أقطار الأرض ومُلوكا على رقاب العالمين ، بعد لباس الذُّلّ وقِناع الخوف ، وإطباق البلاء ومُحالفة الأسَى

وَجهد البأس والضَّرّ ، فظاهِرْ عليهم لِباسِ كرَامتك ، وأنزِلْهُم فى حدائق نعمتك ثم اعْرف لهم حقّ طاعتهم ، ووسيلة دالَّتهم ، وماتّة سابِقَتهم ، وحُرمة مُناصحتهم بالاحسان اليهم ، والتَّوسعة عليهم ، والإثابة لمحسنهم ، والإقالة لمُسيئهم .

أىْ بُنَىّ - ثم عليك العامّة فاستدْعِ رِضاها بالعَدْل عليها . واستجلِبْ موَدّتها بالانصاف لها ، وتحسَّن بذلك لرَبك ، وتوَثَّق به فى عين رَعيّتك ، واجعل عُمَّال العذْر وولاة الحُجج مقدَّمة بَينَ يدَىْ عملك ونَصفةً منْك لرَعيَّتك ، وذلك أن تأمر قاضىَ كلّ بَلد ، وخيار أهل كل مصر أن يَختارُوا لأنفسهم رَجلاً تُوَلّيه أمرَهمْ وتجعَل العَدْل حاكماً بينه وبَيْنهُم ، فانْ أحسَنَ حُمِدتَ ، وإنْ أساءَ عُذِرْتَ ، هؤلاءِ عُمَّال العذْر وَوُلاة الحُجَج ، فلاَ يسقُطنَّ عليك ما فى ذلك ، اذا انتشرَ فى الآفاق وَسبقَ الى الأسماع من انعقاد ألسِنة المرْجِفين وكَبْتِ قلوب الحاسدين وإطْفاء نِيرَان الحرُوب ، وسلامة عواقب الأمور . ولا يَنفكّنَّ فى ظلّ كرَامتك نازلاً وبعرُا حَبْلِك مُتعلّقا - رَجُلان : أحدُهما كريمة من كرَائم رجالات العرَب وأعلام بيُوتات الشّرَف ، له أدب فاضل وحلْم رَاجح ودِين صحيح - والآخرُ له دِين غيرُ مَغْموز ، ومَوْضع غير مَدْخول ، بصيرٌ بتَقليب الكلام وتَصريف الرّأى ، وأنحاء العرَب وَوضْع الكُتب ، عالم بحالات الحرُوب ، وتصاريف الخُطُوب ، يضَع آداباً نافعة وآثاراً باقية من مَحاسنكَ وتحسين أمرك وتحْلية ذِكرك فتَستشيرُه فى حرْبك وتُدْخلهُ فى أمْرك ، فرَجلٌ أصبته كذلك فهوَ يأوِى إلى مَحلّتى ويرْعى فى خُضرة جِنانى ، ولا تدعْ أنْ تختار لكَ من فقُهاء البُلدَان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جِيرانك وسُمَّارك ، وأهلَ مُشاورَتك فيما تُورِد ، وأصحاب مُناظرتك فيما تُصدِر فسِرْ على بركة الله - أصْحبَك الله من عوْنه وتوْفيقه دليلا يهدِى إلى الصوَاب قلبَك

وَهادياً يُنطِق بالخير لسانَكَ .

﴿ وُفودُ بكّارة الهلالية على مُعاوية ﴾

استأذنت بَكّارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان فأذِن لها ، وَهوَ يومئذ بالمدينة فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسَنَّت وَعشِيَ بصرُها ، وَضعُفت قُوَّتها ، ترْعَشُ بين خادمين لها ؛ فسلَّمت وَجلست . فرَدَّ عليها مُعاوية السَّلام . وقال : كيف أنتِ ياخالةُ ؟ فقالت : بِخير يا أمير المؤمنين . قال : غيرَّكِ الدَّهر . قالت : كذلك هو ذو غِيَرٍ ، من عاش كَبِر ، ومن مات قُبِر . فقال عمرو بن العاص : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين : —

يازيدُ دُونك فاحتفر من دارنا   سيفا حُساما فى التُّراب دفينا
قد كنتُ أذْخرُه ليوم كريهة   فاليوم أبرزه الزَّمان مصونا

قال مروَان : وهى والله القائلة يا أمير المؤمنين :—

أترى ابن هِندٍ للخلافة مالكا   هيهات ذاك وإن أراد بعيدُ
مَنَّتْك نفسك فى الخلاءِ ضلالةً   أغرَاك عمرو للشقَّا وسعيدُ

قال سعيد بن العاص : هى والله القائلة :—

قدكنت أطمع أن أموت ولا أرى   فوق المنابر من أُمَيَّة خاطباً
فالله أخَّر مُدَّتى فتطاولت   حتّى رأيت من الزّمان عجائباً
فى كل يوم لا يزال خطيبُهم   بينَ الجميع لآل أحمد عائباً

ثم سكتوا . فقالت : يامُعاوية — كلامك أعشى بصرى ، وقصَّر حُجَّتى . أنا والله قائلة ما قالوا ، وماخفى عليك منّى أكثر . فضحك معاوية وقال : لَيس يَمنَعُنا ذلك من برِّكِ . اذكُرى حاجتك . قالت : أمّا الآن فلا .

﴿ مناظرة السيف والقلم لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ ﴾

لمَّا كان السّيفُ والقلمُ عُدَّتَى العمل والقوْلِ ، وعُمدَتَىِ الدُّوَل ، فإنْ عدِمْتَهما دَولةٌ فلا حوْل . ورُكْنَىْ إسناد المُلْك المعْرِبَيْن عن المخفُوض والمرْفوع ، ومُقدّمتَى نتيجةَ الجدَل الصادر عَنْهما المحمُولُ والموْضُوعُ ، فكَّرْتُ أيهما أعظم فخراً ، وأعلى قدْراً ، فجلَستُ لهُما مجلِسَ الحكْمِ والفتْوى ، ومثَّلتهُما فى الفِكرِ حاضرَيْن للدَّعوى ، وسوَّيتُ بين الخَصمين فى الإكرام ، واستنطَقتُ لسانَ حالِهما للكلام ـ فقال القلمُ : بسمِ الله مَجراها ومُرساها ، والنَّهارِ إذا جلاَّها ، وَالليلِ إذا يَغشاها ـ أمّا بعد حَمْدِ الله بارِئ القلمِ ، ومُشرِّفه بالقَسَمِ ، وجعله أوَّل ما خلق ؛ وجمّلَ الورَق بغصْنه ، كما جمّلَ الغُصن بالورَقِ ، والصلاةِ على القائلِ جفّتِ الأقلامُ فإنَّ القلَم قصبُ السَّباقِ ، والكاتبُ بِسَبعة أقلام مِنْ طبقاتِ الكُتّاب فى السّبع الطِّباقِ ، جرَى بالقضاءِ والقدَر ، ونابَ عن اللّسان فيما نهى وأمرَ ، طالما أرْبى على البِيض والسُّمر فى ضِرابها وطعانِها . وقاتَل فى البُعد . والصَّوارِمُ فى القُرْب ملءُ أجفانِها ، وماذا يُشبهُ القلمِ فى طَاعَةَ ناسه ؟ ومشيِه لهم على أمّ رَاسه ؟! قال السَّيْف : بْسم الله الخافضِ الرَّافع ، وأنْزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع ـ أما بعد حمدِ الله الذى أنزلَ آيةَ السّيفِ ، فعظَّم بها حُرمة الجرْح وآمن خيفةَ الحيْف ، والصلاةِ على الذى نفَّذَ بالسَّيف سُطُور الطُّروس ، وخدمتْه الأقلام ماشية على الرُّؤُوس ، وعلى آله وصَحبهِ الذين أرْهفَت سيوفُهم ، وبُنِيَت بها على كسْرِ الأعْداء حُروفهم ، فانّ السّيفَ عَظِيم الدّوْلة ، شديدُ الصوْلة ، محَا أسْطارَ البلاغةِ ، وأساغ ممنُوعَ الإساغة ؛ من اعْتمدَ على غيره فى قَهْر الأعْداءِ تعِب . وكيفَ لا وَفى حدّه الحدُّ بيْن الجدّ وَاللَّعب ؟ ! فإنْ كان القلمُ شاهِدًا . فالسّيف قاضٍ ، وإن اقتربت مُجادلته بأمرٍ

مُستقبل قطعه السّيف بفعلٍ ماضٍ . به ظهر الدّين . وهو العُدّة لقمع المعتدين ، حملته دُونَ القلم يدُ نبينا ، فشرُفَ بذلك فى الأمم شرفاً بيناً ، الجنّةُ تحتَ ظلاله ، ولا سيما حينَ يُسَلُّ فترى ودْق الدّم يَخرُج من خلاله . زُيِّنتْ بزينة الكواكب سماءُ غمْده ، وصدق القائلُ « السَّيْفُ أصدقُ إنباءً من ضدّه» لا يعبثُ به الحاملُ ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل . ما هو كالقلم المُشبَّه بقومٍ عرُّوا عن لبوسهم ، ثمَّ نُكِّسوا كما قيل على رؤوسهم ، فكأنَّ السيفَ خُلقَ من ماءٍ دافق ، أو كوكبٍ راشق ، مقدَّراً فى السَّرْدِ ، فهو الجوْهرُ الفرْدُ ، لا يُشرَى كالقلم بثمنٍ بَخْسٍ، ولا يَبلى كما يَبلى القلم بسوادٍ وطَمْسٍ . كم لقائمه المُتظرِ ، من أثرٍ فى عينٍ أوعينٍ فى أثرٍ . فهو فى جِراب القوْم قوامُ الحرْب ، ولهذا جاء مطبُوع الشّكل داخلَ الضَّرْب . قال القلمُ : أَو من يَنْشأ فى الحِلْية وهو فى الخصام غيرُ مُبين ، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشِّمال، وأنا الجالس على اليَمين ؟! أنا المخصوص بالرَّأى وأنتَ المخصوص بالصَّدَى ، أنا آلةُ الحياة وأنتَ آلةُ الرّدى . ما لِنْتَ إلاَّ بعدْ دُخول السَّعير ، وما حُددت إلاَّ عن ذنبٍ كبير . أنتَ تَنفعُ فى العمرِ ساعة ، وأنا أُفنى العُمرَ فى الطَّاعةِ . أنتَ لِلرَّهَبِ ، وأنا للرَّغَب . وإذا كان بَصرُكَ حديداً فبَصرى ماءُ ذهب . أين تقليدُكَ من اجتهادى . وأينَ نَجاسةُ دَمك من تطهير مِدادى ؟. قال السَّيفُ : أمثِلك يُعيِّرُ مِثلى بالدِّماء ؟! فطالما أمرْتُ بعض فِراخى وهى السِّكين فأصبحتْ من النفّاثات فى عقَدكَ يامِسكينُ . فأخلْت من الحياة جُثمانك . وشقّت أنفْك وقطعت لسانك . ويك ! إنْ كنت للدِّيوان فحَاسِبٌ مهمومٌ ، أو للإنشاء فخادمٌ لمخدوم . أو للبليغ فساحرٌ مذمومٌ . أو للفقيه فناقص فى المعلوم . أو للشّاعر فسائلٌ محروم ، أو للشّاهد فخائفٌ مسموم . أو للمعُلِّم فللحىّ القيُّوم . وأما أنا فلى

الوجهُ الأزهرُ ، والحِلية والجوهر . والهيبةُ إذا أُشْهِرَ . والصُّعودُ على المِنبر ، شكلى الحَسَنُ علَى . ولم لأَحملك الخطبَ بدلى ، ثمَّ إنِّى مملوك كمالك . فانّك كناسك . أسلكُ الطّرائق ، وأقطعُ العلائق . قال القلمُ : أمَّا أنا فابن ماءِ السّماء . وأليف الغدير وحليف الهواء . وأمَّا أنت فابنُ النَّار والدُّخان . وناثرُ الأعمارِ وخوَّان الإخوان . تفصِلُ ما لا يُفصَلُ ، وتقطع ما أمرَ الله به أن يُوصـل ، لاجرم أنْ صَعّر السَّيفُ خدّهُ وصقلَ قفاهُ ، وسُقى ماءً حمِياً فقُطّع مِعاهُ ، يا غُرابَ البيْن ، ويا عُدَّةَ الحَيْن ، ويا مُعتلّ العَين ، ويا ذا الوَجهين ، كم أفنيت وأعدَمت ؟ وأرملتَ وأيتَمْتَ ؟

قال السَّيف : يا ابن الطِّين ، ألست ضامراً وأنت بَطين ، كم جرَيت بعكسٍ ، وتصرَّفتَ فى مكسٍ ، وزوَّرْت وحرَّفتَ ، ونكَّرْتَ وعرَّفتَ ، وسطَّرْتَ هَجواً وَشتما ، وخلَّدْت عاراً وذماًّ ، أبتِرْ بفرط رَوْعتك ، وشدَّة خيفتك ، إذا قِستَ بَياض صحيفتى بسوَاد صحيفتك ، فألِنْ خِطابَك فأنتَ قصـير المدَّة ، وأحسِنْ جوابك فعندى حِدّةٌ ، وأقلِل من غلطتِك وجهلِك ، واشتغِل عن ذَم فى وجهى بمدَّةٍ فى وجهِك ، و إلا فأدْنَى ضربةٍ منّى تروُمُ أُرومتك ، فتستأصل أصلكَ وتجتثُّ جُرثومتَك ، فَسَقياً لمَنْ غابَ لك عن غابِك ، ورَعياً لمن أهابَ بِك لسلْخ إهابك .

فلمَّا رأى القلمُ السَّيفَ قدِ احتَدَّ ، ألانَ له من خطابهِ ما اشتدَّ ، وقال : أمَّا الأدُب فيؤخذُ عنّى ، وأمَّا اللّطف فيكتسب منّى ، فان لِنتَ لنتُ ، وإنْ أحسَنت أحسَنت ، نحن أهلَ السَّمع والطَّاعة ، ولهذا نُجمَع فى الدَّواةِ الواحدةِ منَّا جماعة ، وأمّا أنتم فأهل الحِدَّة والخلاف ، ولهذا لم يجمعوا بين سيفين فى غلافٍ . قال السيف : أمكْراً ودَعوى عِفّةٍ ، لأمرٍ مّا جَدع قصيرٌ أنفه ـ لو كنتَ كما زَعمتَ ذا أدبٍ ،

لَمَا قابلتَ رأس الكاتب بعقدة الذَّنَب ، أنا ذُو الصِّيت والصَّوت ، وغِرارَىّ لسان مَشْرَفىّ يَرْتجل غرائب المَوْت . أنا من مارجٍ من نارٍ ، والقلم من صَلْصالٍ كالفَخَّار . وإذا زَعم القلم أنّه مِثلى ، أمرت من يَدق رأسه بنعلى . قال القلم : صَهْ فصاحب السَّيف بلاسعادةٍ كأعزلَ . قال السيفُ : مَهْ فقلم البليغ بغير حظ مِغزَل ، قال القلم : أنا أَزكى وأطهر ، قال السيف : أنا أبهى وأبهر . فتلاَ ذُو القلم لقلمه : إنّا أعطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، وتلاَ صاحب السَّيْف لسيفه : فَصلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر . فتلا ذو القلم لقامه : إن شَانِئَكَ هوَ الأَبتر ، قال : أمَا وكِتَابى المسطور ، وبيتى المعمور ، والتوراة والانجيل ، والقُرآن ذى التّبجيل ، إن لم تكفّ عنّى غَرْبك ، وتُبعد منّى قُرْبك ، لأكْتبنّكَ منَ الصُّم البُكم ، ولأسَطّرَنَّ عليك بِقَلمى سِجِلاً بهذا الحكم . قال السَّيْف : أمَا وَمَتْنِى المتَين ، وفتحى المُبين ، ولسانَىَّ الرَّطبين ، وَوَجْهى الصُّلبين ، إنْ لم تَغب عنْ بياضى بسوادك ، لأُسَخّنّ وجهك بمدادك ، ولقد كسبتَ من الأسد فى الغابة ، توقيع العين والصّلاَبة ، مع أنِّى ما ألوتُكَ نصحاً ، أفنضرب عنكم الذِّكرَ صفحاً ؟ قال القلم : سَلّم إلىّ مع مَنْ سلّم ، إن كنت أعلى فأنا أعلم ، وإن كنت أحلى فأنا أحلم ، وإن كنت أقوى فأنا أقوم ، أو كنت ألوى فأنا ألوم ، أو كنت أطرى فأنا أطربُ . أو كنتَ أغلى فأنا أغلب . أو كنت أعتَى فأنَا أعتب أو كنتَ أقْضى فأنا أقضب . قال السَّيْف : كيفَ لا أفضُلك ، والمقرُّ الفُلانىُّ شادٌّ أزرِى . قال القلم : كيف لا أفْضُلك وهو (عزَّ نَصرُه) ولىّ أمرى ؟ !

قال الحكَمُ بين السيْف والقلم : فلما رأيتُ الحجّتْين ناهضَتين . والبيِّنَتْين بَيِّنَتَين مُتعارَضتين . وَعلمتُ أنّ لكلّ وَاحدٍ مِنهما نسبةً صحيحةً ، إلى هذا المقرّ الكريم . وروايةً مُسْندةً عن حديثه القديم ، لَطُفتُ الوَسيلَة ، ودَقّقت الحيلة ،

حتى رَددْتُ القلمَ إلى كِنه ، وأغمدْتُ السَّيفَ فنام ملء جَفْنه ، وأخَّرت بَينهما التَّرجيحَ ، وسَكَتُّ عمَّا هو عندى الصَّحيح ، إلى أن يَحكم المقرُّ بينهما بعلمه ، ويُسكِّنَ سَوْرَةَ غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حلمه .

﴿ مناظرة للآمدِى بين صاحب أبى تمَّام ـ وصاحب البُحتُرى ﴾

صاحب أبى تمَّام : كيف يَجُوز لقائل أن يَقول : إنَّ البُحتُرىّ أشعرُ من أبى تمَّام ؟ وعن أبى تمَّام أخذَ ، وعلى حَذْوِه احتذَى ، ومن معانيه اسْتقَى ! حتى قِيل الطَّائىّ الأكبر ـ والطَّائى الأصغر !

صاحب البُحتُرى : أمَّا الصّحبة له فما صَحبه ولا تَتلمذَ له ، ولا روَى ذلك أحد عنه ولا نَقله ، ولا رَأى قَطّ أنه محتاج إليه ، ودَليل ذلك الخبر المستفيض من اجْتِماعهما وتعارفهما عند (أبى سعيد محمد بن يوسف الثَّغرى) وقد دَخل عليه البحترى بقصيدته التى أوّلها « أأفاقَ صبّ من هوى فأفيقا » وأبو تمّام حاضرٌ . فلما أنشدها علَقَ أبو تمَّام منها أبياتاً كثيرة . فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمَّام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ماظننت أن أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى ، ويُنشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع يُنْشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة مِن القصيدة : فبُهت البحترى ، ورَأى أبو تمَّام الإنكار فى وجه (أبى سعيد) فحينئذ قال له أبو تمَّام : أيها الأمير والله ما الشِّعر إلاّ له ، وإنه أحسن فيه الإحسان كلّه . وأقبل يُقرّظه ويَصِف معانيه ويذكر محاسنه ، ولم يقنع من (محمد بن يوسف) حتى ضاعَفَ له الجائزة .

فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يَعرِف أبا تمّام جديرٌ به أن يستغنِيَ عن أن يَصحبه أو يتتلمذ له أو لغيره من الشّعراء.

على أننى لا أنكر أنه اسْتَعار بعض معانى أبى تمّام ، لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحترى من شعره . وليس ذلك بمقتضٍ أنْ يَكُون أبو تمّام أستاذ البُحترى ، ولا بمانع أنْ يكون البُحترى أشْعر من أبى تمّام . فهذا « كُثَيِّر » قد أخذ من « جميل » واستقى من معانيه ، فما رأينا أنَّ أحداً قال إنَّ « جميلاً » أشعرُ منهُ ، بل هو عند أهل العِلْم بالشّعر والرّواية أشعرُ من جميل .

صاحب أبى تمَّام : إنَّ البُحترى نفسه يَعْتَرف أن أبا تمَّام أشعرُ مِنهُ .

فقد سئُل عنهُ وعن أبى تمَّام فقال : إنّ جَيِّده خيرٌ من جَيِّدِى ، وَجيِّدُ أبى تمّام كثيرٌ . صاحب البُحترى : إنْ كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبُحترى لا عليه لأنّ قوله هذا يدلّ على أنَّ شعر أبى تمّام كثير الاختلاف ، وشعرَه شديد الإستواء : والمُستوِىّ الشِّعر أولى بالتَّقدمة من المُختلِف الشِّعرِ ، وقد اجْتَمعنا نحن وأنتم على أنّ أبا تمّام يعلو علواً حسناً ، وينحطُّ انحطاطاً قبيحاً ، وأنّ البُحترى يعلو بتوّسط ولا يسقط .

ومن لا يسقط ولا يُسِفّ أفضل ممن يَسْقُط ويُسِفّ .

صاحب أبى تمَّام : إنَّ أباتمّام انْفرَد بمذهبٍ اخترعه ، وَصار فيه أوّلا ، وإماماً متبوعاً ، وشُهِر به ، حتّى قِيل هذا مذْهبُ أبى تمَّام ، وطريقة أبى تمّام .

وَسلَكَ الناس نَهْجه ، واقتَفَوْا أثرَه ، وهى فضيلة عَرِى عن مثلها البُحترى .

صاحب البُحترى : ليس الأمر على ما وصفتَ ، وليس أبو تمّام صاحبَ هذا المذهب ، ولا بأوّل فيه ولا سابق اليه ، بل سَلكَ فيه سبيلَ مُسْلِم بن الوليد ، واحتَذَى حَذْوَهُ ، وأفْرَط فى ذلك وأسرف ، حتى زالَ عن النَّهج المعروف ، والسنَن المألوف .

بل إن مُسلماً غيرُ مبتَدع ، ولكنَّه رَأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسمُ

البديع متفرقة فى أشعار المتقدمين فقصدَها ، وأكْثَرَ فى شعره منها . ولكنه حَرَص على أنْ يَضعها فى مواضعها ، ولم يَسلم مع ذلك من الطَّعن عليه ، حتى قِيل إنّه أوّل من أفسد الشعر . فَجاء أبو تمّام على أثره واستَحسن مذهبه ، وأحبَّ أن يجعل كل بيتٍ من شعره غير خال من هذه الأصناف ، فَسلَك طريقاً وعراً واستكْره الألفاظ والمعَانى استِكراهاً ، ففَسد شعره وذَهَبت طلاوته ونَشِف ماؤه ـ فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تَمّام لهذا المذهب وسبقه اليه — وكلُّ مافى المسألة أنه استكثر منهُ وأفْرط ، فكان إفراطهُ فيه من أعظم ذُنوبه ، وأكبر عيوبه .

أما البحترى : فإنّه ما فَارق عمود الشّعر ، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء فى شعره من الاستعارة والتّجنيس والمُطابقة ، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللّفظ وصحّة المعنى والبُعد عن التّكلّف والتّعمّل سبباً فى إجماع الناس على استِحسان شعره واستجادته وتداوله ، ونَفاقُ شعر الشّاعر دليلٌ على علوّ مكانتِه ، واضطلاعه بما يلائم الأذواق ، ويُلامس القلوب ، من أساليب الكلام ومناهجه

صاحب أبى تَمَّام : إنَّما أعرَضَ عن شعر أبى تمَّام مَنْ لم يفْهمه لدِقّة معانيه وقُصور فهمه عنه — أما النُّقّاد والعلماء فقد فَهِموه وعَرَفوا قدره ، واذا عرفت هذه الطّبقة فضيلته لم يضُرّه طعْن مَن طعنَ بعدها عليه .

صاحب البُحتُرى : لايستطيع أحدٌ أن يُنكِر منزلة ابن الأعرابى ، وأحمد بن يحيى الشّيبانى ، ودُعبل بن الخزَاعى من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب

وقد علمتم مذهَبهم فى أبى تمَّام وازدِرائهم بشعره حتى قال دُعبل إن ثُلث شِعره محال[1] وثُلثه مسروق وثُلثه صالح ، وقال : ماجعَل الله أباتمّام من الشّعراء : بل شعره

(١) المحال — الفاسد

بالخُطب والكلام المنثور أشبه منه بالشعر ـ وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمّام: إنْ كان هذا شعراً فكلام العرب باطلٌ. وهذا محمد بن يزيد المبَرِّد: ما علمناه دُوِّنَ له كبير شىء.

صاحب أبى تمام، إن دُعبلاً كانَ يشنأ أبا تمّام ويَحسده على ماهو معروف ومشهورٌ فلا يُقبل قول شاعر فى شاعر. واما ابن الأعرابى فكان شديد التّعصّب عليه لغرابة مذهبه، ولأنه كان يَرد عليه من معانيهِ مالا يفْهمه ولا يَعْلمه، فكان إذا سُئِل عن شىء منها يأنَفُ أنْ يَقُول لا أدْرِى، فَيعدِل الى الطَّعن عليه ولا مانع أن يكون جميع من تَذْكرونه على هذا القياس.

صاحب البُحترى: لاعَيْب على ابن الأعرابى فى طعنِه على شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المُخرِجة للكلام الى الخطأ والأحالة، والعيبُ فى ذلك يَلْحق أبا تمّام إذا عدل عن المحجّة إلى طريقة يَجْهلها ابن الإعرابى وأمثاله من المضطلعين بالسَّليقة العربية.

صاحب أبى تمام: إنَّ العلم فى شعر أبى تمَّام، أظهرُ منه فى شعر البُحترى والشاعر العالم، أفضل من الشاعر غير العالم.

صاحب البحترى: كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً، وكان الأصمَعِى شاعراً عالماً، وكان الكِسائِى كذلك، وكان خلَف بن حيَّان الأحمر أشعرَ العلماء، ومابلغ بهم العلم طبقةَ من كان فى زمانهم من الشُّعراء غير العلماء. والتّجويد فى الشّعر ليست علّته العلم — والشّائع المشهور أنَّ شعْر العلماء دُون شعر الشعراء، وقد كان أبو تمّام يعمل على أن يدلَّ فى شعره على علمه باللغة وكلام العرب.

أما البُحترى: فلم يَقْصد هذا ولا اعتَمده، ولا كان يعدّه فضيلة ولاَ يراه علماً

بَل كان يَرَى أنه شاعر، لابدّ له أن يقرّب شعرَه من فهم سامعه ، فلا يأتى بالغريب الا أن يتّفق له فى اللّفظة بعد اللّفظة فى موضعه ، من غير طلبٍ له ولا حرص عليه. على أن هذا العلم الذى تُؤْثرون به أبا تمّام لم ينفَعْهُ ، فقد كان يَلحن فى شعره لحناً يَضيقُ العذرُ فيه، ولا يَجد المتأوّل له مخرجاً منهُ ، إلاَّ بالحيلة والتحمّل الشديد .

صاحب أبى تمَّام : لسنا نُنكر أن يكون صاحبُنا قد وَهم فى بعض شعره ، وعَدَل عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه ، وغير غريب على فكر نَتَج من المحاسنِ ما نَتَجَ ، وولَدَ من البَدائع ما ولَد ، أن يَلحقَه الكلال فى الأوقات والزلَلُ فى الأحيان. بل من الواجب لمن أحْسَنَ إحسانَهُ أن يُسامَحَ فى سهوه ، ويُتجاوزَ لَهُ عن خطائه. وما رَأينَا أحداً من شعراءِ الجاهلية سلِمَ من الطّعن ، ولا من أخْذ الرُّواة عليه الغلطَ والعيب ، وكذلك ما أخذَتهُ الرُّواة على المُحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ . واللّحن أشْهَرُ مِن أنْ يَحتاج الى أن نُبَرهنهُ أو ندلّ عليهِ ، وما كان أحدٌ من أولئك وهؤلاء بمجهول الحقّ ولا بمجحود الفضل ، بل عفا إحسانهم عن إساءتهم، وتجويدهم عن تقصيرهم .

صاحب البُحترى : أما أخْذ السَّهو والغلط على من أُخِذَ عليهم من المتقدّمين والمتأخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة — أما أبو تمّام فلا تكاد تَخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات ، يكون فيها مفسداً أو مُحيلاً أو عادلاً عن السّنن أو مستعيراً استعارةً قَبيحةً ، أو مخطئاً للمعنى بطلب الطّباق والتَّجنيس ، أو مبهماً بسوء العبارة والتَّعقيد ، حتى لايُفهم ولا يُوجَد له مخرج .

صاحب أبى تمَّام : إنكم تُنكِرُون على أبى تمام من الفضل مايَعتَرِف به البُحترى نفسه ، فقد رَثَاه بعد موته رِثاءً اعْترَف فيهِ له بالسّبق ، وفَضّله على شعراء عصره.

صاحب البحترى : لم لا يفعل البحترى ذلك ؟ وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين ، وأخوين متصافيين ، يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ، فليس بمنكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ، ويصفه بأحسن ما فيه ، وينحله ما ليس فيه ، على أن الميت خاصة يعطى فى تأبينه من التقريظ والوصف وجميل الذكر أضعاف ما كان يستحقه .

صاحب أبى تمام : كيفما كان الأمر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرواة والعلماء ، أن جيد أبى تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، وإذا كان جيده بهذه المكانة وكان من الممكن اغفال رديئه واطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب فى أنه أشعر شعراء عصره ، والبحترى واحد منهم .

صاحب البحترى : إنما صار جيد أبى تمام موصوفاً ومذكوراً لندرته ، ووقوعه فى تضاعيف الردئ ، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه . وجيد البحترى كجيد أبى تمام ، إلا أنه يقع فى جيد مثله أو متوسط ، فلا يفاجئ النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه .

﴿ مناظرة بين الليل والنهار ـ لمحمد أفندى المبارك الجزائرى ﴾

لما أسفر النهار عن بياض الغرة ، قابله الليل بسواد الطرة ، ثم صار الهزل جداً ، واشتد النزاع بينهما جداً ، فاستنجد كل منهما أميره ، وأفشى له سره وضميره ، وإذا بالليل حمل على النهار ، فصبغ حمرة وردته بصفرة البهار ، وخطر يجر ذيول تيهه وعجبه ، مرصعاً تيجان مفاخره بدرر شهبه . ثم قال : « والليل إذا يغشى » . « إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ففتح باب المناقشة فى هذا الفصل ، وعقد أسباب المنافسة بقوله الفصل « فإن الحرب أولها كلام » ثم تنجلى

عن قتيل، أو أسير بكلام .

ولمّا بلغَ الليل غايتَه ، بَزَغ الفجر وَرَفعَ رَايتَه ، وقال إذ جال فى مُعتَرك المنايا « أنا ابن جَلاَ وَطلاَّع الثَّنايا » فتقـدَّم فى ذلك المَيدان وجلّى ، تَالياً قوله تعالى « وَٱلنَّهار إذا تجلّى » ثمَّ استوى على عرْش السَّنا والسنّاء ، وأطلع شُموس طلعتـه فى الأرْض والسماءِ ، فأعرَبَ عن غوامض الرَّقائق والحقائق ، وأغرَبَ فى نَشر ما انطوَى من الأسرار والدقائق ، وما انحدر مِن مِنبره ، حتى أيَّدَ دَعْوَى خَبرِه بِشاهِدِ مَخْبَرِه . فانتدب اليه « الليل » ومال عليـه كل الميل ، وقال : أحمَدُ من جعلنى خلوة للأحباب ، وجلوَة لعرائس العرفان ونَفائس الآداب ، وخلَقنى مَثوًى لراحة العبادِ ، ومأوًى لخاصةِ النُّسَّاك والعُبَّاد : ولله درٌّ من قال فأجاد : —

أيها اللَّيلُ طُل بغير جُناحٍ لَيسَ للعين راحةٌ فى الصباحِ
كيف لا أبغض الصّباح وفيه بانَ عَنِّى نور الوجوه الصّباح

أتَرَدَّدُ على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب ، وأتودَّد إلى أصحاب المُشاهـدة بعيون الرَّغائب ، تدُورُفى ساحتهم بدُورُ الحسن والبهاءِ ، وتدَارُ من رَاحتهم كؤوس الأنس والهناءِ ، فتُحيِّيهم نغمات السَّمَر ، وتُحْيِيهم نسمات السّحَر ، فأحيانُ وَصْلى بالتَّهانى مقُمرة ، وأفنان فَضْلى بالأمانى مُثمرة ، وَحسبى كرَامةً أنِّى للناس خيرلباس أقِيهـم بلطف الإِيناس من كل باس ، ومَن واصَلَ الإِدلاج وهجَر طيبَ الـكرَى قيل له (عند الصَّباح يَحمد القومُ السُّرَى)

وما الليلُ الا للمُجدِّ مَطيَّةٌ وَميدَانُ سَبقٍ فاستبق تبلغ المُنَى

فقتن بمعانى بيانه البـديع ، وتفنَّن فى أفانين التَّصريـع والتَّرْصيع ، ثمَّ أتمَّ خطبته بالتماس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دوَاهى الغفلة وَدَوَاعى اللّهو ، فوَثب

اليه (النّهار) وصال عليه صولة ملك قهّار، وصَعَدَ على مِنبره ثانيا، وقد أضحى التيه لعطفِهِ ثانياً. فأثنى على منْ جَلى ظلمة الحجاب، وتحلّى له باسمه النّور وتوجّه بسورة من الكتاب، وزانه بأبهى سراج وهّاج، فأوضح بسناه السّبيل والمنهاج ثم صاح: أيها الليل، هلاّ قصّرت من إعجابك الذّيل ؟! ولئن دارت رحى الحرْب واستعرّتْ نار الطّعن والضّرب، فلأسبينّ مخدّراتك، وهى عن الْوُجوه حاسرة وأنتَ تتلو يومئذ « تِلكَ إذاً كرّةٌ خاسِرَة » فما دعاك إلى حلبة المفاضلة ؟ وما دهاك حتى عرّضت بنفسك للمناضلة ؟ وهل دأبك إلاّ الخداع والمكر ؟! وترقّب الفُرْصة وأنت داخل الوكر ؟! أما حضّ القرآنُ على التعوّذ بربّ الفلَق وندب «مِنْ شرّ ماخلَق ومن شرّ غاسِقٍ إذا وقب» فبربّي يُستعاذ من شرّك؛ ويُستعانُ على صنوف صروف غدْرك، وهبْ أنّكَ تجمع المُحِبّ بالحبيب، إذا جارَ عليه الهوى وحار الطّبيب، فكم يقاسى منك فى هاجرة الهجر، ويئنّ أنين الثّكلى حتّى مطلع الفجر ؟!

يبيتُ كما باتَ السَّليمُ مُسهّدا   وفى قلبهِ نارٌ يَشبُّ لها وقدُ

فيُساهر النجوم، ويُساور الوُجوم، وقد هاجت لواعِج غرامه، وتحرّكت سواكن وجده وهيامه: فأنشد وزفيرهُ يتصعّد: —

أُقضّى نهاري بالحديثِ وبالمنى   ويَجمعنِي والهمّ باللّيل جامعُ

نهاري نهار النَّاس حتى اذا بدا   لىَ الليلُ هزّتنى إليك المضاجعُ

على أن العاشق الوالِه، يشكو منك فى جميع أحوالِه، فكم قطع آناءك بمواصلة أنينِه، متململاً منْ فرط شوقه وحنينه، فلمّا أنْ حُظِيَ بالوصال، تمثّل بقول من قال

ألليلُ إن واصلتْ كاللّيل إن هجرتْ   أشكو منَ الطول ما أشكو من القِصَرِ

ولئن افتخرتَ ببدرك الباهر الباهي ، فانما تُبارى ببعض أنوارى وتُباهي
وهل للبدر عند إشراق الشّمس من نور ؟ أو لطلعة حُسنه من خدُور البُطون ظُهور ؟!
ومن ادّعى أنك تُساوينى فى الفضل والقدْر ؟ ! أو زَعَم أنّ الشّمس تقتبس من
مشكاة البدر ؟! ومتى استمدّت الأصول منَ الفرُوع ؟ « وما أغنى الشموسَ عن
الشّموع » فبى تنجلى محاسنُ المظاهر الكونيّة ، وتتحلّى بجواهر الأعراض اللّونيّة
وأنّى يخفى حسْنى وجمالى على مُشاهد ؟ أو يفتقرُ فضلى وكمالى الى شاهد ؟ ! وعِرضى
عارٍ عن العار ، وجميعُ الحسن من ضيائى مُستَعار ؟ !

وليسَ يَصحُّ فى الأذهان شىءٌ اذا احتاج النّهار الى دليل

أما كفاكَ بيّنةً ، وزادك ذكرى وتبصرة ، قوله تعالى : « فمحوْنا آيةَ اللّيل
وجعلْنا آيةَ النّهارِ مُبصِرةَ » « وهل يستوى الأعمى والبصير ، أمْ هل تستوِى
الظُّلمات والنُّور » وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور ؟ وإن
كنتَ مَغنَى الأنس والأفراح ، تفعلَ بعقول الناس فعل الرّاح ، فهل حسبتَ أنّ
السُّكوت خيرٌ من الحركة ؟ وقد أجمع العالَم على أن « الحركة بركة » فانّ لى
بكلّ خطوةَ حظوة ، وليسَ لجوادى كبوةٌ ، ولا لصارمى نبوة ، وإنْ صرّحتَ
للّذين يَبيتُون لربّهم سُجّدًا وقياماً ، مُعرّضاً بكلّ غافلٍ لاه ، فى كلّ مجالٍ رجالٌ
لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذكرِ الله ، وأينَ من احتجب بظلماتٍ بعضُها
فوق بعض ، ممّن أضحى ينظر بعين الإعتبار فى ملكوت السّموات والأرض ؟!
وقدْ أتحفنى الله بالصّلاة الوُسطى فأوتِرُ بها صلواتى ، وشرعَ فيها الإسرار لأسرار
اختصت بها أهل جلواتى ، وكفانى شرفاً (شهرُ رمضانَ الّذى أُنزل فيه القرآن)
فمآثِرى مأثورةٌ فى القديم والحديث ، ومفاخرى منْثُورةٌ فى الكتاب والحديث

وَمحاسِنى وَاضحةٌ لأُولِى الأبصَار، وَهل تَخفَى الشّمس فى رائعة النَّهار؟! فاكفُف عن الجِدَال وَأمسِكْ، ولاتجعَل يوْمك مِثل أمْسك، وَسالِمْ مَنْ لَيْسَ لكَ عليه قُدْرَة، فقد قِيلَ «ماهَلَكَ امرُؤ عرَف قَدْرَه» أقُولُ قَوْلى هذا ـ وَأستغفرُ اللهَ من آفة العُجب وَالكِبرِياء، ولمّا انْهارَ رُكن النَّهار، إبْهارَّ (اللَّيل) وَتبرْقعَ بِالاكْفِهْرار، فَسَدّ مابَينَ الخافِقين بسوَاده، وطفِقَ يَرْمى بسِهَامجداِله فى جِلادِه وقدَّم بين نجوَاه سُورة القَدْر، آية على ما حازه من كمال الرِّفعة والقَدْر، وثنّى بقوْله تعالى: «سبحانَ الّذى أسْرَى بِعبدِهِ لَيلاً» فأشارَ إلى الحبيب حين تَجَلَّتْ لهُ قُرّة عينه ليلاً، ثم قال: سُحْقاً لكَ أيها النَّهار، فقدْ أسَّسْت بُنيانَك على شَفَا جرُفٍ هارٍ؛ تُناضِلنى ومنِّى كان انسلاخُك وَظهورك، وتُفاضلنى وبى أُرِّخَتْ أعوامُك وشهورُك ـ ألم يأنِ لك أن تخشع للذِّكر [1]؟ فتعترف لى برُتبة التَّقديم فى الذِّكر [2]، وكيف تُعيرنى بلون السَّواد؟ وهل يَقبُح السَّواد إلا فى الفؤاد؟! أو كيف تَعيبُنى بالخدَاع (والحرْبُ خُدْعة) ولَيْسَ الشّئ فى موْطنه بغرِيب ولا بِدْعة؟! أما تَشْهد العوالم من هَيْبَتى حَيارى؟ «وتَرَى النَّاس سُكارى وَمَا هُمْ بسُكَارَى» فكم أرَّقتُ [3] ملوكاً أكَاسِرَة؟ وأرقْتُ [4] دِماء أُسودٍ كاسِرَة، وكم أوْرَيتُ نار الوغى تحتَ العَجَاج؟ وَقد ازْورَّت اللّحاظ واغبرّت الفجاج. فأنا البَطل الَّذى لا يُصطلَى بناره، ولا يأخذُ منهُ الموْتور بثاره، وَافتخارُك علىَّ بِالصّلاةِ الوُسطَى، ليسَ إنصافاً منكَ وَلاقسْطا. وَهبْ أنّك انفرَدت بتلك الصّلاة الجليلة، فأين أنتَ مما أُوتيتهُ مِن الصِّلات الجزيلة؟ أمَا كان افتراض الصَّلاة فى ليلة العُروج؟! فما بالُكَ تدَّعى الإرْتقاء الى هذه البُرُوج؟!

(١) الذكر ــ القرآن (٢) الذكر ــ الشرف (٣) أرقت ــ أسهرت (٤) أرقت ـ أسلت

وما أعجبَتْنِي قطّ دعوى عَريضة ولو قام فى تصديقها ألفُ شاهدِ

وأمّا افتخارك علىَّ بِفضل شهر رمضان ، ومانزَل فيهِ مِن السَّبع المثانى والقرآن فهل صحَّ لك صيامه إلابى بدْأً وختاماً ؟! وقد تميَّزْتُ عليك بفضيلة إحيائه تهجُّدًا وقياماً . على أنى محلّ النيَّة «ونيَّة المرْء خيرٌ من عمله» لأنها بمَثابة الرّوح له ، وبها يحظى الرَّاجى ببلوغ أملهِ ، هذا : وإنِّى أتكفَّل للصَّائم بمديدِ الرَّاحة ووافر الأجر حتى يتبيَّن له الخَيْطُ الأبيَض مِن الخيْط الأسوَد من الفَجر . وكيف تفتخر بالكتاب المنزَّه فى مزَاياه عن المُشاركة ؟ واللهُ تعالى يقول فيه « إنَّا أنزلناه فى ليلة مباركة » وهلْ فى مطالع سُعودك أشرَقت بدُور العيدين ؟! أم على جنَاح جنْحك أُسْرِىَ بنور طلعة الكوْنين ؟! ثمَّ عُرجَ بهِ عليه الصلاةُ والسَّلامُ إلى منْزلة قَاب قوْسيْن . وهل فى تجليّات أسحارك يقول الربّ : هل من سائل ؟ فيُناجيه العَبد مُتضرِّعا اليه بقلب خاشع ودمع سائل ؟

وممّا اختصصتُ بهِ من الفضائل والمفاخر ، أنَّه فى دولتى وُلدَ سيِّد الأوائل والأواخرِ . وناهيك بِليالى شهر الله رَجب ، وكيفَ لاوفى طالِعها السَّعيد حملت آمنة بسيِّد العَجم والعَرب .

فَطلَع (النَّهار) طُلوع الأسَد من غابه ، وكسَّر جُيوش الدُّجى حينَ كشَّر عَنْ نابه ، وشمَّر لِلحرب العَوان ، غيرَ ناكلٍ ولا وانٍ ، ناشراً فى الأُفق رَايته البيْضاء وأسِنَّته لامعة بين الخضْراء والغبْراء ، وقال : والذى كسانى حُلَل الملاحة ، وأطْلَق لِسانى بالبلاغة والفَصاحة ، لأمْحوَنَّ سُطور الدُّجى من طُروس الوجود ، ولأُثبِتَنَّ حسن أحوالى فى مقَامات أهل الشُّهود ، فإنِّى معروفٌ بالوفاءِ وصدْق الخبر ، موصوف بالصَّفاءِ الذِى لا يَشُوب صفوه كدَر ، كيفَ يُباهِينى (اللَّيل) بمكارم الأخلاق ومحاسن

الشيِّم ، وأنا أتحدَّث بنعم الله وهو موسوم بكفران النعم ؟ ألستُ مظهرَ الهداية والدّلالة ، وهو مظهر الغواية والضّلالة ؟! فكم أرشدت مَن أضلّه ، وأعززت من أهانه وأذلّه ، وكم أظهرت منه عيباً كان غيباً ، فابيضّت عينه حزناً «واشتعل الرأس شيبا»

وَمن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه مالا يرى

وكيف يزعم هذا العبد الآبق ، أنه لسيّده فى حلبة الشرف سابق ، وقد قال الواحد القهّار . « ولا الليل سابق النهار » إن هو وأيم الله إلاّ كافر ، وبشموس أنوار الشّهادة غير ظافر ، لو كان من السُّعداء لفاز بدار النعيم ، ولولا شقاؤه لما شابهُ سواد طبقات الجحيم ، وماذا يؤمّله من الجزاء ويرجوه « يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه» أما درى أنَّ صحيفته سوداء مظلمة ، وصحيفتى تفصح عن نفس مؤمنة بالله مسلمة ؟ ! وأنّى يرقى كتابه إلى عليِّين ، وهو من ظلمات الحجاب فى سجِّين ؟!

ثمَّ أقبل عليه ، وأنشد مشيراً إليه : —

يا مشبهاً فى فعله لونه   لم تعدُ ما أوجبت القسمة
خُلقك من خَلقك مستخرجٌ   والظُّلم مشتقٌّ من الظلمة

وقال : كيف تدَّعى فوق حالك ؟ وأىُّ فضل لمن منظرة أسود حالك ؟ !

أما علمتَ أنّ الظَّاهر للباطن عنوان ، كما أن اللّسان عن الجنان ترجمان :

قال أفضل الخلق : ﷺ « ابتغوا الخير عند حسان الوجوه » وقال الشاعر :—

لا تسأل المرء عن خلائقه   فى وجهه شاهدٌ من الخبر

فأنا مفتاح خزائن الأرزاق ، وبى يستفتح باب الكريم الرّزّاق ، وكفانى دليلاً على الفضل والكمال « إنّ الله تعالى جميل يحبُّ الجمال» لقد سمعتُ أقاويلك التى قدّمتها بين يديك ، وزعمتَ أنَّها حجّة عليك ، ولا جرم أنّ لسان الجاهل

مِفتاحُ حتْفه . وكم مِنْ باغٍ قُتل بصارِم بَغْيه وحَيفه — أمَا انسلاخى منكَ فمن أملَح المُلح لى وَالغرَر ، وهلْ يحقّ لأصناف الأصداف أنْ تُنافِس نَفائس الدُّرَر؟ أليست « تَلِدُ الأمَةُ رَبّتها حرّة نجيبة » وقد قالوا : « إنّ اللَّيالى حبَالَى يلِدْن كلّ عجيبة » ، وأمَّا تَقدُّمك علىّ فمِنَ العادة تقدُّم الخدَم بينَ يدِى السَّادة .

أوْ ما ترَى أنّ النَّبيّ محمّداً فاقَ البرِيّة وَهو آخرُ مُرْسَل

علَى أنّه « أوّلُ ماخلقَ الله النُّورَ » كما وَرَد عن جابر فى خبره المأثور .

وأمّا تَحلّى صفوَتك بتحلّى الحقّ تعالى فى السَّحرَ ، فلَيس إلا لمن أحْيا أحيانك بالمُجاهدة والسَّهر ، وأمَّا زَهوُك بقِصةِ ظُهور سيد ولد آدم ، الذى هو نتيجة مقدِّمات الكون وَزُبدَةُ العالَم ، فهل وَقع اتّفاقُ الرّواة على ذلك ؟ ! وَأنّى لكَ هذا ، وَصُبْح طَلعته يمحو سَوادك الحالك ، وَأمَّا خبرُ الإسراء فعنّى رَوته الأُمّة[1] ثم بلّغه الشاهد للغائب بعد أُمّة[2] ، فما لاَحت أسرَاره إلا بمطالعى ، ولا رَاحت أستاره إلا بطوالعى . وما أَشرْتَ اليه من بقيّة معانيك التى أضاءتْ بها فى الخافقين نجومُ معاليك ، فأنت أين من يوْم عرَفه ، الذى عرَفه بأبْهى الخصائص مَن عرَفه ؟! وأين أنت من يوم عاشوراء ، الذى يَعظُم فيه الشكر وَالصّبر على السَّراءِ والضرَّاء ؟ ! وناهيك بسُموّشأن العيدَين ، فما أجلّهما من موسمين سعيدين ، وكيف تُفاخرِنى بساعة تبدو منك مرّة فى كلّ عام ، ولى فى كل أسبوع أمدٌ تمتدّ فيه موائد الجُود والإنعام فأخبارُ أخيارى سارَت بها الرّكبان ، وَماسَت بِنسيم رِقَّتها معاطف البيان ، وقَدرى فوق ماتصِفُه الألسُن ، وعندى « مَا تَشْتَهِيه الأنفُس وتلَذ الأعْيُن » فدَعْ عنك قول الزّور والمَيْنِ « فقد بيّن الصبح لذى عينين »

(١) الأمة — اهل الدين (٢) الأمة — الحين من الدهر — أى مدة — أو وقت

ولمَّا أفاض (النَّهار) فى حـديث يَفْضَح الأزْهار، أبدَع فى كِنايته وتلويحه وأعرَب فى تعرِيضه وتصرِيحه ـ ابتدَرَ اليه (الليل) وأجْلبَ عليه بالرَّجل والخيل وامتطى جواده الأدهم، واعتمّ بعمامة سوْدَاء وتَلَثَّم، فأنسَى بفَتَكاته عَنْتَرة بَنى عَبس، حِينَ أمْسَى يتوعَد عمارةَ بالقتل والرَّمس، ثم نشرَ فى الأُفق ذوائبه السُّود وعبَسَ وبَسر فأسرَ بسَطوته الأسود، وقال: «فلاَ أُقسِمُ بِالشَّفَقِ، والليْـل وَما وَسَق، وٱلْقَمرِ إذا ٱتَّسَق» لأسبِيَنَّ رُوميّ النَّهار، ولأجعلنّهُ عِبرة لذوِى الاعتبار فلقَدْ تَزَيَّى المملُوكُ بِزىِّ الملوك، وادَّعى مقام الوُصُول الى صاحب السّيْرِ والسلوك أَمَا كفاه ازْدِرائى وتحقيرِى؟! حتى حكم بتضليلى وتـكْفيرى؟! كَم أسبَلتُ على عَوْراته ذيلَ سِترى، وهو لا يُبالى بهتك أستارى؟! وكم أوْدَعتُ مكنُون سِرِّه فى خزَانة سرِّى، وهو يبُوح بمصون أسرارى؟! أفٍّ له من فاضح، أمَا يـكْفيه ما فيه من المفاضح؟!

أنَمّ بما ٱستوْدَعتَهُ من زُجاجةٍ ... يُرى الشَّىء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

كيف احتَجَّ لتقدّمه بحديث جابر؟ مع أن مارَواه لِكِسْرِى أعْظمُ جابر، فإنه برهنَ عَلَى تقدّمى عليه، لو أدْرَكَ سِرّ ماأوْمأ اليه، وعلاَم جَعل السّواد عَلَى النَّقص علامة؟ وهو مُشْتَقٌّ من السُّؤْدَد لدَى كلّ علاَّمة؟! أما دَرى أنّى حزْتُ من الكمال الحظّ الأوْفر؟ حتى تحلّى ببديع وَصفى العَنْبَرُ والمسكُ الأزفر؟!

إن كنتُ عبْدًا فنفسى حُرّة كرَماً ... أو أسوَد الخَلْق إنّى أبيض الخُلق

وهل يُزْرَى بالخال سواده البارع؟! أو يُغرى بالبرَص بياضه النّاصع؟! وفى بياض المشيب عبرَة وأىّ عبرَة، فـكم أجرى من الآماق أعظم عَبرة.

لهُ منظرٌ فى العين أبيضُ ناصع ... ولـكنَّه فى القلب أسود أسفَعُ

ومَن عاب نعْتَ الشَّباب، وفضَّل وصفَ الشَّيب؛ فقد غاب عن شهود العَيب وعالَم الغيب، «فما كلّ بيضاء شَحْمة ولا كل حَمْرَاء لحمة» ولمَّا أنْهى مقالَه، ومَلّ مقامه شمَّر للرّحلة أذْياله، وقَوّض خيامه، فتهلَّلَ وجه الصَّباح، وهلّل بذكر فالق الإصباح وازْدهاه السّرُور والابتهاج، كأنّه ربّ السَّرير والتَّاج.

فكأنّ الصُّبْح لمّا لاَح من تحت الثُّريَّا
مَلكٌ أقبَل فى التّاج يُفدّى ويُحيَّا

وَبرزَ إلى المُبارزَة من بابها، إذ كان من فرسانها وأرْبابها، فسلب (اللَّيل) لباسَه، وأذاقه شِدّته وبأسه، وقال له: أيها المعجِبُ بنفسه، المغرب فى نقْشه صحيفة زُوره بنِقسه[1] «ما كلّ سوْداءَ تَمْرَة، ولا كل صَهْباءَ خَمْرَة» ألم تعلم أنّنا أبْهى مُحيّا، وشتَّان ما بين الثّرَى والثُّريَّا. أين سَوادك من بَياضِى؟! وما زهر نجمك إن تتلألأ زهر رِياضى؟! وكم أطلعت بُدوراً فى مواكب السّيارة، فأضحت تزهو بجمالها على الكواكب السّيارة، وهل لك مثل الغزالة؟ التى انفَردت فى الملاحة لامحالة؟! فأنا الذى ضاء صباح الصَّباحة من مُحيَّاه، وضاعَ عبير العنبر من نشر أنفاسِه وطيب رَيّاه، ولَوْلاَى ما عُرِف الحسن والجمال، ولا سعَى على وجه الأرض بدر الكمال: فَوَجَم (الليل) لبراعة تلك العبارة، وبلاغة مالاح له من الرَّمز والإشارة ثمّ وثبَ للمقال، كأنّما أُنشِط من عِقال، وقال: «رُبّ ملوم لاذنب له» ومظلوم خيَّب الدّهر أمله، فإلى متى يسوءنى النّهار؟ وحتى مَ يسومنى عذاب النار؟ طالما أعرته أُذُناً صمّاء، وعيناً عمياء، وهو لا يَنثنِى عن المقابلة. ولا يرْعوى عن المُحاربة والمُقاتلة، أمَا تعلم أيُّها المُغترّ ببياضك أن السَّوادِ حلية أهل الزُّهد والصّلاح؟ وهل

---

(١) النقس — ما يكتب به. من مادة يريد سواده

يسترقُّ الأسود إلا سُود أحداق المِلاح ؟ ! بَيْدَ أنّ الحرّ لا يُبالى بالجمال الظّاهر وإنّما يباهى بالفعل الجميل والقلْب الطّاهر ، فإنّ تفاوُت المراتب ، بحسَب تفاوُت المناقب

وما الحسن فى وجه الفتى شرفٌ له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وكم أعددت للأُنس مقاعد ؛ وفى الأمثال : « ربّ ساعٍ لقاعد » فإنّ ظِلّى ظليل ، ونسيمى عليلٌ بليل . تَهْدأ بى الأنفاس ، وتَسْكُن الأعضاء والحواسّ

فقام (النّهار) يَعثُر فى ذَيْله ، وقد كفكَفَ وَاكِف سَيْلِهِ ، فما لَبِث أن تنفس الصَّباح ، وأظهر مِن سَناه ما أخفى ضوء المصباح ، وَرفرَف بجناحِهِ الأبيضِ على الدُّجى . فاقْتنَصه من وكره بعد ماسكن وسَجا .

فكأنَّ الصَّباح فى الأفْق بازٌ وَالدُّجى بين مِخْلَبيْه غُراب

وقال تبًّا لك أيها (الَّليل) فلقد أُتيتَ مَنَ المَيْن أوْفرَ نَيل ، أىُّ حديث لك صحيح وضعتُه ؟ وأىّ حقّ لك صريح أضعْتُه ؟ !

عليك بالصِّدق ولو أنّه أحرقَكَ الصّدْق بنار الوعيد

وابْغ رضا الله فأغْبىَ الورَى من أسخط المولْى وأرْضى العَبيد

نعم لك فى السّمر خبرٌ مرفوع ، بيدَ أنه مكروه فى السُّنّة موضوع ، قد اشتهرتَ لكن بأقبح الأوصاف ، وعدلْتَ لكن عن سبيل العدْل والإنصاف ، تكتم عن المرء ما يُرْدِيه « وتُخفِي فى نفسك ما الله مبديه » وفى المثل : « الليل أخْفى للويل » فما أصْعَبَ مرَاسك قبل افْترار سُهيل . وهل يترنَّم بذكرك إلاّ غافل ؟ ! وأنَّى يغترُّ بك عاقلٌ ونجمكَ آفل ؟ ! وكيفَ تفتخر علىّ ، وأنت تَفْتَقر إلىّ ؟ !

ولمّا سلَب النهار بأساليب بيانه العقُول ، وسكت الليل مَليًّا ثم أنشأ يقول : —

فعين الرِّضا عن كلّ عيب كَليلةٌ كما أنّ عينَ السُّخْط تُبدِى المساويا

كيفَ أتصدّى للكذب ، وأتردّى باللهو واللعب ؟ ! وأنا المنعوت باللُّطف والظَّرف والموسوم بالصمت وغضٍّ الطرْف ، كيفَ أُورث الغرور ، وأوثر الغفلة على الحضور وأنا الداعى لذكر الله وحده ، والسّاعى فى ردّ الكثرَة الوَهميَّة الى عين الوَحدَة وأنا الموْصوف بالستر الجميل ، والمعرُوفُ بشكر المعروف والجميل ، وهل أحْجُبُ البَصَر عن شهود عالَم الكثافة ؟ إلاَّ لأكشفَ لعين البصيرَة عن عالَم اللّطافة ، وبذلك يتحقّق العبدُ بفنائه عن وُجودِهِ ، فيمدُّه الربُّ تعالى بسرٍّ بقائه من خزائن جُودِهِ ، ثمّ قال (النّهار لليل) وقد هجمَ عليه هُجُوم السيل ، أيها المدَّعي مقام الدَّعْوَة الى الله ، وهو فى حال الغفلة عن موْلاه لاَه ، كيف تسنَّمْتَ ذِرْوَةَ هذا المِنْبر ؟ كأنك تكتبُ بالمسك وتختمُ بالعنبر ! لقدْ أطلتَ فيما « لا طائلِ تحتْه » ولا معنى ، فكم ذا « أسمعُ جعْجعةً ولا أرى طِحْناً » فلوْ كُنتَ ممَّن انتخب غُرَر الشِّيَم واتقَى . لاَتَّعظتَ بقوله تعالى : « فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى » فتنبَّهْ من غفلتِك أيها « الليل » قبل أن تدعو بالثُّبُور والويل ، وإلاَّ فرَّقتُ طلائعَ سَوَادِك أىّ تفريق ، ومزَّقتُ سوابغَ ظلامِك أىّ تمزيق « فما كلُّ مرّةٍ تسلَمُ الجرّة » فاسودّ وجه الليل ، وانقلبَ « بحشَفٍ وسوءِ كَيْلٍ » ونَدِم على مُناضلة النَّهار ، نَدَامة الفرزْدَق حين فارَق النوّار[1] ولمَّا سُقِطَ فى يدِه . ورُزِئَ فى عَدَدِه

---

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها فى مجلس عبد الملك بن مروان — وذلك ان الفرزدق قال فى المجلس وعند جرير — النوار طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع جرير ان ينقضه ابداً فقال عبد الملك : ما هو ؟ فقال :

فانى انا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله

فقال جرير ام حرزة طالق منه ثلاثا ان اكن نقضته وزدت عليه . فقال عبد الملك : هات فأنشد

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

فقال عبد الملك : فضلك والله ياأبا فراس ، وطلق عليك

وعدده ، تردَّى بالسَّواد ، ولبسَ ثياب الحِداد ، ثم لاح هلاله للعين ، كمِنجل صِيغَ مِنْ لجَين .

أُنظُر إلى حُسْنِ هلالٍ بدَا يَجلُو سَنا طلعته الحِنْدِسا
كَمِنْجَل قد صِيغ من فِضَّةٍ يَحْصدُ من زَهرِ الدُّجى نَرجِساً

وقالَ : مَنْ ينصفنى من هذا الجائر ؟ وينصتُ لى فأُبثّهُ شكوى الوَاله الحائر
فحتّام أعانى حَدَّ الظُّبَا ، وقد بلَغ السّيلُ الزُّبَى .

وكُنت كالمُتَمَنّى أن يرَى فَلَقاً مِنَ الصَّباح فلما أنْ رآه عمِى

فانتبهَ طرفُ (النّهار) وازْدهر سراجُه أىّ ازدِهار ، وشرَع يتلو سُورَةَ النُّور بكمال الابتهَاج ، والشَّمسُ ترْقمُ آيةَ جماله بالذّهب الوَهّاج .

وقابَل الصُّبحُ جنحَ اللَّيْل فارْتسَمتْ سُطورُه البيضُ فى ألوَاحه السُّودِ

ثمَّ قال : أيها « اللَّيل » البهيم « تَاللهِ إنّكَ لَفى ضَلاَلِكَ القْديم » كيف تدَّعِى أنّك مظلوم ؟ وتشتكِى من جوْرى وأنتَ الظَّلُوم ؟! وَهبْ أنّى قاتلْتكَ ظُلماً فأنتَ البادى ، وَهل قابلتُك إلاَّ بما واجهتَنِى به فى المبادى ؟! وَها أنا برْهنْتُ على فَضلى بشهُودٍ عدُول ، لَيس لِلمُنْصِف على تزكيَة شهادَتهم عدُول . فاستَقِلْ مِن دعوَى المجد والفخر ، فقد «حَصْحَصَ الْحَقُّ» وَوضَحَ الفَجر ، وَإنْ أبيتَ سلوكَ محجَّتِى ولمْ تَتَّضح لك أدِلَّة حُجّتى ، فهلُمّ إلى «حضرة الأمير» وَلاَ يُنبِّئُك مثل خبير .

فأنكرَ اللَّيلُ زَعمهُ التفرّدَ بالفضل وَادّعاءَهُ ، وأجابَ فى عرْض أمرِهما على (الأمير) دُعاءه ، وقال : « على الخبيرِ سقَطت ، وَعند ابن بَجْدَتها حطَطت »

﴿ وكتب أيضاً مُناظرة بين الارض والسماء ﴾

جالتِ السّماء فى ذلكَ المضمار وصالت ، ونوّهتْ برفيع قدرها وقالت ، تباركَ الَّذى

جَعل فى السّماءِ بُرُوجاً ، ومنَحَ أشرَف الخلقِ إلىّ مرُوجا ، وَقدّمَنى فى الذِّكر ، فى محكمِ الذّكر، وَشرّفنى بحُسْن القَسَم ، وَأتحفنى بأوْفرِ القِسَم ؟ وَقدّسنِي منَ النّقائصِ وَالعيُوب ، وأطلعنِي على الغوَامض والغيُوب ، وَقد وَرَد أنّ الرّبّ ينزِل إلىّ كلّ ليلة ، فيُولى مَن تعرّض لنفحَاته برّه وَنيلَه . فَيالها من تُحفةٍ جَليلة ، وَمنِحةٍ جزيلة يحقٌّ لى أن أجُرّها ذُيول العِزّة والافتخار ، وكيف لا والوجود بأسرِه بَاسطٌ إلىّ أيدىَ الذِّلة والافتقار ، فلِىَ العِزُّ البَاذخ ، والمجدُ الأثيل الشّامخُ ، لتفرّدىَ بالرِّفعة والسُّموّ ، وعُلوّ المنزلة دُون غُلوّ ، فقالت لها «الأرض» وَيْك لقد أكثرْت نزراً وارْتكبتِ بما فُهتِ به وِزراً ، أمَا إنّهُ لا يُعجَبُ بِنفسه عاقل ، ولا يأمنُ مكر رَبه إلاّ غافل ، وَمن ادّعى ماليس لهُ بقوْله أوْ فعله ، فهلاكه أقربُ إليه منْ شراك نَعله وقد قيل : « من سعادة جدّك ، وُقوفُك عند حدّك » ومن فعلَ ما شاءَ ، لقىَ ما ساء ،أو ما كفاك أنْ خَطرْت فى مَيادين التِّيه والاعجاب ؟! حتى عرّضت لشتْمى ؟ « إنّ هذَا لَشَئٌ عُجَاب » وهل اختصّك اللهُ بالذِّكر ؟ أو أقسَم بك دُونى فى الذِّكر ؟ أو آثرك بالتّقديم ، فى جميع كلامه القَديم ، حتى تردّيتِ بالكبرياء وتَعَدّيت طَورَ الحياء ؟ !

إذا لم تخشَ عاقبة اللّيالى ولم تَستَحْى فَاصنعَ ماتشاء
فلا وأبيك مافى العيش خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذهب الحياء

وكيف تَزدرِين أهلى بالذُّنوب والمعاصى ؟ وأنت تعلمين أنّ الله هو الآخذ بالنّواصى ! فقابلتها «السماء» بوجه قد قَطّبتْهُ ، ومَجنّ قد قَلّبتْهُ ، وقالت لها فى الحال: أيتها القانعةُ بالمحال ، ما كنتُ أحسبُ أنك تجترئين على مُبارزة مثلى، وتُنكرين علىّ ماترَنّمتُ به من شوَاهد مجدى وَفضلى ، وهَلْ خِلتِ أنّ التّحدُّث بالنِّعم مما يُلام عليه؟

مع أنهُ أمرٌ مَندوبٌ إليه ! وَمن أمثال ذَوى الفطنة والعقل ، « ليس من العدْل سُرْعة العذْل » وكيف جحدْتِ ظهُور شمس كمالى ؟ وهل لك من الفضائل والفواضل كمالى ؟ ولكنّ لك عندى عذراً جليّاً ، وإن كنت « لَقَد جئت شَيئاً فَريّاً »

قدْ تُنكرُ العينُ ضوءَ الشَّمس من رمدٍ وَيُنكرُ الفَمُ طعم الماء من سَقَم

ولو رأيت ما فيك من المساوى عِيانا ، لما ثنيت إلى حَلْبة المُفاخرة عِناناً . فأنَّى تفُوزين بأشرف الأقدار ؟ وأنت موضعُ الفضلات والأقذار ! وما هذا التَّطاولُ وَالاقدام ؟ وَوجهك موْطِئُ النِّعال والأقدام ! إن هذا إلاَّ فعل مكابر ، دَعوى عريضةٌ وعجزٌ ظاهر ، وهل يحقّ للكثيف ، أن يتغالى عَلى اللّطيف ؟ ! أم ينبغى للوضيع ، أن يتعالى على الرّفيع ؟! فقالت لها « الأرض » أيتها المُغترَّة بطوالع أقمارها والمُعتَزّةُ بلوامع أنوارها « ما كلّ بيضاءَ شَحمه ، ولا كلّ حمراءَ لحمه » فبمَ تزْعُمين أنك أتقى منّى وأنقَى ؟ وَما عند الله خيرٌ وأبقى ! وأنتِ واقفةٌ لى على أقدام الخِدْمة جاريةٌ فى قضاء مآربى بحسب الحِكمة ، قد كَفَّلك الحقُّ بِحمْل مَؤُونتى ، وكلّفك بمساعدتى وَمعونتِى ، ووكّلك بإيقاد سِراجى ومِصباحى : ووكَّلك إلى القِيام بشؤونى فى ليلى وصَباحى ، وليس عُلوُّكِ شاهداً لك بالرّتبة العلِيّة ، فضلاً عن أنْ يُوجبَ لك مقام الأفضلية ـ فما كلّ مرْتفع نَجد ، ولا كلّ متُعاظم ذُو شَرف ومجد

وَإن علانِىَ مَنْ دُونى فلا عَجبٌ لى أُسوَةٌ بانحطاط الشَّمسِ عنْ زُحَلِ

فمِنْ أعظم ما فُقتُ به حُسناً وَجمالاً ، وكِدْتُ بإِخْمَصِى أطأ الثُّريّا فضلاً وكمالا تكوينُ اللهُ منّى وجودَ سيِّد الوُجود ، فأفرَغ علىَّ به خِلع المكارم والُجود . فهو بدر الكمال ، وشمْسُ الجمال

وأجملُ منك لم تَرَ قَطّ عينٌ وَأكملُ منك لم تَلِدِ النِّساءُ

خلقتَ مبرّأً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

فأكرمْ به من نبيٍّ أسرَّنى به وأرْضى ، كيف لا ولولاه ما خَلَقَ سماء ولا أرضاً وجعلنى له مسجدًا وطَهوراً ، وأقرَّ بهِ عَيْنِي بطوناً وظُهورا .

فأبْرَقتْ «السّماء» وَأرعدَتْ ، وأرْغتْ وأزبدَتْ ، وقالت : إن لم تَتَخطَّى خُطَّةَ المُكابَره ، وتَتخلَّى عن هذه المُثابرَه ، لأغرقَنَّكِ فى بحار طُوفانى ، أوْ أحرقَنَّكِ بِصواعقِ نيرانى ، وهل امتَطيتِ السِّماكَينِ ، أو انتعلتِ الفرْقدَيْنِ ، حتى تفتخرى علىَّ ، وتُشيرى بالذّمّ إلىَّ ؟ وتلك شهادةٌ لى بالكمال ، ولقد صدق من قال :

وإذا أتتك مذمّتى من ناقص فهىَ الشّهادة لى بأنّى كامل

أم حَسبتِ أنَّ لكِ فى ذلك حُجَّةً ، فخاطرْتِ بنفسكِ فى رُكوب هذه اللُّجّة وكنتِ كالباحِث عن حتفه بِظِلْفه ، والجادِع مارن أنْفه بكَفِّه ؟ !

لكلِّ داءٍ دَواءٌ يُستَطَبُّ به إلاَّ الحماقةَ أعيتْ مَنْ يُداويها

أمّا دعواكِ أنّى واقفةٌ لك على أقدام الخِدمة ، فهى ممايُوجبُ لى عليك شكر الفَضل والنّعمة ، فلوْ تفكَّرْتِ أنّ خادم القوْم هُو السَّيد والموْلى ، وعرفت الفاضل من المفضول ، أو تدَبَّرْتِ أنَّ « اليدَ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى » لاسْتَقلتِ من هذا الفُضول ، فانّ فى قيامى بشؤُونك أوْضحَ أمارة ـ وأمّا قوْلك منّى سيّد الوُجود ومن اصطفاهم لحضرَته الملكُ الوَدُودُ ، فإن كنت تفتخرين بأشباحهم الطّاهرة ، فأنا أفتخرُ بأرْواحهم الطّاهرَة ، أما علمتِ أنها فى مَلكوتى تغدُو وترُوح ، وبواردَىْ[1] بَسْطِى وقَبضى تَشْدُو وتنوح ، فأنا أوْلى بهم ، وأحرَى بالافتخار بحزْبهم

فلما سمعت الأرض من السّماء ، مقالة تَقْطُرُ من خلالها الدِّماء ، أطرقت لمحة

---

(١) وارد — طريق

بارقٍ خاطِف ، أو نُغبـةَ[1] طائرٍ خائف ، ثمَّ قَنَّعتْ رَأسها ، وصعَّدت أنفاسَها وقالت : لقدأ كثَرْتِ ياهذه اللَّغط ، وما آثرْتِ الصَّواب على الغَلَط ، فعلامَ تهزئين بى ، وتستخفِّين بحَسَبِي و نَسبي ؟ و إلامَ تنقُضين عُرى أدِلَّتى ، ولا تُعامِلينني بالَّتى؟ وحتَّام تُقابلينَنِي بأنواع التَّأنيب ، ولِمَ لاتقفى على حقيقتي بالْبَحثِ والتَّنقيب ؟ أحسبْتِ أنَّ الجِسم ماخُلق إلا عَبثا ، وَلا كان للنّفس النّفيسة إلا جدَثا ؟ وفى مَيْدانه تتسابق الفُهوم ، وتُدْرك عَوارف المعارف والعلوم ، و به تترَقَّى الأَرْواح فى مراقى الفَلاح وكيفَ لا يكُون مقـدّساً من كلِّ غيٍّ ومَيْن ؟ وهو لا يفْتُر عن تسبيح بَارئه طرْفة عيْنٍ ؟! و إلى متى أنتِ علىَّ مُتحاملة ؟ وعن آية العـدْل والإِحسان مُتماحِلة ؟ وأنا لكِ أَسمعُ من خادم ، وأطوَع من خاتم ، على أنَّ لى من الفضائل ما ثبت بأصحّ البراهين والدّلائل ، أمَا فىّ بُقعةٌ من أشرف البِقاع على الإِطلاق ، لِضمها أعضاءَ مَن تمّمَ اللهُ به مكارم الأخلاق ؟ ! وفىَّ روْضةٌ من رياض الجنّة ، كماَ أفصَحتْ عنْ ذلك ألسنةُ السُّنة ، ومنِّى الـكعبة والمَشْعرُ الحرام ، والحجر وَزمزَم والرُّكنُ والمقام ، وَعلىّ بيُوتُ الله تُشدّ اليها الرِّحال ، ويُسبّحُ فيها بالغُدُوِّ والآصال رجال أخرَج منِّى طيّبات الرّزق فأكرمَ بها عِباده . وأتمَّ نِعمتهُ عليهم فجعل الشُّكر عليها عِباده ، وناهيكِ بما اشتملت عليـه من الرِّياض والغِياض ، ذات الأنهار والحِياضِ ، التى تَشفْي بنسيمها العليل ، وتَنْفِي ببرْد زُلالها حرّ الغَليل .

لِم لا أهيمُ على الرّياضِ وطيبِها ... وأظلُّ منها تحت ظِلّ ضَافى

والزّهرُ يَضحكُ لى بثغرٍ باسم ... والنَّهرُ يلقانى بقلبٍ صافى

فأسفرتْ عن بدر طَلْعتِها « السّماء » وهى تَزْهُو فى بُرُد السَّنا والسناء ، وقالت

(١) النغبة ــ الجرعة

تُناجِي نفسها عند مارق السَّمر، حتَّام أُريها السُّهى وتريني القمر؟ ثمّ عطفت عليها تقول، وهي تَسْطو وتصول: أيتها المعتدّية لمفاضلتي، والمتصدّية لمناضلتي، متى قِيس التُّرْب بالعسجد؟ أوْ شُبِّه الحصى بالزَّبرْجد؟! إن افتخرتِ بشرف هاتيك البقاع التي زَهاها منك اليَفاع والقاع، فأين أنت من عرش الرّحمن؟ الذي تَعكفُ عليه أرواحُ أهل الإيمان؟! وأين أنت من البيت المعْمور؟ والكرْسى المكلّل بالنور؟! وكيف تفتخرين عليّ بروْضةٍ من رياض الجنة، وهي عليّ بأسرها فضلاً من الله ومنّه! أم كيف تزعمين أنه كُتب لك بأوفر الحظوظ، وعندي القلم الأعلى واللوح المحفوظ؟ وأمّا ازدهاؤك بالحِياض والأنهار، والرّياضِ المبْهجة بوُرُود (١) الورْد والأزهار فليتَ شعري هل حَويت تلك المعانى إلّا بنفحات غُيُوثى وأمطارى؟! أم أشرقت منك هاتيك المغَانى إلا بلمحات شموسى وأقمارى؟! فكيف تُباهينني بما منحتك إيّاه، وعطّرتُ أرجاءك بأريج نَشْره وريَّاه؟! ويا عجباً منك كلّما لاحَ عليّ شعار الحزن، خطَرت فى أبهى حلّة من حُلل الملاحة والحُسن، وإن افترّت ثُغورُ بدور أنسى، وقرّت ببديع جمالى عين شمسى، زَفرْت زَفرَة القيظ، وكدت أن تتميّزى من الغيظ، ما هـذا الجفاء ياقليلة الوفاء؟! وهل صفتْ أوْقاتُك إلاّ بوجودى، أو طابت أوْقاتك إلا بوابل كرمى وجُودى؟! ولوْ قطعْتُ عنـك لَطائف الإمـداد لخلعتِ ملابس الأنس ولبست ثياب الحداد! أو حَجبتُ عنك الشّموس والأقمار لما ميّزت بينَ الّليل والنّهار! فهلا كُنت بفضلى معترفة، حيث إنك منْ بحر فيْضى مغترَفة؟! فنزَعت «الأرض» عن مقاتلتها، وعلمت أنها لا قِبَل لها بمقابلتها. وحين عجزَت عن العوْم فى بحرها، واستسلَمت تمائمُها لسحرِها، بسطت لهـا بساط

(١) وردت الشجرة وروداً اذا أخرجت وردها

العتاب ، مُتمثّلةً بقوْلِ ذى اللُّطْف والآداب .

إذا ذَهبَ العِتابُ فليسَ وُدّ ويبقى الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ

ثمَّ قالت : اعلَمى أيتها الموسومةُ بسلامة الصَّدْر، الموْصوفة بسموِّ المنزلة وعلُوِّ القدر ، أن اللهُ ما قارَنَ إسمى باسمك ، ولا قابلَ صورة جسمى بجسمك ، إلاَّ لمُناسبة عظيمةٍ ، وألفةٍ بيننا قديمة ، فلا تُشْمِتى بنا الأعداء ، وتُسيئى الاحبَّاء والأوِدّاء ، فانَّ ذلك من أعظم الرّزايا ـ وأشدِّ المِحن والبلايا

كلّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ غيرَ شَماتة الأعداءِ

ألا وإنَّ العبدَ محلُّ النّقصِ والخلل ، وهل يسوُغ لأحدٍ أن يُبَرِّىء نفسه من الزَّلل ؟! ومنْ ذَا الذى يَسلم من القَدح ؟ ولو كانَ أقومَ من القِدْح (١)

وَمن ذا الذى تُرجى مزَاياهُ كلُّها كفى المرءَ نُبلاً أن تُعدَّ معايبُهُ

هذا — وإنّ لى مفاخرَ لا تُنكر ، ومآثرَ تجلُّ عن أن تُحصر ، كما أنّك فى الفضل أشهرُ من نارٍ على علَم ، وأجلُّ من أن يُحصِى ثناءً عليك لسانُ القلم ، فإلى متى ونحنُ فى جدالٍ وجلاد ؟ نتَطاعنُ بأسِنَّة ألسِنَةَ حِداد ، وهل ينبغى أنْ يجُرَّ بعضُنا على بعضٍ ذَيلَ الكِبرِ والصَّلَف ؟ ولكن عفا الله عمَّا سَلَف ، وهذه لَعمرِى حقيقة أمرى ، فانْظرى إلىّ بعينِ الرِّضا ، واصفحى بحقِّك عمَّا مضَى

ولما سمعت السماء هذه المقالة ، التى تجنَحُ إلى طلب السِّلم والإقالة ، قالت لها مآربُ لا حفَاوة ، ومشربُ قد وَجدْتُ لهُ حلاوة ، وما ندَبتِ اليه من المودّة والألفة ، فلأمرٍ مّا جدَع قصيرٌ أنفه ، ولو لم تُلْقى إلىّ القياد ، لعاينتِ منّى ما دونه خَرْط القتَاد ، ولكن لا حرَج عليك ولا ضَيْر ، فإنك اختَرْت الصلح والصلْحُ

(١) القدح — السهم قبل أن يراش ويركب نصله

خير ، وكيف جعلتِ العِتاب شرْطاً بين الأحباب ، أوَ ماسمعت قول بعض أولى الألباب .

اذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتباً صديقك لم تلْقَ الذى لا تُعاتبهُ

وان أنتَ لم تَشرب مِراراً على القذَى ظَمئتَ وأىّ النَّاس تصفُومشاربُه

وها أنا رَادّةٌ اليك عوائد إحسانى ، وموائدَ جُودى وآمتنانِى ، فقرّى عيناًوطِيبى نفساً ، وتِيهِى ابتهاجاً وأنساً ، وأبشرى ببلوغ الوَطر ، وزوَال البُؤس والخطر . فَسجدت الأرْض شكْراً ، وهامَت نَشْوةً وسُكراً . وتَهلّل وجهُها سرُوراً،وامتلأت طربا وحبُورا .

﴿ مناظرة بين فصول العام لابن حَبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١هـ ﴾

(قال الرَّبيع) أنا شابُّ الزَّمان ، وروْح الحيوان . وإنْسانُ(١) عين الإنسان أنا حيَاة النُّفوس ، وزينة عرُوس الغروس ، ونُزهة الأبصار ، ومَنطق الأطيار ، عَرْف (٢) أوْقاتى ناسم ، وأيامى أعيادٌ ومواسِم ، فيها يَظْهر النَّبات ، وتنْشر (٣) الأموات ، وتُردُّ الودائع ، وتَتحرَّك الطّبائع . ويَمرح (٤) جَنيب (٥) الَجنوب (٦) ويَنْزح (٧) وجيب (٨) القلوب ، وتَفيض عيون الأنهار ، ويَعتَدل اللّيل والنّهار ، كم لى عِقدٌ منظوم ، وطِرازوشْيٍ مرْقوم ، وحُلَّةٌ فاخرةٌ ، وحُليةٌ ظاهرة ، ونَجم سعدٍ يُدنى راعيه من الأمل ،وشمس حُسْنٍ تنْشدنا(٩) «يابُعد مابين بُرْج الجدْيِ (١٠) والحَمل» (١١) عساكرى مَنصورة ، وأسلِحتى مشهورة ، فمِن سيف غُصْنٍ مجوْهر ، ودِرْع بنَفسج

(١) مايرى فى السواد (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجنوب ، والجنوب ريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا (٦) ريح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب (٨) كثرة خفقانها (٩) تقول لنا (من انشاء الشعر (١٠) برج فى السماء وهوأحد البروج الاثنى عشر التى تمر بها (١١) برج فى السماء من البروج الربيعية

مُشهَّر ، ومِغفرٍ[١] شقيقٍ[٢] أحمر ، وتُرْس بهارٍ يَبْهر ، وَسهمِ آس يرْشقُ فينْشقّ ورُمح سَوْسن[٣] سِنانه أزْرق ، تحرُسها آيات ، وتكْتنفُها ألويةٌ ورَايات ، بى تحْمرّ من الوَرد خدُوده ، وتهتزّ من البَان قدُوده ، ويخضرّ عِذَار الرَّيحان ، وَينتبهُ من النرْجس طَرفه الوَسْنان[٤] وتخرُج الخبَايا من الزَّوايا ، ويفتَر ثغرُ الأقحُوان[٥] قائلاً (أنا ابنُ جلَا وطلَاّع الثّنايا)

إنَّ هذا الرَّبيعَ شيٌّ عجيبٌ ‌ ‌ يُضحِكُ الأرضَ من بُكاء السّماءِ
ذَهبٌ حيثُما ذهَبنا ودُرٌّ ‌ ‌ حيث دُرْنا وفِضةٌ فى الفَضاء

(وقال الصّيف) أنا الخلّ المُوافق ، والصَّديق الصَّادِق ، والطّبيب الحاذق أجتهدُ فى مَصلحة الأحبَاب ، وأرْفع عنهم كُلْفة حَملِ الثّياب . وأُخفّف أثقالهم ، وأُوَفّر أموَالهم ، وأَكفِهم المؤونة ، وأجزِلُ لهم المعُونة ، وأغنِيهم عنْ شِراءِ الفِرا ، وأُحقّقُ عندَهم (أنّ كلّ الصَّيد فى جوْفِ الفرَا) نُصرتُ بالصبَّا ، وأُوتيتُ الحِكمة فى زمن الصِّبا ، بى تتَّضحُ الجادّة[٦] وتَنضَج من الفَواكه المادّة ، ويزْهو البُسرُ والرُّطَب ، وَينصلحُ مِزَاج العِنَب ، وَيقوى قلبُ اللّوز ، ويَلين عطف التّين والموز ، وَينعقدُ حبُّ الرُّمَّان ، فيقمعَ الصفَّراء ويسكنُ الخفقَان ، وتُخْضبُ وجنات التُّفّاح ، ويذهب عَرفُ[٧] السَّفرْجل مع هبُوب الرِّياح ، وتسْودُّ عيون الزَّيتون وتخرُج تِيجان النَّارنج واللَّيمون ، موَاعدى منَقودة ، وموائِدى ممدُودة ، ألخير موْجود فى مَقامى ، والرِّزقُ مقسومٌ فى أيَّامى .

---

(١) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس (٢) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (٣) نبات طيب الرائحة (٤) النعسان الثقلان (٥) البابونج نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر (٦) الطريق (٨) رائحته الطيبه

الفقير ينصاع [١] بملء مُدّه وصاعه ، والغنىّ يرتعُ فى ربْع مُلكه وأقطاعه
والوحش تأتى زَرافاتٍ [٢] وَوحداناً ، والطّير تغدُو خِماصاً وتروح بِطانا [٣] .

مَصيفٌ لهُ ظِلّ ظَليلٌ على الوَرَى ومنّ حلاَ طعماً وَحللَ أخلاَطا
يعالج أنواعَ الفوَاكه مُبدياً لصحّتها حفظاً يُعجزُ بِقرَاطا [٤]

(وقال الخريف) أنا سَائق الغُيوم ، وكاسر جَيش الغُموم ، وهازم أحزاب السُّموم [٥] وحادى نجَائب السّحائب ، وحاسر نقاب المناقب ، أنا أصدُّ الصّدَى [٦] وأجود بالنَّدى ، وأُظهِر كلّ معنىً جلِيّ ، وأسمو بالوسمىّ [٧] والولىّ ، فى أيامى تُقْطَف الثّمار ، وتَصفُوا الأنهار من الأكدَار ، وتَرقْرَق [٨] دمع العيون ، وَيتلوَّن وَرَق الغصون ، طَوْراً يحاكى البَقْم ، وتارَةً يُشبه الأرْقم ، وَحيناً يَبدو فى حُلَّته الذَّهبيَّة فَيجذِب إلى خُلَّته القلوب الأبيّة ، وفيها يُسكِن النَّاسُ هَمّ الهوامّ ، وَيتَساوى فى لذّة الماء الخاصّ والعامّ ! وتَقدُمُ الأطيارُ مُطْربَةً بِنَشيشها ، رَافلةً فى الملاَبس المُجدّدة من رِيشها ، وتُعصَرُ بنت العنُقود ، وتُوثَقُ فى سجن الدّنّ بالقُيود ، على أنها لم تجترَح إثماً ، ولم تُعاقَبْ إلا عدوَاناً وظلماً ، بى تَطيبُ الأوْقات ، وتحصُلُ اللّذّات ، وترِقّ النَّسمات ، وترْمى حَصى الجمَرات ، وتسكُن حرارة القلوب ، وتكثُر أنواع المطعوم والمشرُوب . كم لى من شجرَةٍ أُكُلُها دائم ؟ وحملها للنفع المتُعدّى لاَزم ، وَرَقُها على الدَّوام غيرُ زائل ، وقُدُودُ أغصانها تُخجِلُ كلّ رُمح ذَابل .

إنّ فصل الخريف وافى الينا يَتهَادى فى حُلةٍ كالعَرُوسِ

(١) ينتقل راجعا مسرعا (٢) جماعات (٣) تذهب جائعة وترجع ممتلئة (٤) بقراط الحكيم اليونانى وهو لفظ يونانى معناه ناسك الصبح (٥) الريح الحارة (٦) العطش (٧) المطر الذى يأتى فى الخريف ، والولى الذى يأتى بعده (٨) ترقرق الدمع فى العين تحرك

غيرهُ كانَ للعيُون ربيعاً وهو ما بيننا رَبيعُ النفُوس

(وقال الشتاء) أنا شيخُ الجماعة ، وربّ البضاعة ، والمُقابَلُ بالسمع والطاعة أجمعُ شَملَ الأصحاب ، وأسدِلُ عليهم الحِجاب ، وأُتحفهم بالطعام والشراب ، ومَنْ ليس له بي طاقة أغلق من دونه الباب ، أميلُ إلى المُطيع ، القادر المُستطيع المُعْتضدّ بالبُرود والفِرَا ، المتمسكِ من الدينار بأوثق العرى ، ومنْ يَعشُ عن ذِكرِي ، ولم يمتثل أمري ، أرجَفْتهُ بصوت الرعد ، وأنجزتُ له من سيف البرق صادق الوعد ، وسِرتُ اليه بعساكر السحاب ، ولم أقْنع من الغنيمة بالإياب ، معروفي مَعروف ، ونَيْل نَيلي موصُوف ، وثمار إحساني دانيةُ القُطوف ، كم لي من (وابِل) طويل المدَى (وجوَد) وافرِ الجدا (وقطر) حلا مذَاقهُ (وغيثٍ) قيَّد العفاة إطلاقُه (وديمَةٍ) تُطْرب السمع بصوتها (وحَياً) يُحيي الأرْضَ بعد موتها ، أيَّامي وجيزة وأوقاتي عزيزة ، ومجالسي معمورة بذوي السيادة ، مغمُورَة بالخير والمَير والسعادة ، نُقلُها يأتي من أنواعه بالعَجَب ، ومناقِلها تَسمحُ بذهب اللهب ، وراحُها تنْعش الأرْواح ، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفَتِن العقول الصحاح ، إن رُدْتُها وجدْتَ مالاً ممدوداً ، وإن زُرْتها شاهدْت لها بَنِين شهوداً .

﴿ مناظرة بين البر والبحر لبعض الأدباء ﴾

قال (البرّ) ياصاحب الدرّ ، ومَعدن الدُّر ، أطرقتَ رِياضي ، ومزّقتَ جُسوري وأحواضي ، وأغرقتَ جُثتي ، ودَخلتَ جنتي ، وتلاطَمت أمواجُك على جِنتي وأكلتَ جزائري وجرُوفي ، وأهلكتَ مرْعَى فَصيلي وخرُوفي ، وأهزلتَ ثوري وحَملَي ، وفرسِي وجمَلي ، وأجرَيتَ سفُنك على أرْض لم تجرِ عليها ، ولم تملِ طرْفِ

غرابها إليها . وغرستَ أوْتادهَا على أوْتاد الأرض ، وعرّستَ فى مواطن النفّل والفرض ، وجعلتَ مَجرى مَراكبك فى مَجرَى مراكِبِى ، ومشَى حُوتُك على بطنه فى سعد أخبية مضَاربى ، وغاصَ ملاّحك فى ديار فرَحى ، وهاجرْت من القُرى إلى أمّ القرى ، وحمّلتَ فلاّحى أثقاله على القِرى ، وقد تلقّيتك من الجنَادل بصدرى ، وحملتُك إلى بَرزخِك على ظهرى . وقبّلت أمواجَك بثغرِى ، وخلّفتَ مِقياسى فرحاً بقدُومك الى مصرِى ، وقد جُرتَ وَعدلت ، وفعلتَ مافعلت، فلعلك تَفِيض ، ولا يكون ذهابُك عن ذهاب بغيض ، أوْ تفَارقُ هذه الفِجاج ، وتَختَلط بالبحر العَجّاج ، و إن لم تفعل شَكوناك إلى مَن أنْزلكَ من السَّماء ، وأنْعَم بك علينا من خَزائن الماء .

إذا لم تكن ترْحم بلاداً ولم تُغِث عباداً فمولاَهم يُغيثُ ويَرحمُ
و إن صدَرتْ منهمْ ذُنوبٌ عَظيمةٌ فَعفوُ الّذى أجراكَ يا بحرُ أعظَمُ
نَمدُّ إليه أيدِياً لم نَمُدّها إلى غيره وَالله بالحالِ أعلمُ

قال (البحر) يابَرُّ ، ياذا البِرِّ ، ومنْبِتَ البُرِّ ، هكذا تُخاطِب ضيفَك ، وهو يخصُبُ شتاءك وصَيفك ، وقد ساقَنى الله إلى أرْضك الجُرُز ، ومعدن الدُّر والخَرَز لأُبْهجَ زرْعها ونخِيلَها ، وأُخرِج أَبّها ونَخيلَها ، وأُكرِمَ ساكنَك ، وأُنزلُ البركة فى أماكنِك ، وأُثبت لك فى قلب أهلك أحكام المحبَّة ، وأُنبتَ بكَ لهم فى كلّ سُنْبلةٍ مائة حبّة ، وأُحييك حيَاة طيّبة ، يَبتَهجُ بها عمرُك الجديد ، و يتلُوا « كذلك يُحيي اللهُ الموْتى » ألسِنةُ العبيد ، وأُطهرِّك منَ الأوْساخ ، وَأحمِل اليك الإبْليز فأطيبك به من عرَقِ السِّباخ . وأنا هديّة الله إلى مِصرِك ، وملكُ عصرِك ، القائمُ بنَصْرك ، وَلولا برَكاتى عليك ، ومَسيرى فى كلّ مَسْرًى اليكَ ، لكنتَ وَادياً

غير ذى زَرْع ، وصاديًا غير ذى ضَرْع

سَرَيتُ أنا ماء الحياة فلا أذى إذا ماحفِظْتُ الصَّحبَ فالمالُ هيِّنُ
فكن خضراً يابرّ واعلمْ بأنَّنى إلى طِينك الظمآن بالرِّىِّ أُحسنُ
وأسعَى اليه من بلادٍ بعيدةٍ وأحسنُ أجرِى بالَّتى هىَ أحْسنُ
اذا طاف طُوفانى بمقياسك الذى يُسرُّ باتيان الوَفاءِ ويُعلنُ
فقُم وتلقَّاه ببسطتِك التى لرَوْضتِها فضلٌ على الرَّوْض بَيِّنُ

ولَعَمرى : لقد تلطَّفَ (البَرّ) فى عتابه وأحسنَ ، ودَفع (البحرُ) فى جوابه بالتى هى أحسَن ، وقد اصطلَحا وهما بِحمْد الله أخوان متُضافِران على عِمارة بلاده ونشر الثرْوة ونموّ الخيرات بين عباده ، فالله تعالى يُخصب مرعاهُما ويحرُسهما ويَرْعاهما

﴿ وكتب بعض الادباء مناظرة بين الهواء والماء ﴾

ألحمد لله الذى رفع فلكَ الهواء ، على عُنصر التُّراب والماء «أمَّا بعد» فأنا الهواء الذى أؤلّف بينَ السَّحاب ، وأنقلُ نسيم الأحباب ، وأهُبُّ تارَةً بالرَّحمة وأُخرَى بالعذاب ، وأنا الَّذى سُيِّر بىَ الفُلكُ فى البحر كما تَسير العِيسُ فى البِطاح ، وطار بى فى الجوّ كلّ ذى جَناح ، وأنا الذى يضْطربُ منّى المـاء اضطرَاب الأنابيب فى القَنا . إذا صفَوْتُ صفَا العالَم ، وكان له نَضرة وزَهْواً ، واذا تكدَّرْتُ انكدرتْ النّجوم وتكدَّر الجوّ ، لا أتلوَّن مثل المـاء المتُلوّن بلَون الإناء ـ لولاىَ ما عاش كلّ ذى نفس ، ولولاىَ ماطاب الجوُّ من بُخار الأرض الخارج منها بعدَ ما احتبَس ولولاىَ ما تكلّم آدمىٌّ ولاصوّت حيَوان ، ولاغرَّد طائرٌ على غُصن بَان ، ولوْلاى ما سُمعَ كتابٌ ولاحديث ، ولاعُرف طَيِّب المسموع والمشموم من الخبيث فكيف يُفاخرنى المـاء الذى إذا طَال مُكثُه ، ظهر خبثُه ، وعلَتْ فوْقه الجِيَف

وانحطّت عنده اللآلئ في الصدف .

فقال « الماء » الحمد لله الذى خلق كلّ حىّ (أمّا بعدُ) فأنا أوّل مَخلوق ولا فَخرْ ، وأنا لذّة الدُّنيا والآخرة ويوم الحْشر ، وأنا الجوهر الشفّاف ، المُشبَّه بالسَّيف إذا سُلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فىّ جميع الجواهر حتّى اللآلئ والأصداف أُحيِى الأرضَ بعد مماتها ، وأُخرج منها للعَالَم جميع أقواتِها ، وأكسو عرائس الرّياض أنواع الحُلَل ، وأنثر عليها لآلئ الوَبْل والطَّلل ، حتى يضرَب بها فى الحسن المثَل — كما قِيل :

إنَّ السَّماءَ إذا لم تبكِ مقْلتُها لم تَضحك الأرضُ عن شَىءٍ من الزَّهر

فكيف يُنكرُ فضلى مَنْ دبَّ أوْ درَج ؟ وأنا البحرُ الذى قِيل عنهُ فى الأمثال «حدِّثْ عن البحر ولاحرَج» وأما أنتَ أيّها الهواء : فطالما أهلَكْتَ أُمماً بسمومك وزَمهرِيرك ، ولا تقوم جنّتُكَ بسعيرك

وأمّا قولك : لولاى ماعاش إنسان ، ولا بقىَ على الأرض حيوان ، فجوابُهُ : لَو شاءَ اللهُ تعالى لَعاش العالَم بلا هَواء ، كما عاش عالَم المَاء فى الماء . وأنشدُكَ اللهَ أمَا رَأيتَ ما حَبانى اللهُ به من عظِيم المِنَّة ، حيثُ جعلنى نهراً من أنهار الجنّة ، أنا أرفعُ الأحداث ، وأُطهّرُ الأخبَاث ، وأجلُو النّظَر ، وأُزيلُ الوَضر ، أما رَأيت الناسَ إذا غِبتُ عنهم يتضرَّعون إلى الله بالصَّوْم والصّلاة والصَّدَقة والدُّعاء ويَسألونه تعالى إرْسالِى من قِبَل السَّماء ـ واعلَمْ أنّنى ما نِلتُ هذا المقامَ الذى ارْتفعتُ به على أبناء جنسى ، إلا بانحطاطى الّذى عيَّرْتَنى به وتَواضُعى وهَضْمِ نفْسى

وقد كثُرَ بَينهما النّزاع والجِدال ، حتى حكَم بَينهما أميرٌ وقال :

إنَّ كُلاًّ منكما مُحِقٌّ فيما يدّعيه ، فما أشبهكما فى السماء بالفرقدين ، وفى الأرض بالعينين ، إلاّ أن مرآة الحقِّ أرتنى فضيلةً تفضلُ بها أيها الماء أخاك الهواء ، وحققتْ لى بأنكما لستُما فى الفضل سَواء . وهى (أنَّ الله تعالى خلقَ آدمَ من الماء) فاعترفْ لأخيك بالفضل والذكاء

(وكتب المقدسى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ مناظرة بين الجمل والحصان)

قال الجمل : أنا أحملُ الأحمالَ الثِّقال ، وأقطعُ بها المراحل الطِّوال ، وأُكابدُ الكَلاَل ، وأصبرُ على مُرِّ النَّكال ، ولا يعترينى من ذلك مَلاَل ، وأصُول صَوْلةَ الإدلال ، بل أنقادُ للطِّفل الصَّغير ، ولو شئتُ استصعبتُ على الأمير الكبير فأنا الذّلول ، وللأثقال حَمُول ، لستُ بالخائن ولا الغلول ، ولا الصّائل عند الوُصول أقطعُ فى الوُحول ، ما يَعجزُ عنهُ الفحول ، وأُصابرُ الظَّلماء فى الهواجر ولا أحُول فاذا قضيتُ حقَّ صاحبى ، وَبلغتُ مآربى ، ألقيتُ حَبلى على غاربى ، وذهبتُ فى البوادى أكتسبُ من الحلال زادِى ، فإن سمعتُ صوْتَ حادِى ، سلّمتُ اليه قِيادِى ، وواصلتُ فيه سُهادى ، وطلَّقتُ طِيبَ رُقادِى ، ومدَدْتُ اليه عُنقى لبُلوغ مرادِى ، فأنا إنْ ضَللْتُ فالدَّليلُ هادِى ، وإنْ زللْتُ أخذَ بيدِى مَن اليه انقيادِى ، وإن ظَمِئتُ فذِكرُ الحبيب زادِى ، وأنا المُسخّر لكم ، بإشارة « وتَحْمِلُ أثقالَكُمْ » فلم أزل بين رِحلة ومقام ، حتّى أصِلَ الى ذلك المقام .

فقال (الحِصَان) أنا أحمِلُ على كاهلى فأجتَهدُ بهِ فى السَّير ، وأنطلقُ به كالطَّير أهجمُ هُجومَ اللَّيل ، وأقْتحمُ اقتحامَ السَّيل .

فانْ كان طالباً أدركَ فىّ طلَبه ، وإن كان مَطلوباً قَطعَتُ عنه سَببه ، وجعلتُ أسبابَ الرَّدَى عنهُ مُحتجِبه ، فلايُدرِكُهُ منّى إلا الغُبار ، ولا يُسمَعُ عنّى إلا الأخبار

وانْ كان الجملُ هو الصّابر المُجرَّب ، فأنا السّابق المُقرَّب ، وانْ كان هو المُقتصِدُ اللاّحِق ، فأنا المُقرَّب السّابق ، فاذا كان يوم اللِّقاء قدمتُ أقدام الوالِه وسبقت سبق نبالِه ، وذلك متخلِّفٌ لِثِقَل أحمالِه ، وإنْ أوْثق سائسي قيدى وأمِن قائدى كيدِى ، أوثقتُ بشكالِى ، لِكيلا أحُول على أشكالِى ، واُلجِمتُ كيلا أغفلَ عنْ قِيامِى ، وأُنْعِلتْ بالحديد أقدامِى ، كيلا أكِلَّ عن إقدامِى

فأنا الموعُودُ بالنّجاه ، المعدُود لِنيل الجاه ، المشدود للسّلامه ، المقصُود للكرامه قد أجزل المُنْعِم علىَّ إنعامه ، وأمضى بالعناية الأزليّة أحكامه «فإنّ الخير معقودٌ بنواصى الخيل الى يوم القيامة» خُلِقتُ من الرِّيح ، واُلهِمتُ التّسبيح ، وما برح ظهرى عِزّا ، وبطنى كنزاً ، وصهْوتى حِرزاً ، فكم ركضتُ فى ميدان السّباق وما أبديت عجزا ، وكم حزَزْتُ رؤوس أهل النِّفاق حزًّا ، وكم أخليتُ منهم الآفاق (هل تحِسّ منهم من أحدٍ أو تسمعُ لهم رِكزا)

﴿ الفن الثالث فى الأمثال ﴾

المَثل عِبارَةٌ عنْ تأليف لاحقيقة له فى الظّاهر ، وقد ضُمِّنَ باطنهُ الحِكم الشّافية وهى ثلاثة أقسام مفُترَضةٌ ممكنة ، ومُختَرعةٌ مستحيلة ، ومُختلطة .

(١) فالأمثال المفُترضة المُمكنة : هىَ ما نُسبَ فيها النُّطق والعمل الى عاقل[1]

(٢) والمُخترعة المستحيلة : ماجاءتْ على ألسِنة الحيوانات والجمادات فيُعزَى لها النُّطق والعمل لإرْشاد الأنْسان

(٣) والمُختلطة: مادارَ فيها الكلامُ أو العملُ بينَ النّاطق وغير النّاطق

---

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين : الاول ان لها مغزى . والثانى كونها غير واقعة وان كانت فى حيز الامكان

وشروط المثل أربعة : (الأوّل) أن تكون روايته خالية من كلّ تعقيد ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع (الثانى) أن لا يكون مسهباً مملاً (الثالث) أن يبهج السامع بطلاوته ويفكّه فكرته بهزل كلامه . وابتكار معانيه ، ويضبط عقله فى فهم الرّواية المختلقة وفضّ مشكلها (الرابع) أن يورد بصورة محتملة .

وفوائد المثل جمّة ، منها نزهة البال وترويح الخاطر ـ ومنها استقصاء الحكم وهى قديمة العهد جدًا ، ولا يعرف اسم أوّل من تكلّم بها ، وكما تكون نثراً تكون نظماً ـــ ونذكر لك من الأمثال ماطاب وراق : فنقول

﴿ أمثال القرآن الكريم ﴾

أمثال القرآن الكريم قسمان : ظاهر مصرّح به ـ وكامن لا ذكر للمثل فيه.

أما أمثاله : الظاهرة : فكقوله تعالى فى شأن المنافقين « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ[1] مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ، يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ

وقوله تعالى فى شأن الذى ينفق أمواله ٱبتغاء مرضاة الله والذى ينفقها رياء « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَى ، كَٱلَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ[2] عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ[3] فَتَرَكَهُ صَلْدًا[4] لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَٱللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ

(١) مطر (٢) حجر أملس (٣) مطر شديد (٤) صلباً نقيا من التراب

الْكافِرِينَ ، وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ (١) أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ (٢) وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ (٣) فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ »

وقوله تعالى فى تمثيل الحقّ والباطل « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً (٤) رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ٱبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً (٥) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ »

وقوله تعالى فى تمثيل الحكمة وضدّها

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللهُ ٱلأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ (٦) مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ» .

وقوله جل شأنه فى حال الكفار وما يعبدون من دون الله

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ

---

(١) مكان مرتفع (٢) مطر خفيف (٣) ريح شديد (٤) مايعلو على وجه الماء من قذر ونحوه (٥) باطلا مرميا به (٦) قطعت من أصلها

الطَّالبُ وَالمطلوبُ » وقوله تعالى « مثل الذين اتَّخذُوا من دُون الله أولياء كَمثَل العنكبوت اتخذت بَيتاً ، و إنّ أوهَنَ البيُوت لبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمُون »

وقوله تعالى فى أنّ عمل الكافر يذهبُ هباءً تذرُوه الرّياح

« مثل الَّذين كفرُوا بربّهم أعمالُهم كرَمادٍ اشتدَّت بهِ الرّيحُ فى يَومٍ عاصِف لا يَقدِرُونَ ممَّا كَسبُوا على شئ »

وَقولهُ تعالى «والذين كفرُوا أعمالهم كسَرَاب[1] بقيعَةٍ[2] يحسبهُ الظمآن ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْه شيئاً وَوَجَد اللهَ عِندَهُ فوفّاه حسابهُ واللهُ سَريعُ الحِساب ، أو كظُلمات فى بحر لُجِىّ[3] يغشاهُ موْجٌ من فوْقه مَوْجٌ منْ فَوْقهِ سحاب . ظُلُمات بعضُها فَوْقَ بعض إذا أخرَجَ يَدَهُ لم يَكَد يرَاها وَمنْ لمْ يَجعَل اللهُ لهُ نوراً فما لهُ مِنْ نُور »

وقوله تعالى فى أنَّ الدُّنيا ظلٌّ زائل وَخيال باطل

« واضرِبْ لهم مثَلَ الحياة الدُّنيا كماءٍ أنْزلْناهُ مِنَ السّماء فاختلط بهِ نباتُ الأرض فأصبحَ هَشيما[4] تذرُوه الرّياح »

وقوله تعالى « اعلَمُوا أنَّما الحياة الدُّنيا لَعِبٌ وَلهْوٌ وَزينَةٌ وَتفاخرٌ بَينكم وتكاثُرٌ فى الأموَال والأوْلادِ كمثل غيث أعجبَ الكُفّارَ نباتُه ثمَّ يَهيجُ فترَاهُ مُصفرًّا ثم يكون حُطامًا »

وأما أمثاله الكامِنة : فهى الآداب البارعة والحِكم الباهرَة فمن ذلك قوله تعالى

---

(١) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار (٢) جمع قاع وهو الارض المستوية (٣) عميق (٤) يابسا متفرقة أجزاؤه

في الإغضاء والتغافل واللين

١ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغاً
٢ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
٣ إدفع بالتي هي أحسن
٤ فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً
٥ ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك
٦ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم
٧ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً

في المدح

١ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم
٢ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً
٣ إنك اليوم لدينا مكين أمين
٤ إن هذا لهو الفضل المبين
٥ وإنك لعلى خلق عظيم
٦ ختامه مسك
٧ ذرية بعضها من بعض
٨ وبرًّا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً
٩ ذلك خير وأحسن تأويلا
١٠ أولئك هم خير البرية
١١ رضي الله عنهم ورضوا عنه
١٢ وكل من الأخيار
١٣ سيماهم في وجوههم
١٤ وكانوا أحق بها وأهلها
١٥ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
١٦ إن خير من استأجرت القوي الأمين

في التبرئة والتنزيه

١ حاشا لله ما علمنا عليه من سوء
٢ أولئك مبرؤون مما يقولون
٣ فبرأه الله مما قالوا

في حسن الخلق

١ ما شاء الله
٢ وصوركم فأحسن صوركم
٣ يزيد في الخلق ما يشاء
٤ فتبارك الله أحسن الخالقين

٥ صنعَ اللهِ الّذى أتقنَ كلَّ شئْ

فى الكذب والزُّور

١ وإنّهم ليقولون مُنكراً من القول وزُوراً
٢ إنْ هذا إلا اختلاق
٣ كبُرَتْ كلمةً تخرجُ من أفواههم إنْ يقولون إلاَّ كذِبا
٤ فويلٌ لهم مّما كتبَت أيديهم وويلٌ لهم مّما يكسِبُون
٥ فبدَّلَ الذين ظلَموا قولا غيرَ الذى قيل لهم
٦ أُنظر كيف كذَبوا على أنفسِهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفْتَرون

فى الخيانة ونقض العهد

١ أوَ كلَّما عاهدوا عهدا نبَذَهُ فريقٌ مّنهم
٢ وما وجدنا لأكثرِهم مِنْ عهد
٣ إنّهم لا أيْمان لهم
٤ فمن نكَثَ فإنّما ينكُثُ على نفسه
٥ وأنَّ الله لا يهدِى كيدَ الخائنين
٦ إنَّ الله لا يُحِبُّ من كان خوَّانا أثيما

فى السُّخرية والغيبة والنّميمة والجهر

١ يا أيها الذين آمنو لا يَسخرَ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ مِن نساءٍ عسى أن يكُنَّ خيراً مِنهُنَّ ولا تلْمِزُوا أنْفُسَكُم ولا تنابَزُوا بالألْقابِ
٢ ولا تجسَّسُوا ولا يَغْتَبْ بعضُكم بعضا
٣ لا يُحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ من القول إلاَّ مِنْ ظُلِم
٤ ويلٌ لكل هُمزَة لُمزَةٍ
٥ وإذا مرُّوا بِهم يتغامَزُون

فى القتل والانتحار

١ ولا تقتلوا أولادَكم خشْيةَ إمْلاقٍ نحن نرزقُهم وإيَّاكم إنّ قتلَهم كان خِطْئاً كبيراً
٢ ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سُلطانا فلا يُسْرِفْ فى القتل إنّه كان منصورًا
٣ ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَةِ

٤ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما

فى الزنا

١ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا

٢ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا

فى الخمر والميسر

١ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما

٢ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ ؟

فى البخل وحب المال

١ ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء

٢ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

٣ الذى جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده

٤ وتأكلون التراث أكلاً لماً . وتحبون المال حباً جماً

فى الربا

١ وأحل الله البيع وحرم الربا

٢ يمحق الله الربا ويربى الصدقات

فى العجب والكبر

١ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق

٢ ثم ذهب إلى أهله يتمطى

٣ ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله

٤ أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين

٥ إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه

ولا تُصعِّرْ خدَّكَ للناس ولا تمش في الأرض مرَحاً

في الاستبداد والأثرة

فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تُصبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى ومَن معَهُ

وَإن يكن لهمُ الحقُّ يأتوا إليه مُذْعِنين

ما أُرِيكم إلا ما أرَى

في التفرُّق والاختلاف

تَحْسَبهم جميعاً وقلوبُهم شتَّى

كلُّ حِزب بما لدَيهم فرِحون

فاختلف الأحزابُ من بينهم

إنَّكُم لفي قولٍ مُختلِفٍ

في الجُبن والفِرار

إنْ يُريدون إلا فِراراً

يَحْسبون كلَّ صيحَةٍ عليهم همُ العَدُوُّ

أشِحّةً عليكم فإذا جاء الخوفُ رأيتَهم ينظرون إليك تدورُ أعينهم كالذى يُغشَى عليه من الموتِ فإذا ذهبَ الخوفُ سلَقُوكم بألْسِنةٍ حِدَادٍ

مَنْ يأمر بما لا يفعلُ ويعلم ولا يَعملُ

١ أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتَنْسوْنَ أنفُسكم

٢ لِمَ تقولون مالا تفعلون ؟؟

٣ كمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أسفاراً

في الغفلة

١ لَعمرُك إنّهم لفي سكْرتِهم يعْمهُون

٢ قُتل الخرّاصُون الذين همْ في غمْرةٍ ساهُون

٣ وإذا ذُكِّرُوا لا يذْكرُون

٤ فويْلٌ للمُصلِّين الذين هُم عن صلاتهم سَاهُون

٥ إذْ قُضيَ الأمرُ وهم في غفلةٍ

٦ يعلمُون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة همْ غافِلُون

في إنكار الجميل

١ فلمَّا كشفْنا عنهُ ضُرَّهُ مرَّ كأنْ لم يدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّهُ

٢ ولو رحمناهُم وكشفنا مابهم من ضُرٍّ للَجُّوا في طُغيانهم يعْمهُون

٣ ولو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لعبادِه لَبَغَوْا في الأرض

٤ إنّ الانسانَ لَيَطْغَى أنْ رآه استغنى

٥ قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه

في الذم والاهانة والتهكّم والتّحقير

١ أنتم شرٌّ مكاناً ؟؟

٢ فَلْيَنْظُرِ الانسانُ مِمَّ خُلِقَ ؟؟

٣ خذُوه فَغُلُوهُ

٤ مَا نَفْقَهُ كثيراً ممَّا تقول

٥ كلّما دَخَلَتْ أُمّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها

٦ لا يُسْمِنُ ولا يُغنِي مِن جوعٍ

٧ إنَّا تَطَيَّرْنا بكم

٨ سَواءً مَحْيَاهُم ومَماتهم

٩ لَمقتُ اللهِ أكبرُ مِن مقْتكم أنفسَكم

١٠ يُعْرَفُ المُجرمون بِسِيماهُمْ

١١ ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم

١٢ ذوقوا فِتْنَتَكُم هذا الّذى كُنتم به تَستعجلُون

١٣ ومَنْ يُهِنِ اللهُ فَمالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ

١٤ وما أُوتِيتُمْ من العلم إلا قليلا

١٥ ذلك مَبلَغُهم مِنَ العلم

١٦ فمَثَلُه كمَثَلِ الكلب إن تَحْمِلْ عليه يَلْهَثْ أو تتركْه يَلْهَثْ

١٧ كمَثَلِ الحمار يَحملُ أسفاراً

١٨ أولئك هم شرُّ البَرِيَّة

١٩ همَّازٍ مَشَّاءٍ بِنميمٍ ، مناعٍ للخير مُعتَدٍ أثيمٍ . عُتُلٍّ بعد ذلك زَنيمٍ

٢٠ إنك لَغَوِيٌّ مُبين

٢١ إنَّ شانِئَكَ هو الأَبْتَرَ

٢٢ أولئك لا خَلَاقَ لهم فى الآخرة

٢٣ أينما يُوَجِّهْهُ لا يأتِ بخير

٢٤ أولئك حزبُ الشَّيطان

٢٥ إتَّخذُوا أيْمانَهم جُنَّة

٢٦ فما لِهؤُلاء القومِ لا يكادون يفقهون حَدِيثا

في الضّالين والمُضلِّين

١ إنهم ألْفَوْا آباءهم ضالِّين ، فهم على آثارهم يُهْرَعُون

٢ ألشَّيطانُ سَوَّلَ لهم وأمْلى لهم

٣ وإنّ كثيراً لَيُضِلُّون بأهوائهم بغير عِلْم

٤ ولَقَد ضَلَّ قبلَهم أكثرُ الأوَّلين

٥ وإخوانهم يمدونهم فى الغىّ ثم لا يقصرون
٦ ربنا إننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا

فيمن عميت بصيرتهم وأضلهم هواهم

١ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون
٢ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم

فى قرناء السوء والغاوين والنهى عن اتباعهم

١ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً
٢ يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير
٢ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار
٤ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
٥ وإخوانهم يمدونهم فى الغىّ ثم لا يقصرون
٦ ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
٧ ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلا

فى التنبيه على الخطأ والضلال

١ ما لكم كيف تحكمون ؟
٢ فأين تذهبون ؟
٣ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟
٤ تلك إذن قسمة ضيزى
٥ تالله إنك لفى ضلالك القديم
٦ ذلك هو الضلال البعيد
٧ ويحسبون أنهم على شىء
٨ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً

فى المنافقين والمرائين

١ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر

٢ وإذا خلوا عضوا عليكم الأناملَ من الغيظ
٣ يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم
٤ يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم
٥ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون
٦ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً
٧ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
٨ يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم
٩ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون
١٠ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون

في تمثيل أعمال المرائين والمنافقين

١ فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً
٢ أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف
٣ أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً

في الانذار والوعيد

١ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم
٢ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون
٣ لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون
٤ وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت
٥ فانتظروا إنى معكم من المنتظرين
٦ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
٧ إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير
٨ ذلك وعد غير مكذوب
٩ وما هى من الظالمين ببعيد
١٠ هذا بلاغ للناس ولينذروا به
١١ عما قليل ليصبحن نادمين
١٢ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب

ينقلبون

١٣ فسيعلمونَ منْ هوَ شَرٌّ مكاناً وأضعفُ جُنداً

١٤ اعملوا علىَ مكانتكم إنّى عاملٌ سوف تعلمون

١٥ إنه لقولٌ فصلٌ وما هوَ بالهزل

١٦ ذَرْهم يأكلوا ويتمتَّعوا ويُلهِهمُ الأملُ فسوفَ يعلمون

١٧ سيعلمونَ غداً منِ الكذّابُ الأشِرُ

١٨ سيُهزَمُ الجمعُ ويُولُّون الدُّبُر

١٩ لتنبؤُنّ بما عملتُمْ

٢٠ ولقد جاءهم مِنَ الأنْبَاءِ ما فيه مُزدَجَر

٢١ اعملوا ما شِئتُمْ

٢٢ فستعلمون مَنْ هوَ فى ضلالٍ مُبين

٢٣ إنَّ ما تُوعَدُون لوَاقع

٢٤ فستذكرون ما أقول لكم

٢٥ فليَضحكوا قليلاً وليَبْكُوا كثيراً

٢٦ فإن للّذينَ ظلموا ذَنوباً مِثلَ ذَنوب أصحابهم فلا يستعجلون

٢٧ إعملوا على مكانتكم إنّا عاملون وانتظروا إنا مُنتظِرُون

٢٨ كلاَّ سيعلمون ، ثم كلاَّ سيعلمون

٢٩ وسكنتُم فى مَساكن الّذين ظلموا أنفُسَهم وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال

٣٠ كلُوا وتمتّعوا قليلا إنكم مُجرِمون

٣١ ولنُخرجنَّهم منها أذِلّةً وهم صاغرُون

٣٢ وقدْ أفلحَ اليوْم مَن استعلى

٣٣ ولا تُعجبْك أموالُهم وأولادهم إنّما يُريد الله أن يُعذّبهم بها فى الدنيا

٣٤ لقد كنت فى غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غِطاءك

٣٥ ولتعلمُنَّ نبأهُ بعد حين

٣٦ سنَسِمُهُ على الخُرْطوم

٣٧ أوَ لَمْ يعلمْ أنّ اللهَ قد أهلكَ مِنْ قبله منَ القرون مَنْ هُوَ أشدُّ منه قُوّة وأكثرُ جمْعاً

٣٨ كلاَّ لا وَزَرَ

٣٩ إنّا منَ المجرمينَ منْتقِمون

٤٠ سنَستدْرِجهُم مِن حيْثُ لا يعلمون

واحدةً ولا يَزالون مُختلفين . إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّك ولذلك خلقَهمْ

٢ ورَفَعنا بَعضَهم فوق بَعض دَرَجاتٍ لِيَتخذَ بَعضُهم بَعضاً سُخرِيّاً

فى الحثّ على الصّدقة والنّهى عمّا يُبطلها

١ مَثَلُ الذين يُنفقون أموالهم فى سبيل الله كمثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سبع سَنابِلَ فى كلِّ سُنْبُلةٍ مائَةُ حَبّة

٢ لَنْ تنالوا البِرَّ حتى تُنفِقُوا ممَّا تُحبُّون

٣ يأيها الذين آمنوا لاتُبطِلوا صدَقاتِكم بالمَنّ والأذَى

٤ قَولٌ معروفٌ ومَغفرةٌ خَيرٌ مِنْ صدَقَةٍ يَتْبَعُها أذًى

٥ وما تُنفِقُوا من خير يُوَفَّ إليكم

٦ وأمَّا السَّائلَ فلا تَنْهَر

فى التّحية والاستئذان

١ وإذا حُيِّيتم بِتحيَّةٍ فَحيُّوا بأحسَنَ مِنها أو رُدُّوها.

٢ رحمةُ اللهِ وبركاتُه عليكم أهلَ البيت

٣ يأيها الذين آمنوا لاتَدخلوا بيوتاً غيرَ بيوتِكم حتى تستأنِسُوا وتسلِّموا على أهلها

٤ فإن لم تجدوا فيها أحداً فلاتدخلوها حتى يُؤذَنَ لكم

٥ فإنِ استأذنوكَ لِبعض شأنِهم فأذَنْ لِمنْ شئتَ منهُمْ

فى آداب المشى

١ واقْصِدْ فى مَشْيِكَ واغضُضْ من صوتِكَ

٢ ولاتمشِ فى الأرض مرَحاً إنك لَنْ تَخرِقَ الأرضَ ولن تبلُغَ الجبالَ طُولاً

٣ وعبادُ الرَّحمنِ الذين يمشُون على الأرضِ هوْناً

فى التَّلطُّف فى الدَّعوة والطَّلب

١ إن أُريدُ إلاّ الاصلاح ما استطعتُ

٢ يا قوم اتَّبعونِ أهْدِكم سبيلَ الرشاد

٣ هل أتَّبِعُكَ على أن تُعلِّمَنِ ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا

٤ فَقُلْ هل لك إلى أنْ تزَكَّى

٥ إنى لكم رسولٌ أمين
٦ فاتبعنى أهدك صراطاً سويا

فى الشورى

١ وشاورهم فى الأمر
٢ وأمرهم شورى بينهم
٣ أفتونى فى أمرى

فى الشفاعة

١ مَنْ يَشْفَعْ شفاعةً حَسَنَةً يكن له نصيبٌ منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كِفلٌ منها

فى الخطأ والاضطرار

١ وليسَ عليكم جُناحٌ فيما أخطأتم به ولكنْ ما تعمّدت قلوبكم
٢ فَمَنِ اضطُرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثمَ عليه

فى المسئولية عن العمل

١ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى
٢ وأنْ ليس للإنسانِ إلا ما سعى
٣ كلُّ امْرِئٍ بما كسبَ رهين
٤ وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ فى عنقه
٥ لا يضرُّكم مَن ضلَّ إذا اهتديتم

فى الجهاد

١ وأعِدُّوا لهم ما استطعتم مِنْ قُوَّةٍ ومن رباطِ الخيل
٢ وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ
٣ وفضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما
٤ ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدَتِ الأرض

فى الأيمان

١ واحفظوا أيمانكم
٢ ولا تجعلوا اللهَ عُرْضَةً لأيمانكم
٣ ولا تنقضوا الأيمانَ بعدَ توكيدِها

فى الكلام والاستماع

١ ألم ترَ كيفَ ضربَ اللهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها فى السماءِ تؤتى أُكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربها
٢ ومثلُ كلمةٍ خبيثة كشجرةٍ خبيثة اجتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأرض مالها من قرار

٣ الذينَ يستمعُون القولَ فيتَّبِعُون أحْسَنَهُ أُولئكَ الذينَ هدَاهُم اللهُ وأولَئِكَ هم أولُوا الألباب
٤ وقولوا لِلنَّاسِ حُسناً
٥ يا أيها الذين آمَنُوا اتقُوا اللهَ وقولوا قوْلاً سَدِيداً
٦ وإذا سَمِعُوا اللغْوَ أعرَضُوا عَنهُ
٧ وإذا مرُّوا باللَّغْوِ مرُّوا كِرَاماً

في الجدَل والمُناظرة

١ ولاَ تُجَادِلُوا أهْلَ الكتابِ إلاَّ بالتى هىَ أحسَنُ إلاَّ الذين ظَلموا منهم
٢ أُدعُ إلى سبيل رَبِّكَ بالحكمةِ والموْعِظَة الحسنَةِ وَجادِلهم بالتى هىَ أحسَنُ

فى تبايُنِ المذاهب وتفاوُتِ الدّرجات

١ لِكُلٍّ جعلنا منكم شرْعَةً ومِنهاجاً
٢ ولِكلٍّ وِجهَةٌ هو مُوَلِّيها
٣ قل كلٌّ يَعمَلُ على شَاكِلَته
٤ واللهُ فَضَّلَ بَعضَكُم على بعض فى الرِّزق
٥ ومَا مِنَّا إلاَّ له مَقَامٌ مَعلوم
٦ وفوقَ كلِّ ذى علمٍ عليم
٧ وإنَّا مِنَّا الصَّالحون ومنَّا دُونَ ذلك.

وبضِدِّها تتميَّزُ الأشياء

١ قل لايَستَوِى الخبيثُ والطَّيبُ ولو أعجَبَكَ كثرة الخبيث
٢ أفمَنْ أسَّسَ بُنيانه على تقوَى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم مَنْ أسَّسَ بُنيانَهُ على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فانهارَ به فى نَارِ جهنّمَ
٣ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعمى والأصمِّ والبصيرِ والسميعِ هَل يَستويان مَثلاً
٤ وما يستوى البَحرانِ هذا عذْبٌ فُرَاتٌ سائغٌ شرابُهُ وهذا مِلحٌ أُجاجٌ
٥ أفمن يَمشِى مُكِبًّا على وجهِهِ أهدَى أمْ من يَمشِى سَوِيًّا على صِراطٍ مُستَقيم.
٦ قل هَل يستوى الذين يَعلمُون والذين لا يعلمون

في الحث على العمل والسّعي والتّنافس والمُهاجرة

١ ولِكلٍّ درَجاتٌ ممَّا عملوا
٢ وفى ذلك فَليَتَنافسِ المُتنَافسُون.

٣ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ؟ ؟

٤ فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ

فى الجزاء على العمل

١ ظَهَرَ الفَسَادُ فى البرِ والبحرِ بما كَسَبَت أيدى الناس لِيُذِيقَهُم بَعضَ الذى عَمِلُوا لعلَّهم يَرجِعُون

٢ إنَّ هذا كان لكُم جزاءً وكانَ سَعْيُكم مشكورًا

٣ فمن يَعمَل مِثْقال ذَرَّةٍ خيرا يَرَهُ . ومن يعمل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَهُ

٤ وأن ليسَ للانسان الاّ ما سَعَى . وأنَّ سَعيهُ سوف يُرَى ثمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأَوفَى

الجزاء من جنس العمل

١ وإنْ جَنَحُوا للسَّلْم فاجنَحْ لها

٢ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم

٣ وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثلْ ما عوقِبتم بِهِ

٤ وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مِثْلُها

٥ فمن اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثْل ما اعْتَدَى عليكم

٦ هل جزاء الإِحسانِ إلاّ الإِحسانُ

٧ للَّذين أحسنوا الُحسنَى وزِيادةٌ

٨ فاذكرونى أذكُرْكُم

٩ وإن عُدْتُمْ عُدنا

١٠ إنَّ اللهَ لايغيرُ مابِقَوْمٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسِهم

١١ وأوفُوا بعهدى أُوفِ بعهدكم

١٢ وما كان ربك لِيُهلِكَ القُرَى بظلم وأهلُها مُصلِحون

١٣ جزاءً وِفاقاً

شبيه الشّئ مُنجذبٌ إليه

١ الخبيثات للخبيثين والخبيثونَ للخبيثات والطيِّباتُ للطيبين والطيبونَ للطيِّبات

فى الافساد والبغى والنهى عنهما

١ ولاتُفْسِدوا فى الأرض بعدَ إصلاحها

٢ ولا تَبْغِ الفساد فى الأرض

٣ وإنَّ كثيراً مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بعضُهُمْ على بعض

٤ ولا تَعاوَنوا على الإِثم والعدْوَان

فى المفسدين المكابرين

١ وإذا قِيل لهم لا تُفسِدُوا فى الأرضِ قالوا إنما نحن مُصْلِحُون ألاَ إنهم هم المفسدون ولكنْ لا يشعرون

٢ ألذين ضَلَّ سعيُهُمْ فى الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُونَ أنهم يُحسِنون صنْعاً

٣ ويَحسَبون أنَّهم على شىءٍ ألاَ إنَّهمْ همُ الكاذِبُون

فى غرور الظَّلَمة واستدراجهم

١ يُوحى بعضُهم إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القول غرُوراً

٢ يَعِدُهم ويُمنِّيهم وما يعِدُهم الشيطان إلاَّ غرُورًا

٣ بل إنْ يَعِدُ الظالمونَ بعضهم بعْضاً إلا غرُورًا

٤ ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عما يَعملُ الظالمون

٥ وأُمْلِي لهم إنَّ كيدِى مَتين

٦ فذَرْهمْ فى غمرَتِهم حتى حِين

٧ فلا تَعْجَل عليهم إنما نَعُدُّ لهم عَدًّا

٨ سَنستدرِجُهم من حيثُ لا يعلمون

٩ ذرهم يأكلُوا ويتمتَّعوا ويُلهِهِمُ الأمل فسوف يعلمون

فى سوء عاقبة الظالمين والشماتة بما يصيبهم

١ فغُلِبُوا هُنالِكَ وانقَلَبُوا صاغرِين

٢ انْقلَبَ على عقِبيهِ خَسِرَ الدنيا والآخرة ذلكَ هو الخُسْرَان المُبِينْ

٣ فانظرْ كيفَ كان عاقبةُ الظالمين

٤ فجعلْناهم أحاديثَ ومزَّقناهم كل ممُزَّق

٥ فأتَى اللهُ بُنْيانَهم مِن القواعِد فخَرَّ

٦ عليهمُ السَّقفُ مِنْ فوْقِهم وأتاهمُ العذابُ من حيثُ لا يَشعُرون

٧ فأصابَهُمْ سيئاتُ ما عَملوا وحاقَ بهمْ ما كانوا به يستهزئون

٨ فأصْبحَ يُقلِّبُ كفَّيْهِ على ما أنفقَ فيها

فى الإعراض عن الدَّعوة

١ وإذا تُتلَى عليه آياتُنا ولَّى مُستكبِرًا

كأنْ لم يَسمعها كأنّ فى أذُنيه وقْرًا

٢ كأنهم حمرٌ مُستنفِرَةٌ فرّتْ من قسورَة

٣ ثم نظَرَ ، ثمّ عَبَسَ وبَسَرَ ، ثمّ أدْبَرَ واسْتكبرَ

فى التدخل فى مالا يَعنِى والنهى عنه

١ ولا تَقْفُ ما لَيس لكَ بهِ علم

٢ لا تَسألوا عَنْ أشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤْكم

٣ عليكم أنفسَكم لا يَضرّكم منْ ضَلّ

٤ فلا تسألنِ مَا لَيس لكَ بهِ علم

٥ ليس لك من الأمر شئ

فى الكرم والاكرام والضّيافة

١ ادخُلوها بسلام آمنينَ

٢ كلوا واشرَبوا هَنيئاً

٣ فكلوهُ هَنيئاً مَريئاً

٤ فكُلِى واشربى وقَرّى عيناً

٥ وفاكهةٍ ممَّا يتخيّرُون ولَحم طيْرٍ ممّا يشْتهُونَ

٦ ويُؤثِرُون على أنفُسهم ولو كان بهم خَصاصَة

فى التعزية وتهوين الخطب

١ ويَخلُقُ مالا تعلمون

٢ كل نفسٍ ذائقةُ الموت

٣ كلُّ مَنْ عليها فانٍ

٤ كلُّ شىءٍ هالكٌ إلا وجْههُ

٥ فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا إنَّ مَعَ العسرِ يُسراً

٦ ولا تَيأَسُوا مِنْ رَوْحِ الله

٧ فلا تَذْهَبْ نَفسُكَ عليهم حسَرَاتٍ

٨ ولا تَحزَن عليهم ولا تكُ فى ضَيْقٍ مما يمْكرون

٩ ولا يَحزُنْكَ قولُهم

١٠ سيَجعَلُ اللهُ بعدَ عسْرٍ يُسْراً

فى الكيل والميزان

١ أوْفُوا الكَيلَ ولا تكونوا مِنَ المُخسِرينَ وَزِنوا بالقِسطَاس المستقيم ولا تَبخَسُوا الناسَ أشياءهمْ ولا تَعْثَوْا فى الأرض مفْسِدِين

٢ ويلٌ للمُطَفِّفين الذين إذا اكْتالوا على الناسِ يَستوْفون ، وإذا كالوهمْ

أو وَزَنُوهم يُخسِرُون

فى النّهى عن الرّشوة

١ ولاَ تأكلوا أموالكم بينكم بالبَاطل وتُدْلُوا بها إلى الحُكَّام لِتأكلوا فَرِيقاً مِنْ أموال الناسِ بالإثم وأنتم تَعْلَمُون

٢ ياأيها الَّذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بَينكم بالباطل إلاأن تكون تِجارَةً عن تراضٍ منكم

فى مَال اليتيم ومتَاعه

١ ولا تقْرَبوا مال اليتيم إلاَّ بالتى هى أحسَنُ

٢ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حُوباً كبيراً

٣ إن الّذين يأكلونَ أموال اليتامَى ظُلماً إنّما يأكلون فى بطونهم ناراً وَسَيَصلَوْنَ سعِيراً

٤ فأمّا اليتيمَ فلا تقْهَرْ

فى صَكّ الدَّيْن وإنظار المُعسِر

١ ياأيُّهَاالذينَ آمَنوا إذَا تدَاينتم بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسمًى فاكتبوه

٢ وإنْ كان ذُو عُسرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ

فى الأَحكام والحُكّام

١ وإذا حَكمتم بينَ النّاسِ أن تحكُموا بالعدل

٢ وإذاقلتم فاعدلوا ولوْ كان ذَا قُرْبَى

٣ ولا يَجرِمنَّكم شنَآنُ قَوْمٍ على ألاّ تَعدِلوا إعدِلُوا هُوَ أقربُ لِلتقْوَى

٤ ولا تَلْبِسُوا الحقّ بالباطلِ وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون

فى إتّهام الأبرِياء

١ ومَن يَكسِب خطيئةً أو إثماً ثم يَرْمِ به برِيئاً فقد احتَمَلَ بُهتَاناً وإثماً مُبِيناً

٢ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكونُ لنا أن نتكلمَ بهذا سُبحَانَكَ هذا بُهْتانٌ عظيم

٣ إذ تَلَقَّوْنه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتَحسَبُونه هيِّناً

وهو عند الله عظيم

٤ لكل امرئ منهم ما اكتسبَ من الإثم والذى تولَّى كِبْرَه منهم له عذابٌ عظيم

في المكابرة فى الحقّ والمعاندة

١ ويُجادل الذين كفروا بالباطلِ لِيُدْحِضوا به الحق

٢ وجَحَدُوا بها واسْتيقَنَتْهَا أنفسُهم ظُلما وعُلوًّا

٣ ما ضَرَبوه لك إلا جَدَلا

٤ يُريدُون أن يُطْفِئُوا نورَ الله بأفواهِهم

٥ يُجادِلونك فى الحقِّ بعدَ ما تبيَّنَ

٦ وإنَّ فريقا منهم ليَكْتُمُونَ الحقَّ وهم يعلمون

٧ أُنظر كيف نُصَرِّفُ الآياتِ ثم هم يَصْدِفون

فى الحقِّ والباطل

١ لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ ولو كَرِه المجرِمُون

٢ ألآن حَصحَصَ الحقُّ

٣ فأما الزَّبَدُ فيذهَبُ جُفاءً وأمَّا ما ينفع الناسَ فيَمْكُثُ فى الأرض

٤ قُضِيَ بالحق وخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُون

٥ الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع

٦ فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلال

٧ لقد جئناكم بالحق ولكنَّ أكثرَكم للحقِّ كارهون

٨ فوَقَعَ الحقُّ وبَطَلَ ما كانوا يعملون

٩ ولا يأتونك بِمَثَلٍ إلا جئناكَ بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً

فى أَداء الشَّهادة

١ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامِين بالقِسْطِ شهداءَ لله ولو على أنْفسكم أو الوالِدَينِ والأقْربين

٢ ولاَ تَكتُمُوا الشَّهادة

٣ فاذا دَفَعتم إليهم أموالهُم فأَشْهِدُوا عَليْهم

٤ ولا يأبَ الشُّهَداءُ إذا ما دُعوا

٥ وأشهدوا إذا تبَايَعتم ولا يُضَارَّ كاتِبٌ ولا شَهيد

٦ وأنَا على ذَلِكم مِن الشَّاهِدين

٧ وما شَهِدْنَا إلاّ بما عَلِمنا

في الخبر اليقين

١ ما زاغ البصرُ وما طغى
٢ فلنقصنَّ عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين
٣ نحن نقصُّ عليكَ نبأهم بالحق
٤ أحطتُ بما لم تحطْ به
٥ ولا ينبئك مثلُ خبير

في الاستنكار والتعجب

١ إني لعملكم من القالين
٢ لقد جئتم شيئاً إدًّا
٣ لقد جئتَ شيئاً إمراً
٤ لقدْ جئتَ شيئاً نكراً
٥ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين
٦ إنَّ هذا لشيءٌ عجيبٌ

في المحاماة والدفاع عن الأئمة

١ ها أنتم هؤلاءِ جادلتم عنهم في الحياةِ الدُّنيا فمن يجادلُ اللهَ عنهم يومَ القيامةِ أم من يكونُ عليهم وكيلاً
ولا تجادلْ عن الذين يختانون أنفسهم
ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوان
فلن أكونَ ظهيراً للمجرمين

في التحدي وعدم المبالاة

١ فاقضِ ما أنت قاضٍ
٢ فإن كانَ لكم كيدٌ فكيدون
٣ فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرونِ
٤ قلْ هاتوا برهانكم إنْ كنتم صادقين
٥ قل هلْ عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا

في النجوى والمؤامرة

١ فتنازعوا أمرهمْ بينهمْ وأسرُّوا النَّجوى
٢ لاخيرَ في كثيرٍ منْ نجواهمْ
٣ أم يحسبون أنا لا نسمعُ سرَّهم ونجواهم

في الظن والشك

١ إنْ يتَّبعونَ إلاَّ الظنَّ وإنَّ الظنَّ لا يغني من الحقِّ شيئاً
٢ وإنهمْ لفي شكٍّ منهُ مريب
٣ وإنا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه مريب
٤ إنْ يتبعونَ إلا الظنَّ وما تهوى الأنفس
٥ وما يتَّبعُ أكثرهمْ إلاَّ ظناً
٦ إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ

فى التبرؤ والتنصل

١ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون
٢ أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون
٣ فلا تلومونى ولوموا أنفسكم

في موقف الظلمة والمجرمين أمام العدالة

١ وقفوهم إنهم مسئولون
٢ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين
٣ مكانكم أنتم وشركاؤكم
٤ خذوه فغلوه
٥ ما لكم لا تنطقون
٦ ما لكم لا تناصرون
٧ لا تختصموا لدى

فى حيرة المجرمين وإشفاقهم عند ظهور الحق

١ فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون
٢ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون
٣ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه

فى الافحام والإلزام

١ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً
٢ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
٣ ووجدوا ما عملوا حاضراً

في اليأس والتيئيس

١ قضى الأمر الذى فيه تستفتيان
٢ فنادوا ولات حين مناص
٣ إصبروا أولا تصبروا
٤ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا
٥ لا تعتذروا اليوم

فى إمضاء الأمر

١ فإذا عزمت فتوكل على الله

٢ وكان أمراً مقضياً
٣ إفعل ما تؤمر
٤ فافعلوا ما تؤمرون

فى حال المجرمين وهم يعذبون

١ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
٢ لهم فيها زفير وشهيق
٣ يتجرعه ولا يكاد يسيغه
٤ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب

فى الشيب والكبر والضعف

١ رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً
٢ وقد بلغت من الكبر عتياً
٣ ومن نعمره ننكسه فى الخلق
٥ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً

جزع الناس ومظاهرهم عند البلاء

١ مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء
٢ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
٣ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا
٤ ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة
٥ فانطلقوا وهم يتخافتون

فى صفات الانسان الفطرية

١ إن الإنسان لظلوم كفار
٢ وكان الانسان أكثر شىء جدلاً
٣ خلق الانسان من عجل
٤ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
٤ وخلق الإنسان ضعيفاً
٥ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى
٦ إن الانسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً . وإذا مسه الخير منوعا

٧ قُتِلَ الإِنسان ما أكْفَرَه

في الخوف

١ فأصبحَ في المدينةِ خائِفاً يَتَرقَّبُ
فخَرَجَ مِنْهَا خائفاً يترقَّبُ

٣ لو اطّلعتَ عليهم لوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَاراً ولمُلِئتَ منهم رُعْباً

٤ ذلك يُخَوِّفُ الله به عِبادَه

٥ فأوْجَسَ مِنهم خِيفَةً

٦ إنَّنَا نخاف أن يَفرُط علينا أو أن
يَطْغَى

٧ إنى أخافُ أنْ يكذِّبون

٨ إذْ دخلوا عَلى دَاوُدَ فَفَزِعَ منهم

٩ إنَّا منكم وَجِلون

في التَّضجُّر والتَّحسُّر وإظهار الضَّعف

١ لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنَا هذا نَصَباً

٢ ياليَتنى كنتُ معهم فأفوزَ فوْزاً عظيما

٣ ياليتني مِتُّ قبلَ هذا وكنتُ نَسْياً
مَنْسِيّاً

٤ هذا منْ عمَلِ الشَّيْطَان إنهُ عدوٌّ
مُضِلٌ مُبِين

٥ هذا يومٌ عَسِر

٦ ياليتها كانت القاضِيةَ

٧ ويَضِيقُ صدْرى ولا ينْطَلِقُ لسانى

فى النّفس الأمّارة بالسُّوء

١ ما أصابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وما
أصابكَ مِن سيِّئةٍ فمن نفسِك

٢ وما أُبرِّىءُ نفسى إنَّ النَّفسَ لأمَّارة
بالسُّوء إلاَّ ما رَحِمَ رَبِّى

فى الخجل والاستحياء

١ فجاءته إحداهما تمشى على استِحْياءٍ

٢ يَتَوارَى مِن القَوْمِ مِنْ سوءِ ما
بُشِّرَ به

فى النِّسيان

١ وما أنسانِيهُ إلاَّ الشيطانُ أنْ أذْكُرَه

٢ فنسيَ ولم نَجِدْ له عَزْماً

٣ ونَسُوا حظّاً ممَّا ذُكِّرُوا به

٤ ولا تَنْسَوُا الفضْلَ بينكم

٥ واذكر ربَّكَ إذا نَسِيتَ

٦ سنُقرِئُكَ فلا تَنْسَى

٧ لا تؤَاخِذْنى بما نَسِيتُ

في الرؤيا والأحلام

١ نَبِّئنا بتأويله إنَّا نراك من المحسنين

٢ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون

٣ أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين

٤ أنا أنبئكم بتأويله

٥ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا

الفرح بزوال المكروه

١ وكفى الله المؤمنين القتال

٢ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن

٣ الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين

٤ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

٥ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون

٦ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء

٧ فوقاه الله سيئات ما مكروا

في النعيم والسرور والقصور وما حوت

١ تعرف في وجوههم نضرة النعيم

٢ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً

٣ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة

٤ فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة

٥ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق

٦ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا

٧ متكئين فيها على الأرائك

في الجبال والبحار والسفن والأمواج

١ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود

٢ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها

٣ وهي تجري بهم في موج كالجبال

٤ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج

من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها

٥ فغشيهم من اليم ما غشيهم

٦ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

٧ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام

في المطر والبرق والرعد والريح

١ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار

٢ هذا عارض ممطرنا

٣ ريح فيها عذاب أليم

٤ وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته

فى البساتين والروح والريحان

١ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا

٢ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان

٣ فى سدر مخضود وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة، لامقطوعة ولا ممنوعة

فى التفكر والنظر والاستدلال على الخالق

١ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم

٢ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء

٣ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه

٤ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة

٥ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون

٦ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين

٧ وفى أنفسكم أفلا تبصرون

٨ فلينظر الانسان إلى طعامه

٩ فلينظر الانسان مم خلق

١٠ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم

يُعيدكم فيها ويُخرجكم إخراجاً

١١ وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين فمحونا آيةَ الليْل وجعلنا آية النهار مبْصِرةً لتَبْتَغوا فضلاً من ربكم ولِتَعْلَموا عددَ السنينَ والحسابَ

١٢ وترَى الأرض هامدةً فاذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزَّتْ وَرَبَتْ وأنْبَتَت مِن كلِّ زَوجٍ بَهيج

في العِظَةِ والعِبرَة

١ إنَّ في ذلك لَذِكْرَى لِمَنْ كان له قلبٌ أو ألقَى السّمع وهو شهيدٌ

٢ فاعتَبِرُوا ياأُولِي الأبْصَار

٣ ذلك ذِكْرَى لِلذّاكرينَ

٤ لِنجعَلَها لكم تذْكِرَةً وتَعِيَها أُذُنٌ واعِية

٥ إن في ذلك لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى

٦ إن في ذلك لَعِبْرَةً لِأُولِي الأبْصَار

٧ وما يَذَّكَّرُ إلا أُولوا الألباب

٨ لقد كان في قَصَصِهم عِبرةٌ لِأُولي الألباب

في نِعمِ الله وفضلهُ

١ ذلك تَخْفيفٌ مِن ربِّكم ورحمة

٢ يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسْرَ ولا يُرِيد بكم العسرَ

٣ وما مِن دابَّة في الأرض إلا على الله رزقُها

٤ وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها

٦ وإنَّ ربَّكَ لَذُو مَغفِرَةٍ للناس على ظلمهم

ما استأثر الله بعلمه

١ إنَّ اللهَ عِندَه علمُ الساعة ويُنَزِّل الغيثَ ويَعلَم مافي الأرحام وماتَدْري نفسٌ مَاذا تكْسِب غداً ومَاتدْري نفسٌ بِأَيِّ أرض تموت إنَّ الله عليم خبير

٢ ويسألونك عن الرُّوح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ ربِّي

في العمَل لوجه الله لا لجزاء النّاس

١ إنّما نُطْعِمُكم لوَجْه اللهِ لا نُريد مِنكم جزاءً ولا شُكوراً

٢ وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجرِىَ إلاَّ على ربِّ العالمين

وصفُ الدّنيا وتحقير متاعها

١ قلْ متاعُ الدُّنيَا قليل
٢ إنما الحياة الدُّنيا لعبٌ ولهْو
٣ وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغُرور

في التّحذير من النفس والشيطان وغرور الدنيا

١ ألشيْطانُ يَعِدكم الفقْرَ ويأمركم بالفحْشاء
٢ إنَّ النفْسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء
٣ فلاتغرُنَّكم الحياةالدُّنيا ولايغرُنَّكم باللهِ الغَرور

في التّسليم بقضائه تعالى وقدَره

١ قُلْ لنْ يُصيبنَا إلاّ ما كتبَ اللهُ لنَا
٢ ولو شاء ربك مافعلُوهُ
٣ ليقْضِىَ اللهُ أمْرًا كانَ مفعُولاً
٤ إنَّ اللهَ بالغُ أمْرِه
٥ ألاَ لَهُ الخلقُ والأمْرُ
٦ اللهُ يبسُطُ الرِّزقَ لمَنْ يشاء ويَقْدِر
٧ وربكَ يخلقُ ما يشاء ويختار
٨ للهِ الأمرُ مِنْ قبلُ ومن بعدُ
٩ ألاَ إلى اللهِ تصيرُ الأمور
١٠ لا يُسألُ عمّا يفعَلُ

في التّرغيب في التقوى والإحسان

١ مَنْ جاءَ بالحسنَةِ فلهُ عشْرُ أمْثالِها
٢ إن الحسناتِ يُذْهِبْنَ السَّيئاتِ
٣ إنَّ أكْرمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقاكم
٤ ورَحمةُ ربِّكَ خيرٌ ممّا يَجْمعُون
٥ لِلَّذين أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادةٌ

في الاعتماد على الله والتوكّل

١ وعلى اللهِ قصدُ السبيلِ
٢ وما ذلك على اللهِ بعزيز
٣ حَسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل
٤ إنَّما أشكو بثّى وحزْنِى إلى الله
٥ ليسَ لها من دون اللهِ كاشفة
٦ واللهُ المُستَعانُ
٧ وأُفوِّضُ أمرى إلى الله

في الموت وعدم تخلُّف الآجال

١ كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموْتِ

٢ لكل أجلٍ كتابٌ

في التوبة والإنابة

١ إنما التوبةُ على اللهِ للذين يعملون السوء بجهالةٍ ثم يتوبون من قريبٍ

٢ وليستِ التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قالَ إني تبتُ الآن

٣ ومَنْ يعملْ سوأً أو يظلمْ نفسهُ ثمَّ يستغفرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيما

في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى

١ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

٢ ربِّ هبْ لي منْ لدُنكَ ذُرِّيَّةً طيبةً إنكَ سميع الدعاء

٣ ربنا فاغفرْ لنا ذنوبنا وكفِّرْ عنا سيئاتنا وتوفنا معَ الأبرارِ

٤ ربِّ أدخلني مُدْخلَ صِدْقٍ وأخرجني مخرجَ صدقٍ واجعلْ لي منْ لدُنكَ سُلطاناً نصيراً

٥ ربنا آتنا منْ لدُنكَ رحمةً وهيِّئْ لنا منْ أمرنا رشدًا

٦ ربِّ اشرحْ لي صدري ويسِّرْ لي أمري

في القرآن الكريم

١ ولقدْ يسَّرْنا القرآنَ للذكرِ فهلْ منْ مُدَّكر

٢ إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هيَ أقومُ

٣ فاقرأوا ما تيسَّرَ منَ القرآنِ

٤ وإذا قُرِئَ القرآن فاستمعوا لهُ وأنصتوا لعلكم تُرحمون

في الأنباء والاستنباء

١ عمَّ يتساءلون . عنِ النبإِ العظيم . الذي هم فيه مُختلفون

٢ فأقبلَ بعضهُم على بعضٍ يتساءلون

٣ عرَّفَ بعضهُ وأعرضَ عنْ بعض

٤ منْ أنبأكَ هذا ؟

٥ هلْ أتاكَ حديثُ الجنود ؟

في الكتب والكتابة والرسالة

١ إذهبْ بكتابي هذا فألقِهْ إليهم

٢ ولقدْ وصَّلنا لهمُ القول

٣ فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ
٤ هاؤمُ اقرأوا كتابِيَهْ

في الاقتراب والدّنوّ

١ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ
٢ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بقريب ؟؟
٣ أزِفتِ الآزِفَة
٤ فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أدْنَى
٥ قلْ عَسَى أنْ يَكونَ قَريباً

في الضَّعف والعجز

١ فما اسْتَطاعوا مِنْ قِيامٍ وما كانوا مُنتصِرين
٢ فما اسْطاعوا أن يظهَرُوه وما اسْتطاعوا له نَقْباً
٣ وما ينْبغِي لهم وما يَسْتطيعون
٤ إنّك لَنْ تستطيعَ معَىَ صَبْراً
٥ وإنَّ أوْهَنَ البيوت لَبَيتُ العنكبوت
٦ ضَعُفَ الطالِبُ والمطلوب
٧ فماله مِنْ قوَّة ولا ناصِرٍ
٨ وخُلِقَ الإِنسانُ ضَعيفاً

في البَلاء وما يُصاب الناس به

١ فَجعلناها حصِيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمْس
٢ إنَّ هذا لَهُوَ البلاءُ المُبين
٣ فأَصبَحوا لا يُرى إلا مَسَاكِنُهُم
٤ ماتَذَرُ مِنْ شيءٍ أَتتْ عليه إلا جَعلَتْه كالرَّميم
٥ فَتَرَى القومَ فيهَا صَرْعَى كأنهُمْ أعجازُ نخلٍ خاويه
٦ وأَخرَجتِ الأرضُ أثْقالها
٧ فجعلَهُمْ كَعَصْفٍ مأكولٍ

في الاغترار بالظّواهر

١ وإذا رأيتَهُمْ تُعْجِبُك أجسامُهم وإنْ يقولوا تسمَعْ لِقَوْلهم كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَة
٢ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَه لم يجدْهُ شيئاً
٣ يحسَبهم الجاهل أغنياءَ من التَّعفُّف
٤ تَحْسَبُهُمْ جميعاً وقلوبُهم شتَّى
٥ وتَحْسَبُهُم أيقاظاً وهُمْ رُقود

في البشرى والتهنئة

١ يا بُشرَى هذا غلام
٢ بُشرَاكُم اليومَ
٣ بشَّرْنَاكَ بالحقِّ فلا تكنْ مِنَ القانطين
٤ وبَشَّروهُ بِغلامٍ عليم

ما يقال عِندَ الظَّفرِ بالحاجة

١ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي
٢ إنَّ هَذا لهوَ الفَوْزُ العظيم
٣ فضْلاً مِنَ اللهِ ونِعْمة
٤ ذلِكَ ما كنَّا نَبْغِ

في الامتنان بالنِّعَم

١ ألم نشرَح لكَ صدْرَكَ
٢ ألم يجدْكَ يتيما فآوَى ، ووَجدَكَ ضالا فهَدَى ، ووَجدَكَ عائلاً فأغنى
٣ أذْكرُوا نِعمتِيَ التي أنعمتُ عليكم
٤ كلوا وارعَوْا أنعامَكمْ
٥ ولولاَ أن ثَبتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تركَنُ إليهم شَيئاً قليلا

في التَّحدُّث بالنِّعمة

١ وَبرًّا بوالدَتي ولَم يجعلْني جبَّاراً شقياً
٢ ولولا نِعمَةُ ربي لكُنتُ منَ المُحْضَرين
وأمَّا بِنعمةِ رَبكَ فحدِّثْ

التأمين والطمأنينة

١ خُذْها ولا تَخفْ
٢ لاَ تَخفْ نجوْتَ منَ القوم الظالمين.
٣ أقْبلْ ولا تَخف إنَّك من الآمنين.
٤ ولَكنْ ليطْمَئِنَّ قلبي
٥ لا تخف إنك أنت الأعلى
٦ وما أريد أنْ أشقَّ عليك ستجدُني إنْ شاءَ اللهُ من الصالحين
٧ ولاتَخافي ولاتحزني إنَّارادُّوهُ إليكِ
٨ لَن يَصلوا إليك
٩ ولاتَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلوْنَ واللهُ معكم

أمرأ للهزيل . (٥٦) بنانُ كفٍّ ليس فيها ساعد . (٥٧) بعد البلاء يكون الثناء . (٥٨) أبلغُ من قُسّ . (٥٩) أبخَل من مادِر . (٦٠) أبصرُ من زَرْقاء اليمامة . (٦١) أبصرُ من غُراب . (٦٢) أبقى من الدهر . (٦٣) أبقى من وَحْيٍ فى حَجَر . (٦٤) أبينُ من فلَق الصُّبح (٦٥) أبكرَ من غُراب . (٦٦) تَرْكُ الذنب أيسر من طلب التوبة . (٦٧) تجوعُ الحرَّة ولا تأكلُ بثدْيَيْها . (٦٨) تسألنى برامتين سلجما . (٦٩) تجشأ لُقمانُ من غير شِبَع . (٧٠) تَضْرِبُ فى حديد بارد . (٧١) تلْدَغ العقْربُ وتَصِيء . (٧٢) تركْتُهم فى حَيْصَ بَيْصَ . (٧٣) تَطْلُبُ أثراً بعد عيْن . (٧٤) تسمعُ بالمُعَيْدى خيْر من أن تَراه . (٧٥) اتّخذ الليلُ جملا . (٧٦) ترَى الفِتيانَ كالنخل وما يدْريك ما الدَّخْل . (٧٧) التثبُّتُ نصفُ العفو . (٧٨) تقطّعُ أعناق الرّجال المطامع . (٧٩) أتبعْ السَّيئة الحسنَةَ تمحُها . (٨٠) اتّقِ شرَّ من أحسنْتَ اليه . (٨١) تضرَّع إلى الطّبيب قبل أن تَمرَض . (٨٢) تجرِى الرّياح بما لا تَشتهِى السفُنُ . (٨٣) ألتقديرُ أحدُ الكاسبين . (٨٤) التدبير نصف المعيشة . (٨٥) جزاء سِنِمَّار . (٨٦) جَعْجعةً ولا أرَى طِحناً . (٨٧) جوِّع كلبَك يتْبعك .

---

(٥٥) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الغنى بل يطغى فيه . (٥٦) يضرب فيمن له همة ولا قدرة له على بلوغ ما فى نفسه (٦٣) الوحى : الكتابة . (٦٧) أى لا تكون مرضعا . يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب . (٦٨) السلجم : اللفت . يضرب لمن يطلب شيئا فى غير موضعه . (٦٩) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك . (٧٠) يضرب لمن يظلم ويتظلم وصاءت العقرب : صوتت . (٧٢) يضرب فيمن وقع فيما لا مخلص له منه . (٧٣) يضرب فيمن ترك الشىء ثم طلبه بعد ذهابه . (٧٤) يضرب فيمن منظره دون مخبره . (٧٥) أى أدى واجبه من العمل ليلا . (٧٦) يضرب لذى المنظر لا خير فيه . (٨٥) يضرب فى مقابلة الاحسان بالاساءة (٨٦) يضرب فيمن يعد ولا يفى . (٨٧) يضرب فيما ينبغى أن يعامل به اللئيم .

(٨٨) جَاوزَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ . (٨٩) جَارِنيكَ مَن يَجْنِي عليك. (٩٠) جليسُ السُّوء كالقَيْنِ إنْ لم يُحْرِقْ ثَوْبك. دَخَّنَهُ . (٩١) جاءوا على بَكْرَة أبيهم . (٩٢) أجودُ من حَاتم ، ومنْ كَعْبِ بن مَامَة . (٩٣) أجبنُ من صَافر ، ومن نَعامة. (٩٤) أجهلُ من فِرَاشَة . (٩٥) أجمعُ من نملة . (٩٦) حَال الجرِيضُ دُونَ القَرِيض . (٩٧) حنّ قِدْح ليس منها . (٩٨) حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَماعُه . (٩٩) حَسْبُكَ من القِلاَدة مَا أحاطَ بالعُنُق . (١٠٠) حُبُّك الشّيء يُعمِي ويُصِمّ . (١٠١) ألْحديثُ ذُو شُجُون. (١٠٢) حَافظْ على الصّديق ولو فى الحريق . (١٠٣) أحَشَفًا وسُوء كِيلَة . (١٠٤) ألحِكمة ضَالَّة المؤمن . (١٠٥) الحبَارى خَالة الكَرَوَان . (١٠٦) ألْحَاجة تَفْتُقُ الحِيلة . (١٠٧) أحمقُ مِن هَبَنَّقة ومن جُحَا . (١٠٨) أحلَم من الأحْنَف . (١٠٩) أحْكَم مِن لُقمان . (١١٠) أحْذَرُ من غُراب ، ومن ذِئب ، ومن ظَلِيم . (١١١) أحْفَظُ مِن الشَّعْبى. (١١٢) خُذْ من جِذْع مَا أعطَاك . (١١٣) خَالِفْ تُذْكر . (١١٤) خَرْقاء وجدتْ صُوفا . (١١٥) خيرُ المال عَينٌ خَرَّارَة فى أرض خوّارة . (١١٦) أخطبُ من سَحْبَان ، ومن قُسٍّ . (١١٧) أخْوَنُ من ذِئب . (١١٨) دون ذا ويَنْفُقُ الحمَار . (١١٩) أدْهَى من قَيس بن زُهَير ، ومن عَمرو بن العاص .

---

(٨٨) يضرب فى تفاقم الأمر . (٨٩) أى لا تزر وازرة وزر أخرى . (٩٠) القين : الحداد (٩١) أى جاءوا جميعا . (٩٣) الصافر من الطيور بغاثها وضعافها . (٩٦) الجريض : الغصة. والقريض : الشعر . يضرب فى الأمر يقيسر حين لا ينفع . (٩٧) يضرب فى الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه .

(٩٨) يضرب فى المقالة السيئة وما يخشى منها . (١٠١) الشجون : الفنون • يضرب فى الحديث يتذكر به غيره . (١٠٣) يضرب فى الجمع بين خصلتين مكروهتين . (١٠٥) يضرب فى مناسبة أحد الشيئين للآخر • (١١٠) الظليم : ذكر النعام .

(١١٢) جذع : اسم رجل • يضرب فى اغتنام ما يجود به البخيل • (١١٤) الخرقاء : التى لا تحسن العمل • يضرب لمن يفسد ماله بسوء تصرفه . (١١٥) الخوارة : الأرض التى فيها لين وسهولة • (١١٨) يضرب فى المبالغة فى المدح بغير احتياج اليها .

(١٢٠) ذَهبُوا أيدِى سبَا . (١٢١) الذّئبُ خالياً أسدٌ . (١٢٢) ذَكَّرْتنِى الطَّعْنَ وكُنْتُ ناسياً . (١٢٣) رمَتْنِى بدَائِها وانْسلَّت . (١٢٤) رَماه الله بثَالِثة الأَثَافِى . (١٢٥) رُبَّ قول أشدُّ من صَوْل . (١٢٦) رُبَّ أخٍ لكَ لم تَلِدْه أُمك . (١٢٧) رَجَع بخُفَّىْ حنَين . (١٢٨) رُبَّ رَمْيـة من غير رَام . (١٢٩) الرّاوِية أحدُ الشّاتمين . (١٣٠) رُبَّ كلِمة سَلَبت نِعْمَة . (١٣١) رُبَّ مَلُوم لا ذَنبَ له . (١٣٢) رُبَّ زَارع لنفسِهِ حاصـدٌ سِواه . (١٣٣) أرْوَى من ضَبّ . (١٣٤) أرقّ من النّسيم ومن رَقْراق السَّرَاب ، ومن غِرْقِئِ البَيْض . (١٣٥) الزَّيْتُ فى العجين لا يَضِيع . (١٣٦) زَكاة النِّعَمِ المعروفُ . (١٣٧) أزْكَنُ مِن إيَاس . (١٣٨) أزْهَى من طَاوُس . (١٣٩) سبَقَ السَّيفُ العَذَلَ . (١٤٠) أَسـاء سَمعاً فأساء إجابةً . (١٤١) سَكَتَ ألفاً ونَطق خَلْفاً ؛ (١٤٢) سُرق السّارق فانتحر . (١٤٣) السَّلِيم لا يَنام ولا يُنِيم . (١٤٤) سَحَابةُ صيفٍ عن قَليل تَقَشَّعُ . (١٤٥) شَرّ الرَّأْيِ الدَّبَرِىّ . (١٤٦) شُخْبٌ فى الإِناءِ وشُخْبٌ فى الأرض . (١٤٧) شِنْشِنَةٌ أعرِفُها

---

(١٢٠) أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه كما تفرقت سبأ . (١٢٢) يضرب فى تذكر الشئ بنيره . (١٢٣) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هو فيه . (١٢٤) الأثافى : جمع أثفية وهى الحجر توضع عليه القدروهما اثنتان وثالثتهما الجبل والمراد بها الداهية العظيمة . (١٢٥) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به . (١٢٧) يضرب فى الخيبة . (١٢٩) هذا كقولنا شتمك من بلغك . (١٣٣) تزعم العرب أن الضب لا يحتاج الى شرب الماء بل يفتح فاه للهواء فيكون فى ذلك ريه . (١٣٤) الغرقئ القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيضة (١٢٥) يضرب فى الاحسان إلى الأقاريب . (١٣٨) الزهو العجب . (١٣٩) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه .

(١٤١) الخلف : الردىء من القول . (١٤٢) يضرب لمن ينتزع من يده ماليس له فيجزع عليه . (١٤٣) السليم : الملدوغ . يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره . (١٤٥) الدبرى : يسنح بعد فوات الفرصة . (١٤٦) الشخب : ماخرج من الضرع ممتدا من اللبن . يضرب فيمن يصيب مرة ويخطئ أخرى . (١٤٧) الشنشنة الطبيعة والعادة يضرب فى مشابهة الفرع لأصله فى الشر .

أعجزُ ممَّن قتلَ الدُّخَان . (١٨٠) غُدَّة كغُدَّة البَعير وموتٌ فى بيت سلُولية . (١٨١) غثّك خيرٌ من سمِين غيرك . (١٨٢) فى الصّيف ضيّعتِ اللّبنَ . (١٨٣) فى بَيته يُؤتَى الحَكَمُ . (١٨٤) فى كل شَجَر نَار واستَمجدَ المرْخ والعفَار . (١٨٥) أفرسُ من بِسطَام . (١٨٦) أفتَك من عَمرو بن كلثُوم . (١٨٧) قَطَعتْ جَهِيزَةَ قَولِ كل خَطِيب . (١٨٨) قد أنصفَ القَارَةَ من رَاماها . (١٨٩) قبلَ الرِّماء تُملأ الكنائن . (١٩٠) أقتلُونى ومَالِكا . (١٩١) القَوْلُ ما قَالت حذَامِ (١٩٢) كان كُرَاعا فصَار ذِراعا . (١٩٣) كلامٌ كالعَسَل، وفعلٌ كالأَسَل . (١٩٤) كلّ فتَاةٍ بأبِيها مُعْجَبَةٌ . (١٩٥) كطالبِ القَرْن جُدِعت أُذُنُه (١٩٦) كمُجِير أُمّ عامر . (١٩٧) كيفَ أُعاوِدُك وهذا أثر فأسِك . (١٩٨) كأنّ على رءوسهم الطّيرَ . (١٩٩) كالمُسْتَجير من الرَّمْضاءِ بالنّار . (٢٠٠) لَوذاتُ سِوار لَطَمَتْنى . (٢٠١) لو خُيِّرْتُ لاَخترت . (٢٠٢) لو تُرِكَ القَطَا لَيلاً لنامَ . (٢٠٣) لعلّ له عُذْراً وأنتَ تَلومُ . (٢٠٤) لأَمْرٍ مّا جُدِعَ قصيرٌ أنفُه . (٢٠٥) لكُلّ مَقامٍ مَقَال .

(١٨٠) سلول قبيلة ذليلة . يضرب فى اجتماع خصلتين من الشر . (١٨٢) يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه (١٨٤) المرخ والعفار : شجران قويا النار . يضرب فى تفضيل بعض الشىء على بعض . (١٨٧) يضرب لمن يقطع على الناس ماهم فيه بحماقة يأتى بها . (١٨٨) القارة : قبيلة من أبرع الناس فى المراماة . (١٨٩) يضرب فى الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه . (١٩٠) يضرب فيمن يريد بصاحبه المكروه وإن ناله هو منه ضرر . (١٩٢) يضرب فى الذليل يصبح عزيزا . (١٩٣) الأسل : الرماح . (١٩٤) يضرب فى عجب الرجل برهطه وعشيرته ، (١٩٥) أصل المثل فى النعام . ويضرب فى طلب الأمر يفضى بصاحبه الى التلف .

(١٩٦) أم عامر : الضبع وقد أكلت من أجارها . يضرب فى الذى يجزى على إحسانه بالسوء . (١٩٧) يضرب فيمن لا يفى بالعهد . (٢٠٠) يضرب فى الوضيع يقع منه العدوان . (٢٠٢) يضرب فيمن حمل على المكروه من غير إرادته .

(٢٠٦) لا مَخْبأَ لِعطْرٍ بعد عَرُوس. (٢٠٧) لا تَعدَم الْحَسْناءُ ذاماً. (٢٠٨) لا تَهْرِفْ بما لا تَعْرِفُ. (٢٠٩) لا نَاقَتِي فيها ولا جَملى، (٢١٠) لا فى العِير ولا فى النَّفِير (٢١١) لا يَفُلّ الحديدَ إلاّ الحديد. (٢١٢) لا تأمَن الأحمق وبيدهِ سكّين. (٢١٣) لا تَجزَعَنّ من سُنَّة أنتَ سِرتَها. (٢١٤) ما وراءَكَ يا عِصام. (٢١٥) ما يومُ حَليمة بِسرٍّ. (٢١٦) مَا أشبهَ الَّليْلَة بالبَارحة. (٢١٧) مَرْعًى ولا كالسَّعْدان. (٢١٨) ما كلّ بَيضاءَ شَحْمَة. (٢١٩) مِنك أنفُك وإن كان أجْدع. (٢٢٠) مَن استَرعَى الذّئب ظُلم. (٢٢١) مِن مَأمَنه يُؤْتى الحذِر. (٢٢٢) مَواعيدُ عُرقُوبٍ. (٢٢٣) مُكْرَهٌ أخوكَ لا بَطل. (٢٢٤) أمنعُ من عُقاب الجوّ. (٢٢٥) نَفسُ عِصامٍ سَوّدَتْ عِصاما (٢٢٦) نعِيمُ كلب فى بُؤس أهله. (٢٢٧) أندَمُ من الكُسَعِيّ. (٢٢٨) وَافقَ شنٌّ طَبَقَة. (٢٢٩) أوردَها سَعد وسَعد مُشْتمِل. (٢٣٠) أوْفى مِن السَّموْءَل، ومن الحارث بن عُبَاد. (٢٣١) هُما كفرَسَيْ رِهان. (٢٣٢) يَدَاكَ أوْكَتَا وفُوكَ نفخَ. (٢٣٣) اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ.

---

(٢٠٦) يضرب فيمن لا يدخر عنه نفيس. (٢٠٧) يضرب فى الشىء الحسن لا يخلو من عيب. (٢٠٨) يضرب لمن يتعجل فى مدح الشىء قبل تمام معرفته.

(٢١٠) يضرب فى الوضيع ليس فيه شىء من خلال الشرف. (٢١٢) يضرب فى عسف الجاهل اذا قدر. (٢١٥) حليمة بنت ملك غسان. يضرب للأمر المشهور الذي لا يكاد يجهل. (٢١٧) السعدان: نبت من أنفع الاعشاب للابل. يضرب فى الشىء يفضل على أشكاله وأقرانه. (٢١٩) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره. (٢٢٣) يضرب فيمن يحمل على ما ليس من شأنه. (٢٢٥) يضرب فى سؤدد الرجل بنفسه. (٢٢٦) يضرب فى التابع ـ كالخادم يشغل سادته بمصيبة فيغتنم ماقدر عليه من أموالهم. (٢٢٨) يضرب فى تمام المشاكلة والاتفاق. (٢٢٩) يضرب لمقصر فى الامر. (٢٣٢) يضرب لمن يجنى على نفسه. (٢٣٣) يضرب فى تقلب الأيام.

﴿ الفن الرابع فى الأوصاف ﴾

ألوصفُ(١) عبارَة عن بيَان الأمرِ باْستيِعَاب أحوالِه وضُروب نعوتِه المُمثّلة له ، وأصولُه ثلاثة .

«الأوّل» أن يكونَ الوصفُ حَقيقياً بالموصُوف مُفرزاً له عمّا سِوَاه

« الثانى » أن يكون ذَا طلاَوَة ورونَق

«الثّالث» أنْ لايَخرُجَ فيه إلى حدُود المُبالَغة والإسهاب ، ويُكتفى بما كان مناسباً للحال ـ وأنواعه كثيرة ، ولكنّها ترجع إلى قسمين : وهما وَصفُ الأشياء ووصفُ الأشخَاص — أمَّا الأشياء الْحرِيّةُ بالوصفِ فهى كالأمكنة والحوادث ومناظر الطَّبيعة .

وأمَّا وصفُ الأشخَاص فيَكون بوصف الصُّورة أو الطّبع أو بوصفِهما معاً ولنذكر لك فِقراً جارِية على ألسنة البُلغاء فى صِفات شتّى ـ ثم نُتبِعُها بمقالات فى الوصف نثرا ونَظماً

﴿ وَصفُ البُلْدان ﴾

بَلْدَةٌ كأنها صُورة جنّة الُخلد ، منَقوشَةٌ فى عرْض الأرض ، بَلدةٌ كأنَّ محاسِنَ الدُّنيا مجموعةٌ ومَحصُورة فى نَواحِيها ، بلدةٌ تُرابها عَنْبر ، وحَصباؤُها عقِيق ، وهَواؤها نَسيم ، ومَاؤها رَحِيق ، بَلدة معَشوقَة السّكنَى ، رحْبةُ المَثْوَى(٢) كوكَبها يَقْظان ، وجوُّها عرْيان ، يَومُها غَداةٌ ، وليلُها سَحَر ، بلدةٌ واسعَةُ الرُّقعة

(١) احسن طريقة للاجادة فى الوصف أن ترسم أولا فى بدء وصفك نظراً عاما جامعا لمجمل الامر الذى تحاول وصفه ثم تأخذ بأيراد مختلف الاجزاء قسما فقسما وذلك اما على تتابع ورود هذه الأجزاء تماما بتقديم أهم الاجزاء ، أو إيثار ما كان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته

(٢) الاقامة

طيّبة البقعة ، واسطة البلاد وسرّتها ، ووجهها وغرّتها .

﴿ وصف القلاع ﴾

قلعة حلّقت (١) بالجوّ تناجى السّماء بأسرارها ، قلعة تتوشّح بالغيوم ، وتتحلّى النّجوم ، قلعة متناهية فى الحصانة ، ممتنعة عن الطّلب والطّالب ، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب ، لم تزدها الأيام إلاّ نبوّ (٢) أعطاف ، واستصعاب جوانب وأطراف ، قد ملّ الملوك حصارها ، ففارقوها عن طماح (٣) منها وشماس ، (٤) وسئمت الجيوش ظلّها ، فغادرتها (٥) بعد قنوط ويأس ، فهى حمى لا يراع (٦) ومعقل لا يستطاع ، كأنّ الأيّام صالحتها على الإعفاء من الحوادث ، واللّيالى عاهدتها على التّسليم من القوارع (٧)

﴿ وصف الدّور ﴾

دار قرار توسع العين قرّة ، والنّفس مسرّة ، كأنّ بانيها استسلف الجنّة فعجّلت له ، دار تخلّ منها الدّور ، وتتقاصر عنها القصور ، دار قد اقترن اليمن (٨) بيمناها ، واليسر بيسراها ، الجسوم منها فى حضر ، والعون على سفر ، دار دار بالسّعد نجمها ، وفاز بالحسن سهمها ، يخدمها الدّهر ، ويأويها البدر ، ويكنفها النّصر هى مرتع النّواظر ، ومتنفّس الخواطر ، أخذت أدوات الجنان ، وضحكت من العبقرىّ (٩) الحسان

﴿ وصف الدّيار الخالية ﴾

دار لبست البلى . وتعطّلت من الحلى ، صارت من أهلها خالية ، بعد ما

(١) ارتفعت (٢) بعدا (٣) كبر وفخر (٤) اباء وامتناع (٥) تركتها (٦) لا يفزع ولا يخاف فيها أحد (٧) الحوادث والنوائب (٨) البركة (٩) البسط المعجب شكلها

كانت بهم حالية ، قد أنفدَ البينُ سكانها ، وأقعدَ حيطانها ، دارٌ شاهدُ اليأس منها ينطقُ ، وحبلُ الرجاء فيها يقصرُ ، كأنَّ عمرانها يُطوى ، وخرابها يُنشَر أركانها قيامٌ وقعود ، وحيطانها رُكّع وسُجود

بكتْ دارُهم من بعدهم فتهلَّلت دُموعى فأىَّ الجازعين أَلُومُ
أمُستعبراً يبكى على اللهو والبِلَى أم آخرَ يبكى شَجْوه فيهم

﴿وصف أيام الربيع﴾

يومٌ جلابيبُ غيومه رواق [1] وأودية نسيمه رقاق ، يومٌ سماؤه فاختيّة وأرضهُ طاوُوسيّة ، يومٌ مُمسكُ السّماء ، مُعصفرُ الهواء ، مُعنبرُ الرّوض مُصندلُ الماء يومٌ تبسّم عنه الرّبيعَ ، وتبرّج عنه الرّوضُ المَريع ، يوم كأنّ سماءه مُحِدٌّ تتباكى وأرضُه عَرُوسٌ تتجلّى ، يومٌ دجنه [2] عاكف ، وقطرُه واكف [3]

﴿وصف الرّياض﴾

روضةٌ رقّت حواشيها ، وتأنقَ واشيها [4] ، روضة كالعقُود المُنظّمة ، على البُرود المُنمنمة ، روضة قد راضتها أكفُّ المطر ، ودبّجتها أيدى النّدى ، رياضٌ كالعرائس فى حليها وزخارفها ، والقيان [5] فى وشيها ومطارفها [6] ، باسطة زرابيّها وأنماطها ، ناشرة بُرودها ورياطها ، زاهيةٌ بحمرائها وصفرائها ، تائهةٌ بغيدانها وغُدرانها ، كأنّما احتفلت لوفد ، أو هى من حبيب على وعد ، روضة قد تضوّعت [7] بالأرج [8] الطّيّب أرجاؤها ، وتبرّجت [9] فى ظُلل الغمام صحراؤها ، وتنافحتْ

---

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه الى الارض (٢) الغيم (٣) سائل
(٤) حائكها وناقشها (٥) جمع قين المغنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه أعلام والزرابى البسط والانماط الاثواب التى تطرح على الهوادج ، والرياط الاثواب الرقاق (٧) تحركت
(٨) نفحة الريح الطيب (٩) تزينت

بنَوافِح المِسك أنوارُها ، وتعارَضت بغرائب النُّطق أطيارُها ، بُستانٌ أنهارُه محفُوفة بالأزهار ، وأشجاره مُوقرَةٌ بالثّمار ، أشجارٌ كأنّ الحورَ أعارَتها قُدُودَها وكسَتْها بُرُدَها ، وحلّتها عقُودها ، شقائقُ كتيجان العقيق على رؤوس الزُّنوج كأنّها أصداغُ المِسكِ على الوَجنات المُورَّدة ، كأنّ الشّقيق جَامٌ [١] من عَقيق أحمر ، مُلِئَتْ قَراراتُه بمسكٍ أذفر ، الأرض زُمرُّدة ، والأشجار وَشْيٌ والماء سيُوفٌ ،

والطّيُور قِيَان [٢] قد غرّدت خُطباء الأطيَار على مَنابر الأنوار والأزهار

(وصف طول الليل والسّهر وما يعرض فيه من الهمُوم والفكر)

لَيلةٌ قُصَّ جناحُها ، وضلَّ صَباحُها ، ليالٍ ليست لها أسحَارٌ ، وظُلُماتٌ لا يَتخلّلُها أنوَار ، ليلٌ ثَابتُ الأطناب [٣] ، بَطيءُ الغَوارب ، طَامِحُ الأمواج وَافِي الذّوَائِب ، بَاتَ بليلة سَاوَرتْه [٤] فيها الهمُوم ، وسَامَرَته النّجوم ، واكتحَلَ السُّهاد ، وافترَش القتَاد ، واكتحَلَ بماء السّهر ، وتَململ على فِراش الفِكر ، قد أقَضَّ مَهادُه [٥] وقَلِقَ وَسادُه ، هُمومٌ تُفرِّق بينَ الجنب والمِهاد ، وتَجمعُ بين العين والسُّهاد

(وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأفول النجوم)

قَد اكتَهلَ [٦] الظّلام ، قدْ نَصفْنا عُمْرَ اللّيل وَاستغرَقنا شبَابَهُ ، قد شَاب رَأسُ اللّيل ، كَادَ يَنِمّ النّسيم بالسّحر . قد انكشَفَ غِطاء اللّيل وسترُ الدُّجى . هَرِمَ اللّيلُ ، وشَمِطتْ ذَوَائبُه ، قُوّضت [٧] خيامُ اللّيل . وخلَع الأُفُق ثوبَ الدُّجَى تَبسّمَ الفجرُ ضَاحكاً مِن شَرْقه ، ونَصبَ أعلامَه علَى مَنازل أُفقه . اقْتنصَ

---

(١) اناء (٢) مغنيات (٣) حبال الخيمة (٤) شغلته وقاومته (٥) خشن وترب (٦) صار كهلا تشبيها بالرجل الكهل وهو من جاوز الاربعين سنة (٧) هدمت

بازىُّ الضَوء غُرابَ الظَّلام ، وفَضَّ كافُور النُورِ من الغَسق مِسْكَ الخِتام . طُرِّزَ قميصُ الليل بغُرَّة الصُّبح ، باحَ الصُّبحُ بسِرِّه . خلَع الليل ثيابَه ، وحَدَر[1] الصُّبحُ نِقابه . بَثَّ الصُّبح طَلائعه . تبَرقع الليل بغرَّة الصُّبح . أطار مُنادِى الصُّبح غُرابَ الليل . عُزِلَت نَوافج الليل بجامات الكافُور . وانهزمَ جَيشُ الظَّلام عن عَسكرِ النور . مالت الجوزاء[2] للغُروب ، وولَّت مواكبُ الكواكب وتناثرتْ عقودُ النجُوم ، ووَهى نِطاق الجوزاء ، وانطفأ قِنديل الثُّريا .

﴿ وصف طلوع الشمس وغروبها ﴾

بدَا حاجبُ الشَّمس . ألقت الغزَالة[3] لُعابَها . وضَربت الضُّحى[4] أطنابَها . انتَشَر جناحُ الضَوّ في أُفُقِ الجوِّ . استوَى شبابُ النَّهار على رَونق الضُّحى . بلغت الشَّمسُ كَبِدَ السَّماء . قام قائمُ الهاجِرَة ورَمت الشَّمس بجمرات الظهر . اصفرَّت غِلالةُ[4] الشَّمس ، وصارت كأنَّها الدِّينارُ يلمع في قرار الماء نفَضتْ تِبراً على الأصِيل ، وشدَّت رَحلها للرَّحيل ، جَنَحت الشَّمس إلى مغاربها دَلكتْ[5] دَلُوح[6] واغبرَّ لَوْحُ اللَّوح[7] تَصوَّبت الشَّمس للمَغيب ، تَضيَّفت للغُرُوب ، فآذنَ جنبُها بالوُجوب[8] شابَ النَّهار وأقبلَ شَبابُ الليل ، استتَرَ وجهُ الشَّمس بالنِّقاب ، وتوارَت بالحِجاب ، كأنّ هذا الأمرَ مِنْ مَطلع الفَلَق إلى مجمع الغَسق .

---

(١) أنزل (٢) برج فى السماء (٣) الشمس (٤) الضحى جمع ضحوه ، مؤنث والضحا تذكر على أنها اسم (٥) الثوب الرقيق (٦) غربت (٧) السحابة . ولوح صفحه . واللوح اللمح واللمعان ، من لاح يلوح لوحاً (٨) وجبت الشمس وجيباً ووجوبا غابت

﴿ وصف الرّعد والبرق ﴾

قامَ خَطيبُ الرَّعد ، نَبضَ [١] عِرْق البَرْق ، سَحَابة ارْتَجزت [٢] رُعودُها وَذَهبتْ بِرُوقِها بُرُدُها ، نَطق لسانُ الرَّعد ، وَخفَقَ قلبُ البرْق ، فالرعد ذُو صَخَبَ [٣] والبَرق ذُو لَهَب ، ابْتَسَم البْرَقُ عن قَهقهة الرَّعد . زَأرت أُسُود الرَّعد ولمعت سُـيوفُ البْرَق . رَعَدَت الغَمائم وَبَرَقت ، وانحلّت عُرَى السّماء فطبّقت هَدَرت رَوَاعِدُها ، وقَرُبت أباعِدُها ، وَصدقتْ مَوَاعدُها .

﴿ وصف مقُدّمات المطر ﴾

لَبِست السَّماءُ سِرْبالها ، وَسحَبَت السَّحائبُ أذيالها . قد احتَجَبَت السَّماءُ فى سُرادِق الغَيم . لبسَ الجوّ مُطْرَفَه [٤] الأدكَن [٥] باحت الرِّيحُ بأسرَار النَّدى ضُرِبت خَيمةُ الغَمام ، ابتلَّ جنَاح الهوَاءِ ، واغرَوْرَقت مُقْلة السَّماءِ . هبَّت شمائل الجنائب ، لتأليف شَمْل السَّحائب . تألّفت أشتَات الغيوم ، وأُسْبلَت السّتور على النّجُوم

﴿ وصف الثّلج وَالبرَد وأيام الشتّاء ﴾

مدَّ الشتّاءِ رِواقه ، وَأَلْقى أرواقه [٦] وَحلَّ نِطاقَه، أناخ بنوَازِله ، وَأرْسَى بكلاكِله وكَلَحَ بوجهه ، وكشرَ عن أنْيابه .قد عَادت الجِبالُ شَيبًا ، وَلبِست مِن الثُّلوج مُلاءً قَشيباً [٧] شَابتْ مَفارِق البْرُوج بترَاكُم الثّلوج ، ألمّ الشَّيب بها،وَابيّضت لِممُها [٨] برْدٌ يُقضْقِض [٩] الأعضاء ، وَينقْضُ الأحْشاء ، بَرْد يُجَمِّدُ الرِّيق فى الأشـدَاق وَالدّمع فى الآماق ، يوْم كأنَّ الأرضَ شابَتْ لِهوْلِه . يومٌ فِضّيُّ الجِلبَاب ، مِسْكيّ

---

(١) تحرك (٢) الرجز ضرب من الشعر ويقال رجز الراجز وارتجز أيضا (٣) كثير اللغط والجلبة (٤) رداء من خز مربع ذو أعلام (٥) المائل الى السواد (٦) جمع روق وهو والرواق بمعنى (٧) جديدا (٨) جمع لمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن (٩) يكسر ويضعف

النّقاب، عَبُوس قَمْطرير[١]، كشر عن ناب الزَّمهرير، وَفرَش الأرْض بالقوارير.[٢]
يوْمٌ أرْضهُ كالقوارير اللّامعَة، وهواؤه كالزّنابير اللاّسعَة.

(وصف المطرِ والسحاب والماء والغدران)

ماءٌ إذا مسَّه أيدى النَّسيم، حكَى[٣] سلاَسلَ الفضَّة. غديرٌ ترَقرقت[٤] فيهِ دُموع السّحائب، وتواترَت عليه أنفاس الرِّياح الغرائب، انحلَّ عِقْدُ السَّماء وانْهلّ دَمعُ الأنواء[٥] انحلّ سِلكُ القَطْر، عن دُرّ البحر. سَحابةٌ تحدُو من الغيُوم جَمالاً، وتَمُدّ من الأمطار حِبالاً، سحَابة ترْسلُ الأمطار أمواجاً، والأمواجَ أفواجاً، سَحابةٌ يَضحكُ من بكائها الرَّوضُ. وتخضرُّ من سوادها الأرضُ. سحَابةٌ لاتجفُّ جفُونها، ولاَ يخفُّ أنينُها، دِيمةٌ[٦] روّت أديمَ[٧] الثّرى[٨] ونبّهت عُيون النّور من الكرَى[٩]. سحابة ركِبت أعناق الرِّياح، وَسحّت كأفواهِ الجراح. مَطرٌ كأفواه القِرَب.

﴿ وصف القيظ وشدّة الحرّ ﴾

حرٌّ يُشبهُ قلبَ الصّبِّ، ويُذيب دِماغ الضَّب[١٠]. قَوِيَ سُلطان الحرّ، وبُسِط بساطُ الجمر، أوْقدتِ الشَّمس نارَها، وأذْكت[١١] أوارَها[١٢]. حرٌّ يَلفَحُ حُرّ الوْجه. هاجرةٌ كأنّها من قُلوب العُشّاق، إذا اشتعلت فيها نارُ الفِراق، هاجرَة تَحْكِي نارَ الهَجر، وتُذيبُ قَلبَ الصَّخر. حرٌّ يهرُب له الحِرباء[١٣] من الشمس قد صهَرت[١٤] الهاجرةُ الأبدان، وركِبت الجنادِب[١٥] العيدان. حرٌّ يُنضجُ

(١) شديدمظلم (٢) جمع قارورة الاناء من الزجاج (٣) شابه (٤) تحركت (٥) جمع نوء المطر (٦) المطر بلا رعد (٧) وجه الارض (٨) التراب (٩) النوم (١٠) حيوان برى لايعيش الا فى الجهات الشديدة الحر (١١) اوقدت (١٢) نارها (١٣) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون الوانا بحر الشمس (١٤) اذا بت (١٥) الجراد

الجلود، ويذيب الجلمود، أيام كأيام الفرقة امتداداً، وحر كحر الوجد اشتداداً
هاجرة (١) كالسعير الهاجم، يجر أذيال السمائم (٢)

﴿ وصف الشيب ﴾

ذوى (٣) غصن شبابه، بدت في رأسه طلائع المشيب. أقمر ليل شبابه
ظهرت غرة القمر، وأومض (٤) البرق في ليل الشعر. رمى فاحم الفود (٥) بضده
واشتعل المبيض في مسوده. لمع ضوء فرعه، وتفرق شمل جمعه، علاه غبار وقائع
الدهر. بينا هو راقد في ليل الشباب، أيقظه صبح المشيب. طوى مراحل
الشباب، وأنفق عمره بغير حساب، جاوز من الشباب مراحل، وورد من
الشيب مناهل. فل (٦) الدهر شبابه. ومحا محاسن رُوائه، طار غراب شبابه
انتهى شبابه، وشاب أترابه. إستبدل بالأدهم (٧) الأبلق (٨) وبالغراب العقعق (٩)
استعاض (١٠) من الغراب بقادمة النسر، أسفر صبح المشيب. علته أهبة
الكبر. نفض جبة الصبا، وتولى داعية الحجا (١١) الشيب زبدة مخضتها الأيام
وفضة محصتها التجارب. سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب، الشيب خطام
المنية. الشيب نذير الآخرة.

﴿ وصف آلات الكتابة ﴾

لا يردُ غيرَ الأفهام ، ولا يُمتح (١) بغير أرشيةِ (٢) الأقلام ، غديرٌ تفيضُ ينابيعُ الحكمة من أقطاره ، وتنشأ سحبُ البلاغةِ من قراره

مدادٌ كسواد العين وسويداءِ القلب ، وجناح الغراب ، ولعابِ الليل ، وألوان دُهم الخيل . مدادٌ ناسبَ خافيةَ الغراب ، واستعارَ لونهُ من شرخ (٣) الشباب . أقلامٌ جمَّة المحاسن ، بعيدةٌ من المطاعن . أنابيبُ ناسبت رماح الخطّ فى أجناسها ، وشاكلتْ الذهبَ فى ألوانها ، وضاهت الحديدَ فى لمعانها . أقلامٌ كأنها الأميال استواء ، والآجالَ مضاء ، بطيئةُ الخفى قوية القوى . قلم لا ينبو (١) إذا نبتْ الصفاح ، ولا يُحجمُ (٥) إذا أحجمتْ الرماح . قلم يسكتُ واقفاً وينطقُ سائراً

(وصف الخطباء)

جلَوْا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحذوا بمواعظهم الأذهانَ الكليلةَ ، ونبّهوا القلوبَ من رقدتها ، ونقلوها عن سوءِ عادتها ، فشفوا من داء القسوة ، وغباوة الغفلة ، وداووا من العيِّ الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح . خطيبٌ لا تناله حُبسة ، ولا ترتهنه لُكنةٌ ، ولا تتمشّى فى خطابه رُتّةٌ (٤) ولا تتحيّفُ (٥) بيانهُ عُجمة ، ولا تعترضُ لسانه عُقدة . خطيبٌ جواهر نفثاته صحاح ، وعرائس أفكاره صباح . خطيبٌ تزيّنت بدرر ألفاظه عقودُ الملح ، لا عيبَ فيه إلاّ أنّ لفظهُ عطّل الياقوت والدرّ . خطيبٌ مصقع ينثرُ لسانهُ اللؤلؤَ المكنون . هو الخطيبُ المصقعُ الذى أشخصَ بآياتِ خطبهِ الزاجرة عيونَ القوم وأبكاها ، هو الخطيبُ

---

(١) لا ينزح للاستقاء (٢) حبال الدلاء (٣) ريعانه (٤) لا يبعد (٥) لا يتأخر (٦) العجمة (٧) بمعنى تنتقص

المِصقعُ الذى تتلاعبُ بالعقول معانيه ، ويُصاغ الدُّرُّ من لفظِ فيــه . هو الخطيبُ الذى تهتزّ له المنابر، وتنقادُ اليه كلماتُ السَّحر متسابقةً ءآخذاً بعضُها برقاب بعض

(وصف العُلماء)

بدرُ العُلوم اللّائح ، وقطرُها الغادِى والرّائح ، وثبيرُها (١) الّذى لا يُزحم، ومُنيرُها الّذى ينجلى به ليلُها الأسحم . (٢) أمّا فنونُ الأدب فهو ابنُ بجدتِها (٣) وأخو جُملتها ، وأبو عذرتها ، ومالكُ أزمّتها . تُستخرَج الجواهرُ من بُحوره ، وتُحلَّى لمعاتِ الطُّروس بقلائد سُطوره وتآليفه غُررٌ منيرات ، أضاءت فى وُجوه دُهُم المُشكِلات . عالمٌ أقلامُه نفثاتُ السِّحر ، تآليفه عقائل أصبحَ الدَّهر من خُطّابها له بدائع مائساتُ (٤) الأعطاف ، بحرُ البيان الزّاخر ، شيخُ المعارف وإمامُها ومن فى يديه زمامُها . لديه تُنشدُ ضوالُّ الأعراب ، وتوجدَ شوارد اللغة والاعراب . مالك أعِنَّة العُلوم وناهجٌ طريقها ، والعارفُ بترصيعها وتنميقها النَّاظم لِعقودِها ، الرّاقمُ لبرُودها ، المُجيدُ لإرهافِها (٥) العالِم بجلائها وزفافها ملَك رِقّ الكتابة والإنشاء ، وتصرّف فى فُنون الإبداع كيف شاء . عالم يتفجّرُ العلمُ من جوانبه ، وتنطق الحِكمة من نواحيه ، صاحِبُ المُصنّفات الّتى دلّت على وفرة اطّلاعه ، وغزارةِ مادّته ، وحُسنِ بيانه . لم يترُك معنًى مُغلقا إلاّ فتح صياصيه (٦) ، ولا مُشكِلاً الاّ أوضحَ مبانيه .

(وصف البُلغاء)

فلانٌ يحوكُ الكلامَ على حسب الأمانى ، ويخيطُ الألفاظَ على قُدُود

---

(١) المثابر المواظب (٢) الاسود (٣) العالم بها المتقن لها (٤) متبخترات مائلات
(٥) لدقتها ولطفها (٦) جمع صيصة الحصن المنيع

المعانى . يَجتَنى من الألفاظ أنوارها ، ومن المعانى ثِمارَها . يَعبثُ (١) بالكلام وَيقودُه بألينِ زِمام، حتى كأنَّ الألفاظَ تتحاسدُ فى التسابقِ إلى خواطره، والمعانى تَتغايرُ فى الأنثيال (٢) على أنامله، بليغٌ نَسقَ (٣) من جواهر كلامه أكاليلَ دُرٍّ مَا لمنظومها سِلاك. بليغٌ تفتكُ سِهامُ أفكاره الزُّرْد ، ناظمُ سِلك البلاغة ، وقائدُ زِمام البراعة ، إذا أوجزَ أعجزَ ، وإذا شاءَ أطال ، وأطلق من البلاغة العقال إذا أذكى سِراجَ الفِكر ، أضاءَ ظلامَ الأمر ، يَستنبطُ حقائقَ القلوب، وَيستخرجُ ودائِعَ الغيُوب .

(وصف الشّعراء والمُنشئين ومحاسن النّظم والنّثر)

مقذِفُ حصَى القريض وجماره ، ومطلعُ شُموسه وأقماره ، نَثرُهُ سِحرُ البيان. ونظمُهُ قِطعُ الجُمان. طلعت شمسُ الأدب من أفُقِ أشعاره ، وتفجّرت ينابيعها من خلال آثاره . شاعرٌ توقّدت جمراتُ أفكاره . شاعرٌ عرائسُ أفكاره صباح .

إن نثر فالنّجوم فى أفلاكها ، أو نَظمَ فالجواهرُ فى أسلاكها ـ أخذت بمجامع القلوب كَلِمُهُ ، إذا كتبَ انتسبَ اليه السِّحر أصحّ انتساب ، وَنَسق (٤) المُعجزات نَسْق حساب ، وأرَى البدائعَ بِيض الوُجوه كريمة الأحساب ، إن نثر رأيتَ بحراً يزخر ، وإذا نَظَم أزرَى بنظم العقُود ، وأتى بأحسنَ مِنْ رَقْم البُرُود إذا كتبَ ملأ المهارِق (٥) بياناً ، وأرَى السِّحر عِياناً ، هو الكاتب الذى تحسدُ أرقامُ الطِّراز سُطورُ قلمه ، ويودّ التبرُ لو كان مِداد كَلِمه . هو الكاتب الذى تنقادُ إلى يراعه (٦) دقائق المعانى صاغِرةً بزِمام ـ نثرٌ كنثرِ الورْد ، ونظمٌ كنظم

(١) يلعب (٢) الانصباب (٣) نظم (٤) نظم (٥) جمع مهرق ثوب حرير أبيض يبقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (٦) اقلامه

العقد، نثر كالسَّحر أوْ أدَق، ونَظم كالماء أو أرَق، نثر كما تفتَّح الزّهر، ونظم كما تنفَّس السَّحَر، رسالة تضحكُ عن غُرَرٍ وزَهر، وقصيدة تَنطوِي على حبر ودُرَر. كلامٌ كما هَبَّ نسيم السَّحر، عـلى صفحات الزَّهر، كتابٌ مَطلعه مَطلع أهِلّة الأعياد، وموْقعه موْقعُ نَيل المُراد، كتاب حَسِبته يَطير من يدىّ لِخفَّته، ويلطُفُ عن حِسّى لقِلَّته، صحائف انطوَت المحاسن تحت رِقٍّ مَنشُورها، وَصدَحت حَمائم البلاغة على أغصان سُطورها. صحائف تنُوب عن الصَّفائح، وقرَاطِيس تزُفُّ الى الأسماع عرَائس القرَائح. صحائفُ ألبَسها الحبر أثواباً من الحُبْر[1]، ودبّجها[2] صوْبُ[3] الفِكر، لا صوْب المَطر.

(وصف الأمراء والأشراف)

فلانٌ من شَرَف العنُصُر الكريم، ومَعدَن الشَّرَف الصَّميم[4]. أصلٌ رَاسخ، وفَرع شامخ[5]، ومجد باذِخ[6]. قدْ ركَّبَ الله دَوْحتَه[7] فى قرارة المجد، وَغرَس نَبْعته[8] فى مَنْبَت الفضل. ألمجدُ لسان أوْصافه، والشَّرَف نسبُ أسلافِه. دَوحةٌ رَسبَ[9] عِرْقها، وَبَسَق[10] فرْعها، وطَاب عُودُها، واعتدَل عمُودها وفيَّأَت ظِلالها، وتَهدَّلتْ[11] ثِمارها، وتفرَّعتْ أغصانها، وَبرَدَ مَقيلُها[12] أميرٌ جيشُه الهمَم. دَوْحةُ مجده وَريفةُ[13] الظِّلِّ وَريقة[14]، أميرٌ لاعيبَ فى ندَاه[15] إلاّ أنَّه يَستعبد كلَّ حُرّ، هو غُرَّةُ الجمال، وصورةُ الكمال، عِقْد

---

(١) الحبرات التى تلبسها النساء المصرية اذا خرجن (٢) نقشها (٣) المطر (٤) الخالص (٥) المرتفع (٦) العالى (٧) الشجرة العظيمة (٨) الشجرة أيضا (٩) نبت (١٠) ارتفع (١١) تدلت (١٢) مكانها (١٣) ممتدة متسعة (١٤) مورقة (١٥) عطائه وهذا نوع من انواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم

ولاعيب فى معروفهم غير أنه ... يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وفى الحقيقة ليس بعيب بل هو نهاية فى المدح

المناصب بهِ نَضِيد ، أمير عبقت من شمائله نسمات النَّد، وقطرت من سلسبيل أوصافه مِياهُ المجد ، جامعٌ ما تفرّق من شمل الفضائل ، ناظمٌ ما انتثر من عقد المآثر . أنارت به نجومُ المعالى وشموسها . له شرف باذخ تُعقد بالنّجوم ذوائبه ، ألقت إليه الرّئاسة مقاليدها [1] ، وملّكته طريفها وتليدها [2] . أمير تفرَّع من دوحة سنَاء ، [3] وتحدّر من سُلالة أكابر ، ورُقاةِ أسِرَّة ومنابر . مُرتضع ثدْى المجد، ومُفترش حِجر الفضْل ، لهُ صدْر تضيقُ به الدّهناء ، [4] وتفزعُ اليه الدّهْماء . [5] له فى كلّ مكرُمَة غُرّةُ الإصباح ، وفى كل فضيلةٍ قادمة الجنَاح . لهُ صورة تستنطق الأفواه بالتّسبيح ، ويترقرقُ فيها ماء الكرَم ، وتقرأ فيها صحيفة البِشْر . ينابيعُ الجود تتفجَّر من أنامله ، وربيعُ السّماك يضحكُ من فواضله . لهُ أخلاقٌ خُلقن من الفضل ، وشِيَمٌ تُشام [6] منها بوارقُ المجد . أرِجَ [7] الزّمانُ بفضله ، وعقِمَ النّساء عن الأتيان بمثله ، مالهُ للعفاة [8] مُباح ، وفَعَالُه [9] فى ظُلمة الدّهر مِصباح . مناقب تشدخُ [10] فى جبينها غُرّة الصّباح ، وتتهادى أنباءها [11] وفُودُ الرّياح

سألت عن أخباره فكأنى حرّكت المِسْك فتيقاً ، أو صبّحت الرّوض أنيقاً [12] .

هو رائشُ [13] نَبْلهم ، ونبْعة [14] فضْلهم ، وواسطةُ [15] عِقدهم، لهُ هِمّة علا جناحُها إلى عِنان النّجم ، وامتدّ صباحُها من شرقٍ إلى غرب ، همّتهُ أبعدُ من مَناط [16] الفرقد، وأعلى مِن منكبِ الجوزاء [17] . موضعُهُ من أهل الفضل موْضعُ الواسطة من العِقْد ، وليلَة التّمّ من الشّهر ، بل ليلَةُ القدرِ إلى مطلعِ الفجر.

(١) مفاتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسعة (٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعطاء (٩) بفتح الفاء كرمه (١٠) تتلق (١١) اخبارها (١٢) معجباً (١٣) السهم ذوالريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط العقد وهى احسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج فى السماء

هَطَلَت على سَحائبُ عنايَتِه ، وَرَفرَفت حوْلى أجنِحَةُ رِعايته ، قَدْ استَظهَرْتُ على
وجوه [illegible] واسْتَتَرْتُ من دَهرى بظِلّه . قد غرّقتى نِعَمهُ حتى استنفدَت
تصرّفا ، ولا أقلّ صلفا [illegible]
[illegible] سبغتْ نِعَمهُ تتابُعَ القطْرِ عـلى القفْر ، وترادفتْ مِننَهُ
زهدَ فى جِدال ، ولا أ[illegible] لى ذوى الفقر ، لهُ أيادٍ قد عمّت الآفاق ، وطوّقت الأَعناق ، أيادٍ
قد حَبستْ عليـه الشّكر ، واستعبدَت له الحرّ . مِنَنٌ توالت توالىَ القطْر ،
واتّسعتْ سَعَة البرِّ والبَحر ، وأثقلَت كاهِلَ الحرّ .

(وصف القلم)

ألقلمُ أحدُ اللّسانين . وَهو المُخاطِب لِلغيُوب ، بِسرائر القُلوب ، على لُغات
مُختلفةٍ من مَعانٍ معَقُولة ، بحرُوف معَلولة ، مُتبَاينات الصوُر ، مُختلفات الجهات
لِقاحُهـا التفـكر ونِتاجُها التَّدبير ، تَخرَسُ مُنفردات ، وتنْطق مزدوَجات ، بلا
أصوَات مَسمُوعة ، ولا ألسُن محدُودة ، ولا حركات ظاهرة ـ خَلا قلم حرّف باريهِ
قَطّتهُ ، لِيتعلّق المِدَادُ به ، وأرْهفَ جانبيهِ ، لِيردُّما انتشر عنه إليهِ ، وشَقّ رأسه
لِيحتبسَ المِدادُ عليه ، فهنالك استمدّ القلمُ بشقّه ، ونثر فى القِرطَاس بخطّه حرُوفاً
أحكَمها التفـكر وأولَى الأَسماع بها الـكلامُ الّذى سداهُ العقل ، وألحمـه اللّسان
ونَهستْهُ اللّهوَات ، وقطعَته الأسـنان ، ولفظتهُ الشّفاه ، ووعتهُ الأسمَاعُ عن أنحاء
شتّى من صفَات وأسماء ـ قال البُحترى :

طِعَانٌ بأطراف القَوافى كأنّه ... طِعانٌ بأطراف القَنا المتـكسّر

وقال ابن المُقفّع « ألقلم بَريدُ القَلْب . يُخبرُ بالخبر ، ويَنظُر بلاَ نَظر » .

وقال أبو دُلَف « ألقلمُ صائغُ الـكلام يفرغ ما يجمعهُ العلم »

وقال الجاحظ « الدّواة منْهَل ، والقلمُ مَاتِح ، والـكِتَابِ عطَن »

وقال المأمون « لله دَرّ القلم كيف يَحوك وَشى المملكة »

وقال جَالينُوس : « القلمُ طَبيبُ المنطِق »

وقال أحمد بن عبد الله « القلمُ رَاقدٌ فى الأفئِدة ، مُستيقظٌ فى الأفوَاهِ »

وقيل : « عقولُ الرجال تحتَ أقلاَمِهَا »

وقال آخر : «القلمُ أصمّ يَسمعُ النَّجوى ، وأخرسُ يفصحُ بالدّعوى ، وجَاهل يَعلمُ الفَحْوى »

وقال أحمد بن يوسف : «عبَرَاتُ الأقلام فى خُدُود كُتُبها أحسنُ من عبَرَات الغوانِى فى صُحون خدُودهَا »

وقال أيضاً « القلمُ لِسانُ البَصر يُنَاجيه بما استتَر عن الأسماع ، إذَا نَسَج حُلله ، وأودعهَا حِكمه »

وقال العتابى « الأقلام مطايَا الأذهان »

وقال عبد الحميد «القلمُ شَجَرةٌ ثمرتها الألفاظ ، والفِكر بَحر لُؤلُؤهُ الحِكمة»

وقيل : بِرِىٌّ القلم تُروَى القُلوبُ الظّمئة »

وقال ابن أبى دُؤاد : «القلمُ سفَيرُ العقل ، ورسولُه الأنبلُ ، ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل »

وقال أيضاً : « القلمُ الدّنيا والآخِرة »

وقال آخر : « بِنَوْءِ القلم تصوّبُ الحِكمة »

وقال ابن ميثم : « من جلالة شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قطُّ إلاَّ به »

[illegible] تصرَّفا ، ولا أقلّ صلفا [2] وتـ[illegible] »

زهد في جدال ، ولأ[illegible] بترملي : « الخطّ صورة روحها البيان ، ويدُها السُّرعة

لا أعجل ، [illegible] مكاة وجوارحها معرفةُ الفصول »

ووصفَ أحمد بن اسماعيل خطّاً حسناً فقال : « لو كان نباتاً لكان زَهْراً ، لو كان معدناً لكان تبْراً ، أو مذاقاً لكان حلواً ، أو شراباً لكان صفواً »

وقال أقليدس : « الخطُّ هندسة روحانيّة . وإن ظهرت بآلةٍ جسمانية » .

أخذه النّظام فقال : الخطّ أصلٌ في الرّوح وإن ظهر بالجسد »

وقال بعض الملوك اليونانية : « أمرُ الدِّين والدُّنيا تحت شيئين : قلم وسيف والسيفُ تحتَ القلم »

وقال أفلاطون : « الخطُّ عقالُ العقل »

وقال ارسطاليس « القلمُ العلّة الفاعلة ، والمداد العلّة الهيولانيّة ، والخط العلّة الصوريّة ، والبلاغة العلّة السّامية »

سُئل بعضُ الكُتاب عن الخطّ . متى يستحقّ أن يُوصفَ بالجودة ؟ فقال : « إذا اعتدلت أقسامُه ، وطالت ألفه ولامُه ، واستقامت سطورُه ، وضاهى صعودُه حدُوره ، وتفتّحت عيونه ، ولم تُشبه راءه نونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ولم تختلف أجناسُه ، وأسرع إلى العيون تصوّره ، وإلى العقول ثمرُه ، وقدّرت فصُوله ، واندمجت وصُوله ، وتناسب رقيقُه وجليله ، وخرجَ عن نمطِ الورّاقينَ وبُعد عن تصنُّع المحدرين ، وقامَ لكاتبه مقام النِّسبة والحلية » .

وقالوا : « القلمُ أحدُ اللسانينِ ، والعمُّ أحدُ الأبوين ، والتّثبُّت أحدُ العفوين

وقال اخر : « القلم لسان اليد »

حدثني يحيي بن البحتري قال حدثنا أبي عن ابن الترجمان ـ وكان الواثق أنفذه إلى ملك الروم بهدايا — قال : وافقت لهم عيداً ، فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة ، فسألت عنها فقيل هذه كتب المأمون بخط أحمد بن أبي خالد الأحول ، استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا . فحدثت أنا بهذا الحديث أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : هذا حق قد كتب سليمان بن وهب كتاباً إلى ملك الروم فى أيام المعتمد فقال : ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ، ولست أحسدهم على شيء حسدي إياهم عليه ، والطاغية لا يقرأ العربي . وإنما راقه اعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه .

وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي : أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال وكان الأعرابي لا يحسن أن يقرأ فمضى ونظر ثم عاد فقال : رأيت كرأس المحجن متصلا بحلقة صغيرة ، تتبعه ثلاثة كاطباء الكلبة ، تفضي الى هنة كأنها رأس قطاة بلا منقار . ففهم بوصفه أنها خمسة .

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال : قال بعض الكتاب «ألقلم الردىء كالولد العاق »

وقالوا : « رداءة الخط إحدى الزمانتين ، كما أن حسنه إحدى البلاغتين »

حدثنى طَلحة بن عبد الله قال:

... صرّفا ، ولا أقلّ صلفا (٣) وتـ ... الله بن طاهر من شىء بلّغه عنه . فرأى خطّه

... أزهد فى جِدال ، ولا أ ... ردّنا قبول عذرك ، فاقتطعنا عنه ماقابلنا من قُبح خطّك

ولا أعجل ... مكان اعتذارك لساعدتك حركةُ يدِك ، أوَ ماعلمتَ أنّ حُسنَ الخطّ

يُناضل عن صاحبه بوضوح الُحجّة ، ويُمكّن له دَرك البُغية »

وكان أبو هفّان عبد الله بن أحمد المُهتزمى من أقبح النّاس خطًّا ، وكان يَبتدِىء الخطّ من رأس الورَقة ويُعوّج سُطوره حتى يبقَى آخر سُطر فى الورقة كلمةً واحدةً . فرثاه يحيى بن علىّ فقال فى مرثيّته :

مَع خطّ كأنّه أرجُل البطّ   أو الحطّ فى ذوى الفتيان

قالوا : « رَداءةُ الخطّ زَمانة الأديب »

نظر عبد الله بن طاهر إلى خطّ بعض كُتّابه فلم يرضه . فقال : «نحّوا هذا عن رتبة الديوان فانه عليل الخطّ ، ولا يُؤمَن أن يُعدِىَ غيره »

أنشدنى العنزى الحسن بن على فى قبح الخط

جزعت من قُبح خطّى   وفيه وضعى وحطّى

رَجعتُ من بَعد حِذقى   الى تعلُّمِ خطّى

حدثنا أبو العباس الرّبعى قال حدثنا الطّلحى قال حدثنى أحمد بن ابراهيم ال دخل على الرّشيد أعرابى فأنشده أرجوزة — واسماعيل بن صُبيح يكتب بن يديه كتاباً ، وكان أحسنَ النّاس خطاً وأسرعَهم يداً — فقال الرشيد للأعرابى: صِف هذا . فقال لهُ : مَارأيتُ أطيشَ من قلمه ، ولا أثبتَ من حلمِه . ثم قال :

له قلمٌ بُؤسَى ونِعمَى كلاهما   سَحابته فِى الحالتين درُورُ

قال لِمَن حولَه :

لِكفِّيَ ثأرٌ عند رِجلي لأنّها — أثارتْ قتيلا ما لِأعظُمِهِ جَبرُ

فعجبَ الناس من سُرعة بديهته

وأهدَى رجل إلى ابراهيم بن المدبّر قلماً وكتَب اليه :

قد وجّهت اليك أعزّك الله بمفاتح العلوم ، بادٍ جَمالُها ، تامّ كَمالها ، فهي كـ

قال الشاعر :

لَيس فيها ما يُقالُ له — كملُت لو أنّ ذا كُملا

كلّ جُزءٍ من محاسنها — كائنٌ من حُسنه مَثلاَ

وقال أحمد بن اسماعيل :

واذا نَمنمتْ بَنَانك خَطَّا — مُعرباً عن إصابة وسدَادِ

عجبَ النّاس من بياض مَعانٍ — يُجتنى من سَواد ذاك المِدَادِ

حدّثنا أحمد بن يزيد المُهلّبي قال حدّثني أبو هفّان ، قال سألت ورّاقا عن

حاله فقال :

« عَيشي أضيقُ من مَحبرَةٍ ، وجِسمي أدقُّ من مَسطَرة ، وجاهي أرقُّ من

الزّجَاج ، ووَجهي عند النّاس أشدّ سَواداً من الحِبر ، وحظّي أحقرُ من شَقّ القلم

وَبَدَنِى أضعفُ من قَصبة ، وطَعامى أيسرُ من العَفْص ، وسُوء الحال ألزمُ لى من الصِّبغ »

[illegible] (١)

وتصرّفا ، ولا أقلّ صلفا (٢) وتـ[illegible]

أزهدَ فى جِدال ، ولا أ[illegible]

ولا أعجلَ مُكا[illegible]

بالليل لا أكتُب وطُول النّهار أنا ألعبُ

فطوراً يبطِلُنى مَأكلٌ وَطوراً يبطلنى مَشْربُ

فإنْ دَام هذا على ما أرَى فَبيتى أولُ مَا يَخربُ

(وصف الـكِتاب)

ألـكِتابُ نِعْمَ الأنيسُ فى سَاعة الْوَحـدَة ، ونِعْم المعرفَةُ فى دَار الغرْبة ونعم القَرين وَالدّخيل ، ونعم الزّائر والنَّزيل ، وِعاءٌ مُلِئَ علماً وَظرفاً ، وإناءٌ ملِئَ مزحاً وجِدّا ، وحبّذا بُستانٌ يُحملُ فى خُرْج ، وروضٌ يُقلّبُ فى حِجر . هل سَمِعت بشجرة تُؤتِى أُكُلها كلّ حين بألوان مُختلفة وطُعومٌ متَباينـة ؟ هل سمعت بشجرَة لا تذْوَى ، وَزَهر لا يتوَى (٢) ، وَثمر لا يفَنى ، ومَن لكَ بجليس يُفيدُ الشّئ وخلافه ، والجنس وضِدّه ، ينَطقُ عن الموْتى ويُترجم عن الأحياء ، إن غَضبتْ لم يَغَضبْ ، وإنْ عَرْبدتْ لم يَصخَب (٣) . أكتَمُ من الأرض ، وأَنَمُّ من الرِّيح وأهوَى من الهوى ، وأخدعُ من المنَى ، وأمتعُ من الضّحى ، وأنطقُ من سَـحبَان وائل ، وأعيَا من بَاقِل (٤) هل سمعت بمُعلّم تحَلّى بِخِلال كثيرَة . وَجمع أوصـافاً عَديدةً ـ عرَبىّ فارسىّ يُونانىّ هندىّ سِندىّ رُومىّ ، إن وَعَظ أسمع ، وان ألهَى

---

(١) ومثله قول قائلهم : تبا لرزق نازل من شق هذى القصبه
تباً له تبا له ما أتعبه ما أتعبه

(٢) يتوى يهلك (٣) لم يصوت (٤) رجل من اياد به يضرب المثل فى العى ومن عيه أنه اشترى ظبيا فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فحل عنه يديه وفتح اصابعه واشار بها واخرج لسانه يريد انه بأحد عشر درهما ولم يلهم ان يخبر عن سعره بلسانه فصارعيه مثلا

أمتع ، وإنْ أبكى أدمعَ ، وإن ضربَ أيبَس . يُفيدُك ولا يَستفيدُ منك ويزيدك ولا يَستزيدُ منك ، إن جدّ فعبرة ، وإن هزل فنزهة ، إنْ نثر من عقد المآرب ومخزَن الوَدائع . قيدُ العُلوم ، ويَنبوعُ الحِكَم . ومغدن ... ، ألقت إليه ... ينَام ـ يُفيدك علم الأولين ، ويُخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين ... في الأوّلين أو بلَغك أنّ أحداً من السّالفين جمعَ هذه الأوصاف مع قلّة مُؤونته وخِفّة محمله ، لا يرزؤك[1] شيئاً من دُنياك ، نعم المُدّخرُ والعُدّة[2] والمشتغلُ والحِرْفة جَليس لا يُطريك[3] ، ورفيق لا يُملّك ، يُطيعك في اللّيل طاعته في النّهار ، ويُطيعك في السّفر طاعته في الحضر ، إنْ أطلْت النّظر اليه أطالَ إمتاعَك[4] ، وشَحذَ[5] طِباعَك ، وبَسط لسانك ، وجوّد بيانك ، وفَخّم ألفاظَك ، إنْ ألفته خلّد على الأيام ذِكرَك ، وإنْ درسته رفع في الخلق قدْرَك ، وإن نعتّه نوّه عندهم باسمك ، يُقعِدُ العَبيدَ في مقاعد السّادات ، ويُجلِسُ السّوقة في مجالس الملوك فأكرِم به من صاحب ، وأعزِزْ به من موافق .

وصف عاصفة لجلال الدّين السيّوطى المتوفّى سنة ٩١١ هـ

أتَى عارضٌ في ليلة الجمعة التّاسعة من جُمادى الآخرة ، كانت فيه ظُلماتٌ متكاثفة ، وبُرُوق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فقويت أهْويتُها ، واشتدّ هبوبها فتدافعت لها أعِنّةٌ مُطلقات ، وارتفعت لها صواعقُ مُصعِقات ، فرجفتْ لها الجدرَان واصطفقت ، وتلاقت على بُعدها واعتنقت ، وثارَ بين السّماء والأرض عجاج فقيل لعلّ هذه على هذه أطبقت ، وتحسب أنّ جهنّم قد سالَ منها وادٍ ، وعدا منها عادٍ ، وزاد عصفُ الرّياح إلى أنْ انطفأت مصابيحُ النّجوم ، ومزّق أديمُ السّماء

---

(١) لا ينقصك (٢) ما يعده الانسان لحوادث الدهر من سلاح وغيره (٣) لا يمدحك
(٤) انتفاعك (٥) أحدها وقواها

يمحيى ما فوقه من الرقوم ، لا ملجأ من الخطف للأبصار ، ولا ملجأ من الخطب ولا مصرفا ، ولا أقل صلفا (٣) وتكساء ورجالا ، ونفروا من دورهم خفافا وثقالا أزهد فى جدال ، ولا يهتدون سبيلا ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا ولا أعجل مضعة ، ووجوه عانية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون بن طرف خفى ، ويتوقعون أى خطب جلى ، قد انقطعت من الحياة علقهم وعميت عن النجاة طرقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا إلى صلاتهم وودوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون ، إلى أن أذن الله فى الركود وأسعف الماجدين بالمجود ، وأصبح كل يسلم على رفيقه ، ويهنئه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له الكرة ، وأدبه بعد أن كاد يأخذه على غرة ، ووردت الأخبار بأن كسرت المراكب فى البحار ، والأشجار فى القفار ، وأتلف خلق كثير من السفار ، ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار .

(وصف العلم لبديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

ألعلم شىء بعيد المرام ، لا يصاد بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام (١) ، ولا يرى فى المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يكتب للئام ، ولا يورث عن الآباء والأعمام. وزرع لا يزكو (٢) إلا متى صادف من الحزم ثرى طيبا . ومن التوفيق

(١) الازلام جمع زلم بفتح الزاى أو ضمها مع فتح اللام وهى سهام لانصل لها ولا ريش كان العرب إذا أرادوا القمار أحضروا جزوراً فنحروها وقسموا لحمها الى ثمانية وعشرين قسما ثم أتوا بعشرة أزلام فرسموا على واحد منها خطا وعلى الثانى خطين وعلى الثالث ثلاثة وهكذا الى السابع فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شىء ثم يضعون الجميع فى خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلما باسم واحد من المقامرين. فان كان مرسوما عليه شىء أخذ من أقسام اللحم بقدره وإن كان غفلا غرم ثمن الجزور . والمقصود من هذه العبارة أن العلم لاينال بطريق البخت والمصادفة كما ينال اللحم المقسوم (٢) يزكو ينمو ويطيب

مطراً صيباً ، ومن الطبع جوًّا صافياً ، ومن الطيب روْحاً (١) دائماً ، ومن الصبر سُقياً نافعاً ،

ما انتثر من عقد المآرب

وغرضٌ لا يُصاب إلا بافتراش المدر ، (٢) واستثناؤه ، ألقت إليه

وركوب الخطر ، وإدمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ...

(وصف رجل لخصمه)

كان أحمدُ بن (٣) يوسف متصرّفا عن غسَّانَ بن عباد . وجرتْ بينهما هَنات (٤) بحضرة المأمون . ثم قال المأمون يوما لخاصّة أصحابه : « أخبرونى عن غسَّان بن عُباد : فإنى أُريده لأمرٍ جسيم » . وكان قد عزم على تقليده السِّنْدَ . فتكلّم كلٌّ بما عنده فى مدحه فقال أحمدُ بن يوسف : هو « ياأمير المؤمنين » رجلٌ محاسنُه أكثرُ من مساويه ، لا يتطرّق (٥) الى أمرٍ إلا تقدّم فيه . ومهما تُخُوِّف عليه فانّه لن يأتى أمراً يُعتذَرُ منه ، لأنه قسّم أيامه بين أفعال الفضل ، فجعل لكلّ خلق نوبة (٦) . إذا نظرتَ فى أمره لم تدر أىّ حالاته أعجب : أمَا هداه اليه عقلُه ؟ أمْ ما اكتسبه بأدبه ؟ » فقال له المأمون : « لقد مدحتَه على سُوء رأيك فيه » . قال : « لأنى فى أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لِمَا أسديتَ أنّى ... نَصحتُكَ فى الصّديق وفى عداتى

وإنّى حينَ تندُبنِى مرٍ ... يكونُ هواكَ أغلبَ مِن هوائى (٧)

---

(١) الروح بفتح فسكون نسيم الريح (٢) المدر قطع الطين اليابس وافترش المدر نام عليه (٣) كاتب بليغ من كتاب المأمون وكان بارعا فى الرسائل ويكنى أبا جعفر . (٤) الهنات ، جمع هنة وقد تجمع على هنوات والمراد أمور . (٥) تطرق الى الأمر : ابتغى اليه طريقا . (٦) النوبة : الفرصة والدولة والمرة ، جمعها كغرف . (٧) يريدهوائى ومده للضرورة .

وصف أبي دُلَف لعبد الله بن طاهر

د[1] ... وَلا ... د الرِّضا عنه فسأَلهُ عن عبد الله بن طاهر[2]،
تصرّفا ، ولا أقلّ صلفا[3] وتـ...
...د في جدال ، ولا ... غيب ، نَصيحَ جَيب[3] ، أسداً عاتياً قائماً
أعجا... به وليّك ، وَيشقَى به عدوّك ، رَحْبَ الفِناء لأهـل طَاعتك ،
بأسٍ شَديد لِمَن زَاغ عن قَصد محجّتِك . قد فقّههُ الحزم ، وأيقظَه العزم ، فقامَ
نَحرُ الأمور على سَاق التّشمير، يُبرِمهَا بأَيْده[4] وكَيْده ، ويفُلّها بحَدّه وجدّه .
... ا أشبههُ في الحرب إلا بقول العبّاس بن مِرْدَاس :

أكرُّ على الكَتيبةِ لا أُبالِي ... أَحتفِي كان فيهَا أم سِوَاها

فَقال قَائل : مَا أفصَحهُ على جبَليَّته ! فقال المأمون : إنّ بالجبل[5] قوماً أمجاداً[6]
كِراما أنجَادا[7]، وإنّهم ليُوَفُّون السَّيفَ حظَّه يوم النِّزال ، والكلامَ حقّهُ يومَ المقَال .

وصف أعرابي لرجل

وصف أعرابي رجلا فقال :

إنْ سَأَل ألحفَ ، وإنْ سُئِلَ سَوّفَ ، وإذَا وَعدَ أخلَفَ ، وإذَا صَنَع
أتلَفَ ، وإذا همّ بالفعل الجميـل توقّف . ينظر نظرَ الحسُود ، ويُعرِضُ إعراضَ

---

(١) أبو دلف كعمر هو القاسم بن عيسى البكرى من قواد المأمون ثم المعتصم وكان جوادا شجاعا؛ وفيه يقول الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

توفى سنة ٢٢٦ هـ . (٢) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين من كبار ولاة المأمون ولى مصر مدة سنتين تقريبا . قال صاحب كتاب أدب الخواص : إن البطيخ العبدلاوى الموجود بالديار المصرية منسوب اليه اهـ . (٣) يقال هو ناصح الجيب أى القلب والصدر

(٤) الأيد :القوة . (٥) الجبل : بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وبلاد الديلم . (٦) الأمجاد : جمع ماجد أو مجيد كأشهاد فى شاهد وشهيد والماجد والمجيد : الحسن الخلق السمح . (٧) الأنجاد : جمع نجد بكسر الجيم أو ضمها وهو الشديد البأس . ومن كلام على : أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد .

الحقود ، بينا هو خلّ وَدود ، إذ هو خلّ وَدُود ، بيته نائٍ ، فناؤه (١) شاسع ، وضيفه جائع وشرّه شائع ، وسرّه ذائع ، ولونه فاقع (٢) ، وما أبتر من عقد الماء نزيه المنظر ، سيئ المخبر ، يبخل إذا أيسر ، (٣) ويهلع إذا أعسر ، ألقت إليه الأخبر ، إن عاهد غدر ، وإنْ خاصم فجر ، وإن خُوطِبَ نفر .

(وصف الامام العادل)

كتبَ عُمرُ بنُ عبد العزيز رَضى الله تعالى عنه لمّا وَلى الخلافة إلى الحسَن بن أبى الحَسن البصرى ، أن يكتبَ اليه بوصف الإمام العادل . فكتب اليه الحسنُ: إعلَم ياأميرَ المؤمنين أنّ الله جعلَ الإمام العادِل قوامَ كلّ مائل ، وقصدَ كلّ جائر ، وصلاحَ كُلّ فاسد ، وقوّة كلّ ضعيف ، ونصفة كلّ مظلوم ، ومفزع كُلّ ملهُوف . والإمام العادلُ ياأميرَ المُؤمنين كالرّاعي الشّفيق على إبله ، الرّفيق الذى يرتادُ لها أطيبَ المرْعَى ، ويذودُها عن مراتع المهلكة ، ويحميها من السِّباع ويكنفُها من أذَى الحرّ والقرّ . والإمامُ العادلُ يا أميرَ المؤمنينَ كالأبِ الحانِى على ولده ، يسعَى لهم صغاراً ، ويعلّمهم كباراً ، يكتسبُ لهم فى حياته ويدّخرُ لهم بعد مماته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأم الشّفيقة ، البرّة الرّفيقة بولدها ، حملته كُرْهاً ، ووضعته كُرْهاً ، وربّتـه طِفلاً ، تسهرُ بسهره وتسكُن بسكُونه ، ترْضِعهُ تارةً ، وتفْطمه أُخرَى ، وتفرح بعافيته ، وتغتمّ بشكايته . والإمام العادل ياأميرَ المؤمنين وصىّ اليتامى ، وخازنَ المساكين ، يُربّى صغيرَهم

(١) فناء البيت : الساحة أمامه جمعه أفنية والشاسع البعيد والجملة كناية عن أنه بخيل لأن من عادة البخيل عندهم أن يبنى خباءه بعيدا عن الحى حتى لايقصد ، قالت الفارعة :

ولا يحل إذا ماحل منتبذا يخشى الرزية بين الماء والبادى

(٢) الفاقع : الشديد الصفرة وربما أكد به الأبيض . (٣) الهلع : أفحش الجزع .

وَيُمَوِّن كبيرَهم . وَالإِمام الـ[illegible] يا أميرَ المُؤمنين كالقلب بين الجوَانح ، تَصلُح [illegible]صرّفا ، ولا أقلّ ضلفا (٢) وتـ[illegible] ، وَالإِمام العَادل يا أميرَ المؤمنين هو القَائمُ بين أزهدَ في جِدال ، ولا أسمع كلام الله وُيسْمِعُهم ، وينظُر إلى الله وُيريهم ، وَينقَادُ إلى ولا أعجا[illegible]مُـ[illegible] فلا تـكُن يا أميرَ المؤْمنين فيما ملَّـكك الله كعَبد إئتَمَنَهُ سيِّده واستحفظه مالَه وَعيالَه ، فَبدَّد المَال ، وَشرَّد العيال ، فأَفقرَ أهلَه ، وَفرَّق مالَه

وَاعلم يا أمير المؤْمنين أن اللهَ أنزلَ الحدُودَ لِيزْجُرَ بها عن الخبَائث والفوَاحِش فكيف إذَا أتاها مَنْ يليها ؟! وأنَّ اللهَ أنزَل القِصاص حَياةً لِعبَادِه ، فكَيف إذا قَتلهم مَن يقْتص منهم ؟! وَاذكرْ يا أميرَ المُؤمنينَ الموْتَ وَما بعده ؛ وَقلَّة أشيَاعك عِنده ، وأنصَارك عَليه . فتزَوّدْ له وَلما بَعدَهُ من الفَزع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين ، أنَّ لكَ مَنزِلاً غيرَمَنْزلك الّذى أنتَ فيه ، يطول فيه ثوَاؤك ، ويفارِقُكَ أحبَّاؤك ، يُسْلمونَك فى قَعْره فَريداً وَحيداً ، فَتزَوّدْ له ما يَصْحَبُك ، يَوْم يَفِرّ المرْءُ مِنْ أخيه ، وَأمّه وَأبيه وَصاحِبتهِ وَبنيه ـ وَاذكر يا أميرَ المؤمنين : إذا بعثِرَ ما فى القُبورِ ، وَحُصِّل ما فِى الصدُور ، فالأسرَار ظَاهرَة ، وَالكِتَابُ لا يُغادِرُ صغيرَةً وَلا كبيرةً إلّا أحْصاها ـــ فالآنَ يا أميرَ المؤْمنين وَأنْتَ فى مَهل ، قبل حُلول الأَجل ، وَانقْطاعِ الأَمل ـ لاتحكم يا أمير المؤمنين فى عِبادِ اللهِ بحُكم الجاهلين وَلا تسلكُ بهم سَبيلَ الظَّالمين ، وَلا تُسلِّط المُستَكبرين على المُستَضعَفين ، فانّهم لا يرْقُبونَ فى مُؤمن إلاًّ وَلا ذِمّة ، فتبُوء بأوْزَارك وَأوْزارٍ مع أوْزَارِك ، وتحمل أثقَالكَ وأثقالاً مع أثقالِك . وَلا يغُرّنك الذين يتنعَّمونَ بما فيه بُؤسُك ، وَيأكُلون الطَّيبات فى دُنياهم بإذهابِ طَيِّباتِك فى آخرَتك . وَلا تَنظُر إلى قُدْرَتك اليوم وَلكن انظُر إلى قُدْرَتِك غداً ، وَأنتَ مأسورٌ فى حبائل الموْت ، وموَقوف

بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحى القيوم . إنى يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعض ما انتشر من عقد المآرب فلم آلك شفقة ونصحا . فأنزل كتابى اليك كمنزلة من شبابه ، ألقت إليه الكريمة ، لما يرجوله فى ذلك من العافية والصحة .

(وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)

مصر تربة غبراء ، وشجرة خضراء . طولها شهر ، وعرضها عشر [1] يخط وسطها نهر ميمون الغدوات ، مبارك الروحات ، يجرى بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر ، له أوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها ، حتى إذا أصلح عجاجه ، وتعظمت أمواجه . لم يكن وصول أهل القرى إلى بعض إلا فى خفاف القوارب [2] وصغار المراكب . فإذا تكاملت زيادته نكص [3] على عقبيه كأول مابدأ فى شدته ، وطما [4] فى حدته . فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون أوديته وروابيه ، فيبذرون الحب ، ويرجون الثمار من الرب . حتى إذا أشرق وأشرف ، سقاه من فوقه الندى ، وغذاه من تحته الثرى . فعند ذلك يدر حلابه ، ويغنى ذبابه — فبينما هى ياأمير المؤمنين درة بيضاء ، إذ هى عنبرة سوداء ، فإذا هى زبرجدة خضراء ، فتبارك الله الفعال لما يشاء .

(وصف حرب لأبى منصور الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

عند ما دارت رحا الحرب ، صمتت الألسنة ، ونطقت الأسنة ، وخطبت السيوف على منابر الرقاب ، وأقدمت الرماح على الخطط الصعاب ، وتلاصقت

---

(١) أى عشر ليال لأن عادة العرب السير فى الليل (٢) السفن الصغيرة (٣) رجع (٤) ارتفع

القَنا والقَنابِل (١) وتعانقت الصَّوارم (٢) والمَناصل ، وبلغت القلوبُ الحَناجر ، وتضرّفا ، ولا أقلّ صلَفا (٣) وتكاساق المجَال ، وتحكّمت الآجال ، فلا ترى إلا أزهدَ فى جدال ، ولا ... ، وأعضاء تتطاير وتتناثر ، وأجساماً تتزايل وتتمايل ولا أعجل ... من الدّماء ، فتعثّرتْ فى النحور ، وتكسّرت فى الصدُور ، فرجموا الأعداء من جوانبهم ، وتمكّنوا من فضّ مواكبهم .

(وصف المطر شعراً لأبى الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)

مع مقدمة لعمر بن على المطوعى فى وصف ذلك المطر نثراً

حكى عُمرُ بنُ علىّ المطْوعِىّ قال : رأى الاميرُ السيدُ أبو الفضل عبدُالرَّحمن ابنُ أحمد أدام الله عزّه أيّام مُقامه بجُوَيْن (٤) أن يطالعَ قريةً من قُرى ضِياعه (٥) تُدعَى « نجاب » على سبيل التّنزُّه والتّفرُّج ، فكنتُ فى جُملة مَن استصحبَه إليها من أصحابه ، واتّفقَ أنْ وَصلنا والسماءُ مُصْحِيَة (٦) ، والجوّ صافٍ، لم يُطرّزْ ثوْبه بعلَم الغَمام (٧) والأُفقُ فيْرُوزجٌ لم يعبق به كافورُ السّحاب . (٨) فوقَع الاختيار على ظلّ شجرةٍ باسِقة الفُروع (٩) مُتّسعة الأوْراق والغُصون ، قد سترَت ماحَوالَيها من الأرض طُولاً وعرْضاً . فنزَلنا تحتَها مُستظلّين بسماوَة أفنانِها (١٠) مُستترين من وهَج الشّمس بستارة أغصانها (١١) وأخذنا نتجاذَب أذيال المُذاكرة (١٢)

(١) القنا الرماح والقنابل جمع قنبل مابين الخمسين فصاعدا من الخيل (٢) السيوف القاطعة وكذا المناصل (٣) تسقط (٤) كورة بخراسان وبلدة بسرخس (بلاد فارس)
(٥) يطالع قرية يطلع عليها والضياع جمع ضيعة وهى العقار والارض المغلة . (٦) لا غيم فيها (٧) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٨) أى لونه مثل لون الفيروزج وهو الزرقة ولم يعبق به لم يلصق به والكافور طيب يستخرج من شجر كبير ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عملية تعمل فيه ــ والمعنى أنه لايرى شئ من السحاب فى الأفق (٩) طويلتها (١٠) الافنان الغصون وسماوتها يعنى أوراقها العريضة المتلاحمة تلاحما يجعلها تشبه السقوف (١١) وهج الشمس شدة حرها وتوقدها (١٢) عبارة عن تذاكرهم

وَنتسالب أهدابَ المُناشَدَةِ وَالمحاوَرَةِ (١) فما شَعَرْنا بالسّماءِ إلا وَقد أرْعدَتْ وَأبرَقَتْ (٢) وَأظلمت بعد ما أشرَقَتْ ، ثمّ جادَتْ بما انتثر من عقد المآ [illegible] (٣) وَحكت أنامل الأجواد ، بل أوْفت عليها وزادت [illegible] [illegible] ائه ، ألقت إليه [illegible] عيثاً (٥) وهَمّ وَبلها أن يستحيلَ وَيلاً (٦) فصبرْنا على أذاها وقد [illegible] عنْ قَليلٍ تَقَشّعُ (٧) فإذا نحْنُ قد أمْطرَتْنا بَرَدَ الثغور ، لكنّها من ثغور العذاب (٨) لا منَ الثغور العِذَاب ، (٩) فأيقنّا بالبَلاء ، وَسلّمنا لأسبابِ القَضَاء ، (١٠) فما مرت ساعةٌ من النّهار ، حتى سمعنا خَرِيرَ الأنهار ، (١١) وَرَأينا السَّيْلَ قد بَلغ الزُّبى ، (١٢) والماءَ قد غَمَرَ القِيعانَ وَالرُّبا ، (١٣) فبادرْنا الى حِصْنِ القرْيةِ ، لائذينَ من السّيل بأفنِيَتها (١٤) ، وَعائذينَ منَ القَطْر بأبْنيَتها (١٥) ، وأثوابُنا قدْ صَنْدَلَ كافورَها ماءُ الوَبْلِ (١٦) ، وَغلفَ طِرَازَهَا طِينُ الوَحْلِ (١٧) (ونحنُ نحمد الله تعالى على سلامة

(١) عبارة عن تناشدهم الاشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاورا أدبيا (٢) يقال رعدت وبرقت أى جاءت بالرعد والبرق وأرعدت وأبرقت يعنى تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق (٣) جادت تكرمت وأجادت أحسنت (٤) حكت شابهت وأنامل الاجواد المقصود أيدى الكرام ومحاكاتها لايدى الكريم يعنى مشابهتها لايديهم فى السخاء وأوفت وزادت بمعنى واحد (٥) الغيث المطر ــ والعيث الافساد (٦) الوبل المطر الشديد العظيم القطرات والويل الشر (٧) أى لا تمكث الا قليلا وتذهب (٨) البرد قطرات المطر المتجمدة التى تنزل على الارض كالحب فى شكل الثلج أوالجليد يشبه به أسنان الغوانى وثناياها عند افترار الثغور والثغر الفم وثغور العذاب فتحاته (٩) لا من الثغور العذبة الريق (١٠) وخضعنا لاحكام المقادير (١١) يعنى جرى الماء بشدة حتى صار يسمع له صوت كصوت مياه الانهار (١٢) السيل الماء العظيم الذى يتجمع من المطر ويسيل بشدة ــ والزبى جمع زبية وهى الارض المرتفعة ارتفاعا عظيما بحيث لايعلوها الماء عادة ــ أو حفرة تحفر فيها لتصاد فيها الاسد (١٣) الربا جمع ربوة وهى الارض المرتفعة ــ والقيعان جمع قاع وهو الارض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والآكام (١٤) فبادرنا اسرعنا: والحصن الموضع الحصين الذى لايوصل إلى جوفه . لائذين متحصنين ــ والافنية جمع فناء وهو المتسع أمام الدار (١٥) عائذين ملتجئين ــ والقطر مانزل من ماء المطر ــ والابنية المبانى (١٦) صندل استعمله متعديا بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضاربا الى السواد ــ والكافور والوبل تقدم معناهما (١٧) غلف الشئ جعل له غلافا أى حجابا وستراً والطراز رسم الثوب والمعنى أن رسم الثوب

الأبدَان ، وإنْ فقدْنا بَياضَ الأكْمَام وَالأرْدَان ، (١) وَنشكره على سلامة الأ... تصرفا ، ولا أقلّ صلفاً (٢) وتكل على بقاءِ رَأس المال . إذا فُجعَ بالأرْباح (٢) فبتْنا أزهدَ فى جِدال ، ولاأ... ولا تكُفّ ، (٣) وتبكى علينا إلى الصَّباح بأدمع ولا أعْجل ، مُكابع سِجَام (٥) فلمَّا سُلَّ سيفُ الصُّبْح من غِمد الظَّلام (٦) وصُرف بوَالى الصَّحو عَاملُ الغمام ، (٧) رَأينا صوَابَ الرَّأي أنْ نُوسعَ الإقامةَ بها رَفضاً ، (٨) وَنتَّخذَ الارْتِحال عنها فرْضاً ، فما زِلنا نَطوى الصَّحارَى أرْضاً فأرْضاً ، إلى أن وَافينا المَستقَرّ رَكضاً ، (٩) فلمَّا نفضنَا غُبارَ ذلك المَسير ، (١٠) الذى جعلَنا فى رِبْقة الأسير (١١) ، وَأفْضَينا إلى سَاحة التَّيسير . (١٢) بعد ما أُصبْنَا بالأمر العَسير ، وَتذَاكرنا ما لَقينَامنَ التّعب والمَشقَّة ، فى قطع ذلك الطَّريق وَطىّ تلك الشُّقَّة ، (١٣) أخذَ الأمير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلّق هذه الأبيات ارتجالا :

دَهَتْنا السَّماءُ غدَاة السَّحاب ... بغَيْثٍ عَلى أُفْقِهِ مُسبلِ (١٤)

فَجاءَ برَعْدٍ لهُ رَنَّة (١٥) ... كرنّةِ ثَكلَى وَلَم تُثكَلِ (١٦)

ستره الطين المتناثر من الوحل (١) الاردان أصول الاكمام (٢) أى أوجع بعدم الارباح وفقد المكاسب (٣) يكف يقطر ولايكف ولا ينقطع (٤) هوام جمع هام من همى يهمى بمعنى سال (٥) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيراً (٦) أى الصبح الشبيه بالسيف والظلام الشبيه بالغمد (٧) الوالى العامل أى الحاكم والمعنى أزال الصحو الغمام (٨) أى أن نرفض الاقامة بها رفضا باتا (٩) وافينا أتينا والمستقر السكن وركضا يعنى عدوا وجريا على الاقدام (١٠) يعنى لما أزلنا وسخ هذا السير بمعنى استرحنا (١١) الربقة عروة تجعل فى حبل مع عرى أخرى ويربط فى هذا الحبل(ويسمى الربق) أولاد الضأن والمعز والبقر (١٢) أفضينا وصلنا والساحة رحبة بين الدوروالتيسير اليسر والتسهيل (١٣) وطى تلك الشقة أى قطع تلك المسافة (١٤) الغداة أول النهار يعنى دهمتنا السماء فى أول النهار الذى كان فيه غيم ــ والغيث المسطر ــ والمسبل الهاطل يعنى دهمتنا السماء بمطر هاطل على الافق الذى كان السحاب مخيما عليه (١٥) له رنة أى دوى وصوت هائل (١٦) الشكلى التى فقدت ولدها ولم تشكل يعنى لم يفقدها الله ولدها والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها مع أن الله لم يهلكه فهى تصوت على غيابه ولم ينقطع أملها من وجوده

وَثَنَّى بِوَبْلٍ عَدَا طَوْرَهُ (١) فَمَادَ ثَقِيلاً عَلَى المُمْحِلِ (٢)
وَأَشْرَفَ أَصْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ عَلَى مَا أَمَرَّ مِنْ عَقْدِ المَارِجِ (٣)
فَمِنْ لَائِذٍ بِفِنَاءِ الجِدَارِ (٤) وَآوٍ إِلَى ... أَلْقَتْ إِلَيْهِ
وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادِى الغَرِيقَ هُنَالِكَ وَمِنْ صَارِخٍ ...
وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السُّقُوفِ بِدَمْعٍ مِنَ الوَجْدِ لَمْ يَهْمُلِ (٧)
كَأَنَّ حَرَاماً لَهَا أَنْ تَرَى يَبِيساً مِنَ الأَرْضِ لَمْ يَبْلُلِ (٨)
وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ (٩) فَأَدْبَرَ كُلٌّ عَنِ المُقْبِلِ (١٠)
يُقَلِّعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ (١١) وَمَا يَلْقَ مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ (١٢)
فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِراً (١٣) وَمِنْ مُعْلَمٍ عَادَ كَالمَجْهَلِ (١٤)
كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ (١٥)
فَقُلْ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِى وَابْرُقِى (١٦) فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى المَنْزِلِ

(وصف حديقة لابن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ)

لَمَّا صَدَأَتْ مِرْآةُ الجَنَانِ، (١٧) قَصَدْتُ لِجَلَائِهَا بَعْضَ الجِنَانِ، (١٨) فَدَخَلْتُ

---

(١) الوبل تقدم تفسيره (المطر الشديد) وعدا طوره تجاوز حده (٢) فصار ثقيلا وخيما على المكان الممحل الجدب المنقطع عنه المطر (٣) اشرف على كذا قرب منه والمعضل الذى لادواء له (٤) فمن متحصن بالاراضى المجاورة للجدران (٥) ومن لاجئ الى سرب فى الارض لم يتعهده أحد (٦) ينادى الغريق أى يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه والمعول الرافع صوته بالبكاء (٧) همل الدمع — سال والمعنى انها جادت بدمع لم يكن السبب فى اسباله لا الغرام ولا الوجد (٨) كان حراما لها أى كأن السماء محرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء (٩) الروعة الفزعة (١٠) فصار كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله (١١) يقتلع كل مايريد من الشجر العظيم (١٢) ويحمل كل مايلقاه من الصخور الضخام (١٣) رده غامرا صيره خرابا (١٤) من معلوم صار كالمجهول (١٥) كفانا الله شره فوجب الشكر له لافضاله علينا (١٦) ايتى بالرعد والبرق (١٧) الجنان القلب وصدئت مرآته علاها الوسخ والمعنى لما كل القلب ومل العمل (١٨) لجلائها أى ازالة الوسخ الذى علاها، والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر

إليها ، وما كدت أن أقدم ولا ، فإذا هى جنة عالية ، (١) قطوفها دانية (٢) يتصرفا ، ولا أقل صلفا (٣) وتكم ، (٤) وأعلام أشجارها مرفوعة ، (٥) أزهدفى جدال ، ولا أكفوعه ولا ممنوعة ، (٦) تجوس المياه خلال ديارها (٧) ولا أعجل مكا أنوار نوارها (٨) نزهة النواظر ، (٩) وشرك الخواطر (١٠) بها أشجار لا تحصى ، (١١) وثمار لا تعد ولا تستقصى (١٢)

(وصف البيان لأمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ)

ألبيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، (١٣) ومجلى الشبهة ، (١٤) وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليسرع إلى الفهم تلقيه ، أو موجزاً ليخف على اللفظ تعاطيه

(ووصف أيضاً المكارم)

لن تكسب أعزك الله المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤونة لاشترك فيها السفل (١٥) والأحرار ، وتساهمها الوضعاء (١٦) من ذوى الأخطار . ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فخفف عليهم حملها وسوغهم فضلها ، وحظرها (١٧) على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرارها منهم .

(١) أى مرتفعة فاخرة (٢) عنافيدها متدلية قريبة من الجانى (٣) الطلح الاشجار العظام ومنضود يعنى متراكم بعضه فوق بعض (٤) أى متسع (٥) أى اغصانها مرتفعة (٦) لاتقطع عن لطالب ولاتمنع منه (٧) أى تتردد بين بيوتها (٨) النوار الزهر (٩) تتنزه فيها العيون
(١٠) تصطاد الخواطر وتسبي العقول (١١) لا يمكن الاتيان على عددها (١٢) لا يتأتى ادراك آخرها (١٣) جلاؤها (١٤) كاشفها (١٥) السفل جمع سفلة وهم طغام الناس وغوغاؤهم (١٦) جمع وضيع وهو الساقط (١٧) منعها

الذى لا يَخْلَق [٢] والحقّ الصادع ، والنور الساطع، والماحى لظلم الضلال ، ولسان الصِّدْقِ النَّافِى للكذب ، ومفْتاح الخير ، ودليلُ الجَنَّة — إنْ أوْجز كان كافياً وإنْ أكثرَ كان مُذكِّراً ، وان أمر فناصحاً ، وان حكَم فعادلاً ، وانْ أخبرَ فصادقاً سِراجٌ تَستضِئ به القلوبُ ، وبحْرُ العلوم ، ودِيوان الحِكَم ، وَجوهرَ الكلِم

(وصف البلاغة لفحول البلغاء)

(١) قال الجوهرى :أحسنُ الكلام نِظاماً ما ثقبتْه يدُ الفِكرة ، ونَظمتْهُ الفِطنة ووُصِلَ جَوهر معَانيه فى سُمُوط [٣] ألفاظِه ، فاحتملتْهُ نُحُور الرُّواة :

(٢) وقال العطّار : أطيبُ الكلام ماعُجن عنْبرُ ألفاظه ، بمسك معانيه ، ففاح نَسيمُ نَشقِه [٤] وسَطعت رائحة عبَقه ، فتعلَّقت به الرُّواة ،وتعطَّرت بهالسَّراة

(٣) وقال الصّائغ : خيرُ الكلام ما أحْمَيتهُ بكِيرِ الفِكر ، وسبَكْتهُ بمشاعِل النّظر ، وخلّصتهُ من خبَث الإطناب ، فبرزَ برُوزَ الإبريز ،فى مَعنى وَجيز [٥]

(٤) وقال السّيرفى : خيرُ الكلام ما نقَدته عينُ البَصيرة ، وجلَتهُ يدُ الرَّويَّة ووزَنْته بمعيار الفصاحة ، فلا نَظرٌ يزيِّفه ، [٦] ولا سَماعٌ يُبهرِجهُ [٧].

---

(١) ضعف (٢) لايبلى (٣) السمط — الخيط الذى ينظم فيه (٤) النشق — الاستنشاق ، العبق — لصوق الطيب بالشئ وتغلف الرجل بالطيب — ادهن به . والسراة — الأشراف (٥) الكير — زق ينفخ فيه الحداد . والمشاعل جمع مشعل وهو القنديل وموضع شعل النار أى الهابها (٦) زيف الدراهم إرتأى أنها زائفة أى مغشوشة (٧) وبهرجها — أبطلها

(٥) وقال الحدّاد: أحسنُ الكلام ما نصبتَ عليه مِنفخَة القريحة، وأشعلتَ كِصرَها، ولا أقلّ ضلفا(٦) وتكه من لحم الافحام ورقّقته بغطّيس الأفهام(١) أزهدَ فى جِدال، ولا أخيرُ الكلام ما أحكمتَ نجرَ معناه بقدُوم التقدير، ونشرته لا أعجلِ مكلتّدبير، فصار باباً لبيت البَيان، وعارضةً(٢) لسقف اللّسان.

(٧) وقال الحائك: أحسن الكلام ما اتّصلت لُحمةُ ألفاظِه، بسَدَى معانيه فخرج مُفوّفاً مُنيّراً، مُوشّى مُحبّرا.(٣)

(٨) وقال الجمّال: البليغُ مَن أخذَ بخُطام(٤) كلامه، فأناخه فى مبْرك المعنى، ثم جعل الاختصار له عِقَالا، والإجادة له مَجَالا، فلم(٥) يَنِدَّ عن الآذان ولم يَشِذَّ عن الأذهان.

﴿ وصف عمر بن الخطاب ﴾

قال مُعاوية بن أبى سُفيان لِصَعْصَعَة بن صُوحان: صِف لى عُمر بن الخطاب. فقال: كان عالماً برعيّته، عادلاً فى قَضيّته، عارياً من الكِبْر، قَبُولا للعُذْر، سهْلَ الحِجاب، مَصُونَ الباب، مُتحرِيّا للصّواب، رَفيقاً بالضّعيف، غير مُحابٍ للقرِيب ولا جَافٍ للغَريب.

(وصف على بن أبى طالب)

قال مُعاوية لِضرَار الصُّدَائى، يا ضِرَار: صِف لى عليّاً قال: أعفِنى يا أميرَ

---

(١) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة (٢) العارضة — الخشبة العليا التى يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه (٣) المفوف ـ الرقيق من الثياب أو الذى فيه خطوط بيض والمنير ـ المنسوج على نيرين أى المضاعف النسج، والموشى — المنقوش، والمحبر — المحسن

(٤) الخطام ـ كل ماوضع فى أنف البعير ليقتاد به — جمعه خطم (٥) وند — هرب

فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

(وصف كلام العرب لعتبة بن أبى سفيان)

قال عتبة بن أبى سفيان : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فسرت بغيرها عطلت [٢] وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت . فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت [٣].

(وصف الكتاب للجاحظ)

قال الجاحظ : الكتاب وعاء ملئ علماً ، وظرف حشى ظرفاً ، وبستان يحمل فى ردن [٤] وروضة تقلب فى حجر . ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء ، ولا أعلم جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل جناية ، ولا أقل إملالا وإبراما ، ولا أقل

---

(١) المدى — الغاية (٢) التعطيل — ترك الشئ ضياعا (٣) هذا النوع من الكلام يسمى السهل الممتنع (٤) الردن — الكم جمعه أردان

خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعدَ من عَضِيهَة [١] ، ولا أكثر أعجوبة وتصرّفا ، ولا أقلّ صَلَفاً [٢] وتكلّفا ، ولا أبعدَ من مِرَاء ، ولا أترك لِشَغَب ، ولا أزهدَ في جدال ، ولا أكفّ عن قِتال ـ من كتاب . ولا أعلمُ قريناً أحسنَ مُوَاتاة [٣] ولا أعْجل مُكافأة ، ولا أحضرَ مَعونة ، ولا أقلّ مؤُونة . ولا شجرة أطْولَ عُمرا ولا أجمع أمراً ، ولا أطْيبَ ثمرةً ، ولا أقْربَ مُجتنًى ، ولا أسرع إدرا كا في كلّ أوَان ، ولا أوْجدَ في غير إبَّان ـ من كتاب . ولا أعلمُ نِتاجاً في حَداثة سِنّه ، وقُرب ميلاده ، ورُخص ثمنه ، وامكان وُجوده ، يَجمعُ من التّدابير الحَسنة ، والعلوم الغَريبة ، ومن آثار العقُول الصّحيحة ، ومحمود الأخبار اللّطيفة ، ومن الحِكم الرّقيقة ومن المذاهب القديمة ، والتّجارب الحكيمة ، والأخبار عن القرُون الماضية والبلاد المتُرَاخية ، والأمثال السّائرة ، والأمم البَائرة [٤] مايجمعُ « الكتاب »

وقيل لبعض العلماء : مابلغَ من سُرورك بكتُبك ؟

فقال : هي إنْ خَلوتُ لذّتي ، وان اهتَممْتُ سَلْوتي ، وإنْ قلت إنَّ زَهْر البُستان ، ونَوْر الجنان ، يَجلُوان الأبصار ، ويُمتِعان بحُسنهما الألحاظ ، فان بُستان « الكُتب » يَجلُو العقل ، وَيشْحذُ الذّهن ، ويُحيي القلب ، ويُقوّي القَريحة ، ويُعين الطَّبيعة ، ويبعثُ نتائجَ العقول ، ويَستثير دَفائن القلوب ، ويُمْتِعُ في الخلوة ويُؤْنس في الوحشة ، ويضْحك بنوَادره ، ويَسُرّ بغرائبه ، ويفيد ولا يَستفيد ، ويُعطِي ولا يأخُذ ، وتَصِل لَذّته إلى القلب من غيرِ سآمة تُدرِكك ، ولاَ مَشقّة تَعرض لك .

---

(١) العضيهة ـ البهتان والنميمة (٢) الصلف ـ تمدح المرأ بماليس عنده (٣) المواتاة حسن المطاوعة والموافقة وأصله بالهمزة وفي الحديث : خير النساء المواتية لزوجها (٤) البائرة

(وصف التاريخ لابن الأثير)

أَلتَّاريخ : مَعَاد [١] معنوى . يُعيد الأعصار وقد سلفت ، ويَنشُر أهلها وقد ذَهبت آثارُهم وعفَت [٢] ، وبه يَستفيدُ عقولَ التّجارِب مَن كان غِرّا . ويلقَى مَن قبله من الأمم وهَلُمَّ جرًّا . فهم لَديه أحياء ، وقد تَضمّنتْهم بُطونُ القبُور ، وعنه غُيَّبٌ وقد جعَلتهم الأخبار فى عِدَاد الُحضُور . ولولا التَّاريخ لُجهلت الأنساب ونُسيت الأَحساب ، ولم يعلم الانسانُ أنّ أصلَه من تراب ، وكذلك لولاه لماتَتِ الدُّول بموت زُعمائها ، وَعمِيَ [٣] على الأواخر حَال قُدمائها ، ولم يُحطْ علماً بما تَداولتا الأرض من حَوادث سَمائها . ولمكان العِناية به لم يخْلُ منه كِتاب مِن كُتُب الله المنْزلة فمنها ما أتَى بأخباره المُجملَه ، ومنها ما أتى بأخباره المفَصَّلَة ، وقد ورد فى التَّوراة مُفرداً فى سِفر من أسفَارها ، وَتضمّن تفصيل أحوال الأمم السّالفة ومُدَد أعمارهَا .

وقد كانت العرب على جهلها بالقَلم وخَطّه ، والكِتاب وضَبطه ، تَصرِفُ الى التّواريخ جُمل دَواعيها ، وتجعل لهُ أوّل حَظّ من مَساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتَعتَاضُ برقم صدُورها ، عن رَقم سُطُورها ، كلّ ذلك عِناية منها بأخبَار أوائِلها ، وأيّام فَضائلها . وهل الانسان إلا ما أسّسهَ ذِكره وَبنَاه ؟ وهل البقاء لصُورة لحمه ودَمه لولا بقَاء معناه ! ؟

(وصف الرَّجل الكامل)

كتبَ الحسنَ [٤] بن سهَل الى محمد [٥] بن سَماعة القاضى يَصِفُ لَه الرّجلَ الكَاملَ

---

(١) معاد يقصد أنه كاليوم الآخر (٢) عفا الشئ ـ هلك (٣) عمى عليه الامر ـ التبس وكذلك عمى عليه (٤) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفى سنة ٢٣٦ هـ (٥) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة توفى سنة ٢٢٣ وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس

أمّا بعدُ : فانّي احتجتُ لبعض أُمُوري الى رجل جامع لخصال الخير ، ذي عفّةٍ ونزاهة ، طُعمة [١] قد هذّبته الآداب ، وأحكمته التّجارب ، ليس بظنّين [٢] في رأيه ، ولا مطعون في حسبه ، إن أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قُلّد مهمّاً من الأمور أجزأ [٣] فيه ، له سنّ مع أدب ولسان ، تُقعده الرّزانة ، ويُسكنه الحلم قد فُرّ [٤] عن ذكاء [٥] وفطنة ، وعضّ على قارحة [٦] من الكمال ، تكفيه اللّحظة وتُرشده السّكتة . قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام في أمورهم فحمد فيها له أناةُ الوزراء . وصولة الأمراء ، وتواضعُ العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء لا يبيعُ نصيبَ يومه بحرمان غده . يكادُ يسترقّ [٧] قلوب الرّجال بحلاوة لسانه ، وحُسن بيانه ، دلائلُ الفضل عليه لائحة ، وأماراتُ العلم شاهدة مُضطلعاً [٨] بما استنهض ، مُستقلاً [٩] بما حُمّل ، وقد آثرتُك بطلبه ، وحبوتُك بارتياده [١٠] ، ثقةً بفضل اختيارك ، ومعرفةً بحُسن تأتّيك [١١] .

(وصف قناة السويس)

« للمرحوم أحمد شوقي بك » مخاطبا ابنيه يومَ أنْ عبرَ قناة السّويس مُيمّما الأندلُس حينما نفتْه الأحكام العرفيّة ، إبّانَ الحرب العالَميّة

---

(١) الطعمة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الاكل والسير فيه . (٢) الظنين — المتهم (٣) أجزأ — أغنى (٤) فر الدابة — كشف عن أسنانها ليعرف مبلغ عمرها (٥) الذكاء — تمام السن واكتماله أوحدة الذهن (٦) الفرس القارح — الذى استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره في الابل البازل، والسن التى تنبت له عند قروحه تسمى قارحا وقارحة . والجملة كلها كناية عن استيفاء صفات الكمال (٧) يستعبد (٨) يقال هو مضطلع لهذا الامر وبه اذا كان قديرا عليه (٩) استقل بالحمل نهض (١٠) الارتياد — الطلب (١١) تأتى للامر — ترفق وأتاه من وجهه

يا ابنىّ : القَناة لقومكما فيهَا حَياه ، ذِكْرَى إسماعيل ورَيّاه [١] ، وعلْيا مَفاخِرِ دُنْياه ، دَولة الشرق المرَجَّاة ، وسلْطانه الوَاسِعُ الجاه ، طَريقُ التِّجَارة ، والوسيلة والمَنَارة ، ومَشْرَع [٢] الحضَارة

تَعبُرانِهَا اليومَ على مُزجَاة [٣] ، كأنّها فُلْكُ النَّجَاة . خَرَجتْ بنَا بَين طُوفَان الحوادِث ، وطُغيَان الكوَارث ، تُفارق برًّا ، مغتَصبه مُضَرِىٌّ [٤] الغَضْبَة ، قـد أخذَ الأُهْبة ، واستَجْمعَ كالأَسد للوَثْبةَ ، وتَلاَقى بحراً جُنّت جوَاريه ، ونزت [٥] بالشرّ نَوَازِيه، وتمثّلَتْ بكلِّ سَبيل عوَاديه . مملوءا ببغتَات الماء ، مُترعاً بفُجاءات السّماء ، من نُونٍ [٦] يَنْسِفُ الدّوارع ، أو طيرٍ [٧] يَقذِفُ البِيض مَصَارِعَ . فقلت : سِيرِى ، عوّذتك بِودِيعه [٨] التَّابوتِ ، وبصَاحب [٩] الحوت ، وبالحىّ الذي لا يَموتُ . واسْرِى يا ابنة اليمّ ، زِمامُكِ الرُّوح ، [١٠] وربّانك [١١] نوح ، فـكم عليك من مَنْكُوبٍ ومجرُوح .

إنَّ للنِفى لرَوْعة ، وإنّ للنّأى للَوْعة ، وقد جرَتْ أحكامُ القَضَاء ، بأنْ نَعْبُرَ هذا المَاء ، حِين الشرُّ مُضْطرِم ، واليأس مُحتدِم ، والعَدوّ مُنْتَقِم ، والخصْم مُحتكِم وحينَ الشَامتُ جذْلان مُبْتَسِم ، يهزَأ بالدّمع وإنْ لم ينسَجِم [١٢] نفانا حُكّامٌ عُجْم ، أعوان العُدوَان والظُلْم ، خلّفْناهم يفرحُون بذَهب اللُّجْم ، ويمرحُون فى أرسَانٍ يُسمّونهَا الحُكم ، ضربونا بسَيفٍ لم يَطبعوه ، ولم يَملِكُوا أن يَرفعُوه ، أو

(١) الريا — الرائحة الطيبة (٢) المشرع — المورد (٣) زجاه وأرجاه — ساقه وسيره (٤) مصر — فخذ من أفخاذ العرب ينسب لمضر بن نزار وهذا التعبير مأخوذ من قول بشار
اذا ما غضبنا غضبة مضرية ❊ هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
(٥) النزو — الوثب ، والنازية — حدة الرجل الوثاب الى الشر وجمعها نواز (٦) النون الحوت والمراد الغواصة (٧) يريد بالطير الطيارات وبالبيض ما يلقى منها من مهلكات القذائف (٨) هو موسى كليم الله (٩) هو نبي الله يونس (١٠) جبريل (١١) الربان رئيس الملاحين وجمعه ربابين (١٢) انسجم الدمع — سال

يَضَعُوه، سامَحهم فى حقوق الأفراد، وسامَحُوه فى حُقُوق البلاد، وما ذَنبُ السَّيف إذا لم يَستَحْيِ الجلاّد؟!

مَاذا تَهمِسَان؟ كأنِّى أسمعكما تقولاَن: أىّ شَئ بَدا له، على هذه الضَّاحية[1]. ومَاذا شَجَا خَياله من هَذه النّاحِية؟ وأىّ حسن أو طيب لِملْح يَتَصَبَّب فى كَثيب. ماء عَكِر فى رمل كَدِر؟؟

قناة حَمِئة[2]، كأنّها قناة صَدِئة، بل كأنّها وَعِبْرِيها[3] رمال، بعضها مُتماسك. وبعضها مُنهَال. وكأنَّ راكبَ البحر مُصحِر[4] وكأن صاحب البَرّ مُبحر.

رُوَيْدَكما: ليسَ الكِتابُ بِزينة جِلده، وليس السَّيفُ بحِلية غِمدِه. تلكَ التَّنَائفُ[5]، من تاريخكم صَحَائف، وهذه القفَار، كُتُب منه وأسفَار. وهذا المَجازُ هُو حَقيقةُ السِّيادة، ووثيقة الشّقاء أو السَّعادة. خيطُ الرَّقبة، مَن اغتَصبه اختصّ بالغلَبة، وَوَقفَ للأعقاب عقَبَة. ولو سكتتْ لنطقتْ العِبر، وأينَ العِيانُ وأينَ الخبر؟:

أُنظُرا: تريَا على العِبرَين عِبْرَةَ الأيام، حُصون وخِيام، وجُنود قُعود وقِيام جَيش غيرنا فُرسانه وقُوّاده، ونحن بُعْرانُه[6] وعلينا أزواده، [7] دِيك على غير جداره خَلاَلهُ الجوّ فصاح، وكلبٌ فى غير داره انفردَ وراءَ الدّار بالنُّباح.

ألقَناة وما أدراكما ما القناة؟ حظّ البِلاد الأغبر، من الْتِقاءِ الأبيض والأحمر. بيْدَ أنّها أحلامُ الأُوَل، وأمانِيّ الممالك والدُّول: الفراعِنة حاوَلُوها، والبَطالسة.

---

(١) الضاحية — البادية وكل أرض بارزة للشمس (٢) الحمئة — التى فيها الحمأة أى الطين الاسود المنتن، القناة الأولى الترعة والقناة الثانية الرمح (٣) عبر النهر — شاطئه (٤) أصحر سار فى الصحراء (٥) التنائف جمع تنوفة وهى المفازة (٦) البعران جمع بعير كأبعرة (٧) الازواد جمع زاد وهو الطعام

زاولُوها (١) ، والقياصِرة تَناولوها ، والعرب لأمر مّا تجاهلوها (٢) ، إلى أن جرى القدَر لغَايته ، وأتَى « إسماعيلُ » بآيتهِ ، فانفتَح البرزخ بعنَايته ، والتقَى البحرانِ تحتَ رايتهِ ، فى جَمع من التيجان لم يَشهده إكليلُه. (٣) قد كان يُتوّج فيه لو شهدَتهُ جيُوشه وأساطيله ، وَما إسماعيلُ إلا قَيصرُ لو أنه وُفّقَ ، والإسكندر لولم يُخفِق. تركَ لكم عزّ الغَدِ وكنز الأَبد ، والمَنْجِم الأحَد ، والوقف الذى إن فات الوالد فلن يفُوتَ الولد .

ماذَا على الرّمال ؟ من لَمَحاتِ جَلال وجَمال ؟ ارجعَا القهقرَى بالخيال ، إلى العَصْر الخال ، واعرِضَا فى حَداثتها الأجيَال ، ترَيا على هذَ المكان وُجُوهاتَتمثّل وركاباً تَتَنقَّل ، وتَرَيا النبُوّة تتهلّل. والآياتِ تتنزّل ، وترَيا المَلك يترجَّل ، حتى كأنكما بالزمان الأوّل . فهاهُنا وُضع للنبوّة المهد ، وابتدأ بهَا العهد ، فأقبل صاحبُ المقام ، ومحطِّم الأصنام ، وبنّاء البيت الحرام ، خليل ذى الجلال والإكرام (٤) هاجرَ إلى مصرَ أكرم من هَاجرَ . ثم انقلب منها بأمّ العرب هَاجرَ (٥) . ومِن هذه الثَنِيّات طَلع يُوسُف يرسُفُ فى القيد ، وهو للسيّارة صيد ، يَسير من كيد إلى كيد . قلبٌ جرَّحته الإخوة ، وجنْب قرّحته النِّسوة . فيالك « يوسف » من أُسوة (٦) ، عِزّ بعد هَون ، ودولة بعد المنزل الدّون ، وشُئون أقدار وشُجُون ، وسُهول حياة وحُزون ، وسجُوفُ القصُور بعد السجُون ، إلى سُجود الشّمس لك والقمَر

---

(١) زوال الشئ — حاوله (٢) يروى أن هارون الرشيد فكر فى أن يصل البحرين بقناة وانه استشار يحيى بن خالد البرمكى فى ذلك فقال له : ياأمير المؤمنين « إن خرق السويس خرق فى الاسلام » فعدل عن رأيه . (٣) الاكليل — التاج (٤) هو خليل الله ابراهيم (٥) هى جارية مصرية أهداها فرعون الى السيدة سارة زوج سيدنا ابراهيم فوهبتها له فاستولدها اسماعيل جد العرب المستعربة (٦) الاسوة — القدوة ، وما يتاسى به الحزين أى يتعزى .

في الكواكب الأُخر .

وإلى هذا الفضاء خرج موسى حين زال زويلهُ (١) وطلبه قتيله ، وزين له الفرار خليله (٢) فحوته هذه الرمال ، فاذا الأمن سبيله ، واليُمن دليله ، والسلامة زاملتهُ (٣) والسِّلم زميله . ولو أطلعه الله على غيبه ، للمس النبوة بين يده وجيبه إلى أن رُفع له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من النار ، وقيل له : كُنْ من الأحرار الأحبار ، وارجع فسلِّط الحقّ على فرعون الجبّار . فكان عليه السلام أوّل من اقتحم على الفرد جبَرُوته ، وهتك على المُستبدّ طاغوته (٤) ، وخطم (٥) المتألّهُ (٦) وحطّم عظموته . ماء الحقّ على لُطفه ، ظفر بنار الباطل على عنفه . ظهر العدلُ على الحيف ، وكسرت العصا السيّف .

وعلى هذه الأرض مشت السّماء (٧) الطّاهرة ، والنيّرة الزّاهرة ، والآية المتظاهرة أم الكلمة (٨) وطريدة الظّلمة . سرحوا في عرضها ، فأخرجوها من أرضها فضربت في طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها ، وجبريلُ هاديها ، والقدسُ ناديها ، والطّهارة أرجاء واديها ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة ، وجناحُ الرّحمة والإصباح من الظّلمة ، حتى هبطت به أكرم الأديم (٩) فنشأ بين الحكيم والعليم

---

(١) زال زويله — فزع وحذر (٢) يشير الى ما كان من أمر موسى حين وجد قبطيا وإسرائيليا يقتتلان فاستنصره الاسرائيلي على القبطي فوكزه وكزه كانت القاضية فلما أصبح وجد الاسرائيلي نفسه يقاتل قبطيا آخر فاستغاثه فقال له موسى إنك لغوى مبين . ثم هم بنصرته على القبطي فظن أنه يريده بالاذى فصاح الاسرائيلي يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس فذاع أمره ولم يلبث أن جاءه رجل وقال له : ياموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين • فخرج الى بلاد مدين . (٣) الزاملة — ما يحمل عليه من الابل وغيرها

(٤) الطاغوت — الشيطان وكل رأس ضلال (٥) خطمه — قهره أو ضرب أنفه (٦) أراد بالمتأله المتكبر غير أن معناها اللغوى المتنسك المتعبد (٧) يريد السيدة مريم (٨) الكلمة سيدنا عيسى (٩) الاديم — وجه الارض

وتَرعرَعَ حيث تَرعْرعَ بالأمسِ الكليم .

فيالك من دَار لعبتْ على عرصاتها الأقدار ، نَاويت (١) موسى القَريب ، وآويت عيسى الغريب ، نبوت (٢) بالنَّبيّ ، وحبَوْت الأمنَ عيسى وهو صبيّ . عُذركِ لاتنضى(٣) اليه المطيّ ، فانّما غضبت لابنك القبطيّ .

ثم انظرا : ترَيا إبلا صِعابا ، وخيَلا عِرَابا (٤) ، وترَيا الرُّعاةَ (٥) انقضّوا على الوادِى ذِئابا ، فأخافوا القُرَى الآمِنَة ، وأخرجُوا من مِصر الفراعِنة ، واستبدّوا بالمُلك فيها آوِنة ، وتَريا الوُحوش الضّارية ، والجوارح الكاسِرة ، يَقودُها شرّ الأكاسِرة (٦) ، ملأت هذه الفِجاج (٧) ، وكأنّها حرَجات (٨) السّاج ، أو حركات الأمواج ، ثم تدفّقت تكتسِح الديّار ، باغية السّيف طاغيَة النّار ، تدكّ الهيَاكل والمعَاقل ، وتهتِكُ العقَائد والعمَائل . وترَيا الإسكندَر الكريم ، قد لمَع كالصّارم من هَذا الضّريم (٩) ، ويَحملُ الحملَات النّجائب ، ويَفتح بالكُتُب والكتائب

وتريَا ابنَ العَاص والصَّحابة ، مرّوا من هذه الأرجاء مرَّ السّحابة ، يفتحُون للحقّ ويفتكون بالرّق ، حتىّ أخلوا القصُور من القيَاصرة ، وأراحُوا مِصر الصّابرة من صلَف الجبَابرة

وترَيا صلاَح الدين يَخفى كالبدر ويبدُو ، ويروح كالغيْث ويَغدُو ، بعُوثٌ بلا عدَد ، ومددٌ إثر مَدَد ، وذَخائرُ وعدَد ، وبُشْرى كلّ يوم بفتوح جُدد .

وترَيا نابليون قد ركب طَيشه ، وأركب الغرَر جيشه . وتَريا إبراهيم بن عليّ

---

(١) ناوأه وناواه عاداه (٢) نبا به المكان لم يوافقه (٣) انضى المطية — هزلها (٤) العراب من الخيل والأبل — العربية (٥) هم العمالقة الذين ملكوا مصر مدة من الدهر (٦) قمبيز (٧) الفجاج — الطرق الواسعة (٨) الحرجة — الشجرة الملتفة والساج شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضا وله ورق عريض جدا (٩) الضريم — الرمل

مَشهورَ الجِرَاز ، موفورَ الجهَاز ، ملَكَ سُورِيةَ وضبَطَ الحِجاز . وتَرَيَا اسماعيل بعث الحاشِرين ، وحشَدَ الحافِرين ، وقَرّب المسافَةَ للمُسافِرين . غيّرَ وَجه السفَر ، فقيل: بَلغ غَايَةَ الظفَر ، وقيل وَقَع الحافِرُ فيما حفَر .

ثُمّ إنْظُرا اليومَ تَرَيَا القَناة فى يَدِ القَوم إنْ أَمِنُوا رَكزُوهَا ، وإنْ خافُوا هَزوهَا

(وصف فرس)

قال محمد بن الحُسين يصِفُ فَرساً .

هوَ حَسنُ القَمِيص ، جيّد الفُصُوص ، وَثِيق القَصَب ، نَقِيّ العَصَب ، يُبْصِر بأُذُنيه ، ويَتبوّع بيدَيه ، ويُداخل بِرجليه ، كأنه موَجٌ فى لُجّةٍ ، أوسَيلٌ فى حَدُور يناهِب المَشى قبل أن يُبعث ، ويلحق الأرَانبَ فى الصّعُوداء ، ويُجاوِزُ جَوارى الظّباء فى الاستوَاء ، ويَسبق فى الحدُور جرْىَ الماء . إنْ عُطِفَ جار ، وإنْ أُرسِلَ طَار ، وانْ كُلِّفَ السّير أمعنَ وسَار ، وإنْ حُبس صَفَن ، وان استوقَفَ قطَن ، وان رُعِيَ أتَن ، فهو كما قال تأبّط شرًّا :

ويَسبق وَفْدَالريح مِن حَيثُ تَنْتَحِي بِمُنْخَرَقٍ من شَدّة المُتدَارِكِ

(وصف العصا)

لقِيَ الحجّاج أعرابياً فقال : مِنْ أينَ أقبلتَ ؟ قال مِن البَادية قال : مَابِيدِكَ ؟ قال عصاً أركُزُها لصلاَتى ، وأُعِدُّها لعُداتى ، وأسوقُ بها دابّتى ، وأقْوَى بها على سفَرى ، وأعتمدُ عليها فى مَشْيى ، لِيتّسعَ بها خَطْوى ، وأَعبرُ بها النّهر فتؤَمّننى وأُلقِي عليها كسَائى فيستُرنى من الحرّ ، ويَقِينِي من القرّ ، وتُدْنِيَ مابَعُدَ مِنّى . وهى محْمَل سُفْرتى ، وَعلاقَة إداوَتِي [1] ومِشْجَبُ ثِيابى ، أعتمدُ بها عند الضِّراب ، وأقرعُ بها الأبوَاب ، وأتّقِي بهَا عقُور الكلاب . تَنُوب عن الرُّمْح فى الطّعَان ،

(١) أداوة — وعاء ماء يتطهر به

وعن الحَرْبة عند منازلة الأقران ، ورثتها عن أبى ، وأورثها بعدى ابنى ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ، كثيرة لا تحصى .

(وصف كرة القدم لمؤلف الكتاب)

قاتل الله الكرة : ما أعجب أمرها . وما أدق سرها ، قد جمعت الأضداد واسترقت النجباء والأوغاد . فهى كبيرة الحجم ، مفوقة الجسم ، لكنها خفيفة الوزن ، سريعة الوثب . وهى ناعمة اللمس . مليحة الرقص . لكنها تأبى الوخز ولا تطيق اللكز . وهى تفر من المداعبة والملاعبة . ولكنها لا تمل من ضرب ولا تكل من دحرجة . وهى محبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدى والأحضان ، لكنها تطرد بالأرجل والعصى ، فهى عزيزة ذليلة ، حقيرة جليلة ، تشبه القنابل فى صورها . . والدفوف فى أصواتها . والطير فى امتطاء الهواء . واختراق الفضاء .

﴿ وصف جيوش لابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ﴾

وصار فلان فى جيوش ، عليهم أردية السيوف وأقمصة الحديد ، وكأن رماحهم قرون الوعول [١] ، وكأن أدراعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع سرادقها ، قد نشرت فى وجوهها غرر [٢] كأنها صحائف الرق [٣] وأمسكها تحجيل [٤] كأنها أسورة اللجين ، وقرطت عذراً [٥] كأنها الشنوف تتلقف الأعداء أوائلها ، ولم تنهض أواخرها ، قد صب عليهم وقار الصبر وهبت معهم ريح النصر

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة (٢) جمع غرة وهى بياض فى جبهة الفرس (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل بياض فى قوائم الفرس (٥) أى ألبست عذرا جمع عذار وهو ماعلى خد الفرس من اللجام

﴿ وصف الحسد للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ﴾

أَلحسدُ (أبقاك الله) داءٌ ينهكُ الجسدِ ، علاجُه عَسِيرٌ وصاحبهُ ضَجِر ، وهو بابٌ غامض [١] وما ظَهر منه فلا يُداوَى ، وما بَطَن منه فمُداويه فى عَناء . ولذلك قال النبىّ ﷺ « دَبّ [٢] اليكم دَاء الأُمم مِنْ قَبلكم الْحسدُ والبغْضَاء »

أَلحسدُ عَقيدُ [٣] الكُفر ، وحَليفُ البَاطل [٤] وضدّ الحقّ ، منهَ تتَولّد العدَاوةُ ، وهو سَببُ كلّ قَطيعة [٥] ، ومُفرّق كلّ جَماعة ، وقاطع كُلّ رحِمٍ مِنَ الأقرباء ، [٦] ومُحدِثُ التّفرّق بين القُرَناء [٧] ، ومُلقّح الشّرّ بين الْحلَفاء [٨]

ووصف أيضاً أفضل الكلام — وقال .

أفضلُ الكلام مَا كان قليلُه يُغنيك عَن كَثيره ، ومعناهُ ظَاهراً فى لَفظه . وكأَنّ الله قَد ألبسَهُ من ثيَاب الجلالة ، وغَشّاه [٩] من نُور الحِكمة ، علي حسَب نِيّة صاحبِه ، وتقوى قائله ـ فاذا كان المعنَى شَريفاً واللّفظ بليغاً صَحيحَ الطبع بَعيداً من الاستِكراه [١٠] ، مُنزّهاً عن الاختِلاَل ، مَصُوناً عن التّكلّف ، صَنعَ فى القلوب صَنيع الغَيثِ [١١] فى التُّربة الكريمة ، وَمتى فُصّلت الكلمة على هذه الشّريطة وَنفذت من قائلها على هـذه الصّفة ، كسَاها الله من التوفيق ، ومنحَها من التأييد مالا يمتنعُ مِنْ تَعظيمها به صدور الجبَابرة ، ولا يذهَلُ عن فهمها معه عُقول الجَهلَة .

﴿ وصف الشعراء المحدثين ﴾

قال ابنُ دُرِيد : سأَلتُ أبا حَاتم عن «أبى نُواس» فقال : إنْ جَدَّ أَحسَنَ ، وإنْ

---

(١) أى مسلك خفى يعسر الخروج منه (٢) سرى فيكم (٣) أى معاهده ومحالفه (٤) ملازمه (٥) انفصال (٦) كل قرابة واتصال (٧) المناظرين (٨) مولد الشر بين المتحالفين (٩) كساه (١٠) أى من اجبار الفكر (١١) المطر

هَزَلَ ظَرُف ، وإنْ وصفَ بَالَغ ، يُلقى الكلامَ على عواهنه لايُبالِى مِنْ أينَ أخذَ. قلت « فَبشَّار بن بُرد » قال : نظّار غوّاص مُطيلٌ مُجيدٌ ، يَصِف مَالم يرَه كأنَّه رآه على أنّ فى شعره خللاً كثيراً ـ قلت « فمَرْوَانُ بن أبى حَفْصَة » قال : شاعر رَاضٍ عن نفسهِ يَستحسِنُ كلّ مَا جاء منه مُعْجَبٌ ، لا يرَى أنّ أحداً يتقدّمهُ ، كثير الصّواب ، كثير الخطأ ، لَيسَ لِشعره صَنعة .

قلت : « فمُسْلِم بنُ الولِيد » قال : خَليج صَافٍ يَنزع من بَحر كَدرٍ . كالزّند يُورِى تَارة ويَصلِد أُخرَى . قلت « فأبُو العتَاهِية » قال : غُثاء جَمٌّ ، واقتِدَار سَهلٌ وشعر كخرز الزّجَاج ، وربّما أشبهَ اليَاقُوتَ والزّبرجد . قلت « فعبّاس بن الأحْنَفِ » قال : يُلقِى دَلوهُ فى الدّلاءِ فيغترفُ الصفو أحيانا والحمأة أحيَانا ، على أنّ كدره أكثرُ من صفوه . قلت « فمُسلِم الخاسر » قال : مُقِلٌّ مَدّاح ، شعرهُ دِيباج وعِهنٌ يُموّه الرّدىء حتى يُشبهَ الجيّد . قلت « فأبو الشِّيص » قال : جدُّه كلّه فيه حلاوة وبَشاعة كالسّدرة التى نفَضت ، ففيها المُستعذَبُ والمُستبشعُ . قلت « فعلىّ بن جبَلة » قال : بحّاث عن الكلام الفَخْم ، والمعنى الرّائع . لاينالُ مَرتبة القُدماء ، ويجلُّ عن منزلة النّظراء . قلت « فأبو تمَّام » قال : سَيلٌ كثير الغثَاء ، غَزِير الغمَار ، جمّ النِطَاف فاذا صَفَا فهو السّلاف بالماء الزّلال . قلت « فعبدُ الصَّمد بن المُعذّل » قال : خرّاج ولاّج ، يعتَسفُ تَارة ، ويَهتدِى أخرى . قلت « فعلَىّ بن الجَهْم » قال : كلام رَصين ومَسلكٌ وعرْ ، عقلهُ أغلبُ على شعره من طَبعه . قلت « فبكر بن النّطاح » قال : تَشبَّه بالأعرَاب فأفرَط ، وتجَاوزَ حدّ المولّدين فأسهبَ ، فهو السَّاقط بين القريتين

﴿ ووصف ابن الأثير المتوفى سنة ٧٥٩ هـ أبا تمّام والبُحتُرىَّ والمتَنبّى ﴾

قال : لقدْ وقَفتُ من الشّعر فى كلّ دِيوان ومجموع ، وأنفذت شَطراً من العُمر

فى المحفُوظ منه والمسمُوع ؛ فألفيتُه بحراً لا يُوقفُ على ساحله . وكيف يُحصَى قولٌ لم تُحصَ أسماء قائليه ؟ فعندَ ذلك اقتصرتُ منهُ على ما تكثرُ فوائده ، وتتشعَّبُ مقاصدُه ، ولم أكُن مِمّن أخذَ بالتّقليد والتّسليم ، فى اتّباع من قصر نظرَه على الشّعر القديم . إذ المُراد من الشّعر إنّما هو إيداعُ المعنَى الشّريف ، فى اللّفظ الجزْل الّلطيف ، فمتى وَجدتُ ذلك فكلّ مكان خيّمتُ فهو بابل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبى تمّام ، والبُحتُرى ، والمتُنبّى . وهؤلاء الثّلاثة هم (لاتُ الشّعر وعُزّاه ومَناته) الّذين ظهَرت على أيديهم حَسنَاته ومُستحسنَاته ، وقد حوَت أشعارهم غَرابة المحدَثين وفصاحةَ القُدماء ، وجمعت بينَ الأمثَال السّائرة ، وحِكمة الحُكماء

أما أبو تمّام : فإنّه ربُّ مَعان وصيقَل أذهَان . وقد شهدله بكلّ معنى مُبتكر . لم يَمش فيه علَى أثر ، فهو غير مُدافع عن مقَام الإغْراب ، الّذى برز فيه على الأضرَاب . ولقد مَارست من الشّعر كلّ أوّل وأخير ، ولم أقل مَا أقوله إلاّ بعد التّنقير ، فمن حفظ شعر الرّجل وكشَف عن غامضه ، وراضَ فِكرَه برَائضه ، أطَاعته أعِنّة الكلام وكان قولُه فى البلاغة ماقالت«حذَامِ» فخُذ منّى فى ذلك قولَ حكيم ، وتعلّم (ففوْقَ كلّ ذِى علْمٍ علَيم) .

وأمّا البُحترِىّ : فإنّه أحسنَ فى سبك الّلفظ على المعنى، ولقد حازَ طرفى الرّقّة والجزَالة على الإطلاَق ، فبَينا يكون فى شَظَفِ نَجدٍ ، إذيتشبّث بريف العرَاق . وسُئلَ المتَنبّى عنه وعن أبى تمَّام وعن نَفسه فقال : أنا وأبو تمّام حكيمان ، والشّاعر البُحترىّ . ولَعمرِى إنه أنصفَ فى حكمه ، وأعرَب بقوله هذا عن متَانة علمه ، فإن البُحتُرى أتَى فى شعره بالمعنَى المقدُود من الصّخرة الصّماء ، فى الّلفظ المصُوغ من سُلَافة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرَام ، مع قُربْه إلى الأفهام، وما أقول إلا أنه أتَى

فى مَعانيه بالنَّوادر الغَالية، ورَقى فى دِيباجة لفظه إلى الدّرجة العَالية . وأمَّا المُتنبىّ فانه أراد أن يَسْلُكَ مَسْلَكَ أبى تمَّام ، فقصُرت عنه خُطاه ، ولم يُعطه الشّعر من قِياده مَا أعطَاهُ ، ولـكنّه حُظِى فى شِعره بالحِكَم والأمثال ، واختَصَّ بالإبداع فى وصف مَواقِف القِتَال ، وأنا أقول قولا لَستُ فيه مُتأثماً ، ولامنه مُتلثماً ، وذاك أنه إذا خَاضَ فى وصف مَعركة كان لسانه أمضَى من نِصالها ، وأشجعَ من أبطَالها . وقامت أقواله للسَّامع مَقَام أفعَالها ؛ حتى يظنّ أن الفريقين قـد تقَابلا ، والسّلاحين قد تَواصَلا فطريقـهُ فى ذلك تَضِلّ بسَالِـكه ، وتقوم بعذر تَاركه ، ولاشَكّ أنه كانَ يَشـهدُ الحروب مع سيف الدولة فيصِف لِسَانه ، ما أدّاه إليه عِيَانُه، ومع هذا فانى رأيت النَّاس عَادلين عن سُنن التّوسّط ، فإمّا مفرِّط فى وصفِهِ و إمّا مفْرِط . على أنَّه إذا كانَ انفردَ بطريق صَار أبا عذره . ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة:

لا تَطلّبنّ كريماً بعد رُؤيته إنّ الـكرَام بأسخَاهم يداً خُتِمُوا
ولا تبالِ بشعر بعد شاعِره قد أُفْسِد القول حتّى أُحمِد الصّمَمُ

(ووصف المفضّل الضبّى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مروره ببعض أحياء العرب)

رَوَى المُفضّل الضَبّى قال : نزَل علينا بنو ثَعلبةَ فى بعض السِّنين ، وكنتُ مَشغوفاً بسماع أخبار العَرب وجَمعها ، فأخذت أَجولُ بين خِيَامهم ، وأتَحسّسُ من أحوَالهم ، و إذا أنا بامرأة واقفة فى فِناءِ خِبائها ، آخِذَةٍ بيد غُلَام قلّما رَأيتُ مثلَه فى حسْنِهِ وجَماله ، وهى تُعاتبهُ بلسان رَطب ، وكلام عَذْب ، يَستَرِقهُ السَّمع ويترشّفهُ القلب ، فـكان أكثر ما أسمعهُ منها (بُنىّ ــ وأىْ بُنىّ) وهو يَتبسّم فى وجهها وقد غَلَب عليه الحَياء والخجَل كأنّه من ربّات الحِجَال ، فلا يَحير جَواباً ، ولا يُبـدى خِطاباً ، فاستحسنتُ مَا رأيتُ ، واستَحلَيْتُ ما سَمعتُ ، فدَنوتُ فسلّمت ، فردّ

علىَّ السَّلام ، ووقفتُ أنظرُ إلى المرأة والغُلام . فقالت لِى : ياحضَرىُّ مَاحَاجتُك ؟ قلتُ الاستكثارُ ممَّا أسمعُ، والاستمتاعُ بمَا أرَى ، فابْتَسمَت وقالت : يا هَذا إنْ شئتَ سُقتُ إليكَ ما هوَ أحسنُ ممَّا رَأيتَ . فقلت هَاتِ حفِظك الله . قالت : وُلد هـذا الغلامُ فـكان ثالثَ أبويه ، فرُبِّى بيننا كأنّه شِبْلٌ . وكنتُ أقِيـه بَرْد الشتَاء وحَرّ الهَجِير ، حتّى إذَا مَا تمَّت له خَمسُ سِـنين ، أسلمتهُ إلى المؤدِّب فحفّظه القرآنَ فتلَاه ، وعلّمه الشّعر فروَاه ، ورغبَ فى مُفاخر قَومه ، وَطلبَ مآثر آبائه وأجدَاده . فلمّا أن اشتَدّ عَظْمُه وكمُل خَلْقه ، حمَلتُه عـلى عِتَاق الخيلِ فتَفرّس وتَمرّس ، ولبسَ السّـلاح ومَشَى الخيَلاءَ بين بُيوتَات الحىّ ، وأصغَى إلى أصوات ذَوى الحاَجات ، فأخذ فى قِرَى الضّيف و إطعام الطعام ، وأنا عليه وَجلة أحرسه منَ العيون أن تُصيبهَ ، ومن الألسُن أن تعيبهَ ، إلى أن نزَلنا فى بعض الأيامَ مَنهلاً من المنَاهل بين أحياء العرب ، فخرج فِتيَان الحىِّ فى طلب ثَأْرلهم ، وشاءَ الله تعالى أن أصابت الغـلام وَعكة شَغَلتْه عن الخروج ، حتى اذا أمعنَ القومُ ولم يبقَ فى الحىّ غيره ، ونحن آمنون وادِعون ، فوربّك ماهو إلا أن أدبرَ الّليل وأقبل الصّبح حتّى طلعت علينا طَلَائع العدُوّ وغُرر الجِياد ثواراً لا زوّاراً ، فما كان إلّا هُنيَهة حتى أحرزوا الأموال ، وهو يَسألنى ما الخبر ؟ وأنا أستره عنه اشفاقاً عليه وَضنّاً به ، حتى اذا علَت الأصوات ، وبرّزَت المُخدّرات ، رَمى دِثَاره وثَاركما يَثُور الضّرغام اذا أُغضِبَ ، فأمر بإسراج فَرسـه ، ولَبس دِرعَ حربه ، وأخَذ رُمحه بيده ، وركب حتّى لحق حُمَاة القوم وأنا أنظر اليه ، فطعن أدناهم منه فرمَى به ، ولَحق أبعدَهم فقتَله . فانصرفت اليهِ وُجوه الفرسان ، فرأوه غلاماً صَغيراً ، لا مدَدَ وَرَاءه ، فحملُوا عليه ، فأسرَع يَؤُمّ البيوت، حتّى اذا خلّفهم وَراءه وامتدُوا فى أثره

عطف عليهم ففرّق شملهم وشتّت جمعهم وقلّل كثرتهم ومزّقهم كلّ ممزّق ومرق كما يمرق السهم من الرّمية ، وناداهم خلّوا عن المال فوالله لا رجعتُ إلاّ به، أو لأهلكنّ دُونه ، فتداعت اليه الأقران ، وتمايلت نحوهُ الفرسان ، وتميزت له الفتيان وحملُوا عليه وقد رفعوا اليه الأسنَّة ، ومالوا عليه بالأعِنَّة ، فوثب عليهم وهو يزأرُ كالأسد ، وجعل لا يحملُ على ناحيةٍ إلا حطّمها ، ولا كتيبةَ إلا هزمها ، حتى لم يبقَ من القوم إلا مَن نجا بهِ فرسُه ، ففازَ بالأموال وأقبلَ بها . فكبّر القومُ عند رُؤيته ، وفرِحُوا فرحاً عظيماً بسلامتِه . فوالله مارأينا قط يوماً كان أصبح صباحاً وأحسنَ رَواحاً من ذلك اليوم . ولقد سمعته ينشد فى وُجوه فتيات الحيّ هذه الأبيات

تأمَّلنَ فِعلى هل رأيتنّ مثله ... إذا حشرجَت نفسُ الكميِّ عن الكربِ
وضاقتْ عليه الأرضُ حتى كأنّه ... من الخوف مسلوبُ العزيمةِ والقلبِ
ألم أعطِ كُلاًّ حقّه ونصيبَه ... من السّمهرىّ اللَّدْنِ والصَّارم العضْبِ
أنا ابن أبى هند بن قيس بن خالد ... سليل المعالى والمكارم والسّيبِ
أبَى لىَ أن أعطى الظّلامة مُرْهفٌ ... وطرفٌ قوىّ الظّهر والجوف والجنْبِ
وعزمٌ صَحيح لو ضربت بحدّه ... شماريخَ رضْوى لانحطَطن الى التُّرْبِ
وعِرضٌ نقيٌّ أتّقِى أن أعيبَه ... وبيتٌ شريف فى ذُرا ثعلب الغُلبِ
فان لم أقاتلْ دُونكن وأحتمِي ... لكُنّ وأحميكُنّ بالطّعن والضّربِ
وأبذل نفساً دُونكنّ عزيزة ... علىّ لأطراف القنَا وظُبى القضبِ
فلم تصدق اللّاتى مشين الى أبى ... يُهنِّئْنه بالفارس البطَل النَّدبِ

(وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ ﻫ)

أوفى لى حكم القدر بالاطّلاع على كتاب (نهج البلاغة) صُدفةً بلا تعمّد ،

أصبته على تغيّر حال ، وتبلبلُ بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال ، فحسبته تسلية ، وحيلةً للتخلية ، فتصفّحت بعضَ صفحاته ، وتأمّلتُ جُملا من عباراته من مواضعَ مختلفات ، ومواضيعَ متفرّقات ، وكان يُخيَّل لى فى كل مقام أن حروباً شبّت ، وغارات شُنّت ، وأنّ للبلاغة دولةً ، وللفصاحة صولةً ، وأنّ للأوهام عرامة [1] وللريب دعارة [2] ، وأنّ جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، فى عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الأبلج [3] ، والقويم الأملج [4] وتمتلج [5] المهج ، بروائع الحجج ، وتفلّ دعارة الوساوس ، وتصيب مقاتل الخوانس [6] ، فما أنا إلاّ والحقّ منتصر ، والباطل منكسر ، ومرج الشكّ فى خمود . وهرج الريب فى ركود . وأن مدبّر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحسّ بتغيّر المشاهد ، وتحوّل المعاهد ، فتارةً كنت أجدنى فى عالم يعمُره من المعانى أرواح عالية ، فى حلل من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحى اليها رشادها ، وتقوّم منها منآدها ، وتنفر بها عن مداحض المزالّ ، الى جوادّ الفضل والكمال ، وطوراً كانت تتكشّف لى الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح النمور ، ومخالب النسور ، وقد تحفّزت للوثاب ، ثم انقضّت للاختلاب ، فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً

---

(١) العرامة الشراسة (٢) الدعارة سوء الخلق (٣) الصفيح السيف والابلج اللامع البياض (٤) الرمل الاملج الاسمر (٥) تمتلج تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

فُصِل عن الموكب الالهىّ . واتّصل بالرّوح الأنسانىّ ، فخلَعه عن غاشيَات الطّبيعة وَسما بهِ إلى الملكوت الأعلى ، ونَما بهِ إلى مَشهد النّور الأجلى ، وسكن بهِ إلى عمّار جانب التّقديس ، بعد استخلاصه من شَوائب التّلبيس ، وأنّات كأنّى أسمع خطيبَ الحكمة . ينُادى بأعلياء الكامنة ، وأولياء أمر الأُمة ، يُعرّفهم مواقعَ الصّواب ويُبصّرهم بِمواضع الارتياب ، ويُحذّرهم مَزالق الاضطراب ، ويُرشدُهم الى دقائق السياسة ، ويَهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع بهم الى مَنصّات الرّياسة ، ويُصعدهم شرف التدبير ، ويُشرف بهم على حسن المصير .

(وصف حفلة للمرحوم محمد بك المُويلِحى المتوفى سنة ١٩٣٠ ـ م)

لوكان لّليالى لسانٌ ينطق بالفخَار . وَجنانٌ يجرَى بنظْم الأشعار . لأنشدتُ لَيلةُ الحفلة (الخديويّةَ) قصيدةً تسجّل لها فى ديوان العُصور والدّهور . ما لم تبْلغه ليلة قبلها فى تكامُل الفَرحِ والسُّرور. ولوكان الدّهر يُفصحُ لنا يوماً عن انشراحه وابتهاجه ، لأَنبأنا بأنّه ادّخرَها غُرّةً لجبينه ، ودُرّة لتَاجه .

لا زالت أيام الجناب العَالى ولَياليهِ مُشرقةً بالسّعد والهناء ، متأَلّقة تألُّقَ البُدُور فى أُفق السّماء .

﴿ ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له ﴾

قال عِيسَى بن هِشَام : زَايَلْنا الأهرام وخلّيْنَاها ، تَنْدُبُ من شَادَها ، وتَنْعى مَنْ بنَاها ، ومِلْنا إلىدار التُّحَفِ ومُستودْع الآثارِ لُمشاهدة ماحفظتهُ لنامن صُنوف الطّرَف وعُيونِ الأخبار، وما أخرجَتْهُ الأيام من عَالَم الخفاء إلىعالَم الظُّهور ، بعدَ أن كان سِرّا مكتوماً فى خوَاطر العُصور والدُّهور ، وما صَانتهُ بطُون القُبور من الفَنَاء والدُّثور ، وحمَتهْ أحشاء الرُّمُوس من العفَاءِ والدُّرُوس ، وما أخبتهُ أرحَام المعابد

والهيا كل من بَقايا الماضين وخبَايا الأوائل ، وما انكشفتْ عنه سُجُوفُ الأحقاب وديعةَ الأسلاف للأعقاب ، من مكنون الدفائن ومكنوز الخزائن ، وعجائب الفنّ الدّقيق ، وبدائع البِدْع الأنيق ، وغرائب الصُّنع العتيق ، بَليتْ فى اصطحابها بطونُ الأيام والليالى ، وانحنت فى احتضانها ظهورُ العصور الخوالى ، وانقلبت البحارُ وِهاداً ، وأصبحت الوِهاد أطواداً ، وغدت الأغوارُ أنجاداً ، وأضحى العمارُ خرابا والخرابُ عماراً ، والغِمارُ سرابا ، والسَّراب غِماراً ، وتمدينت بوادٍ ، وتبدّتْ مدائن [١] ، وبادتْ مواطن وقامت مواطِن [٢] ، ومضت دُوَلٌ بعد دُوَل ، وذهبت أُوَلٌ إثرَ أُوَل ، وبدتْ أحوالٌ وحالت ، وظهرت أعمالٌ وزالت ، وهى هى كما تركها أهلُها ، مَصونٌ وَضْعُها ، محفوظٌ شكلُها — خبرٌ صادق ، ولسانٌ ناطق تُخبر بالعِبَر ، وتُحدّثُ عمّنْ غَبر .

مَضتْ غبَراتُ العيش وهى غَوابر على الدّهر مكتوبٌ عليها حبائسُ

(وصف الفُونُغراف « الحاكى » للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)

مِثالُ القوّة النّاطقة ، مِن غير إرادة سابقة ، يَقتَطِفُ الألفاظ اقتِطافا ، ويَختطِفُ الصّوت اختِطافا ، مطبَعة الأصوات ، ومِرآةُ الكلمات ، ينقلُ الكلام من نَاحية إلى ناحية ، نَقْلَ كلام عُمر رضى الله عنه إلى سارية [٣] ، أشدُّ من الصّدَى فى فعله ، فى إعادة الصّوت على أصلِه ، كأنّه الحرُوف عن يَد الطّابع ، والوتَر عن يَد الضّارب ، والقَصبُ عن فَم القاصِب ، يحفظ الكلام ولا يُبيدُه ، ومَتى استعَدتَه منه يُعيدُه ، مِن غَير أن يُبقىَ لفظاً فى صَدره ، أو يَكتُم شيئاً من أمره ، كأنّما حفِظ

(١) البادية — الصحراء (٢) مواطن — الأولى جمع موطن أى مكان الانسان ومقره ومواطن الثانية — مشاهد الحرب (٣) ابن زنيم الذى ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر ...

الوَديعة ، فى نفسه طَبيعة ، فلو تقدّم له الوجودُ فى مَرتبة الزمن لما احتَجنا فى الاخبار إلى عنعنة ، [1] ولاَ فى الدّعاوى إلى بَيّنَة ، بل كان يُسْمِعُنا كلامَ السّيد المسيح فى المَهد ، وصَوت عَاذرَ [2] من اللّحد ، وكانت استَوْدَعته الفلاسفة حِكمَتهم ، وأنشَدُوه كلمَتهم ، فرأينا به غرائب اليُونان ، و بدائع الرُّومان ـ ورُبما سَمعنا خُطَب سَحْبان وشِعرَ سيّدنا حَسَّان بذلك اللّسان وأصبَح وجود الإنسان غيرَ محدُود بزَمن من الزّمان . لله دَرُّه من تلميذ يَستوعب ما عنـد المعُلم ، وَيستخلصُه فى لحظة مُعيداً لقوله ، ناقلا لصوته ولفظه

لقدوَجدتُ مكانَ القول ذا سَعةٍ فإن وجدتَ لساناً قائلاً فقُلِ

نديم ليس فيه هَفوةُ النّديم ، وسمير لا يُنْسَبُ اليه تقصير ، تُسكِتُه و تَستعيده وتَذُمّه وتستَجيدُه ، و تَنقُصه وتَستزيده ، وهو فى كلّ هذه الأحوالَ ، راضٍ بما يُقال ، لا يَكلّ من تحديث ، ولا يَملُّ من حديث ، نمّامٌ كماَ ينمّ عليك ، و ينقُلُ لغيرك كما يَنقُلُ اليك ، فهوَ المصورُ لـكلّ فنٍّ ، المُتـكلّم بكلّ لُغة ، المُحدّث عن كلّ إنسان ، المؤرّخ لـكلّ زَمان ، الشّاعر النَّاثر ، المُغنىّ العَازف ، لا تُعْجِزه العبارة ، ولا يُجْهِدهُ الأداء ، ولا يَضُرّهُ اختلافُ شكل ، ولا تَباينُ أصل ، بل تعدّت شِـدّة حِفظه البَشريةَ من اللّغات ، إلى حفظ أصوات العجْماوات ، إلى حَركة اصْطِـكاكِ الجمادَات .

﴿ ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها ﴾

وردَ الـكِتابُ المُطَرّزُ بحُلَى الـْكرَم ، المُحلّى بجَميل النعم . واستلمتُ الهديّةَ

(١) مراده الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تروى عن فلان عن فلان (٢) هو الذى أحياه عيسى عليه السلام

فسلمتْ يدٌ أهدتها، وحفظتْ السجايا التى لمحاسن الأعمال هدَدْتها. ودامت رحابٌ لمثل هذه الحسنات فيها مجال، وللمحسنات بهاء وجمال. وللآمال محطُّ رحال، وللمقاصد كعبةُ إقبال: وطابت نفسٌ تعالى الله أن تماثلها نفسُ عصام، فانها نسخت آية الكرِّ والإقدام، بآية الجود والإكرام، وفعلتْ فى القلوب بالعطاء والنوال، ما قصرت عنه الرماحُ الطِّوال — وتأمّلتُها فأرتنى مالا عينٌ رأتْ وأظهرتْ من محاسن المناظر ما أعمرت، وقرَّبت كلّ منظور بعيد، وتلت. « فكشفْنا عنكَ غطاءك فبصرُك اليومَ حديد » وصفًا وقتى بصفائها، فلم أشْتَه شيئاً الاجمعتْ بينهُ وبينى، وصحّ علينا قولُ القائل «رأيتُ بعينها ورأتْ بعينى». ثمَّ سرَّحت نظرى فى الأطلال والرُّسوم، حتى نظرْتُ نظرة فى النّجوم، فلمْ تُخْفِ عنّى شجراً ولا مدراً، ولا نجماً ولا قمراً.

يزيدك وجهُها حُسناً   اذا ما زدتَه نظراً

ببهاء يُخيِّل لى أنها صيغتْ من ضياء، فلا عيبَ فيها غير أنِّى نظرتُ بها فى سماء فضلك الباهرِ، وأفق شرفك الطَّاهر، فلم ينكشف لى بها لجودك آخر لا زال كرمُك بعيداً حدُّه على كلّ ناظر وباصر، وفضلُ منا هلك غاية تقصدُها الأوائل والأواخرُ.

(وصف سان استفانو باسكندرية لمؤلف الكتاب)

كتابى والقلمُ فى البنان، يُسطِّرُ ما يمليه الجنان، عن محاسن ذلك المكان، المشهور (بسان استفان) هناك ترى البحرَ كالمرْآة تمثَّلتْ فيها السَّماء، فكأنما الماء سماء والسَّماء ماء، وتخالُ الشّاطىء مرْتعاً للظّبيات الآنسات، أو سُوقَ جمال. تُباع فيه القلوبُ على الغانيات

هُناكَ الشَّبيبة واللَّعَب ، والزَّهْوُ والطَّرَب ، وقد اعتلّ الصَّبا ، وصحّ الصِّبا . حُورٌ ووِلدان يَمرَحُون بنشَاط الشّباب ، وَيتهادَوْن بنشوَة الدّلال والإعجاب فمن « غادَات » رَوائحُ غادِيات ، قُدُودهُن الرّماح الطّاعِنَات ، ولحاظهُنّ القلاتلات المُحيِّيات .

ومن « وِلْدان » يلعبون بالكُرَة والصَّوْلجان ، فالكُرَة قلبُ المُحِبّ المُتيَّم ، والصّوْلجَان الذى يَدْفعُها شوق العَاشق المُغْرَم ، هُناكَ نغمَات الأوْتار ، تدعُو الى اغتِنَام الأوطار ، تُهدِى الارْتياحَ الى الأرواح ، وتُبْدِل الأفراح من الأتراح هُناكَ الكؤوسُ على قُطْب الخلاعة تدُور ، فهى بَرشَفَاتِها الثغور ، وبنورها البدُور ، تَشْرُقُ من الحنان ، وتَغرُبُ فى أفواه النُّدْمان ، فيعلُو الوُجوه الشَّفَق ، فتبارك المُبْدِعُ فيما خلَق .

هُناكَ فريقٌ من أهل الهوَى ، حُلفَاء الأسى والجوَى ، يَختلِسُون النَّظرات وتحتها سِهَام صَائبات ، تَقصدُ قلوبهم ولا راحِمَ لهم ، يُنادون مَن يُحبُّون فلا يُجابون وَيتذلَّلُون لِعزّ الجمال على أنّهم لا يُحابون ، يتمنَّون الرِّضا بعد الهَجْر ، وحُلوَ اللِّقا بعد الصّبر ، وفريقٌ آخر قد وَافاهم السّعد فنالوا الأمانِى ، تَعلو وُجوهَهم نَضرَةُ النعيم بما نالُوه من إشارةٍ أو تَسلم ، يتبَادلون التّحيّات بالحواجب ، وَيُشفِقُون على القُلوب فَيضعُونَ الأيدِى فَوقَ التّرائب ، حتى إذا اللّيلُ سَجَا ، وسترَهم رِداءٌ من الدُّجى يَتلاقُون الى جَانب اليَمِّ ، وَيتهامسُون والفمُ قريبٌ من الفَم ، ترَاهم على الأرائك جَنباً بجنب ، وعُنقاً على كتف ، مُبتعدينَ عن العيُون هُنا وهُنا ، وقد بلَغُوا الآرابَ والمُنى ، يجتنَون الثَّمرَ من السَّمر ، وَيلثمون الرّاحَ بالرّاح ، ولا يَزالون فى مَسرّة وَهناء ، وأنسٍ وَصفَاء ، حتى يُنادِي مُنادِي المَوائد بحَيّ على شَهيّ الطّعام ، وهَلُمُّوا

الى رائق المدام ، فيجلسون مثنى وثلاث ورباع ، محفوفين بيانع الأزهار ، مستضيئين بأزهى الأنوار ، والغلمان عن يمينهم وشمالهم قائمون بحوائجهم ، وهم فى لباسهم كأقمار ، وفى خفتهم كلمح الأبصار ، فيأكلون ويشربون ، ويضحكون ويلعبون بين نغمة بالحديث الرخيم ، ونشوة المدام القديم ، حتى إذا أخذت كل حاسة حظها ، وتلجلجت الألسنة فلا تفهم لفظها ، هنالك تراهم كسرب الظباء رائح وغاد ، هذه مائلة وهذا متهاد ، الى أن يتمشى النوم فى الجفون ، فتذبل العيون فينصرفون الى المنام ، ويحلمون بلذيذ الأحلام ، بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة .

﴿ وصف الشمس ﴾

ألشمس كوكب مضيء بذاته . وهى أعظم الكواكب المرئية لنا منظراً ، وأسطعها ضوءاً ، وأغزرها حرارة ، وأجزلها نفعاً للارض التى نسكنها

ولكثير من أخواتها ، سيارات الشمس وبناتها .

والشمس كرة متأججة ناراً ، حرارتها أشد من حراة أى ساعور [1] أرضى . ويبلغ ثقلها ثلثمائة وزن من ثقل الأرض ، وهى أكبر منها جرماً بثلثمائة ألف وألف ألف مرة

وتدور الشمس على محورها من الغرب إلى الشرق مرة واحدة فى نحو خمسة وعشرين يوماً . وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل وخمسمائة ألف ميل وهى مع كل هذا العظم الهائل لا تعد فى النجوم الكبرى ، بل إن أكثر ما نشاهد من النجوم الثابتة شموس أكبر من الشمس بألوف الألوف ، والشمس بسياراتها

(١) الساعور النار نفسها أو موقدها

تابعٌ من توابع أحدِها .

وسَطحُ الشمسِ مَهَبٌّ عواصفَ وزوابعَ نيرانيةٍ شديدةٍ ، تثيرُ فى جوّها أشوِطة [١] هائلةً ، تندلِعُ [٢] ألسنتها المتأجِّجة عن مُحيط كرتها أميالاً . وقد وصفَ بعضُ العلماءِ لهباً ارتفع من سطحها لأوّلِ وهلةٍ نحوَ أربعين ألفِ ميل فى الفَضاءِ ، ثم ازدادَ بريقاً وتألّقاً [٣] ، ثم ارتفعَ بعدَ نصف ساعة إلى خمسين وثلثمائة ألف ميل ، ثم جعلَ يَضؤُل ويَضعفُ ، فلم يمضِ ساعتان حتى اضمحلَّ اضمِحلالاً غيرَ أن ما وصفَه هذا العالِم ليس إلاّ من قبيل النّوادر ، ولكنَّ ارتفاعَ اللَّهبِ نحوَ مائةِ ألف ميل ليس بغير العادِي . وكثيراً ما تبلغُ سُرعةُ اللّهب مائةَ ميل فى الثانية.
وأكثرُ مادَّةِ الشمس من عُنصرِ المُخْذِى (الإيدرُجين) المتّقد

وبِرصْدالشمس مِراراً بالمِرْقَب المُغشّى بالسَّوادِ شُوهِدَ فى صفْحة قُرصِها نُكتٌ سودٌ ، وكلَفٌ يُشوِّهُ مُحيَّاها ، كأنما هى كُرةٌ سوداء الباطن غُلِّفَتْ بسَطْحٍ ساطعٍ من الصعَّادات يتخلّله نقبٌ يظهرُ تحتَها السّوادُ . ولا تزالُ حقيقةُ هذه البقَع موضوعَ البحث والتّعليل عند الفلكيين ؛ ومن تَنقُّلِ هذه النكت عرِفتْ دَورتها على محورها

وللشّمس سيّاراتٌ أو أبناءٌ انفصلتْ منها منذُ أزمانٍ سحيقة ، عُلِمَ منها الى الآن نحوَ ثمانيـة ، هى عـلى ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عُطاردُ . فالزُّهْرَة فالأرض ، فالمرّيخ . فالمُشتَرِى . فزُحَلُ . فأُرَانوس . فَنبْتُونُ . ولم تُعلَمْ كلُّ شؤون هذه السّياراتِ حق العلم ، وإنما ألَمَّ العلماءُ بمعرفةِ موادّها وكثافتها وأبعادها ، ولـكنّ أمْرَ الحياة فيها لم يزَلْ مُبْهَماً مُستغلقاً ـ اللهُمّ الا فى الارض وقمرِها

أمّا مِقدارُ النِّعم التى سخرها اللهُ لنا بوُجود الشمس فمِمَّا لا يُحصيه العدّ ، فهى

(١) الشواط اللهب (٢) اندلع اللسان خرج من الفم (٣) تلالؤاً

مَبْعَثُ حياتنا وحياة الحيوان الذى يعيشُ معنا ، ومَصدرُ نورِنا ونارِنا وحرِّنا وبرْدِنا ، وهى التى تُحيلُ مياهَ البحار بُخاراً ، وتُقِلُّها فى الجوِّ غيوماً ، وتنزِلُها على الأرض أمطاراً ، حيثُ تجرى جداولَ وأنهاراً ، فتروى زَرْعنا ، وتُنْمى غِراسنا وتُثيرُ الرِّياح ، وتُطلِعُ الأنواء ، وتُزْجِى[1] السفُنَ والبواخرَ فى عُباب الماءِ وتدفعُ القُطُراتِ الحديديةَ ، وتُديرُ الآلات البُخارية ، وتُنيرُ المصابيحَ الدُّخانية والزَّيتيّة إذْ ليس الفحمُ الحجرى والزيت الأرْضىُّ إلاَّ حرارة نارها المُدَّخَرَة منذُ قديم الدّهور ، لينتفعَ بها أحياءُ هذه العُصور ، وما النهار المُبصِرُ ، والليلُ المظلِم الا آيتانِ من آيات اللهِ المسَخَّرة لنا بتَسخير هذا المخلُوق العَجيب : ففى النّهارِ نَسعَى فى مَناكب الأرض لابتغاءِ رِزْقنا ، وتَدبير معَاشنا ، وتَنظيم شُؤون حياتنا ، ونُسبِّح بحمد ربّنا ، ونَعتَبرُ بآثار مَن سبقَنا ، وفى الليل نسكُن لإراحة أبدانِنا ، واستجمام[2] قُوانَا ، واستيفاءِ حَظّنا من النَّوم الذى به نستديمُ صِحّتنا ، ونستعيضُ ما فقدناه بأعمالنا ، وننظرُ فى مَلكوتِ السّمواتِ وماخلقَ اللهُ من شىءٍ فى حركات الكواكب وانتقالها ، وبديع صُورِها وألوانِها ، فتَعنُوا وجوهُنا ، ويَتضاءلُ كِبرياؤُنا ، أمامَ قُدْرة خالِقنا العظيم ، فسُبحانه من إلَه حكيم .

ومَا الألوانُ التى نَراها فى نَوْر الأزهار ، وريش الأطيار ، ونفَائس المصنُوعات إلا أثر وُقوعِ أضوائها على هذه المرئيّات وانعكاسها[3] علَى أبصارنا ، فإنّ نُور الشّمس الأبيض مُؤلّفٌ من سبعة ألوانٍ أصليّة[4] تَنشأ منها كلُّ الألوان الفرعيّة وهى — الأحمرُ ، والبرْتقالىُّ ، والأصفرُ ، والأزرق ، والأخضرُ ، والنيلَجى

---

(١) تسير (٢) استجماع (٣) انعكس مطاوع عكس كما فى الاساس (٤) أمكن ارجاع هذه الالوان فى الصناعة الى ثلاثة

والبنفسجي . فمن الأجسام مالا يمتص شيئاً من هذه الألوان ، بل يعكسها كلها على العين ، فيبدو أبيضَ ناصعاً كزهرة الياسمين ، ومنها ما يمتص بعضها ويعكس باقيها ، فيتلوّن بلون مايعكس منها ، فإذا أبصرتَ ورقةَ الشجر خضراء عرفت أنها اختزنت من ضوءِ الشمس ستّة ألوان ، وردّت الى عينيك سابعها ، وهو الأخضر لأنّ فيما ادّخرته نفعاً لها ، وليس بها الى مالفظته افتقار ، ومنها ما يردّ لونين أو أكثر ، فيبدو لونه مزيجاً بين هذه الألوان السبعة . وهذه الألوان من عجائب صنع الله فى الأرض لتميز بعضها من بعض ، فقد يتماثل الشيئان شكلا ، وحجماً وصلابةً ، وليناً ، وشماً ، ثم لا يتباينان إلا من حيث اللون فيكون اللون آيةَ تباينهما ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى الأزهار .

وتنوّعُ الألوانِ هو السرّ فى جمالِ المرئيّاتِ من مشاهدِ الطّبيعةِ وبدائع الصّناعة ، وإنّ أعظم المصوّرينَ وأمهرَ النّقاشين لم يبرزوا على غيرهم ، ويدلّوا على ذكائهم ونبوغهم إلاّ ببراعتهم فى محاكاةِ ألوان الطّبيعة المؤتلفةِ ، وأشكالها المتجانسة ، وإنّما يتمّ لهم ذلك اذا عرفوا كيفَ يمزجون من الأصباغ مايستخدمون به ألوان النور خيرَ استخدامٍ ، وينتفعونَ بهِ أحسنَ انتفاع . وقد سخّرَ علماء الطبّ تباينُ الألوانِ فى كشفِ النّقابِ عن حقائق الجراثيم ، فإنّ منها ما لا يتضحُ للعين فى المجهرِ إلا اذا أُلقيَ عليه صبغٌ خاصٌّ يؤثّرُ فيه لونُه فيُصبغُ به .

ولأمواجِ الشّمس الضّوئية سُرعة معلومةٌ تسيرُ بها ، فاذا انخفضتْ هذه السُّرعة عمّا هى عليه لم تعدُ العينُ قادرةَ على رؤيتها ، لأنّها تستحيلُ الى مظهرٍ آخرَ غير مظهرِ الضّوء والحرارة ، وليس يُنكَرُ ماللضّوءِ والحرارةِ معاً من الأثرِ الحسَنِ فى تنقية المساكن مما يقطنها من الجراثيم القتّالة والعفَن المضْني . ولذلك قيل

إنّ الدّار التى تدخلُها أشعةُ الشّمس لا يدخلُها الطّبيبُ .

﴿ وصف القمر ﴾

ألقمرُ أجملُ الكواكب صورةً ، وأبينُها منظَراً ، وأسهلُها رَصداً ، وأكبرُها فى رأىِ العينِ بعدَ الشمس جِرماً .

وهو سيّارٌ كُرِىٌّ أصغر منَ الارض بنحوِ تسعٍ وأربعينَ مرّة . انفصلَ منها زمنَ التّكوين ، وصارَ تابعاً لها ، طائفاً حولها ، مستمدًّا نورَه من الشّمس مثلَها دائراً حولَ الشمس معَها ، غيرَ أنّ طوافَ الأرض بقمرِها حولَها يتمُّ فى سنةٍ شمسيّةٍ ، وطوافُ القمر حولَ الأرض يتمُّ فى شهرٍ قمرىٍّ : أى مدّة تسع وعشرين يوماً ونصف يوم تقريباً . ومع أنهُ خاضعٌ لنظامِ الأرض لا يقلُّ بعدُه عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتىْ ألفِ ميل .

والذى يَسترعِى أنظارَنا كما استرعَى أنظارَ مَنْ قبلَنا اختلافُ أشكالِه وتعدُّد مطالعِه ، مما جعلَه مبعثَ تخيلِ القدماءِ ، ومثارَ تفكّرِ الحكماء ، ومقصِداً لعبادةِ الجهلاءِ ، فتراهُ يلوحُ ليلةَ أوّل الشهر إثرَ غروب الشمس ضئيلا مقوّساً ، لايلبثُ أن يغرُبَ ويغيبَ فى شفَق الشمس ، ثم يُهَلّ فى الليلة الثالثة أبينَ صورة وأبقى زمناً لازدياد تأخرِه فى الغروب عن الشمس ، ولا يزالُ نورُه فى تزايدٍ ومطالعُه فى تقدُّمٍ نحوَ المشرق ، حتّى يطلُع من المشرق فى اللّيلة الرابعةَ عشرةَ عند غروب الشمس بدراً كاملاً ، بهِىّ الطلعةِ باهرَ الأنوار ، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين

ولكنّ الكمالَ للهِ وحدَهُ ، فإن منتهَى الزّيادة مبتدأُ النّقصِ ، ففى اللّيلة الخامسةَ عشر يتأخّر طلوعهُ من المشرق ، وينقصُ من حافةِ نورِه التى كانت موضعَ هلاله الأوّل زيقٌ لا يُشعَرُ به إلاّ فى اللّيالى التّالية ، ولا تزالُ مطالعهُ فى تقهقُر

ونوره فى تناقص حتى قرب آخر الشهر ، فيشرق قبيل الفجر هلالاً ضئيلا يكاد يكون مقلوبَ الهلال الأول ، وفى الليلة الأخيرة يكون عند الصباح فى الأفق الشرقى مظلماً لا يرى منه شىء ، وهى ليلة المحاق أو السرار ، ويظل بعض النهار كذلك . ثم يتولد هلاله الجديد ، ولكنه لا يظهر إلا بعد أن يغيب قرص الشمس ، فيلوح هلاله ثم يختفى كما قدمنا .

وعلة ذلك : أن نور القمر كنور الأرض مستفاد من الشمس ، وهو لا يقابل الأرض إلا بوجه واحد لا يتغير ، وهذا الوجه بالنسبة إلى حركته مع الأرض حول الشمس لا يقابل الشمس مقابلة تامة إلا فى وضع واحد ومرة واحدة هى الليلة الرابعة عشرة ، فيغشاه نورها ، ويصير بدراً . أما بقية الليالى التى قبلها والتى بعدها فينحرف قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصير كله ظلاماً ليلة المحاق . فيطوى خبره ، ويكون الوجه الآخر الذى لا يرى لنا بدراً كاملاً . ثم يتولد هلاله خلقاً جديداً

وكذلك شأن الأرض فى استمداد نورها أو ما نسميه نهاراً ، ولو كان فى القمر سكان ، لكانت فى رأى أعينهم أكبر كوكب فى السماء ، ولشاهدوها أكبر من الجرم الذى نشاهد القمر عليه أضعافاً مضاعفة ولكانت عندهم أروع جمالاً ، وأبدع من قمرهم فى نظرنا تشكلاً ، فبدورانها على نفسها يرونها كلها جزءاً فجزءاً ، وتظهر قاراتها ومحيطاتها واضحة عليها فى وقت الصحو ، ومظللاً بعضها بالغمام فى وقت الدجن ، وتبدو أهلتها وبدورها ضخمة باهرة ، ولكن لا يراها إلا سكان النصف المقابل لنا ، أو الذين يريدون التفرج برؤيتها من أهل النصف الثانى

ولقرب القمر منا وخلو جوه من الهواء سهل رصده علينا ، فنرى فى صفحته

عند الشروق ليلةَ التمام كثيراً من المَحْوِ (١) يجعلُ صورتَه أشبه بوجهِ إنسان ذى أنفٍ وفمٍ وحاجبينِ وعينينِ إحداهما مُغْضِبةٌ ، ولا يزالُ كذلك حتى يتعدّى خطّ زوالِ مكانِ الناظر . فإذا مال الى المغرب انحرفتْ هذه الصورة حتى يصيرَ عاليها سافلَها . وليس هذا المَحْوُ إلا ظلامَ بطون الأوديةِ والسهول البعيدةِ الغَوْر وظِلالَ الجبالِ والهضاب الشاهقةِ الطّول شهوقاً يكاد يمنع استدارته ، أمّا قِممُ الجبال وسُطوحُها المقابلةُ للشمس فترَى لامعةً ساطعةَ فتبينُ سلاسلُ الجبال طرائقَ مضيئةً وقِممُها نُقطاً لامعةً ، وفوّهاتُ جبال ناره الشّديدةُ السَّعَةِ ، البعيدةُ الغَوْر التى تُعَدُّ بعشرات الأُلوف ، كأنها حلَقاتٌ وسطها نُقطٌ سُود .

وقد ظنّ القدماء فى عِلَّة المَحْوِ ظُنوناً ، بعضُها صادفَ الحقيقةَ ، و بعضُها جانبَها حتى ظهرَ غاليلْيُو ، واخترع سنة ١٦٠٦ م مِرْقَباً يُقرِّب الأشباحَ ثلاثين مسافةً فأثبتَ وُجودَ الجبالِ والأوديَة فيهِ . وزادَ عليه غيرُه فى تحسين المراقبِ المكبّرة حتى أصبح القمرُ يُرَى كأنهُ عَلى بُعدِ أربعينَ ميلاً منّا . عَلى أن هـذا القُرب لا يجعلُنا نرى الأشباحَ الصغيرة التى من نوع الحيوان لِنتحقق أَلِلْقمَرِ سُكانٌ كما للأرض أوْلا ؟ ولكنْ قد أصبحَ من المُرَجّح إنْ لم يكنْ من المُحقق أنهُ خالٍ من الماء . ومن السَّحاب والضّباب النّاشئين منـه ومن النّباتِ ، إذ لو كان به شئٌ منها لَتغيّر شَكله من حالٍ إلى حَال . ويُشكُّ أنّ له هـواء ، وإنْ كان له هَواءٌ فلَعلّه لا يزيد علَى قِمَمِ جبالِه . ولا شكّ أنّ المـاء والهواء هما يَنْبُوعا الحياة . وتجرُّدُه منهما . وخمودُ جبال نارِه ، ويُبس جُرمهِ يجعـلُ بردَه شديداً جدّاً فى اللّيل ، وحرّه عظيما جدّاً فى النّهارِ ، علَى فَرْط طولها البالغ فيه خمسة عشرَ يوما : ممّا يجعلُ الحياة

(١) المحو : السواد فى القمر ،

فيه مُتعسّرةً بل مُستحيلةً ، أللّهم إلاّ أن تكونَ حياةً غيرَ حياتنا .

ويُرجّحونَ أنّ القمرَ كان فى أزمانٍ سَحيقةٍ على طبيعةٍ تَقرُبُ من طبيعةِ أُمّهِ الأرض ، فكانَ آهلاً بالحيوانِ والنباتِ ، إلاّ أن صِغَر جسمِه جعلَه يسبق الأَرض فى اليُبْس والبرُودة ، فتقبّضَ وبرَدَ وانتهت دُنياه ، وأصبحَ كإِسفَنْجةٍ مُشعَّثةٍ ذاتِ شُعبٍ ونخاريب (١) تكوينُها منْ جِنْسِ تكوين الأرض .

ولقد خلَقَ الله القَمر مُسخَّراً لأهل الأرض خاصّةً ، فهو بعكْسِهِ نور الشّمس عليهم هِدايةٌ لهم فى ظُلماتِ البرّ والبحْرِ . ولقد قَضى الإِنسان عُصوراً ودهوراً وليس له مِصباحٌ فى جنْح الظّلام غيرَه . ولا يزالُ كذلك لأهل البَدْوِ وقبائِل الهَمَج . وهو باختلافِ أشكالِه تقويمٌ فِطْرىٌّ لهم ، فبإِ هلالِه يُعْرَفُ أوّلُ الشّهْر وبالتّرْبيع الأوّل يُعرَفُ رُبْعُه ، وببدْرِه (٢) يُعرَفُ نصفُه ، وبالتّربيع الأخير يُعرفُ ثلاثةُ أرباعه ، وبمُحَاقِه تُعرفُ نهايته .

وإذا مرَنَ الإِنسانُ على النَّظَرِ فى تقدير ضوْئِه ، وأوقات مَطالِعه ، عرَف الشّهرَ يوماً يوماً ، والليلَ ساعةً ساعةً . قال تعالى « يَسأَلونكَ عن الأَهلِة قُلْ هى مَواقيت للناسِ والحَجّ » .

وباتّحاد جذْبِه مع جذْب الشّمس للأرْض يَنشأ المَدُّ والجزْرُ ، وفائدتهما فى تَسْهِيل الملاحةِ لا تُنكر ، فكم مِن موانىء ومرافىء لولاهما لَسُدّت بروَاسِبِ الأنهارِ والسيول .

---

(١) جمع نخروب وهى الثقب التى تكون فى مثل بيوت الزنابير والنحل (٢) مصدر بدر البدور يبدر بدراً . وبالمصدر سمى هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق فى ليلة التمام عند غروبها

ولضوءِ القمرِ فى إنضاجِ الثِّمار والبقول أثرٌ أيُّما أثرٍ ، حتى إنَّ بعضَها لا ينمو ويزهو لونُه إلا فى لياليهِ البيض .

(الفن الخامس فى المقامات)

ألمَقامة عِبارةٌ عن كتابة حسنة التأليف ، أنيقة التّصنيف ، تتضمّن نُكتة أدبيّة ومَدارُها على رِواية لَطيفة مُختلَقَة تُسندُ الى بعض الرّواة ، ووقائعَ شتّى تُعزَى الى أحد الأدباء — والمقصود منها غالباً جَمعُ دُرَر الألفاظ وغُرَر البيان ، وشَوارد اللّغة ونَوادر الكلام ، من مَنظوم ومَنثور ، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعة ، والرّقائق الأدبيّة ، كالرّسائل المُبتكَرَة ، والخُطب المُحبّرَة ، والمواعظ المُبكية ، والأضاحيك المُلهيّة [١] ولْنذكرْ لك مُنتخبات مِن مقامات مختلفة فنقول :

(قال الحريرى [٢] المتوفى سنة ٥١٦ ﻫ المقامة التاسعة الاسكندرانية)

أخبر الحارث بن همّام قال : طَحَا بِى [٣] مَرَحُ [٤] الشَّباب ، وهَوَى الاكتِساب [٥] الى أنْ جُبْتُ [٦] ما بينَ فَرغَانة [٧] وغَانَة [٨] أخوضُ الغِمارَ [٩] لأجْنِيَ الثّمار وأقتحِمُ الأخطار [١٠] لكى أُدرِكَ الأوْطار [١١] وكنتُ لَقَفتُ مِن أفوَاه العُلماء

---

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذى تجرى فيه فيقال المقامة الحلبية أو الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل وربما نسبت الى المروى عنه ويستحب فى راوى المقامة أن يمثل رجلا ظريف النفس كثير الاسفار حسن الرواية متفرغا لفنون الادب جادا فى طلب غرره كاداً ذهنه فى تحصيل درره كالحارس بن همام فى المقامات الحريرية وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمذانى وبعده الحريرى واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبلغوا شاوها (٢) تقدم أنه توفى سنة ٥١٦ ﻫ (٣) ذهب بى (٤) هوالنشاط وشدة الفرح (٥) أى محبة اكتساب المال (٦) قطعت

(٧) بلد باقصى بلاد المشرق (٨) بلد باقصى المغرب (٩) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (١٠) أى ادخل فى القحمة بالضم وهى الشدة والاخطار الامور العظيمة (١١) الحاجات

وثَقِفت [١] من وصَايا الحُكماء ، أنّه يلزمُ الأديبَ الأريبَ [٢] إذا دخلَ البَلد الغريب ، أن يَستميل قَاضِيَه [٣] ويَستخلصَ مَرَاضيه [٤] ليشدّ ظهرهُ عند الخصام ويأمنَ فى الغُرْبة جَوْر الحُكَّام ، فاتَّخذتُ هذا الأدبَ [٥] إماماً [٦] وجعلته لمصالحي زِمَاما ، فما دخلتُ مدينة ، ولاوَلَجت [٧] عَرينَة [٨] إلا وامتزجتُ بحاكِمها امتزاج الماء بالرَّاح ، وتقوّيت بعنايته تَقوّى الأجسادِ بالأرْواح ، فبينَا أنَا عندَ حاكِم الاسكندرية ، فى عشيّة عَرِيَّة [٩] وقد أحضر مالَ الصّدقات ، ليَفُضّه [١٠] على ذوِى الفَاقَات [١١] إذْ دخلَ شيخٌ عِفرِيَة [١٢] تَعْتِلُه [١٣] امرأة مُصْبِيَة [١٤] فقالت أيدَ [١٥] الله القاضى، وأدام به التّرَاضى [١٦] إنِّى امرأةٌ من أكرم جرْثومة [١٧] وأطهرِ أُرومة [١٨] وأشرف خُؤولة وعُمومة ، مِيسمي [١٩] الصَّوْن [٢٠] وشيمتى [٢١] الهَون [٢٢] وخُلُقى نِعمَ العوْن [٢٣] وبَينى وبين جارَتى بَوْن [٢٤] وكان أبى اذا خطبَنِي بُناةُ [٢٥] المجد ، وأربابُ الجَدّ ، سَكّتَهم [٢٦] وبكّتَهم [٢٧] وعَاف وَصْلَتهم [٢٨] وصِلَتَهم [٢٩] واحتجّ بأنه عاهد الله تعالى بحِلْفة ، أنْ لا يُصاهر [٣٠] غيرَ ذى حِرفة [٣١] فقيّض القدَرَ [٣٢] لنَصَبى ووَصبى [٣٣] أن حضَرَ هذا الخُدْعَة [٣٤] نادِىَ

---

(١) أدركت (٢) العاقل (٣) يرغبه ويترضاه ويطلب ميله اليه (٤) يطلب خالص رضاه (٥) أى هذا لامر الظريف المستحسن (٦) قدوة أى اعمل بمقتضاه (٧) دخلت (٨) مأوى الاسد (٩) أى شديدة البرد أو ذات ريح باردة (١٠) يفرقه (١١) أى الفقراء المحتاجين (١٢) أى خبيث شديد الدهاء (١٣) تجره بعنف وجفاء (١٤) أى ذات صبيان (١٥) قوى ونصره (١٦) أراد التراضى بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه الغالب والمغلوب (١٧) أى أصل (١٨) الارومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (١٩) علامتى وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم (٢٠) الحفظ والعفاف (٢١) خلقى وعادتى (٢٢) الرفق (٢٣) أى الرفيق الظهير (٢٤) أى فرق وتفاوت فى الفضل (٢٥) بالضم جمع بان (٢٦) أى قال لهم كلاما لايجدون له جوابا (٢٧) ألزمهم الحجة (٢٨) أى كره قربهم (٢٩) عطاءهم (٣٠) أى لا يزوج ابنته (٣١) صناعه (٣٢) يعنى قدر الله تعالى (٣٣) لتعبى ومرضى (٣٤) الكثير الخداع

أبى [١] فأقسَم بين رَهطِه [٢] إنّه وِفقُ شرْطِه، وادّعى أنه طالما نَظم دُرّة، فباعَها بَبدرَة [٣] فاغترّ أبى بزخْرفةِ مِحاله، وزَوّجنيه قبل اختبار حاله، فلمّا استخرجَنى مِن كِناسِى [٤] ورحلّنى عن أُناسِى، ونقلنى الى كَسْرِه [٥] وحصلّنى تحت أسْرِه وَجدتُه قُعدَةَ جُثَمة [٦] وألفيْته ضُجَعَة نُوَمة [٧] وكنتُ صحبتُه برِياش [٨] وزِىّ [٩] وأثاث [١٠] ورِىّ [١١] فما برِح يَبيعه فى سُوق الهَضْم [١٢] ويتلفُ ثمَنَه فى الخَضْم [١٣] والقَضْم [١٤] الى أن مزّق مالى بأسْره، [١٥] وأنفق مالى فى عُسره، فلمّا أنسانى طَعمَ الرّاحة، وغادَر [١٦] بيتى أنقى من الرّاحة [١٧] قلتُ له يا هذا إنهُ لاَ مَخبأ بعد بُوس [١٨] ولا عِطرَ بعد عرُوس [١٩] فانهَضْ للاكتساب بِصناعتِك، واجْتنِى [٢٠] ثمرةَ براعتِك [٢١] فزعم [٢٢] أنّ صِناعتَهُ قد رُميتْ بالكساد [٢٣] لِمَا ظهرَ فى الأرض من الفساد، ولى منهُ سُلاَلَة [٢٤] كأنه خِلاَلَة [٢٥] وكِلاَنا ما ينَال معه شبْعة [٢٦] ولا ترْقَا [٢٧] له من الطّوى [٢٨] دِمعه، وقد قُدْته [٢٩] اليك، وأحضرته لديك، لِتعْجُمَ [٣٠] عُودَ دَعواه، وتحكَم بيننَا بما أراكَ الله — فأقبل القاضى

---

(١) مجلس أبى (٢) قومه وعشيرته (٣) البدرة عشرة آلاف درهم (٤) أى منزلى وأصله بيت الظبى أو بقر الوحش (٥) بفتح الكاف وكسرها أى جانب بيته (٦) كثير العقود كثير الجثوم أى يلازم الموضع الذى يقعد فيه (٧) الضجعة أصله العاجز الذى لا يتصرف والنومة كثير النوم والمعنى انه عاطل عن العمل كسول (٨) مال ولباس فاخر (٩) هيئة حسنة (١٠) هومتاع البيت (١١) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء وفى الاصل اسم من روى من الماء يروى ريا (١٢) المراد يبيعه بأقل من القيمة (١٣) الاكل بجميع الفم (١٤) الاكل باطراف الاسنان وقيل الخضم الاكل باطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقضم أكل اليابس يريد أنه يصرف ثمنه فى أنواع الاكل واللذات (١٥) أى فرق الذى لى بأجمعه (١٦) ترك (١٧) بطن الكف لنقائه من الشعر (١٨) أى فقر (١٩) مثل قالته امرأة من بنى عذرة مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها أن تتعطر فقالته (٢٠) أى مكنى من الجنى وهوجمع الثمرة (٢١) أى فضلك وفوقانك على أقرانك (٢٢) ادعى (٢٣) هو خمود السوق وقلة البيع ضد النفلق بالفتح (٢٤) يعنى ولدا (٢٥) مايتخال به (٢٦) قدرما يشبع به مرة (٢٧) أى لا تسكن (٢٨) الجوع (٢٩) أتيت به (٣٠) لتقضى وتختبر

عليه ، وقال له قد وَعيتُ [١] قَصَصَ عِرْسِكَ ، فبرْهِنْ الآنَ عن نَفْسِكَ ، وإلاّ كَشَفْتُ عن لَبسِكَ [٢] وأمرْتُ بحبسِكَ ، فأطرق إطراقَ الأفْعُوان [٣] ثم شمَّرَ للحرْبِ العوَان [٤] وقال :

إسمَعْ حَدِيثى فإنّه عَجَبُ ... يُضحِكُ من شرْحه ويُنتَحبُ [٥]

أنا امرُؤٌ ليس فى خصائصهِ [٦] ... عَيْبٌ ولا فى فَخاره رِيَبُ

سَرُوجُ دارى التى وُلِدْتُ بها ... والأصل غَسّان [٧] حِينَ أنْتَسِبُ

وشُغْلِيَ الدَّرْسُ والتَّبحّرُ فى الـ ... ـعلم طِلاَبى وحبّذا الطَّلَبُ

ورأسُ مالى سِحرُ الكلام [٨] الذى ... منهُ يصاغُ القَرِيضُ [٩] والخُطَبُ

أغوصُ فى لُجَّة البيان فأختـ ... ـار اللآلئَ منها [١٠] وأنتخِبُ

وأجتنِي [١١] اليانع [١٢] الجنِيَّ [١٣] من القـ ... ـول وغيرىَ للعُود يَحتطِبُ

وآخذُ اللفظَ فِضّةً فإذا ... ما صغته [١٤] قيل إنّهُ ذَهبُ

وكنتُ من قبلُ أمترِى نَشَباً [١٥] ... بالأدب المقْتَنى وأحتَلِبُ

ويَمتطِى [١٦] أخمصِى [١٧] لحُرْمته ... مراتباً ليس فوقها رُتبُ

وطالما زُفّتْ الصِّلات إلى ... رَبْعِى [١٨] فلم أرضَ كلّ مَن يَهَبُ [١٩]

---

(١) وعيت وحفظت ما قصته روحك (٢) اظهرت اشكالك وتعمية أمرك (٣) ذكر الافاعي أو العظيم منها (٤) الحرب التي قبلها حرب وهى تكون أشد من الاولى (٥) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء (٦) خصاله وطباعه (٧) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه منهم بنو جفنة ورهط الملوك وقيل غسان قبيلة (٨) هو مالطف مأخذه ودق (٩) الشعر (١٠) أى اتعمق فى بليغ المعانى وانتقى منه الملح (١١) اقتطف (١٢) الزاهى (١٣) الطرى من الثمر الذى جنى حديثاً (١٤) سكبته (١٥) أى اكتسب مالا (١٦) أى يركب (١٧) ماارتفع من باطن القدم عن الارض (١٨) أى حملت الجوائز والهدايا الى منزلى (١٩) أى لم ارض ان اكون تحت منة كل أحد بل لم أقبل الا من العظماء

فاليومَ من يَعلقُ الرَّجاء بهِ | أكسدُ شيء فى سُوقه الأدبُ (١)
لا عِرضُ أبنائهِ يُصانُ ولا | يُرْقب (٢) فيهم إلٌّ (٣) ولا نسبُ
كأنّهم فى عِراصِهم (٤) جيفٌ | يُبعدُ من نتْنها ويُجتَنبُ
فَحارَ لُبّى (٥) لِمَا مُنيتُ به (٦) | من الليّالى وَصرْفُها (٧) عَجَبُ
وضاقَ ذَرعِي (٨) لضيق ذَاتِ يدى | وساوَرتْني (٩) الهمومُ والكُرَبُ
وقادَنِي دَهرِى المُليمُ (١٠) الى | سُلوك مايَستشينه (١١) الحسبُ (١٢)
فبعتُ حتى لم يَبق لى لَبَدٌ (١٣) | ولا بَتاتٌ (١٤) اليه أنقلبُ
وادّ نتُ (١٥) حتى أثقلتُ سالِفتى (١٦) | بحَمل دَيْنٍ من دونهِ العطبُ
ثم طويتُ الحشَا على سغَبٍ (١٧) | خمساً (١٨) فلمّا أمضّنِي (١٩) السّغَبُ
لَمْ أرَ إلاَّ جَهازها عَرَضاً (٢٠) | أجولُ فى بيعه وأضْطرِبُ
فجُلْتُ فيهِ والنَّفس كارهةٌ | والعينُ عَبْرَى (٢١) والقلبُ مكتئِبُ (٢٢)
وماتجاوزت (٢٣) إذْ عَبثْتُ (٢٤) به | حَدّ التّراضِى (٢٥) فَيحدثُ الغضبُ

---

(١) أى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه النوال لايستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده (٢) يحفظ (٣) بكسر الهمزة وتشديد اللام العهد والقرابة والجوار (٤) جمع عرصة وهى فناء الدار أى كانهم فى مواضعهم (٥) تحير عقلى
(٦) ابتليت به (٧) تقلبها (٨) انقبض قلبي (٩) انتابتنى وغلبتنى (١٠) الذى يأتى بما يلام عليه (١١) يستبشعه (١٢) ما يعد من مفاخر الاباء او الدين وقيل الكرم
(١٣) يقال ماله سبد ولا لبد اى شعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى واراد الحريرى انه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (١٤) الزاد ومتاع البيت (١٥) تداينت (١٦) صفحة العنق وقيل مقدمه (١٧) جوع (١٨) خمس ليال (١٩) احرقنى (٢٠) حطام الدنيا وهو المال قل او كثر (٢١) دامعة باكية (٢٢) حزين (٢٣) تعديت (٢٤) فعلت به مالا يليق فعله (٢٥) أى حد الرضا

فانْ يَكنْ غاظَها توهُّمُها أنَّ بنَانى بالنَّظم تَكتَسبُ
أو أنَّنى إذْ عزمتُ خِطبتَها زَخرفتُ قولى لينجَح الأرب[1]
فَوالّذى سَارت الرّفاقُ[2] الى كعْبَته تَسْتحِثّها[3] النجُبُ[4]
مَا المكرُ بالمُحصنَات[5] من خلُقِى ولا شعارِى[6] التَّمويهُ[7] والكذبُ
ولا يَدِى مُذ نشأتُ نِيط بها[8] إلاَّ مَوَاضى اليَرَاع[9] والكُتُبُ
بل فِكرتى تَنظِم القَلائدَ[10] لا كفّى وشِعرى المنظوم لاالسُّخُبُ[11]
فهذه الحِرْفة المشارُ الى ما كنتُ أحوِى بها وأجتلِبُ
فَأْذَنْ لتَرحى كما أذِنْتَ لها ولا تُرَاقب[12] واحكم بما يَجبُ

قال : فلمّا أحكَم ما شَاده[13] وأكمل إنشَاده ، عَطَف القاضى إلى الفتاة ، بعد أن شغفَ[14] بالأبيات ، وقال أمَا أنه قد ثبتَ عند جميع الحُكّام ، ووُلاةالأحكام انقِراضُ[15] جيل الكِرَام[16] ومَيْلُ الأيام الى اللِّئَام ، وإنى لإخالُ[17] بعلَكِ[18] صَدوقاً فى الكلام ، بَرِيَّا من الملاَم — وهَاهُو قد اعترف لك بالقَرْض وصَرّحَ عن المَحْض[19] وبيَّنَ مِصداقَ النَّظم ، وتبيّن أنَه مَعروقُ العَظْم[20] وإعنَاتُ المُعذِر

(١) الحاجة (٢) جمع رفقة وهو جمع رفيق (٣) تستعجلها (٤) جمع نجيبة وهى الكريمة من الابل (٥) جمع محصنة النساء العفائف (٦) تخلق (٨) تزين الكلام واصله ان يطلى المعدن غير الذهب والفضة باحدها أوالفضة بالذهب (٨) عاق بها (٩) جمع يراعة وهى القصبة الجوفاء والمراد بها الاقلام (١٠) جمع قلادة اصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ماينظم من القصائد الاشعار (١١) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شئ تجعل فى اعناق الاطفال (١٢) أى لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق
(١٣) اى اتقن ما قاله وانشده من شاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجبس (١٤) ويروى بالعين المهملة من شعف الحب فؤاده أى علاه وشمله — وبالغين المعجمة اى فتن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب (١٥) انقطاع وفناء (١٦) أى جماعة الكرم والجيل أهل زمان واحد (١٧) بكسر الهمزة أى لاظن (١٨) زوجك (١٩) الخالص (٢٠) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا أخذ ما عليه من اللحم .

مَلَامة (١) وَحبسُ المُعسِر (٢) مأْلمة (٣) وكِتمانُ الفقر زَهادة ، وانتِظَارُ الفرَجِ بالصّبر عِبادة ، فارْجعي الى خِدْرِكِ (٤) واعـذُرى أبا عُذْرِكِ (٥) ونَهْنِهِى من غَرْبك (٦) وسلِّمِي بِقضاءِ ربّك — ثُم إنّهُ فرَضَ لهما فى الصدَقات حِصّةً ، وناولهما من دَراهمها قَبصةً (٧) وقال لهما تَعلَّلا (٨) بهـذه العُلَالَة (٩) وتَندّيا بهذه البلَالَة (١٠) وَصبراً على كيد الزّمان وكَدّه ، فعسى الله أنْ يأتىَ بالفتح أو أمرٍ من عنده. فَنهضَا وللشّيخ فَرْحةُ المُطلَق من الإِسار (١١) وهِزّةُ المُوسرِ بعد الإِعسار — قال الرّاوى وكنتُ عرَفتُ أنّه (أبو زيد) ساعةَ بزَغَتْ شمسُه ، ونزعَتْ (١٢) عِرسُه ، وكِدتُ أُفصح عن افتِنانه (١٣) وأثمارِ أفنانهِ (١٤) ثم أشفقتُ (١٥) من عُثُور (١٦) القاضى عـلى بُهتانه (١٧) وتَزويق (١٨) لِسانه ، فلا يرى عندَ عِرفانه (١٩) أن يُرشحه (٢٠) لاحسانه فأحْجَمتُ (٢١) عن القول إحجَامَ المُرْتاب (٢٢) وَطويت ذكره كطىّ السّجِل للـكِتاب (٢٣) إلاّ أنىّ قلتُ بعد ما فصَلَ (٢٤) ووصلَ إلى ما وَصل ، لو أنَّ لنا مَن

---

(١) الاعنات الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ فى العذر أو هو الذى يأتى بما يعذر به ويطلق عـلى المحقق العذر وعـلى الذى بان عذره والملامة اللوم (٢) العاجز عن قضاء الدين. (٣) إيلام (٤) بيتك وسترك (٥) أبو عذر المرأة أول زوج لها (٦) أى كفى وازجرى نفسك عن الحدة (٧) هى ما يتناوله الانسان بأطراف أصابعه (٨) تشاغلا وتلاهيا (٩) ما يتعلل به وأصلها بقية اللبن (١٠) قدر ما يبل به الشيء واسم للبقية أيضاً (١١) القيد الذى يشد به الاسير (١٢) خبثت والنزع الذكر بالقبيح والافساد بين النـاس ومعناه خاصمته عرسه (١٣) يقال افتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالافانين وهى الاساليب والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف (١٤) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (١٥) خفت (١٦) اطلاع (١٧) كذبه (١٨) التزويق التحسين والتزيين مأخوذ من الزاووق وهو الزئبق (١٩) معرفته (٢٠) الترشيح والتربية والتاهيل من ترشيح الظبية ولدها لانها اذا بلغ ولدها السعى سعت به حتى يرشح عرقا فيتقوى ـ ويأتى بمعنى التقوية أيضا (٢١) تأخرت (٢٢) الشاك (٢٣) السجل الصحيفة فيها الكتابة أى كما تطوى الصحيفة الكتابة (٢٤) ذهب

يَنطلقُ فى أثَرِه ، لأنَانَا بفَصِّ خبره (١) وما يُنشرُ من حِبَرِه (٢) فأتبعَه (٣) القاضى أحدَ أُمنائه ، وأمرَه بالتَّجسُّس (٤) عن أنبائه (٥) فما لَبثَ أن رجع مُتَدَهْدِهاً (٦) وقَهْقَرَ مُقهقِهاً (٧) فقال له القاضى مَهْيَمَ (٨) يا أبا مَريم (٩) ؟ فقال له : لقد عاينْتُ عَجباً ، وسمعتُ ما أنشأَلى طَرَباً . فقالَ لهُ ماذا رأيتَ ؟ وما الّذى وَعيتَ ؟ قالَ : لم يزل الشّيخ مُذ خرجَ يُصفّق بيدَيه ، ويُخالفُ بين رجليه (١٠) ويُغرّد بِملْءِ شِدْقيه — ويقول

كِدْتُ أُصلَى (١١) ببليّه من وَقاح (١٢) شَمَّرِيّه (١٣)
وأزورُ السِّجنَ لولا حاكمُ الإِسكَندَريّه

فضَحِك القاضى حتى هَوَتْ (١٤) دُنيَّتهُ (١٥) وذَوَت (١٦) سَكينتهُ (١٧) فلمّا فاء (١٨) الى الوَقار ، وعقّبَ الاستِغرابَ بالاستِغفار ، قال أللّهمّ بِحرْمَةِ عبادِكَ المقرَّبين حَرّم حَبْسِى على المتأدِّبين ، ثم قال لذلك الأمين عَلَىَّ (١٩) به ، فانطلق مُجدًّا فى مَطْلبه ثم عاد بعد لأْيٍ (٢٠) مُخبِراً بنأيِه (٢١) فقال له القاضى أمَا إنّه لو حضَر ، لكُفِى الحَذَر (٢٢) ثم لأوليتُه ماهو بهِ أوْلى ، ولأريتُه أنّ الآخِرَةَ خيرٌ له من الأولى — قال الحارث ابن همّام فلمّا رأيتُ صَغوَ (٢٣) القاضى اليهِ ، وفوتَ ثمرة التّنبيه عليه ، غشِيَتنى (٢٤)

---

(١) بحقيقة حاله (٢) الحبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة وهى ماتلبسه المرأة المصرية والمراد مايذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر فى الحسن (٣) أى أرسل وراءه من يتبعه (٤) اى البحث سراً بحيث لايشعر (٥) أخباره (٦) التدهده الاسراع من دهدهت الحجر اذا دحرجته وتبدل الهاء الاخيرة ياء فيقال تدهدى تدهديا (٧) القهقرة المشى إلى الوراء والقهقهة الضحك بصوت (٨) أى ما الخبر وهى كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك وماشأنك (٩) يقال لعون القاضى أبو مريم (١٠) أى يرقص (١١) احترق (١٢) الوقاح قليله الحياء بينة القحة والوقاحة وحافر وقاح صلب (١٣) الشمرى الماضى فى الامور الجاد فيما يحاول (١٤) وقعت (١٥) بتشديد النون والياء جميعا قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كانها منسوبة إلى الدن (١٦) ذبلت وفترت (١٧) وقاره (١٨) رجع (١٩) أى أئت به وأحضره (٢٠) اللأى كالسعى الابطاء والاحتباس (٢١) أى بعده (٢٢) مايحذر منه ويخاف (٢٣) ميله (٢٤) أتتنى وحضرتنى

نَدَامةُ الفَرَزْدَق [١] حينَ أبانَ النَّوار [٢] والكُسَعِيُّ [٣] لمّا استبانَ النَّهار

(المقامة البِشْرية لبديع الزمان الهمذانى المتوفَّى سنة ٣٩٨ ﻫ)

حدّثنا عِيسى بنُ هِشَام ، قال : كان بِشرُ بنُ عَوَانة العَبْدىّ صُعلوكاً ، فأغار على رَكبٍ فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّجَ بها ، وقال ما رأيتُ كاليوم — فقالت

أعْجبَ بِشْراً حَوَرٌ فى عَينى وساعِدٌ أبيضُ كاللُّجَينِ

وَدونه مَسْرَحُ طرف العينِ خَمْصَانَةٌ ترْفُل فى حِجلَيْنِ

أحسنُ مَنْ يَمشِى على رِجلينِ لو ضَمّ بِشرٌ بينها وَبينى

أدامَ هَجرى وأطَال بَينِى ولو يَقيس زَينَها بزَينى

لأسفَرَ الصُّبح لذِى عينينِ

قال بِشرٌ وَيْحكِ من عنَيْتِ ؟ فقالت : بنت عمّك فاطمة : فقال أهىَ من الحسْن بحيثُ وصفْتِ ؟ قالت : وأزيَدُ وأكثرُ — فأنشأ يقول

وَيْحكِ يا ذاتَ الثَّنايَا البِيضِ ما خِلتُنى منك بمُستَعيضِ

فالآنَ إذْ لَوّحتِ بالتّعريض خَلَوْتِ جوًّا فاصفِرى و بيضِى

لا ضُمّ جفْنَاى على تَغميض مالم أشِلْ عِرْضى من الحَضيض

---

(١) هو همام بن غالب التميمى الشاعر (٢) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره فى ذلك قوله :

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

ولو انى ملكت يدى وأمرى لكان على للقدر الخيار

(٣) الكسعى هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حى من بنى ثعلبة كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلا فنفذت فى الرمية ووقع السهم فى حجر فقدح منه الشرر فظن أن السهم أخطأ الرمية فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الاسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندماً شديداً فضربت العرب المثل به فى الندامة

فقالت: كم خاطبٍ في أمرها ألحّا   وهي إليك ابنة عمٍّ لحّا

ثم أرسل إلى عمّه يخطب ابنته ، ومنعه العمّ أمنيّته ، فآلى ألاّ يرعى على أحد منهم إن لم يزوّجه ابنته — ثم كثرت مضرّاته فيهم واتّصلت معرّاته اليهم فاجتمع رجال الحيّ الى عمّه وقالوا كُفّ عنّا مجنونك . فقال : لا تُلْبسوني عاراً وأمهلوني حتى أهلكه ببعض الحيل — فقالوا أنتَ وذاك ، ثم قال له عمّه إني آليتُ أن لا أزوّج بنتي هذه إلا ممّن يسوق اليها ألفَ ناقة مهراً . ولا أرضاها إلاّ من نُوق خُزاعة

وكان غرضُ العمّ أن يسلك بِشرٌ الطّريقَ بينه وبين خُزاعة فيفترسُه الأسد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطّريق ، وكان فيه أسدٌ يُسمّى « دَاذاً » وحيّة تُدْعى « شُجاعاً » يقول فيهما قائلهم

أفتكُ من (داذٍ) ومن (شُجاعٍ)   إن يكُ داذٌ سيّدَ السّباعِ

فانها سيّدةُ الأفاعي

ثم إنّ بِشراً سلكَ ذلك الطريق ، فما نَصفَهُ حتى لقِيَ الأسدَ وقمَصَ مُهْرُه فنزَل وعقَرَه ، ثم اخترَطَ سيفه الى الأسد واعترَضه وقطّعه ، ثم كتب بدم الأسد على قميصه الى ابنة عمّه

أفاطمُ لو شهِدْتِ ببطنِ خَبْتٍ   وقد لاقَى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا

إذاً لرَأيتِ لَيثاً زارَ لَيثاً   هِزَبْراً أغلَباً لاقَى هِزَبْرا

تَبَهْنَسَ حين أحجَمَ عنه مُهري   مُحاذَرَةً فقلتُ عقِرْتَ مُهْراً

أنِلْ قدَمَيّ ظَهْرَ الأرض إنّي   رأيتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظَهْرا

وقلتُ له وقد أبدَى نِصالاً   مُحَدّدة وَوَجْهاً مُكفَهِرّا

يُكفْكِفُ غِيلةً إحدَى يدَيه   ويبسُطُ للوُثُوب علَيّ أُخرَى

يُدِل بِمِخْلَب وبحدّ نَاب وباللَّحظاتِ تَحسِبهنَّ جمرَا
وفى يُمناىَ ماضى الحدّ أبقى بمَضرَبه قِراع الموْت أُثرَا
ألم يَبْلُغْكَ ما فعلَتْ ظُباهُ بكاظمةٍ غداةَ لَقيتُ عَمْرَا
وقلبى مثلُ قلبك ليس يخشى مُصاوَلةً فكيف يَخاف ذُعْرَا
وأنتَ تَرُوم للأشبال قُوتاً وأطلبُ لابْنةِ الأعمام مَهرا
ففيمَ تَسوم مِثلى أن يُوَلِّى ويجعلَ فى يدَيك النَّفس قسْرا
نصحتك فالتمِسْ ياليثُ غيرى طعاماً إنّ لحمى كان مُرًّا
فلمّا ظَنّ أنّ الغشَّ نُصحِى وخَالفنِى كأنّى قلتُ هُجرَا
مَشَى ومشَيْتُ من أسدَين رَاما مرَاماً كان إذ طَلَباهُ وعرَا
هزَزْتُ له الحُسَامَ فخِلتُ أنى سَللتُ به لدَى الظّلماء فجرْا
وجُدْتُ له بجائشةٍ أرَتْهُ بأنْ كَذَبَتْه ما مَنّتْهُ غَدْرَا
وأطلقَتْ المُهنَّدَ من يمينى فقدَّ له من الأضلاع عشْرَا
فَخَرَّ مُجَنْدَلاً بدَمٍ كأنّى هَدمتُ به بناءً مُشْمَخِرًّا
وقلتُ له يَعزُّ علىّ أنّى قتلتُ مُنَاسِبى جلَدًا وفخراً
ولكنْ رُمتَ شيئاً لم يَرُمْهُ سواكَ فلم أُطِقْ ياليثُ صبرَا
تُحاوِلُ أن تُعَلّمَنى فِرَارًا لعَمْرُ أبيك قد حاوَلتَ نُكرَا
فلا تجزَعْ فقد لاقيتَ حُرًّا يُحاذِر أن يُعابَ فمُتّ حرًّا

فلمّا بلغَتِ الأبياتُ عمّه نَدم على ما منَعه تزْوِيجها وخَشِى أن تغتالَهُ الحيَّةُ فقام فى أثَره وبلغه وقد مَلكتْه سَوْرةُ الحيّة فلمّا رأى عمّه أخذَته حميةُ الجاهليّة فجعل يده فى فَم الحيّة وحكّم سيفَه فيها وقال

بِشْرٌ الى المجد بعيدٌ هَمُّهْ   لمّا رآه بالعَرَاءِ عَمُّهْ
قد ثَكِلَتْهُ نفسُهُ وأُمُّهُ   جاشَتْ به جائشةٌ تَهُمُّهُ
قام إلى ابنٍ للفَلاَ يَؤُمُّهُ   فغابَ فيه يَدُهُ وكُمُّهُ
ونفسهُ نفسي وَسمّى سمُّهُ

فلمّا قتلَ الحيّة قال عمّه إنّى عرَّضْتُك طمَعاً فى أمرٍ قد ثنى الله عِنانى عنهُ فارْجعْ لأُزَوّجك ابنتى — فلمّا رجعَ جعلَ بِشرُ يَملأُ فمَه فخراً حتى طَلع أمرَد كَشقّ القمرِ على فرَسه مُدَجَّجاً فى سِلاحه — فقال بشرٌ ياعمُّ إنى أسمع حِسّ صيدٍ وخرج فاذا بغلامٍ على قَيدٍ. فقال ثَكِلَتْكَ أُمّك يا بشرُ أن قتلتَ دُودة وبَهيمة تملأ ما ضَغيْك فخراً أنت فى أمَان إنْ سلّمتَ عمّك، فقال بِشرٌ مَن أنتَ ؟ لاأُمّ لك ؟ قال : أليوْمُ الأسود والموْتُ الأحمر. فقال بِشر ثَكِلَتْكَ من سَلَحَتْك. فقال يا بشر ومَن سلحتك. وكرّ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه، فلم يتمكّنْ بشرُ منه. وأمكن الغلامُ عشْرين طَعنة فى كُلْيةِ بِشر. كُلّما مَسّه شبَاالسِّنانِ حماهعن بدَنه إبقاءً عليه — ثم قال يا بشر كيف ترى ؟ — أليسَ لو أرَدتُ لأطعمتُك أنيابَ الرُّمح ؟ ثم ألقىَ رُمحه واستلّ سيفَه فضرَب بشراً عشرين ضَرْبةً بعَرْض السّيفولم يَتمكّن بشرٌ من واحدة، ثم قال يا بشر سَلِّم عمّك واذهبْ فى أمَانٍ، قال نعم : ولكنْ على شَريطة أن تقول لى مَن أنتَ ؟ فقال أنا ابنُ المرأة التى دلّتك على ابنة عَمك — فقال بشر

تلكَ العصاَ من هذه العُصيّه   هل تَلِدُ الحيَّةُ الا الحيّة

وحلفَ لاركبَ حِصَاناً. ولاتزوّج حصَاناً. ثم زوّج ابنةَ عمه لابنه

الفن السادس فى الروايات

ألرّواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعل حدثا ، أو أمكنَ حدوثُهما
وخَواصُّها أرْبعة : الإيضاح . والإيجاز . والإمكان . والتَّلطُّف .

فالإيضاح يكون بتقديم فرش للحديث ، وتوْطئةٍ للخبر ، يُقرِّب مأْخذَ الرّاوية
و بمُراعاة التّرتيب الطّبيعى فى إيراد ظُرُوف الخبر مالم يكن لِلرّاوِى غرَضٌ لتجاوُز
هذا النّظام — وبالعُدول عن كثرة الاستطرادات فى إنشاء الحديث لأنّ ذلك
يصرفُ العقلَ عن سياق الرّواية و يَذْهبُ برَوْنقها .

والايجاز : حذفُ فُضول حَشْوِ الكلام مع انتقاءِ أخصّ الظرُوف وأنسَبها
للغَاية — ولا بأسَ بالإطناب إذا مَا دعا اليه مُقتضَى الحال .

والامكان : تَرشيحُ الرّواية للقبُول فى ذِهن السَّامع .

والتّلطّف فى الرّواية أن يَبلغ الكاتبُ كُنْهَ القلوب وَيأخذَ بمجامع اللُّبّ
بأن ينتقَل فيها من حال الى حال ، لأن النّفس قد جُبلَتْ على محبّة التَّحوُّل
وُطبِعت على إيثار التّنقّل .

وللرّواية ثلاثة أجزاء : صدرُها . وعِقدتُها . وخِتامُها . فالصَّدْر التَّوْطئة للواقع
بحيث يَقِفُ السّامع على أسماء الأشخاص وطِباعِهم ، وعلى مكان الواقع وسوابق العمل

« والعِقدَةُ » هى الُجزء الذى على مِحْوره تَدُور الرّواية ـ وهو المجَال الأوْسع
الذى تَتقابلُ فيه الأشخاصُ وتَشتبكُ الاحوال وتَضطرِم فى النّفس لواعجُ الشّوق
للوُقوف على عاقبة الأمر ، فتنتقل من الرّجاءِ الى الخوف ومن الفرَح الى الُحزن .

« والختام » الجزء الأخيرُ من الرّواية الذى به تُفكّ الإرْبة وتُحلّ رباق
الحديث فتنالُ النُّفوس بذلك مرَامَها وتفوزُ بوَطرِها — وسِمَتُهُ أن يكون فُجائياً

مُرْتبطا مع ماقبله ارتباطاً مُحكماً وافياً بالمُراد بحيث ترضَى به النّفوس ، وترْتاح اليه القلوب . وشواهدُ الرّواية كثيرة لا نُطيل بذكرها — أفردها الأدباء بالتآليف العديدة ـ ولنذكر هنا بعض ملَح لايَستغنى عنها المقام .

﴿ لَيلى الأخْيليّة مع الحجَّاج ﴾

رَوَى بعضُهم أنّه بينما كان الحجّاجُ فى مجلس ومعه عَنْبَسة بنُ سعد العَاصى إذ دخل الحاجبُ. فقال امرأةٌ بالباب فقال له الحجّاج : أدْخِلْها . فدخلتْ فلمّا رآها الحجّاج طَأطأ رأسه حتى ظَنَنتُ أنّ ذَقَنَه قد أصابَ الأرضَ. فجاءت حتى قَعدتْ بين يديه فنظرْت فاذا امرأةٌ قَدْ أسنّت ، حَسَنةُ الخلَقِ ، ومعهَا جاريتان لها . وإذا هى ليلَى الأَخيليَّة فسألها الحجّاج عن نَسَبها ، فانتسبت له فقال لها : ياليلَى ما أتَى بك؟ فقالت اخلافُ النُّجوم ، وقلّة الغيوم ، وكلَب البرد ، وشِدّة الجهَد ، وكنتَ لنابعْدَ الله الرِّفْد ، فقال لها صِفى لنَا الفِجَاجَ . فقالت ، الفِجاجُ مُغبرّة ، والأرض مقْشعِرّة والمبْرَك مُعتلّ ، وذُ العِيال مُختلّ ، والهالك للقُلّ ، والناس مُسْنِتُون ، رَحمةَ الله يرجُون ، وأصابتنَا سِنُونُ مجحفة مُبلطه ، لم تَدع لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً ، ولا عافِطة ولا نافطة ، أذْهبتْ الأموَال ، ومزّقت الرّجال ، وأهلكتْ العِيال . ثم قالت : إنى قلتُ فى الأمير قولا . قال هات — فأنشأت تقول :

أحجّاجُ لا يُفلَلْ سلاحُك انما الـــمنايَا بكفّ الله حيث يرَاها
أحجّاج لا تُعطِ العُصَاةَ مُناهُم ولا اللهُ يُعطِى للعُصاة مُناها
إذا هَبط الحجّاج أرضاً مريضةً تَتَبّع أقصَى دائها فشفَاها
شفَاها من الدّاء العُضال الذى بها غلامٌ إذا هزّ القَنَاةَ سقاهَا
سقَاها فروّاها بشرْب سِجاله دماء رجالٍ حيث مالَ حشَاها

إذَا سمع الحجّاج رِزّ كَتيبةٍ   أعدّ لها قبلَ النُّزول قِرَاها
أعدّ لها مَصقولةً فارسيّة   بأيدى رجال يحلبُون صِرَاهَا
فما وَلَد الأبكارُ والعُونُ مِثله   ببحرٍ ولا أرضٍ يَجفّ ثَرَاها

قال : فلمّا قالت هـذا البيتَ ، قال الحجاج : قاتلها الله ، مَا أصابَ صِفتى
رٌ مُنذ دخلتُ العِرَاق غيرها — ثم التفت الى عَنْبسةَ بن سعيد فقال ، والله
لأعدّ للأمر عسَى أن لا يكون أبداً . ثم التفت إليها فقال : حَسبُك . قالت :
قد قلت أكثر من هذا . قال : حسبُك . ويْحك حسبُك . ثم قال : يا غـلام
ب إلى فلان ، فقل له اقطع لسانَها ، فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير : اقطع
نها . قال فأمرَ بإحضَار الحجّام فالتفتت إليـه فقالت : ثَكلتْكَ أُمك . أمَا
تَ ماقال ؟ إنّما أمرَكَ أن تقطعَ لسانى بالصِّلة . فبعث إليه يَسْتَثْبتُه ، فاستشاط
اح غَضباً ، وهمَّ بقطع لسانِه ، وقال اردُدها . فلمّا دخلت عليه ، قالت : كاد
انةِ الله) يقطع مِقْولى — ثم أنشأت تقول :

جّاجُ أنت الّذى ما فوقه أحدٌ   إلا الخليفةُ والمُستغفَرُ الصّمد
جّاج أنتَ شهابُ الحربِ إن لَقحتْ   وأنتَ للناس نورٌ فى الدُّجَى يَقدُ

أقبل الحجّاج على جُلسائه فقال : أتدرون مَن هذه ؟ قالوا : لا والله أيّها الأمير
نر قطّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسَن مُحاورة ، ولا أملحَ وجهاً ، ولا أرصنَ شعراً
. فقال : هذه لَيلى الأخيليّة التى ماتَ تَوبة الخفَاجى من حُبّها . ثم التفتَ إليها
: أنشدينا ياليلى بعض ماقال فيك تَوبة . قالت : نعم أيها الأمير هو الذى يقول :

وهل لَيلَى تبكِينى اذا مِتّ قبلها   وقام على قَبرى النّساء النَّوائحُ
كما لو أصابَ الموتُ ليلَى بَكيتُها   وجاد لها دمعٌ من العين سافِحُ

وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أناله　　بلى كلّ ما قرّت به العينُ طائحُ
ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت　　علىّ ودونى جَنْدَلٌ وصفائحُ
لَسلّمتُ تسليمَ البشاشة أورَقا　　اليها صدًى من جانب القبر صائحُ

ثم قال لها سَلى يا ليلى تُعطى . قالت أعطِ : فمثلُكَ أعطى فأحسنَ . قال لكِ عشرون ، قالت : زِدْ ، فمثلك زاد فأجمل . قال لك أربعون . قالت زِدْ ، فمثلكُ زاد فأكمل . قال لك ثمانون . قالت زِد ، فمثلك زاد فتمّم . قال لكِ مائة ، واعلمى أنها غَنَم . قالت : معاذ الله أيّها الأمير . أنتَ أجْوَدُ جودًا ، وأمجَدُ مَجدًا ، وأورَى زندًا من أن تجعلها غَنماً . قال : فما هِي وَيْحك ياليلى ؟ قالت مائةٌ من الإبل برُعاتها فأمرَ لها بها . ثم قال : ألك حاجة بعدَها ؟ قالت يُدفع إلىّ النّابغة الجعدى . قال قد فعلت . وقد كانت تهجوه ويهجوها . فبلغ النّابغة ذلك ، فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك ، فأتبعتْهُ إلى الشّام . فهرب إلى قُتَيبة بن مُسلم بخُراسان ، فأتبعتْهُ على البريد بكتاب الحجّاج إلى قُتيبة بِقومَس ـ ويقال بحُلوان .

﴿ بنات الشّاعر المقتول ﴾

كان لشاعر عدوٌّ : فبينما هو سائر ذاتَ يوم فى بعض الطُّرق إذا هو بعدوّه ، فعلم الشّاعر أنّ عدوّه قاتلُه لا محالة ـــ فقال له ياهذا : أنا أعلم أنّ المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنتَ قتلتنى أن امضِ إلى دارى ، وقِفْ بالباب وقل « ألاَ أيّها البِنتانِ إنّ أباكما » فقال : سمعاً وطاعة ، ثم إنّه قتله فلمّا فرغ من قتله أتى الى داره ، ووقفَ بالباب وقال « ألاَ أيّها البنتان إن أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلمّا سمعتا قولَ الرّجل « ألاَ أيّها البنتان إنْ أباكما » أجابتاه بفمٍ واحد «قَتيلٌ : خُذَا بالثّأر ممّن أتاكما » ثم تعلّقتا بالرجل ، ورفعتاه إلى الحاكم ، فاستقرَرَه فأقرّ بقتلِه فقتله.

﴿ المرأة المُتكلّمة بالقرآن الكريم ﴾

قال عبد الله بن المُبارك : خرجت حاجّاً الى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نَبيّه عليه الصّلاة والسّلام ، فبينما أنا فى بعض الطريق إذْ أنا بسَوادٍ ، فتميّزت ذاك فإذا هى عَجوزٌ عليها دِرْعٌ من صفُوف ، وخِمارٌ من صُوف ، فقلت السّلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت « سلامٌ قولاً من ربّ رَحيم » قال : فقلت لها يرحمُك الله ما تَصنعينَ فى هذا المكان ؟ قالت « ومن يُضلِل اللهُ فلا هَادِيَ لهُ » فعلمتُ أنها ضَالّة عن الطّرِيق . فقلت لها أين ترُيدين ؟ قالت « سُبحان الّذى أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرَام الى المسجد الأقصى » فعلمتُ أنها قد قَضت حَجّها وهى ترُيد بيتَ المقدس . فقلت لها أنتِ منُذُ كم فى هذا الموضع ؟ قالت « ثلاث ليالٍ سَوِيّاً » فقلت ما أرَى معك طعاماً تأكلين . قالت « هو يُطعِمُنى ويَسقين » فقلت فبأىّ شىءٍ تَتوضّئين ؟ قالت « فان لم تَجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً » فقلت لها إنّ معى طعاماً ، فهل لك فى الأكل ؟ قالت « ثم أتموُّا الصيّام الى اللّيل » فقلت ليس هذا شهر رمضان . قالت « ومَن تَطوّعَ خيراً فانّ الله شاكرٌ عليم » فقلت قد أُبيحَ لنا الافطار فى السَّفر . قالت « وأَن تَصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون » فقلت : لِم لاتكلّمينى مثل ما أُكلّمك ؟ قالت « ما يَلفظُ من قول إلاّ لديهِ رقيبٌ عَتيد » فقلت فمن أىّ الناس أنت ؟ قالت « ولا تَقْفُ ما ليسَ لك بهِ علمٌ إنّ السّمع والبصرَ والفُؤَادَ كلٌّ أولئك كان عنهُ مسئولا » فقلت قد أخطأت ، فاجعلينى فى حِلّ قالت « لاَ تثْريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم » فقلت فهل لكِ أن أحملكِ على ناقتى هذه فتدُركِى القافلة ؟ قالت « وماتفعلوا من خير يَعلمْه الله » قال فأنَخْتُ ناقتى قالت « قل للمؤمنين يَغُضّوا من أبصارهم » فغضضت بصرى عنها ، وقلت لها

اركبي . فلمّا أرادت أن تركب نفرت النّاقة ، فمزّقت ثيابها فقالت « وما أصابكم من مُصيبة فبما كسبت أيديكم » فقلت لها اصبري حتى أعقلها ، قالت « ففهّمناها سليمان » فعقلتُ النّاقة ، وقلتُ لها اركبي فلمّا ركبت قالت « سُبحان الذى سخّر لنا هـذا وما كُنّا له مقرنين وانّا إلى ربّنا لمنقلبُون » قال فأخذت بزمام النّاقة وجعلت أسرع وأصيحُ . فقالت « واقصدْ فى مشيك واغضُضْ من صوتك » فجعلت أمشى رُوَيْدًا رُويداً وأترنّم بالشّعر . فقالت « فاقرءوا ماتيسّر من القرآن » فقلت لها لقد أُوتيتُ خيراً كثيراً . قالت « وما يذّكر إلاّ أُولوا الألباب » فلما مشيتُ بها قليلاً قلت ألكِ زوجٌ ؟ قالت « يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تَسؤكم » فسكتُّ ولم أُكلّمْها حتى أدركت بها القافلة ، فقلت : لها هـذه القافلة فمن لك فيها ؟ فقالت « المال والبنونَ زينـة الحياةِ الدُّنيا » فعلمتُ أنّ لها أولاداً : فقلتُ وما شأنهم فى الحجْ ؟ قالت « وعلاماتٌ وبالنّجم هم يهتدُون » فعلمت أنهـم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت : هـذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت « واتّخذ الله ابراهيم خليلا وكلّم الله موسى تكليماً » « يايحيى خُذ الكتاب بقوّة » فناديْت يا إبراهيم ياموسى يا يحيى فاذا أنا بشُبّان كأنهم الأقمار ، قد أقبلوا ، فلمّا استقرّ بهـم الجلوس ، قالت « فابعثوا أحـدكم بورقكم هـذه إلى المدينه فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منهُ » فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدّموه بين يدىّ . وقالت « كُلُوا واشربوا هنيئاً بمـا أسلفتُم فى الأيام الخاليـة » فقلت الآن طعامكم علىّ حرام حتى تخبرونى بأمرها . فقالوا هذه أُمنا لها منذ أربعين سـنة لم تتكلّم إلاّ بالقُرآن ، مخافة أن تزِلّ فيسخط عليها الرّحمن ، فسُبحان القادر على ما يشاء . فقلت « ذلك فضل الله يؤتيـه من يشاء

والله ذُو الفضل العظيم »

﴿ مرَوان بن الحكَم ـ وعبد الله بن الزُّبير ﴾

روَى عقُيل بن خالد عن ابن شهاب أنَّ مرَوان بن الحكَم وعبدَالله بن الزُّبير اجتمعا ذات يوم فى حُجرة عائشة (والحِجَابُ بينهما و بينها) يُحدّثانها ويَسألانها فجرى الحديث بين مرَوان وابن الزُّبير ساعة — وعائشة تسمعُ : فقال مرَوان

فمن يَشأ الرّحمن يُخْفِضْ بقدرِه وليسَ لمَن لم يرفع الله رافعُ

فقال ابن الزّبير

ففوّضْ الى الله الأُمورَ إذا اعترَت وبالله لا بالأقربينَ أُدافعُ

فقال مرَوان :

ودَاوِ ضَميرَ القَلب بالبرّ والتّقى فلا يستَوى قَلبان قاسٍ وخَاشعُ

فقال ابن الزُّبير :

ولا يستَوى عبدَان هذا مُكذّب عُتلٌّ لأرحام العَشيرة قاطعُ

فقال مرَوان :

وعبدٌ يُجافِي جَنبهُ عن فِراشه يَبيتُ يُناجِى ربَّه وهو راكِع

فقال ابن الزُّبير :

ولِلخير أهلٌ يعُرفونَ بهَديهم اذا اجتَمعت عند الخُطُوب المجامعُ

فقال مروان :

وللشّرّ أهلٌ يُعرفون بشكلهم تُشيرُ اليهم بالفجُور الأصابعُ

فسكت ابن الزّبير ولم يُجب ، فقالت عائشة : ياعبد الله مَالكَ لم تُجبْ صاحبك ؟ والله ما سمعتُ تجَاوُلاً فى نحو ما تجَاولتُماْ فيه أعجبَ الىّ مِنْ تجَاوُلكما . فقال ابن

الزُّبير : إني خِفتُ عوار القول فكففتُ

﴿ عُبيد بن الأبرص ـ وامرُؤ القيس ﴾

قيل إنّ عُبيدَ بن الأبرص لَقِى امرأ القَيس يوماً فقال له : كيف معرفتك بالأوابد ؟ قال : ما أحببت . فقال :

ما حَبّةٌ ميّتةٌ قامَتْ بميتِها دَرداء ما أنبتت ناباً وأضراساً

فقال امرؤُ القيس :

تلك الشّعيرة تُسقَى فى سنَابلها قدأخرجت بعدطول المُكثأكداسَا

فقال عُبيد :

ما السُّودُوالبِيضُوالأسماءواحدةٌ لا تستطيعُ لهنّ النّاسُ تِمسَاسَا

فقال امرُؤُ القيس :

تِلك السّحاب إذاالرّحمنُ أنشأها رَوّى بهن مُحول الأرض أيبَاسَا

فقال عُبيد :

ما مُرتجَاتٌ على هَولٍ مَراكبُها يَقْطعنَ بعدالمدى سَيراً وأمراساً

فقال امرؤُ القيس :

تلك النّجومُ إذا حَانَت مَطالعُها شبّهتها فى سواد اللّيل أقباساً

فقال عُبيد :

ما القاطعاتُ لأرضٍ لاأنيسَ بهَا تأتى سِراعاً وما يرجِعْنأنكاسَا

فقال امرؤُ القيس :

تلك الرّياحُ إذا هبّت عواصِفُها كفَى بأذيالها لِلتُّرب كُنّاسَا

فقال عُبيد :

ما الفاجعاتُ جهاراً فى علانيةٍ　　أشدّ من فيلَق ملحُومة باسَا

فقال امرؤُ القَيس :

تلك المنَايا فما يبقينَ من أحدٍ　　يأخذنَ حمْقى وما يُبقينَ أكياسا

فقال عُبيد

ما السّابقات سِرَاعُ الطّيرِ فى مَهل　　لا يَشتكين ولو طَالَ المَدى باسَا

فقال امرؤُ القيس

تلك الجِيادُ عليها القومُ مُذْ نَتَجتْ　　كانُوا لهنّ غَداة الرّوع أحلاسَا

فقال عُبيد

ما القاطعاتُ لأرض الجوّ فى طَلق　　قبل الصبّاح وما يسوين قرْطاسا

فقال امرؤُ القيس

تلكَ الأمَانىّ يتركن الفتَى ملكاً　　دون السّماء ولم تُرفع له راسَا

فقال عبيد

ما الحاكمونَ بلا سمعٍ ولا بصرٍ　　ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجبُ النّاسا

فقال امرؤُ القيس

تلك الموازينُ والرحمنُ أرسلَها　　ربّ البرية بين النَاس مِقياسَا

﴿ أبو تُراب ـ والشّريف العبّاسى ﴾

اجتمعَ يوماً أبو تُراب هبةُ الله بن السّريجى والشّريف العبَاسى **وكانا شاعرين**

فقالَ أبو تُراب

أسلوتَ حُبّ بُدُورَ أمْ تَتجلّدُ　　وسَهرتَ ليلكَ أم جُفونكَ ترقُدُ

فأجاب الشريفَ بديهاً

فأجاب الشريف

مادامَ لى جَلَدٌ فلستُ بجازعٍ ... اذْ كان صَبرى فى العَواقب يُحمدُ

فقال أبو تراب

أحسنْتَ: كِتمانُ الهوى مُستحسَنٌ ... لو كان ماءُ العين ممّا يَجمدُ

فأجاب الشريف

انْ كان جَفنى فاضحى بدُمُوعه ... أظهرتُ للجُلساءِ أنّى أرمَدُ

فقال أبو تراب

فَهبِ الدّموعَ إذَا جرت موّهتها ... فيقُال لِمْ أنفاسُهُ تَتَصعّدُ

فأجاب الشريف

أمشِى وأُسرعُ كى يَظنّوا أنّها ... من ذلك المَشى السَّريع تَوَلّدُ

فقال أبو تراب

هذا يجوزُ ومثلُهُ مُستعملٌ ... لكنّ وجهَك بالمحَبة يَشهدُ

فأجاب الشريف

إن كان وَجهى شاهداً بهوًى فما ... يدرِى الى مَن بالمحبّة أقصِدُ

فقال أبو تراب

اِخضعْ وذلّ لمن تحبّ فليسَ فى ... حُكمِ الهوى أنفٌ يشالُ ويعقدُ

فأجاب الشريف

وعليكِ السّلام يا أمَةَ الله ، تَكَلّمى فى حاجتكِ ، فقالت :

يَا خيرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى له الرّشَدُ ... ويا إمَامًا به قد أشْرقَ البَلَدُ

تشكُو اليك عَمِيدَ القوم أرْمَلَةٌ ... عَدَا عليهَا فلم يُتْرَكْ لَهَا سَبَدُ (٢)

وابتَزّ مِنِّى ضِياعِى بعدَ مَنْعَتِهَا ... ظُلْمًا وفُرِّق منّى الأهلُ والولدُ

فأطرقَ المأمونُ حيناً ثم رفعَ رأسَهُ اليها وهو يقول :

فى دُونِ ما قُلتِ زالَ الصّبرُ والجَلَدُ ... عنّى وأُقْرِحَ منّى القلبُ والكبدُ

هذا أوَانُ صلاةِ العصرِ فانصرفِى ... وأحْضِرى الخَصْمَ فى اليوم الذى أعِدُ

والمجلسُ السبتُ إن يقضَ الجلوسُ لنا ... نُنْصِفْكِ منه وإلاّ المجلسُ الأحدُ (٣)

فلمّا كان يومُ الأحدِ جلسَ فكانَ أولَ مَن تَقدّم اليه تلكَ المرأةُ فقالت :
(السّلام عليك يا أميرَ المُؤمنين ورحمة الله وبركاته) فقال : وعليك السلام .
أينَ الخَصمُ ؟ فقالت : ألواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأتْ الى العبّاس ابنه .
فقال : يا أحمدُ بن أبى خالد خُذْ بيده فأجْلِسه معها مجلسَ الخُصُوم ، فجعل كلامُها يعلو كلام العبّاس فقال لها أحمدُ بن أبى خالد : يا أمَةَ اللهِ إنّك بَين يَدى أميرالمؤمنين.

---

(١) يحى بن أكثم قاضى قضاة الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكثم بن صيفى توفى سنة ٢٤٢ ﻫ . (٢) أصل السبد : القليل من الشعر . ويقال ماله سبد ولا لبد أى لاقليل ولا كثير . (٣) قوله : وإلا المجلس . أسقط منه فاء الجواب للضرورة .

عاجِلِكَ وآجلك . قال : يا أمير المُؤمنين إنّما أعتقِدُ ما أنا عليه . ولا أرْغَب فى الإسلام . فدَعا له عمر بالسّيف فلمّا همّ بقتله . قال : يا أمير المؤمنين شَرْبَةٌ من ماء أفْضل من قَتْلى على ظَمَأ . فأمر له بِشَرْبة من ماء . فلمّا أخذها قال أأنا آمِنٌ حتّى أشْرَبها قال : نعَم . فرمَى بها وقال : ألوفاء يا أميرَ المؤمنين نورٌ أبلج . قال : صدَقْتَ لك التَّوَقُّف عنْكَ والنَّظرُ فى أمرك . إرْفَعُوا عنه السّيف . فلمّا رُفِع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبدُه ورسوله وما جاء به حقٌّ من عنده . فقال عمر : أسْلَمْتَ خير إسلامٍ فما أخّرك ؟ قال : كرِهْت أنْ تظُنَّ أنِّى أسْلَمُت جزَعاً من السّيف . فقال عمر : إنّ لأهل فارسَ عقُولاً بها استَحقُّوا ما كانوا فيه من المُلك . ثم أمر به أن يُبرّ ويُكرمَ ، وكان بَعدُ يُشاوِرُه فى تَوجيه الجيوش لأهل فارس .

﴿ إبراهيم بن المهدِى – وابن بَخْتَيْشُوع ﴾

قال العُتْبى : تنَازع إبراهيمُ بن المهدى وابنُ بَخْتَيْشُوع الطّبيب بين يَدَىْ أحمد بن أبى دُواد فى مجلس الحكم فى عقَار بناحية السَّواد ، فأرْبَى[1] عليه إبراهيم

(١) أربى عليه : زاد .

ولا تَعجلنّ فرُبّ عجلَة تَهب رَيثا : واللّه يَعْصِمُك من خَطَل القول والعمل ، ويُتمّ نعمته عليك كما أتَمَّها على أبوَيْك من قبل إنّ ربّكَ حكيمٌ عليم .

فقال ابراهيم : أصلَحَكَ الله ، أمرتَ بسَدَاد ، وحَضَضْتَ على رشاد ، ولستُ عائداً لما يَثْلِم [5] مُرُوءتى عندك ، ويُسْقِطنى من عينك ، ويُخْرِجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار ، فهأنذا معتذرٌ اليك من هذه البادرةِ اعتذارَ مُقِرّ بذنبه مُعترفٍ بجُرْمه ، ولا يزال الغضبُ يَستَفِزّنى [6] ببَوادره ، فيرُدُّنى مثلك بحِلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا منك . وقد جعلتُ حَقّى فى هذا العَقَار لابن بَخْتَيشُوع فليت ذلك يكون وافِياً بأَرْش [7] الجناية عليه « ولم يَتْلَف مالٌ أفاد مَوْعِظة » وحَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيل .

﴿ الأحْنف بن قيس ـ وقَيْس بن عاصم ﴾

قيل لِلأحنَف بن قَيس : مِمّنْ تعلّمت الحِلْم ؟ قال : مِن قيس بن عاصم المِنْقَرِى رَأَيتُه قاعدا بفِناء دَاره ، مُحْتَبِياً [8] بحمائلَ سَيفه ، يُحدِّث قومه حتّى أُتِىَ برجل

---

(١) أحنظه : أغضبه . والحفيظة : الحمية والغضب (٢) الأَمْم : البين من الأمر والوسط .
(٣) المحتد : الأصل (٤) الريث : الابطاء والمقدار (٥) ثلم الاناء : كسره من حرفه .
(٦) استفزه : استخفه وأزعجه (٧) الارش : الدية وما يعطى تعويضا (٨) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أونحوها ، والاسم من ذلك الحبوة .

من مِنقَرٍ فى بيت مَكْرُمَةٍ — والغُصنُ يَنْبُتُ حوله الغُصنُ

خُطَباءُ حين يقول قائلُهم — بيضُ الوجوهِ مَصاقعٌ لُسُنُ (٢)

لا يَفْطَنُون لعيب جارِهِم — وهمُ لِحِفظ جِواره فُطُنُ (٣)

﴿ مَعْن بن زائدة ـ وجاره بين يدى المهدى ﴾

قال سعيد بن مسلم : نَذَر المهدىّ دمَ رجُلٍ من أهل الكوفة ، كان يَسْعَى فى فساد سُلطانه ، وجعل لمن دَلّ عليه أو جاء به مائة ألف درهم . فأقام الرجل حينا متَوارياً ثم إنّه ظهر بمدينة السَّلام (٤) ، فكان ظاهراً كغائب خائفاً مُترقباً . فبينا هو يمشي فى بعض نَواحيها إذ بَصُرَ به رجل من أهل الكوفة فعرَفه فأهْوَى الى مَجامع (٥) ثَوْبِه ، وقال : هذا بُغْيَة أمير المُؤمنين . فأمكَن الرجلُ من قِياده ، ونظَر الى الموت أمَامَه . فبينا هو على تلك الحال ، اذْ سَمِع وَقْع حوَافر الخيْل من وراء ظَهره . فالتفَت فإذَا مَعْن بن زائدة . فقال : يا أبا الوليد أجِرْنِي أجارك الله . فوقف وقال للرجل الذى تعلّق به : ماشأنك ؟ قال : بُغْية أمير المؤمنين الذى نَذَر دَمَهُ ، وأعطَى

(١) اطباه : دعاه واستهواه • والافن : ضعف الرأى وفعله كفرح (٢) رجل لسن وألسن فصيح ويجمع ألسن على لسن كاحمر وحمر (٣) فطن • جمع فطن كجون : جمع جون ، وهذا جمع نادر (٤) مدينة السلام : هى بغداد أو قسم منها (٥) مجامع الثوب : ما أحاط بالجيب ويقال لها التلابيب.

أمير المؤمنين : وقد لبس ثياباً ... فدعا أهل بيته ومواليه وقال : لا يخلصنّ الى هذا الرّجل وفيكم عين تطرف [1] ، ثم ركب ودخل حتى سلّم على المهدىّ فلم يردّ عليه وقال : يامعن أتجير علىّ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ونعم أيضاً ؟ واشتدّ غضبه . فقال معن : يا أمير المؤمنين قتلتُ فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر ألفا ، ولى أيّام كثيرة قد تقدّم فيها بلائى وحسن غنائى فما رأيتمونى أهلاً أن تهبوا لى رجلا واحداً استجار بى ؟ فأطرق المهدىّ طويلا ثم رفع رأسه وقد سُرّى [2] عنه فقال : قد أجرنا من أجرت . قال معن : فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يصلَه فيكون قد أحياه وأغناه « فعل » قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف ، قال يا أمير المؤمنين إنّ صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعيّة ، وإنّ ذنب الرّجل عظيم ، فأجزل له الصّلة . قال : قد أمرنا له بمائة ألف . قال : فتعجّلها يا أمير المؤمنين بأفضل الدّعاء . ثم انصرف ولحقه المال ، فدعا الرّجل وقال له خذ صلتك ، والحق بأهلك ، وإيّاك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

﴿ معن بن زائدة ــ والأسود ﴾

روى مروان بن أبى حفصة عن معن بن زائدة أنه قال : لما جدّ المنصور فى

---

(١) طرفت العين : تحركت (٢) سرى عنه الهم : انكشف ، وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار والمجرور .

ياهذا – اتق الله عز وجل ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا : فانى والله لأعرف بك منك . فلما رأيت منه الجد قلت له : هذا عقد جوهر ، قد حملته معى بأضعاف ماجعله المنصور لمن يجيئه بى ، فخذه ولا تكن سبباً لسفك دمى . قال : هاته فأخرجته اليه فنظر فيه ساعة وقال : صدقت فى قيمته ، ولست قابله منك حتى أسألك عن شئ فإن صدقتنى أطلقتك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرنى هل وهبت مالك كله قط ؟ قلت : لا . قال : فنصفه ؟ قلت : لا . قال : فثلثه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشر ، فاستحييت وقلت : أظن أنى قد فعلت هذا . قال : ما ذاك بعظيم . أنا والله راجل[4] ورزقى من أبى جعفر المنصور كل شهر عشرون درهماً وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك و وهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم أن فى هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة . فقلت : ياهذا قد والله فضحتنى ولسفك دمى على أهون مما فعلت ، فخذ ما دفعته لك فانى غنى عنه ، فضحك

---

(١) لوحه العطش والسفر : غيره ، ولوحت وجهه الشمس : غيرت لونه (٢) العارضان : جانبا الوجه وما يكون عليهما من اللحية (٣) الطلبة : الحاجة وما يطلب (٤) الراجل : غير الراكب

خرَجَ معاوية متنزها ، فمرّ بحي ـ ـم فقصد قَصْدَ بيت منه ، فاذا بفِنَائه امرأة بَرْزَة [٢]، فقال لها : هل من غدَاء ؟ قالت : نَعمَ حاضِر. قال : وماغدَاؤُكِ ؟ قالت : خُبزٌ خَمِير ، وماء نَمِير ، [٣] وحَيْسٌ فطير ، ولبن هَجِير ، [٤] فتنَى ورَكِه ونزَل ، فلمّا تغدّى قال : هل لك من حاجة ؟ فذكرت حاجة أهل الحِواء . قال:هَاتِ حاجَتَكِ فى خاصّة نفسك . قالت : يا أمير المؤمنين : إنِّى أكرهُ أن تَنْزِل وادياً [٥] فيَرِفَّ أوّلهُ ، ويَقِفَّ آخرهُ [٦] .

﴿ الأحنف بين يدى معاوية ﴾

وَفَدَ الأحنفُ بن قَيس على مُعاوية مع أهل العِراق ، فخرج الآذِنُ فقال : إنّ أمير المؤمنين يَعزِم عليكم أن لا يَتكلّم أحدٌ إلاّ لنفسِه . فلمّا وصلوا اليه قال الأحنف : لولا عَزْمة أمير المؤمنين لأَخْبَرْته أنّ دَافّة دَفّت [٧] ونازلةً نزلت ونَابتَة نبتتْ ، كلّهم بهم حاجَةٌ الى معروف أمير المؤمنين وبِرّه . فقال معاوية : حَسْبُك يا أبا بَحْرٍ فقد كَفَيْت الشّاهد والغائب .

---

(١) الحواء ككتاب : جماعة البيوت المتدانية (٢) البرزة من النساء : الكهلة الجليلة تبرز للقوم وتحدثهم مع العفة (٣) الحيس : تمر يخلط بسمن ولبن ممخوض (٤) الهجير : الخاثر من اللبن (٥) رف النبات : اهتز (٦) قف النبات : يبس (٧) يقال : دفت دافة أى أتت فئة مهاجرة .

[illegible] المياه العذبة والجنان المُختلفة فى مثل حوُلاء السَّلَى (٢) وحدَقة (٣) البعير، تأتيهم ثمارُهم غضّة لم تَخْصَر (٤) و إنّا نزلنا أرضاً طرَفٌ فى فلاة . وطرَفٌ فى ملح أُجاج ، جانبٌ منها منابِت القصب وجانبٌ سَبَخَة نَشَّاشة (٥) لا يجِفّ ثراها، ولا ينْبُت مرعاها . يخرج الرجل الضّعيف منَّا يستعذبُ الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنّق (٦) لولدها ترْنيق العنْز ، تخافُ عليه العدوّ والسبُع . فإلّا ترْفع خسيستنا ، وتنْعش (٧) ركيستنا وتجبُر فاقتنا ، وتزِد فى عيالنا عيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وتُصغّر درهمنا ، وتُكبّر قفيزنا (٨) ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا . فقال عمر : هذا والله السيّد ! هذا والله السيّد ! ثم كتب الى أبي موسى الأشعرىّ أن يحتفِر لهم نهرا .

﴿ أُسَيْد بن عنْقاء ـ وعُمَيْلة الفزارى ﴾

كان أُسَيْد بن عنْقاء الفزَارى من أكبَر أهل زمانه ، وأشدّهم عارضة ولسانا

---

(١) بنو الأصفر عند العرب : هم الروم (٢) السلى : غلاف رقيق يكون فيه المولود والحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد وهذا يكنون به عن الخصب وكثرة الماء والخضرة (٣) قال فى اللسان : وفى حديث الأحنف نزلوا فى مثل حدقة البعير أى نزلوا فى خصب وشبهه بحدقة البعير لانها ريا من الماء (٤) خصر : برد (٥) أرض سبخة نشاشة : لايجف ثراها ولا ينبت مرعاها (٦) رنق الماء صفاه (٧) نعشه : رفعه كانعشه والركيسة الضعيفة . (٨) القفيز : مكيال

رَجاء ويَأْس . فلمّا كان السَّحَر : سمع رغاءَ الإبل ، وثُغَاء الشّاء ، وصَهيل الخيل ولَجَبَ الأموال [٣] . فقال : مَا هذا ؟ فقالوا : هذا عُمَيْلة ، ساق اليك مَالهُ . فخرج ابن عَنَقَاء له ، فَقَسَم عُمَيلةُ مالهَ شَطرين ، وسَاهمه [٤] عليه . فأنشأ ابن عنقاء يقول

رآني على مابى عُمَيلة فاشتكى ... الى ماله حالى أسَرَّ كما جَهَرْ

دعاني فآساني ولو ضَنّ لم يُلَم ... على حين لا بَدْوٌ يُرَجّى ولا حَضَرْ

فقلتُ له خيراً وأثْنَيْتُ فعلَه ... وأوفاك ما أُبليت من ذمّ أو شَكَرْ

ولمّا رأى المجدَ استُعيرَتْ ثيابه ... تَرَدَّى رِداءً سابغَ الذيلِ واتَّزَرْ [٥]

غلام رمَاه الله بالخيرِ مُقْبِلا ... له سيمياءُ لا تَشُقُّ على البصرْ [٦]

اذا قيلت العَوْرَاء أغْضَى كأنّه ... ذليلٌ بلاذُلٍّ ولوشَاء لانتصرْ [٧]

﴿ الفضل ـ وجعفر ابنا يحيى البرمكى ﴾

قال [٨] محمد بن عبد الرحمن الهاشمى : كانت أمُّ جعفر بن يحيى تزورُ أمّى

---

(١) تبقل : خرج يطلب البقل (٢) جنح الليل أو الظلام : الطائفة منه (٣) اللجب : الجلبة والصياح واضطراب موج البحر (٤) ساهمه : قارعه أى ضرب القرعة. (٥) : اتزر من الازار قلبت الهمزة تاءوأدغمت فى تاء الافتعال (٦) السيما والسيماء والسميا والسيمياء : العلامة . يقول يفرح به من يراه للطف محياه . (٧) العوراء الكلمة القبيحة ، وقريب من هذا البيت قوله

يصم عن الفحشاء حتى كأنه ... اذا ذكرت فى مجلس القوم غائب

(٨) هو محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفه .

بالشطرنج ؟ فقال جعفر وكان أجرأهما : نعم ! قال : فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر : لا . قال : فالعباها بين يدى لأرى لمن الغلب ؟ فقال جعفر : نعم ! وكان الفضل أبصر منه بها . فجيء بالشطرنج فصفت بينهما. وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل . فقال له أبوه : مالك لا تلاعب أخاك ؟ فقال : لا أحب ذلك . فقال جعفر : إنه يرى أنه أعلم بها منى ، فيأنف من ملاعبتى ، وأنا ألاعبه مخاطرة فقال الفضل : لا أفعل . فقال أبوه : لاعبه وأنا معك . فقال جعفر : رضيت . وأبى الفضل ، واستعفى أباه : فأعفاه . ثم قالت لى : قد حدثتك فاقض . فقلت: قد قضيت بالفضل للفضل على أخيه . فقالت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حكمتك .أفلا ترى أن جعفراً قد سقط أربع سقطات تنزه الفضل عنهن ؟

فسقط حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج ، وكان أبوه صاحب جد وسقط فى التزام ملاعبة أخيه وإظهار الشهوة لغلبه والتعرض لغضبه .

وسقط فى طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أخيه .

والرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه لاعبه وأنا معك ، فقال أخوه ، وقال هو نعم ؟ فناصب صفا فيه أبوه وأخوه ؟ فقلت أحسنت ، والله وإنك

والثاني : قول أبي لاعبه وأنا معه [illegible] ن يكون أبي معي على أخي. ثم خلوت بجعفر ، فقلت له : يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف ، وأبوك صاحب جد ؟ فقال : إني سمعت أبي يقول نعم لهو البال المكدود (1) . وقد علم ما نلقاه من كد التعلم والتأدب . ولم آمن أن يكون بلغه أنا نلعب بها ، ولا أن يبادر فينكر ، فبادرت بالإقرار اشفاقاً على نفسي وعليه ، وقلت إن كان توبيخ فديته من المواجهة به . فقلت له : يابني ، فلم تقول ألاعبه مخاطرة ؟ كأنك تقامر أخاك وتستكثر ماله . فقال : كلا — ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فعرضتها عليه فأبى قبولها ، وطمعت أن يلاعبني فأخاطره عليها ، وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها . فقلت لها : يا أماه ما كانت هذه الدواة ؟ فقالت : إن جعفرا دخل على أمير المؤمنين ، فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر ، محلاة بالياقوت الأزرق والأصفر ، فرآه ينظر اليها فوهبها له . فقلت إيه . فقالت : ثم قلت لجعفر هبك اعتذرت بما سمعت . فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لاعبه وأنا معك ؟ فقلت أنت نعم : وقال هو لا ؟ فقال : عرفت أنه غالبي ، ولو فتر لعبه لتغالبت له ، مع ماله من التشرف والسرور بتحيز أبيه اليه . قال محمد بن عبدالرحمن فقلت . بخ بخ (2) هذه والله السيادة! ثم قلت لها : يا أماه — أكان منهما من بلغ

---

(1) كده : أجهده وأتعبه (2) يقال : بخ بخ — وبخ بخ اعجابا بالشيء واظهاراً للسرور به

الخيرات ، وبسط له من البركات ، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مربياً على
أَمْسِهِ ، مُقَصِّرا عن غده .

فقال له الرّشيد . ياسهل : مَنْ رَوَى من الشّعْر أحسَنَهُ وأَرْصَنَه ، ومن الحديث أَفصَحهُ وأَوضَحهُ ، إذا رام أن يقول لم يُعْجِزْه القول .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظَنَنتُ أنّ أحداً تَقدّمَنِي الى هذا المعنى . قال : بل أعْشَى هَمْدَان : حيث يقول :

رأيتُك أمسِ خيرَ بَنِي لُؤَىّ ... وأنتَ اليومَ خيْرٌ مِنْك أمسِ
وأنتَ غداً تَزِيد الخيرَ ضِعفاً ... كذاكَ تَزِيدُ سَادَةُ عبد شمسِ

﴿ الواثق وابن أبى دُوَاد ﴾

قال أبو العيناء : دخل ابنُ أبى دُواد على الواثق فقال له : ما زال اليوم قومٌ فى ثَلْبك و نَقصِك . فقال · يا أمير المؤمنين لِكلّ امرئ منهم ما اكْتسَب من الإثْم . والّذى تولّى كِبْره منهم له عذابٌ عظيم . والله ولىّ جزائه ، وعقابُ أمير المؤمنين من ورَائِه ، وما ذَلّ ياأمير المؤمنين مَن كُنْتَ ناصرَه . ولاضاعَ من كُنْتَ حافِظَه . فماذا قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قُلْتُ يا أبا عبد الله :

وَسعَى الىّ بِعيْبِ « عزَّة » مَعشرٌ ... جعلَ الالهُ خُدُودَهُنَّ نِعالَهَا

تأميلى أحسنُ منْ يومى . ولو جاز أن يحرك مثلى بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني لذلك أحد .

قال : صدقتَ . علمي بهذا منك أحلّك هذا المحل . فسلني ما شئتَ ؟؟

قال :أسألك أن تقرّب عبدك « الفضل » وتؤثره وتحبه .

قال : ياربيع : إن الحبّ ليس بمالٍ يوهب ، ولا رتبة تبذل ، وانّما تؤكّده الاسباب

قال : فاجعل لى طريقاً اليه بالتفضّل عليه .

قال : صدقتَ . وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحدا غير عمومتى لتعلم ماله عندى ، فيكون منه مايستدعي به محبتى . وكيف سألت له المحبّة ياربيع؟

قال : لأنها مفتاح كلّ خير . ومغلاق كلّ شرّ ، تستتر بها عندك عيوبه وتصير حسنات ذنوبه . قال : صدقت ، وأتيتَ بما أردت .

﴿الأعرابى السائل﴾

وقفَ أعرابى يسألُ ، فعبثَ به فتى ، وقال : ممّن أنتَ ؟

---

(١) الربيع بن يونس هو حاجب المنصور توفى سنه ١٧٠ ه

(٢) يقول : إنك أطلت السكوت فنبهت بذلك على نفسك فقام السكوت مقام الكلام ، وعلى هذا القياس ما بعده .

باعتِذاره ، وأطال الكلام : فقال له الأعرابى ، يا هذا ! إنّك مُنذُ اليوم أدّبتني بمزحك ، وقطعتني عن مَسْألتى بكلامك واعتذارك ، وإنّك لتكشِف من جهلك بكلامك ما كان السّكوتُ يَستُره من أمرك . وَيْحكَ ! إنّ الجاهل إنْ مزَح أسْخط وإنْ اعتذَر أفرط ، وإنْ حدَّث أسقط[4] وإنْ قدَر تسلّط ، وإنْ عزَم على أمر تورّط[5] وإنْ جلس مجلس الوقار تبسّط[6]. أعوذُ منك ، ومن حالٍ اضطرّتني الى احتمال مثلك .

معاوية ـ والأحنف بن قيس

لمّا عزَم مُعاويةُ على البيْعَة ليزيد : كتب الى زِياد ـ أن يُوجّه اليه بوفد أهل العِراق . فبعث اليه بوفد البصرة والكُوفة ، فتكلّمت الخطباء فى يزيد والأحنفُ بن قَيْس ساكتٌ ، فلمّا فرَغُوا ـ قال : قُلْ يا أبَا بحر ، فانّ العيونَ اليك أشْرَعُ[7] منها الى غيرك ، فقام الأحنف : فحَمِدَ الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيه صلّى الله عليه وسلم ـ ثم قال :

---

(١) الهامات : الرءوس . (٢) امتعض : تالم . (٣) الدعابة : اللعب والمزح
(٤) أسقط : أخطأ . (٥) تورط فى الأمر : وقع وارتبك . (٦) تبسط : أكثر من القول وجانب الاحتشام . (٧) أشرع : ارفع وأكثر نظراً .

ا فرغ ... وب [1] ...

فقال له : أقْعُد يا أبا بَحر ، فإنّ خيرة الله تجْرى ، وقَضَاءه يَمْضِى ، وأحكامه تَنفْذُ ، لا مُعَقِّب [2] لحُكْمِه ، ولا رَادّ لقضَائِه ، وإنّ « يزيد » فتى بلَوْناه ولم نَجِدْ فى قُرَيْش فَتًى هو أجْدَر بأنْ يُجْتَمَع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين : أنت تَحْكِى عن شَاهِد ، ونحن نتكلّم على غَائب واذا أراد الله شيئاً كان .

﴿ الحَجّاج ـ ورسول المُهَلّب ﴾

يُروَى أنّ المُهلَّب [3] لمَّا فَرَغ من أمْرِ عبد ربّه الحَرُورِى [4] ، دَعا بِشْر ابن [5] مالك : فأنفذَه بالبِشارة الى الحجّاج . فلمّا دخل على الحجّاج قال : ما اسمُك ؟ قال : بِشْر بن مالك . فقال الحجّاج : بِشَارَةٌ ومُلْك . كيف خَلَّفْت المُهَلَّب ؟ قال : خَلَّفْته وقد أمِنَ ما خَاف ، وأدْرك ما طَلَب . قال : كيف كانت حالكم مع عدوّكم ؟ قال : كانت البُدَاءة لهم ، والعاقبة لنَا . قال الحجاج : العاقبةُ للمتّقين ، فما حال

(١) الذنوب : الدلو الملأى ، جمعه أذنبة ذنائب (٢) أي لاراد لقضائه .

(٣) هو المهلب بن أبى صفرة الأزدى : كان شجاعا مهيبا وقائدا من أكبر قواد الجيوش فى الدولة الأموية وهو الذى شتت الخوارج ومزقهم كل ممزق . ويقال للبصرة بصرة المهلب لانه حماها من الخوارج توفى سنة ٨٣ هـ (٤) الحرورى نسبه الى حروراء على غير القياس وهى بلدة بقرب الكوفة . والحرورية : فرقة من الخوارج كالازارقة . (٥) كذا فى زهر الآداب وفى تاريخ ابن خلكان أن اسم الرسول مالك بن بشير ـ والخطب سهل .

إلا الله . فقال الحجَّاجُ لجلسائه : هذا (والله) الكلام المطبُوع ، لا الكلام المصنُوع

﴿ حديث مُعاوية ـ وليْلى [5] الأخيلية ﴾

قال بَعضُ الرُّواة : بينا مُعاوية يَسير إذْ رأى راكباً فقال لبعض شُرَطه ائْتِني به ، وإيَّاكَ أن ترُوعَه . فأتاه فقال : أَجِب أميرَ المؤمنين . فقال : إيَّاه أردتُ . فلمَّا دنَا الرَّاكبُ حدَر لِثَامَه ، فاذا لَيْلى الأخْيلية : فأنشأت تقول :

مُعَاوِيَ لم أكَد آتيكَ تَهْوِي ... برَحْلِي نحو سَاحَتِك الرِّكابُ
تَجوبُ الأَرض نحوكَ ماتأَنَّى ... إذَا مَاالأَكْمُ قَنَّعها السَّراب [6]
وكنتَ المُرْتَجَى وبكَاستعاذَتْ ... لِتَنْعَشَهَا إذا بَخِل السَّحابُ

فقال : ما حاجتُكِ ؟ قالت : ليس مِثلى يَطلبُ الى مثلك حَاجة ، فَتَخَيَّرْ أنْتَ أعلى عيْناً . فأعطَاهَا خَمسين من الإبل . ثم قال : أخبريني عن مُضَر . قالت :

---

(١) النفل الغنيمة جمعه أنفال . (٢) يقول : إنهم يخشون ان يبيتهم العدوأى يهجم عليهم ليلا فلا ينامون إلا اذا أمنوا ذلك . (٣) السرح : الماشية فى المرعى . (٤) الحلقة المفرغة : المصبوبة قطعة واحدة ، وهذه الجملة مثل لامرأة عربية .

(٥) ليلى الأخيلية أشعر امرأة عربية بعد الخنساء . (٦) الأكم : واحده أكمة وسكنت الكاف للوزن . تقول : إن ركابها تجول فى الأرض قاصدة معاوية ، ولا تتأنى عند اشتداد الحر إذ تتغطى الأكام بالسراب .

مخبر ، ... جميل ... أوم ا ... .

بَعيدَ المْدَى لا يبلغُ القرْم غورَه ... ألدُّ ملَدٍّ يَغلِبُ الحقَّ باطِلُه (٢)

فقال معاوية : وَيحكِ يا ليلَى ! يزْعُم النّاس أنه كان عاهِراً فاجراً . فقالت من ساعتها مرتَجلة :

مَعَاذ النُّهى قد كان والله توبةٌ ... جواداً على العِلاّت جمّاً نوافلُه (٣)

أغرُّ خفَاجِياً يَرى البُخلَ سبَّةً ... تُحَالِفُ كفّاه النَّدَى وأنامِلُه

عفيفاً بَعيـدَ الهمّ صُلْبا قنَاتُه ... جَميلاً مُحيّاه قليـلاً غوَائلُه (٤)

وكان إذا ما الضّيفُ أرْغَى بعيرُه ... لديه أتَاهُ نَيْـلُه وفَواضِـلُه

وقد علِم الجدْبُ الذى كان سارِياً ... على الضَّيفِ والجيرانِ أنّك قاتلُه

وأنّك رَحْبُ الباع ياتوبَ بالقِرَى ... اذا مالئيم القَوْمِ ضاقتْ منَازِلُه

يَبيتُ قريرَ العينِ مَن كان جاره ... ويُضْحِي بِخَيرٍ ضيفُه ومُنَازِلُه

فقال لها معاوية : وَيْحَكِ يالَيلَى ! لقد جُزْتِ بتوبة قَدرَه . فقالت : يا أمير المؤمنين : والله لو رأَيْتَه وخبَرْتَه لعَلِمْتَ أنى مقصِّرةٌ فى نَعته ، لا أبلُغ كُنْهَ ماهو

---

(١) مضر : أصل لقيس وتميم وأسد . تقول : إن مضر ذات مجد عظيم وقيس أهل البسالة والاقدام وتميم ذوو الكثرة والعدد وأسد أهل الحجة واللدد . (٢) القرم السيد . والألد : الشديد الخصومة ، والملد مبالغة فى الألد . تقول : لايدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق (٣) على العلات : أى على كل حال . والنوافل : المطايا . (٤) الغوائل : الدواهى وفلان قليل الغوائل : أى ليس فيه ما يعيبه العشير .

ولقد أجدْتَ حيث أقول :

جزَى اللهُ خيْراً والجزَاءُ بكَفه ... فتًى من عقَيل ساد غيْرَ مُكلَّفِ
فتًى كانت الدّنيا تهُون بأسرِها ... عليه فلم ينفكّ جَمّ التّصرُّف
ينال عليّات الأمور بهَوْنَةٍ ... إذا هي أعيتْ كلّ خرْقٍ مُسوّف[1]

﴿ ألحارث [2] بن عَوف المرّى ومُصاهرته أوس [3] بن حارثة الطّائى ﴾

يُروَى أنّ الحارثَ بن عَوف المرّى : قال يوما لخارجةَ بن سِنان المرّى : أتراني أُخطُب إلى أحد فيردّنى ؟ قال . نعْم . قال : ومَن ذَاك ؟ قال : أوْسُ بن حارثة ابن لأم الطّائى . فقال الحارثُ لغلامه : ارْحَلْ بنا . ففَعل : فركِبا حتى أتيا أوساً فلمّا رأى الحارثَ بن عوف قال : مرْحباً بك ياحارِث . قال : وبك . قال : ما جاء

(١) الهونة : التؤدة . والخرق : الفتى الحسن الكريم السجايا . والمسوف : من يصنع ما شاء لا يرده احد .

(٢) هو أحد عظماء ذبيان . ومرة : بطن من ذبيان . والحارث أحد السيدين اللذين سعيا فى الصلح بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء التى دامت نحو أربعين سنة . وقد احتملا فى مالهما خاصة غرامة تلك الحرب . (٣) هو سيد طيء فى زمانه وفيه يقول الشاعر :

الى أوس بن حارثة بن لأم ... ليقضى حاجتى فيمن قضاها
فما وطئ الحصا مثل ابن سعدى ... ولا لبس النعال ولا احتذاها

حارث

ت : وكيف

خاطباً . . . ريد أن تزو . . . نعم . قالت : فإذا لم تزو . . لسيد

العرب : فمن ؟ قال : قد كانَ ذلكَ . قالت : فتداركْ ما كانَ منك . قال بماذا ؟

قالت تَلْحقُهُ فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَطَ مِنّى ما فرطَ اليه ؟ قالت : تقول له :

إنك لَقِيتَنِي مُقتضِباً[٤] بأمرٍ لم يتقدَّم منى فيه قول ، فلم يَكُنْ عندى فيه من الجواب

إلا ماسمعتَ ، فانصرفْ ولكَ عندى كلّ ما أحببتَ ؟ فانه سيَفعلُ . فَرَكِبَ فى

أثرهما . قال خارجةُ بن سنان : فوالله إنّى لأَسيرُ إذْ حانَتْ منّى التِفَاتَةٌ ، فرأيته

فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلِّمُنى غمّا ، فقلت له : هذا أَوسُ بن حَارثة فى أثرِنا .

قال : ومانَصْنَعُ به ؟ امْضِ . فلمّا رآنا لانقِف عليه ، صاحَ : ياحارثُ اربَعْ[٥] علىّ

ساعة . فوقفنا له . فكلّمنَا بذلك الكلام ، فَرَجَعَ مسرُوراً .

فَبَلَغنِي أن أوْساً لمّا دخل منزِله ـ قال لزَوْجته : ادْعِي لى فُلانة ـ لأكبر بنَاتِه

أَتتهُ ، فقال : يا بُنيَّة هذا الحارث بن عوف سيدٌ من سادات العرب ، قد جاءنى طالباً

خاطِباً ، وقد أردتُ أن أُزَوِّجك منه ، فما تقولينَ ؟ قالت : لا تَفْعَلْ . قال : ولِمَهْ ؟

قالت : لِأنّى امرأةٌ فى وَجهِى رَدَّة[٦] ، وفى خُلُقِى بعض العُهْدة[٧] ، ولستُ

(١) أى لست كفئا . (٢) عبس وذبيان ابنا عم . (٣) استحمق : فعل فعل الحمق

(٤) الاقتضاب : المفاجأة .

(٥) ربع عليه : وقف له أو مال اليه . (٦) يقال : فى وجهه ردة أى قبح مع شىء من الجمال .

(٧) العهدة : الضعف .

« يعنى الصغرى » فأتى بها ، فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : قد عرضتُ ذلك على أختيك فأبتاه ، فقالت ولم يذكر لها مقالتيهما ، لكنّى والله الجميلةُ وجهاً. الصنّاع [٢] يداً ، الرّفيعةُ خُلُقاً ، الحسيبة أباً ، فانْ طلّقنى فلا أخلفَ الله عليه بخير . فقال : باركَ الله عليك .

قال خارجة : ثم خرجَ الينا فقال : قد زوّجتك ياحارث « بهيسةَ » بنت أوْس قال : قد قبلتُ . ثم أمر أمّها أن تهيّئها ، وتُصْلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرب [٣] له ، وأنزله إيّاه . فلمّا هُيّئتْ بعَث بها اليه ؛ فلم يَلْبَثْ عندها إلا هُنَيْهة [٤] ثم خرج الىّ ، فقلت : أبنيتَ بأهلك ؟ قال : لا ــ والله ، فانّى لمّا دَنَوْت منها قالت : مَهْ ، أعِنْدَ بى واخوَتى ؟ هذا والله مالا يكون . قال خارجة : ثم ارتحلنا بها فسِرْنا ماشاء الله ثم انتحى بها ناحيةً ، ولم يلْبث أنْ عادَ الىّ . فقلت : أبنَيْتَ بأهلكَ ؟ قال : لا والله فقد قالت : أكما يُفعل بالأمَةِ الجَليبة [٥] ؟ والسبيّة الأخيذة [٦] ؟ لا والله حتى تَنْحر الجزُر ، وتَذبح الغَنَم ؛ وتدعو العرب ، وتَعْمَل ما يُعمل لِمثلى . قلت : والله إنّى لأرى همّة وعقلاً ، وأرجو أن تكونَ المرأة مُنْجِبةً انْ شاء الله . فرحلْنا حتى قدمنا

(١) الحرقاء : التى لاتحسن صنعة (٢) امرأة صناع : حاذقة فى الصناعة (٣) أقيم وبنى .
(٤) الهنيهة : الزمن اليسير . (٥) الجليبة : المجلوبة (٦) الأخيذة : المأخوذة

، ؟ قالت

والعرب ... بس ذُبيَان ... صا ؟ ... ماذا

تُريدين ؟ قالت : أخرجْ الى هؤلاء ... ح بينهم ، ثم ارْجعْ الى أهلك

فلن يَفوتَك . قال خارجة . فقلت : والله إنى لأَرى هِمّةً وعقلا . قال : فاخْرُج بنا فخرجنا حتى أتَيْنَا القوم ، فَمَشَينا فيما بينهم بالصُّلح ، فاصطلحُوا وحَمَلْنَا عنهم الدّيات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين ، فانصرفْنَا بأجمل الذّكر [1]

« ولَوكان النِّساء « كمثْلِ هذِى » لَفُضّلَتِ النِّساء على الرِّجالِ »

﴿ سَوْدة بنت عُمَارة ــ ومعاوية ﴾

قال عامرُ الشّعبىّ : وفَدتْ سَوْدةُ بنت عمارة بن الأشتَر الهَمْدانيّة على مُعاوية بن أَبى سُفيان : فاستأذنتْ عليه فأذِن لها ، فلمّا دخلت عليه سلَّمت ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بِخَيرٍ يا أميرَ المؤمنين . قال لها : أنت القائلة لأخيك

شَمِّرْ لفعل أبيك يا بن عُمارة ... يوم الطِّعان ومُلْتَقَى الأَقرانِ
وانصُرْ عَليّا والحُسينَ ورَهْطَهُ ... واقصِد لِهند [2] وابنها بهَوانِ
إنّ الإمامَ أخَا النّبىّ محمّد ... عَلمُ الهُدَى ومنارةُ الإيمانِ
فقُدِ الجيوشَ وسِر أمامَ لِوائه ... قُدُمًا بأبيضَ صارِم وسِنَانِ

---

(١) وقد خلد زهير هذا الذكر الجميل فى معلقته إذ يقول من ابيات كثيرة :

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

(٢) هند هى أم معاوية

يا أميرَ المؤمنين : إنّك للنّاس سيِّد ، ولأُمورهم مُقَلَّد . والله سائلك عمّا افترض عليك من حقنا . ولا نزال تُقْدِمُ علينا من يَنْهَض بعزِّك ، ويَبْسُط بسُلطانك ، فيَحْصُدُنا حِصاد السُّنْبُل ، ويدوسنا دِياس البقر ، ويسومنا الخَسِيسة (١) ويسألنا الجليلة ، هذا ابن أرْطَاة : قَدِم بِلادى ، وقَتَل رِجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطّاعة لكان فينا عِزّا ومَنَعة ، فإمّا عزلتَهُ فشكرناك ، وإمّا لا فعرفناك . فقال معاوية : أإيّاىَ تُهدِّدِينَ بقومك ؟ والله لقد هَمَمْت أن أردّك اليه على قَتَب أشرس (٢) فيُنْفِذ حكمه فيك . فسكتت . ثم قالت :

صَلَّى الإله على رُوح تَضَمَّنَه ... قبرٌ فأصبحَ فيه العَدْلُ مدفونا
قد حالَفَ الحقَّ لا يبغى بهِ ثمناً ... فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

قال : ومَن ذلك ؟ قالت : علىّ بن أبى طالب . قال : ما أرى عليك منه أثراً . قالت : بلى ، أتيتُه يوماً فى رَجُل ولّاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه مابين الغَثّ والسَّمين ، فوجدته قائماً يُصَلّى فانفتَل (٣) عن الصَّلاة ، ثم قال برأفة وتعطُّف : ألك حاجة ؟ فأخبرتُه خبرَ الرجل ، فبكى ثم رفع يديه إلى السّماء فقال : أللّهم إنى لم آمرْهُم

(١) سامه الأمر : كلفه إياه . تقول : يجشمنا دنايا الأمور . (٢) القتب : الرحل الصغير . والأشرس : الخشن الغليظ (٣) انفتل : انصرف

ـفيه الله خـ

مؤمنين ... م بحفيـ ... ـذا فاحتفظْ بما في ... حتى

يأتيَ من يقبِضه منك والسّلام. فعر ... ومنين ما خزَمه بخزام ولاختمه بختام

فقال معاوية : أُكتبُوا لها بالإِنْصافِ لها والعدلِ عليها . فقالت : أَلِيَ خاصّةً أمْ لقومي عامّة ؟ قال : وما أنت وغيرُك ؟ قالت : هي والله إذَنْ الفَحْشاء واللّؤم ، ان كان عدْلاً شاملا ، والاّ يَسَعْنِي مايَسَعُ قومى . قال هيهات ، لمظّكم [1] ابن أبي طالب الجرْأة ـ وغرّكم قوله :

فَلَوْ كنتُ بوَّابا على باب جَنّةٍ   لقُلتُ لِهَمْدان ادخلوا بسلام

وقوله :

ناديتُ هَمْدانَ والأبوابُ مُغلَقة   ومِثْل هَمْدان سَنَّى فَتْحة البابِ

كالهِنْدُوانيّ لم تُفلَل مَضارِبُه   وَجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَّابِ

أُكتبُوا لهَا بحاجتها .

﴿ أمّ سِنان بنت جُشَمة ـ ومُعاوية ﴾

قال سعيد بن أبي حُذَافة : حبس مَرْوان وهو والى المدينة غلاماً من بَنى لَيْث فى جِناية جناها ، فأتته جدّة الغلام ، وهى أم سِنان بنت جُشَمَة المَذْحِجيَّة فكلّمَته فى الغلام ، فأغلَظَ مرْوانُ لها ، فخرجتْ الى مُعاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرَفَها فقال لها : مرْحبًا يابنْة جُشَمة : ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتك تَشْتُمِيننا

(١) لمظه الشىء : منحه إياه .

خيرُ الخلائقِ وابنُ عمّ محمدٍ   إنْ يهدِكُمْ بالنّور منه تهتَدوا
ما زالَ مذُ شهِد الحروبَ مُظفَّرًا   والنّصر فوق لِوائه ما يُعْقَدُ ؟

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ـ وأرْجُو أن تكونَ لنا خَلَفاً . فقال ر.
من جُلسائِه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهى القائلة :

إمّا هلكت أبا الُحسين فلم تزَلْ   بالحقّ تُعرف هادياً مَهْدِيّا
فاذْهَبْ عليكَ صَلاةُ ربّك مادعَتْ   فوقَ الغُصُونِ حَمَامَةٌ قُمْرِيّا
قد كنتَ بعد محمّد خَلَفاً كما   أَوْصَى اليك بنا فكنتَ وَفِيّا
واليومَ لا خَلفٌ يؤمَّلُ بعدَهُ   هيهاتَ نأْمَلُ بَعدَهُ إِنْسيّا

قالت : ياأمير المؤمنين لسانٌ نَطَق، وقولٌ صدق ، ولئن تحقّق ماظَنَنّا فحظ
الأوفر . والله ما وَرّثك الشَّنَآنَ (٢) فى قلوب المسلمين إلا هؤُلاءِ ، فأدْحِض
مقالَتَهم ، وأبْعِد منزِلَتهُم ، فانك ان فَعلْتَ ذلك تَزْدَدْ من الله قُرْباً ، ومن المؤم
حُبّاً . قال : وَإنّك لتقولين ذلك . قالت : سُبحانَ الله ! والله ما مِثْلُكَ مُدِح بيا
ولا اعتذِر اليه بِكَذِب ، وإنّك لَتعلمُ ذلك من رأينا وضمير قلوبنا

شكراً لربى الذى أعاننى على طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثانى
أولِه الفن السابع فى التاريخ